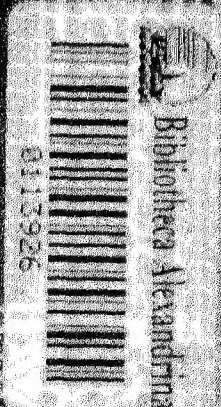


تأليف

رَبِّكَ اللَّهُمَّ سَرِّ لِي الصَّوْفِي

المجلد الثاني

دار النشر
بغداد



تاريخ دولة الإسلام

تأليف

ربيع بن ربيعة بن ربيعة

سكرتير شركة التوامات بمسقط، بنو وبشرى منا

المقاولين بالهند

الجزء الثاني

قد ورد في الآثار، عن سيد البشر،

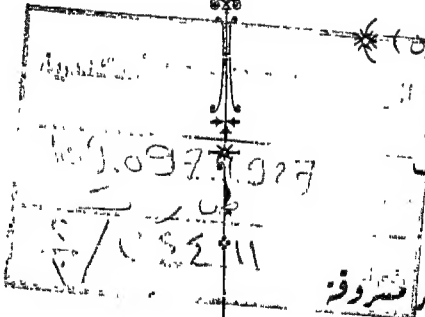
من ورّخ مؤمنًا فكأنما أحياء (كشف الظنون)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

كل نسخة لا يبرمج عليها فتم المؤلف تعتبر منسوخة

وبماكم ما ملها قانوناً

طبع بمطبعة الهلال بأفجالة بمصر سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م



فهرس الجزء الثانى

(١)

فصل	صحيفة	فصل	صحيفة
٢٨	٢٥٥	١	٢٢٩
٢٨	٢٥٦	٢	٢٣٠
٢٩	٢٥٧	٣	٢٣١
٣٠	٢٥٨	٤	٢٣٢
٣٠	٢٥٩	١٠	٢٣٣
٣٠	٢٦٠	١٠	٢٣٤
٣١	٢٦١	١٢	٢٣٥
٣٣	٢٦٢	١٢	٢٣٦
٣٤	٢٦٣	١٤	٢٣٧
٣٥	٢٦٤	١٥	٢٣٨
٣٥	٢٦٥	١٦	٢٣٩
٣٦	٢٦٦	١٦	٢٤٠
٣٦	٢٦٧	١٦	٢٤١
٣٧	٢٦٨	١٨	٢٤٢
٣٧	٢٦٩	١٨	٢٤٣
٣٩	٢٧٠	١٩	٢٤٤
٤٠	٢٧١	٢٠	٢٤٥
٤١	٢٧٢	٢٠	٢٤٦
٤١	٢٧٣	٢١	٢٤٧
٤٢	٢٧٤	٢٢	٢٤٨
٤٢	٢٧٥	٢٣	٢٤٩
٤٤	٢٧٦	٢٤	٢٥٠
٤٤	٢٧٧	٢٥	٢٥١
٤٧	٢٧٨	٢٦	٢٥٢
٤٧	٢٧٩	٢٦	٢٥٣
٤٨	٢٨٠	٢٧	٢٥٤

(الدولة الغزنوية بافغانستان والهند)

سبكتكين

اسماعيل بن سبكتكين

محمود بن سبكتكين

محمد بن محمود (اولا)

مسعود بن محمود

محمد بن محمود (ثانية)

مدعود بن مسعود

عبد الرشيد بن محمود

فرخزاد بن مسعود

ابراهيم بن مسعود

مسعود بن ابراهيم

ارسلان شاه بن مسعود

بهرام شاه بن مسعود

خسرو شاه بن بهرام شاه

ملك شاه بن خسرو شاه

(الدولة الصنهاجية بتونس)

بلكين بن زيرى

المنصور بن بلكين

باديس بن المنصور

المعز بن باديس

تميم بن المعز

يحيى بن تميم

علي بن يحيى

الحسن بن علي

(الدولة المروانية بديار بكر)



فهرس الجزء الثاني

فصل	صحيفة	فصل	صحيفة
٧٧	٣٠٨	٥٥	٢٨١
٧٧	٣٠٩	٥٧	٢٨٢
٧٧	٣١٠	٥٧	٢٨٣
٧٨	٣١١	٥٨	٢٨٤
٧٨	٣١٢	٥٨	٢٨٥
٧٨	٣١٣	٥٨	٢٨٦
٧٩	٣١٤	٦٠	٢٨٧
٧٩	٣١٥	٦٠	٢٨٨
٨٠	٣١٦	٦٢	٢٨٩
٨٠	٣١٧	٦٦	٢٩٠
٨١	٣١٨	٦٧	٢٩١
٨١	٣١٩	٦٧	٢٩٢
٨٢	٣٢٠	٦٨	٢٩٣
٨٢	٣٢١	٦٩	٢٩٤
٨٢	٣٢٢	٦٩	٢٩٥
٨٣	٣٢٣	٧٠	٢٩٦
٨٤	٣٢٤	٧٠	٢٩٧
٨٤	٣٢٥	٧٠	٢٩٨
٨٥	٣٢٦	٧٠	٢٩٩
٨٦	٣٢٧	٧١	٣٠٠
٨٦	٣٢٨	٧٢	٣٠١
٨٦	٣٢٩	٧٣	٣٠٢
٨٧	٣٣٠	٧٤	٣٠٣
٨٧	٣٣١	٧٥	٣٠٤
٨٨	٣٣٢	٧٥	٣٠٥
٨٨	٣٣٣	٧٦	٣٠٦
٨٩	٣٣٤	٧٦	٣٠٧
سليمان بن محمد بن هود		علي بن يوسف	
المقتدر احمد بن سليمان		تاشفين بن علي	
يوسف بن احمد		استحق بن علي بن يوسف	
احمد بن يوسف		الدولة المزيديّة بالحلة	
عبد الملك بن احمد		ابو الحسن علي بن مزيد	
احمد بن عبد الملك		ديس بن علي بن مزيد	
الدولة العامرية بيلنسية بالاندلس		منصور بن ديس	
(١) مجاهد العامري		صدقة بن منصور	
علي بن مجاهد		ديس بن صدقة	
ابو عامر بن علي		صدقة بن ديس	
(٢) خيران العامري		محمد بن صدقة	
زهير العامري		علي بن ديس	
المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن		الدولة الزيرية بغرناطة بالاندلس	
محمد بن عبد العزيز		زاوي بن زيري	
الدولة المرديسية بحلب		وانا بن زاوي	
صالح بن مرداس		حبوس بن ماكسن بن زيري	
نصر بن صالح		باديس بن ماكسن	
ثمال بن صالح		المظفر ابو محمد عبد الله بن بلكين	
محمود بن نصر بن صالح		الدولة الحمودية بالاندلس	
ثمال بن صالح ثانية		علي بن حمود	
عطية بن صالح		القاسم بن حمود	
محمود بن نصر بن صالح ثانية		يحيى بن علي بن حمود	
نصر بن محمود		ادريس بن علي بن حمود	
سابق بن محمود		الحسن بن يحيى بن علي	
الدولة العبادية باشبيلية بالاندلس		ادريس بن يحيى	
ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد		محمد بن ادريس بن علي	
عباد بن محمد		الدولة الهودية بسرقة بالاندلس	

فهرس الجزء الثاني

(ج)

فصل	صفحة	فصل	صفحة
١١١ ٣٦٢	طغرل بن ارسلان شاه	٨٩ ٣٣٥	ابو القاسم محمد بن عباد
١١٢ ٣٦٣	(الدولة الساجوقية باسيا الصغرى)	٩٠ ٣٣٦	(دولة ابن الافطس بطليوس بالاندلس)
١١٢ ٣٦٤	سليمان بن قطامش	٩٠ ٣٣٧	ابو محمد عبد الله بن مسلمة
١١٣ ٣٦٥	قلاج ارسلان بن سليمان	٩١ ٣٣٨	ابو بكر محمد بن عبد الله
١١٤ ٣٦٦	مسعود بن قلاج ارسلان	٩١ ٣٣٩	عمر بن محمد
١١٤ ٣٦٧	قلاج ارسلان بن مسعود	٩١ ٣٤٠	(الدولة الجهورية بقرطبة بالاندلس)
١١٦ ٣٦٨	غياث الدين كيخسرو بن قلاج ارسلان	٩٢ ٣٤١	ابو الحزم جهور بن محمد
١١٦ ٣٦٩	ركن الدين بن قلاج ارسلان	٩٢ ٣٤٢	ابو الوليد محمد بن جهور
١١٦ ٣٧٠	قلاج ارسلان بن ركن الدين	٩٢ ٣٤٣	عبد الملك بن محمد
١١٧ ٣٧١	غياث الدين كيخسرو بن قلاج ارسلان ثانية	٩٣ ٣٤٤	(دولة بنى ذى النون بطليطلة بالاندلس)
١١٧ ٣٧٢	كيكاوس بن كيخسرو	٩٣ ٣٤٥	اسماعيل بن عبد الرحمن
١١٨ ٣٧٣	كيغباد بن كيخسرو	٩٣ ٣٤٦	يحيى بن اسماعيل
١١٩ ٣٧٤	كيخسرو بن كيغباد	٩٤ ٣٤٧	القادر بالله يحيى بن اسماعيل
١٢٠ ٣٧٥	علاء الدين كيغباد بن كيخسرو	٩٤ ٣٤٨	(الدولة الساجوقية بآيران)
١٢٠ ٣٧٦	عز الدين كيكاوس بن كيخسرو	٩٥ ٣٤٩	داود بن ميكائيل وطغرل بك بن ميكائيل
١٢١ ٣٧٧	قلاج ارسلان بن كيخسرو	٩٦ ٣٥٠	الب ارسلان بن داود
١٢١ ٣٧٨	كيخسرو بن قلاج ارسلان	١٠٠ ٣٥١	ملك شاه بن الب ارسلان
١٢٢ ٣٧٩	مسعود بن كيكاوس	١٠٣ ٣٥٢	محمود بن ملك شاه
١٢٣ ٣٨٠	(الدولة البورية بالشام)	١٠٤ ٣٥٣	بركيارق بن ملك شاه
١٢٣ ٣٨١	تنش بن الب ارسلان	١٠٥ ٣٥٤	ملك شاه بن بركيارق
١٢٥ ٣٨٢	(١) رضوان بن تنش	١٠٥ ٣٥٥	محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان
١٢٦ ٣٨٣	الب ارسلان بن رضوان	١٠٦ ٣٥٦	محمود بن محمد
١٢٦ ٣٨٤	سلطان شاه بن رضوان	١٠٨ ٣٥٧	داود بن محمود
١٢٧ ٣٨٥	(٢) دقاق بن تنش	١٠٨ ٣٥٨	مسعود بن محمد بن ملك شاه
١٢٨ ٣٨٦	اتابك طغديكين	١٠٩ ٣٥٩	محمد بن محمود
١٢٩ ٣٨٧	بورى بن طغديكين	١١٠ ٣٦٠	سليمان شاه بن محمد
١٢٩ ٣٨٨	شمس الملوك اسماعيل بن بوري	١١٠ ٣٦١	ارسلان شاه بن طغرل بك بن محمد



فهرس الجزء الثاني

صفحة	فصل	صفحة	فصل
١٤٣	٤١٦	١٣٠	٣٨٩
١٤٤	٤١٧	١٣١	٣٩٠
١٤٤	٤١٨	١٣١	٣٩١
١٤٥	٤١٩	١٣٤	٣٩٢
١٤٦	٤٢٠	١٣٤	٣٩٣
١٤٦	٤٢١	١٣٥	٣٩٤
١٤٧	٤٢٢	١٣٥	٣٩٥
١٥١	٤٢٣	١٣٥	٣٩٦
١٥٧	٤٢٤	١٣٥	٣٩٧
١٥٩	٤٢٥	١٣٦	٣٩٨
١٦٢	٤٢٦	١٣٦	٣٩٩
١٦٥	٤٢٧	١٣٧	٤٠٠
١٦٦	٤٢٨	١٣٧	٤٠١
١٦٨	٤٢٩	١٣٧	٤٠٢
١٦٩	٤٣٠	١٤٠	٤٠٣
١٧٣	٤٣١	١٤٠	٤٠٤
١٧٥	٤٣٢	١٤٠	٤٠٥
١٧٦	٤٣٣	١٤١	٤٠٦
١٧٨	٤٣٤	١٤١	٤٠٧
١٨٠	٤٣٥	١٤١	٤٠٨
١٨٠	٤٣٦	١٤١	٤٠٩
١٨٥	٤٣٧	١٤٢	٤١٠
١٩١	٤٣٨	١٤٢	٤١١
١٩٢	٤٣٩	١٤٢	٤١٢
١٩٥	٤٤٠	١٤٢	٤١٣
١٩٧	٤٤١	١٤٣	٤١٤
١٩٨	٤٤٢	١٤٣	٤١٥

شهاب الدين محمود بن بوري

جمال الدين محمد بن بوري

مجير الدين آبق بن محمد

الدولة الارثوقية بماردين وديار بكر

سقم بن ارتق

(١) ابراهيم بن ارتق

داود بن سقم

نغر الدين قرا ارسلان بن داود

نور الدين محمد بن قرا ارسلان

قطب الدين سقم بن محمد

اباس مملوك قطب الدين

محمود بن محمد

المسعود بن محمود

(٢) ايلغازي بن ارتق

حسام الدين قمرش بن ايلغازي

البي بن قمرش وابنه ايلغازي

بولق ارسلان بن ايلغازي

ارتق المنصور بن ايلغازي

السعيد نجم الدين غازي بن ارتق

المظفر قرا ارسلان بن ارتق

نجم الدين غازي بن قرا ارسلان

المنصور احمد بن غازي

الصالح محمود بن احمد

المظفر نغر الدين داود بن المنصور

مجد الدين عيسى بن داود

دولة الشاهات بارمينية

سقم القطبي شاه ارمن

ظهر الدين ابراهيم بن سقم

احمد بن سقم

سقم بن ابراهيم

مكتمر مولى سقم

اقسنقر

محمد بن مكتمر

دولة الموحد بن مراكش

عبد المؤمن بن علي الكومي

يوسف بن عبد المؤمن

يعقوب بن يوسف

محمد بن يعقوب

يوسف بن محمد

عبد الواحد بن يوسف

العاذل عبد الله بن المنصور

المأمون بن المنصور

الرشيد بن المأمون

السعيد علي بن المأمون

عمر المرتضي بن ابي ابراهيم

ابو العلاء ادريس المعروف بابي دبوس

الدولة الزنكية بالجزيرة والشام

عماد الدين زنكي بن اقسنقر

نور الدين محمود بن زنكي

الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين

عز الدين مسعود بن مودود

نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين

الملك القاهر بن نور الدين

نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر

فهرس الجزء الثاني

(٥)

فصل	صحيفة	فصل	صحيفة
٤٧٠	٢٥٥	٤٤٣	١٩٩
٤٧١	٢٥٧	٤٤٤	٢٠٠
٤٧٢	٢٦٧	٤٤٥	٢٠٠
٤٧٣	٢٦٨	٤٤٦	٢٠١
٤٧٤	٢٧٤	٤٤٧	٢٠٢
٤٧٥	٢٧٨	٤٤٨	٢٠٣
٤٧٦	٢٧٩	٤٤٩	٢٠٣
٤٧٧	٢٨٤	٤٥٠	٢٠٥
٤٧٨	٢٨٥	٤٥١	٢١١
٤٧٩	٢٨٥	٤٥٢	٢١٥
٤٨٠	٢٨٦	٤٥٣	٢١٥
٤٨١	٢٨٦	٤٥٤	٢١٥
٤٨٢	٢٨٦	٤٥٥	٢١٦
٤٨٣	٢٨٨	٤٥٦	٢١٧
٤٨٤	٢٨٩	٤٥٧	٢١٩
٤٨٥	٢٩٠	٤٥٨	٢٢٠
٤٨٦	٢٩٠	٤٥٩	٢٢١
٤٨٧	٢٩١	٤٦٠	٢٢٢
٤٨٨	٢٩١	٤٦١	٢٢٤
٤٨٩	٢٩٢	٤٦٢	٢٣٧
٤٩٠	٢٩٦	٤٦٣	٢٣٩
٤٩١	٢٩٧	٤٦٤	٢٤٠
٤٩٢	٢٩٨	٤٦٥	٢٤٣
٤٩٣	٢٩٩	٤٦٦	٢٤٩
٤٩٤	٢٩٩	٤٦٧	٢٥٠
٤٩٥	٣٠٠	٤٦٨	٢٥٢
٤٩٦	٣٠٠	٤٦٩	٢٥٤
الاشرف بن يوسف		ناصر الدين بن الملك القاهر	
اخبار الصليبيين مدة الدولة الايوبية		بدر الدين لؤلؤ	
(دولة الممقول او التتر بايران)		(الدولة الخوارزمية بايران)	
جنكزخان		اقسس بن محمد بن انوشكين	
قان بن جنكزخان		ايل ارسلان بن اقسس	
كيوك خان بن قان		سلطان محمود بن ايل ارسلان	
هولاكو بن تولي		علاء الدين تكش بن ايل ارسلان	
اباقا بن هولاكو		علاء الدين محمد بن تكش	
السلطان احمد بن هولاكو		جلال الدين بن محمد	
ارغون بن اباقا		(الدولة الغورية بافغانستان والهند)	
كيحان بن اباقا		سام بن حسين	
بايدوخان بن طرغاي بن هولاكو		سوري بن حسين	
قازان خان بن ارغون		علاء الدين الحسين بن حسين	
خدا بندا بن ارغون		غياث الدين محمد بن سام	
ابو سعيد بن خدا بندا		شهاب الدين بن سام	
الشيخ حسن بن حسين		محمود بن عياث الدين	
اويس بن حسن		تاج الدين الذرمولي غياث الدين	
حسين بن اويس		(الدولة الايوبية بمصر والشام)	
احمد بن اويس		صلاح الدين يوسف بن ايوب	
تيمورلنك		العزير بن يوسف	
بقية اخبار آل تيمورلنك		المنصور بن العزير	
(الدولة الحفصية بتونس)		العاقل بن ايوب	
ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص		الكامل بن العاقل	
عبد الرحمن بن عبد الواحد		العاقل بن الكامل	
السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن		الصالح ايوب بن الكامل	
ابو زيد بن السيد ادريس		المعظم توران بن الصالح	
عبد الله بن عبد الواحد بن ابي حفص		شجرة الدر	

٢٢٩ - الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند

(تمهيد) هذه الدولة من الدول الاسلامية العظمى وكما ان اغلب الدول
تفرعت من بعضها هكذا هذه الدولة تفرعت من الدولة السامانية التي مر ذكرها .
وبيان ذلك ان سبكتكين رأس هذه الدولة كان من غلمان أبي اسحق بن البتيكين
صاحب جيش غزنة للسامانية . فلما توفي المذكور اجتمع اهل غزنة على تقديم
سبكتكين عليهم فأحسن السياسة . ثم طرق الدولة السامانية الهرم الذي بطرق
الدول فاستقل سبكتكين بأماره غزنة وابتدأ بتوسيع هذه الامارة بشن الغارات
المتوالية حتى تطاول اخيراً على غزو بلاد الهند وبلغت مملكته من العز والقوة شأواً
بميداً كما ستراه ان شاء الله



٢٣٠ - سبكتكين

من سنة ٣٦٦ - ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٧٦ - ٩٩٧ م

لما قوي أمر سبكتكين وعلاصيته بين الناس قصره الامراء يستعينون به في الملهمات التي تنابهم فمن ذلك ان امير بست المدعو طغان كان غاب عليه شخص آخر يعرف بأبي ثور فالتجاء الى سبكتكين مستنجداً به على عدوه وكان سبكتكين ذا مطامع بعيدة وامال عالية فانتهز هذه الفرصة وانجد طغان على عدوه واستعاض له مدينة بست من مقتصبها وردّها الى طغان المذكور ولكن ليس على سبيل الاستقلال كما كان أولاً بل كمال لسبكتكين عليها . وفي بست هذه اجتمع سبكتكين بأبي الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المشهور واستكتبه

فلما رأى سبكتكين ان السعد خادمه والنصر رفيقه جمع جيوشه وغزا بلاد الهند وحارب جيول أحد ملوكها واستولى على مدن وقلاع كثيرة من بلاده فلما رأى جيول ماداهم بلاده وان حدودها صارت في قبضة عدو شديد حشد جيوشه واستنكر من الغيلة وسار حتى اتصل بحدود ولاية سبكتكين فلما علم سبكتكين بمجيئه جند الجنود ونادى بالفزو في اهل الكفر فاجتمع اليه خلق يجلب عن الحصر فلما التقى الجمعان انتصر المسلمون انتصاراً باهراً وأسر وا ملك الهند فغدى نفسه بالالف درهم وخمسين فيلاً وأودع كثيرين من كبار قومه رهائن عند سبكتكين حتى بقي له بالمال

فأرسل سبكتكين معه من يحضر المال منه ولكنه غدر باصحاب سبكتكين في الطريق وقبض عليهم . فلما اتصل هذا الخبر بسبكتكين سار اليه في جموعه فكسره شر كسرة وغنم منه الغنائم الوفرة وملك بلاد بيشاور ولغنام وهي في الشمال الغربي من بلاد الهند

وفي سنة ٣٨٤ هـ اتفق أبو علي وفايق علي خاتم طاعة الامير نوح الساماني

فعلما طاعته وكان الامير نوح قد ضعف أمره لهجوم الترك على بلاده فانتمى ان يرسل الى سبكتكين يستنجد به عليهما . فلما وصل كتاب الامير نوح (الملقب بالمنصور) الى سبكتكين أسرع باجابة طلبه علماً منه ان هذا يزيد في سطوته في البلاد الاسلامية ولكي يثبت دعوته فيها ايضاً . فانتمى هذه الفرصة وسار هو وابنه محمود الى خراسان وأزالا عنها أبا علي وفايقاً . فانتمى الامير نوح علي محمود بن سبكتكين بولاية خراسان وابقب سيف الدولة وعلى ابيه سبكتكين بلقب ناصر الدولة . وعاد سبكتكين تاركاً ابنه محموداً بمدينة نيسابور ولكنه لم يتعد كثيراً حتى علم ان ابا علي وفايقاً رجعا الى خراسان وانهما اتحدا على قتل ابنه محمود وهزماء وهو في قلة من عسكره فعاد مسرعاً الى خراسان واتحد مع ابنه وأزالا أبا علي وفايقاً عن خراسان واستتب الامر لمحمود فيها وتوفي سبكتكين سنة ٣٨٧ هـ وقد اتفقت الآراء علي مدح أعماله . وكان موته بمدينة بلخ

٣٣١ - اسمعيل بن سبكتكين

من سنة ٣٨٧ - ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٩٧ - ٩٩٧ م

لما توفي سبكتكين قام بالامر بعده ابنه اسمعيل بعهد منه مع انه اصغر من اخيه محمود فمن ذلك علي محمود وأرسل الى اخيه اسمعيل يعزیه في ابيه ويطلب منه ان يتنازل له عن الملك لانه اكبر منه سناً واحق منه بذلك شرعاً وبين له انه قادر على غزوه واغضاب الملك منه اذا شاء . فلم يجبه اسمعيل بشيء . فسار محمود من نيسابور الى هرات عازماً على قصد اخيه . وكان اسمعيل في ذلك الوقت يبلغ فاسرع الى غزنة لما بلغه خبر قدوم محمود اليه وكان قصد محمود ان يسبقه اليها ليدخلها بلا منازع ولكن اتفق انهم التقوا بجموعهم فظاهر غزنة فانتلوا قتالاً شديداً فانهمز اسمعيل وصعد الى قلعة غزنة واعتصم بها فحصره محمود واستنزل على الامان

فلما نزل اليه اكرمه وأحسن اليه . واستولى محمود على ملك ابيه . وكان ملك اسمعيل سبعة اشهر فقط

٣٣٢ - محمود بن سبكتكين

من سنة ٣٨٧ - ٤٢١ هـ او من سنة ٩٩٧ - ١٠٣٠ م

لا خلاف ان محمود بن سبكتكين هذا اعظم ملوك الدولة الغزنوية وله من الاعمال والمآثر ما يلاء المجلدات تأتي على ذكر المشهور منها فقط

كان محمود والياً على خراسان في ايام ابيه فلما توفي أبوه وسار من نيسابور للاستيلاء على الملك عقد الامير منصور بن نوح الساماني (لان نوحاً كان قد توفي سنة ٣٨٧ هـ) على ولاية خراسان لشخص يقال له بكتوزون فارسل اليه محمود يماثبه ويدكره بنجده له ولكن بلا فائدة فزم على فتح خراسان بالقوة

وفي هذه الاثناء قام الامير عبد الملك بن نوح وقبض على اخيه منصور واستولى على الملك واستوزر فائقاً فسار محمود الى خراسان . وعلم بكتوزون بمسيره اليه فاستمد الامير عبد الملك وفائقاً فأمداه وسار في الجيوش والنقت جموعهم بمساكر محمود وبرو آخر جمادى الاولى سنة ٣٨٩ هـ واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزم بكتوزون وفائق والامير عبد الملك ولحق كل منهم بجهة التجاء اليها واستولى محمود على مرو وجميع خراسان واقام بنيسابور اياماً ثم عاد الى هرات بعد ان استخاف على نيسابور ارسال الحاجب من اكابر قواده . ولما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد اليها وملكها واتصل الخبر بمحمود فأسرع وأزاله عنها ومحا منها الدعوة السامانية وخطب فيها للخليفة القادر بالله العباسي واستتب له الامر فيها ثم وجه الثغاته الى بلاد الهند اتماماً لمقاصد ابيه

وفي سنة ٣٩٠ هـ سار السلطان محمود قاصداً بلاد الهند ومرفي طريقه على بلاد سجستان التي كان غلب عليها خلف بن احمد بعد موت سبكتكين فأزاحه

عنها وملكها منه واستمر في سيره الى بلاد الهند وكانت جيبول قد استسلمت للقائه استعداداً تاماً فالنقيا عند مدينة برشور فانهمزم جيبول ملك الهند ووقع هو وكثيرون من أمراء بلاده أسرى في يدي السلطان محمود . وغنم المسلمون في هذه الواقعة غنائم لا تحصى . ثم أطلق السلطان محمود الملك جيبول من أسره وقرر عليه مالا يدفعه سنوياً ولكنه فضل الموت على حياة الذل فأحرق نفسه . وكانت هذه الواقعة سنة ٣٩٢ هـ . وعاد السلطان محمود غانماً ظافراً

وفي سنة ٣٩٥ هـ عاود السلطان محمود الغزو في بلاد الهند فغزا مدينة بهاطية وحاصرها طويلاً ولكن حب الجهاد في قلوب المسلمين سهل عليهم صوبة امتلاك هذه المدينة لانها مع حصانتها وعظم الخندق المحفور حولها لوقايتها من مهاجمة العدو لم تنفع على صد هجماتهم لانهم هاجموا بقلوب لا تنهاب الردى وملكوها فهرب ملكها واستولى المسلمون عليها وغنموا منها غنائم . ثم عاد السلطان محمود الى غزنة . وكان كره الكفر عند السلطان محمود عظيماً . وحب الجهاد في الكفار أعظم وحبسه في نشر الاسلام جعله لا يبدأ بلا غزو فانه لم يرتح من قتال الهند في سنة ٣٩٥ هـ حتى بلغه في اوائل سنة ٣٩٦ هـ انتشار سطوة أبي الفتوح صاحب ملتان الهندية وكرهه الاسلام فعزم على غزوه فسار اليه مجتهداً ولكنه لما وصل الى حدود الهند وجد ان الانهار غزيرة المياه لا تخاض فطلب من أنوند بال بن جيبول ملك الهند ان يأذن له في العبور في بلاده الى ملتان فلم يجبه الى ذلك . فاستحسن السلطان محمود ان يقاتل أنوند بال أولاً فنقدم اليه وقاتله وهزمه وما زال يطارده من قلعة الى قلعة ومن مدينة الى مدينة حتى مدينة قشмир

واتصل بأبي الفتوح خبر تقدم السلطان محمود اليه فجمع أمواله وسار عن ملتان الى سرنديب فقصدتها السلطان وامتنع اهلها عليه فخار بهم وافتتحها عنوة واغرمهم عشرين الف درهم عقوبة لهم على عصيانهم ثم سار الى كوكير واسم صاحبها بيذا وكان بها ٦٠٠ صنم فافتتحها وأحرق اصنامها واعتصم صاحبها بقلعة له فحاصره السلطان بها ٤٣ يوماً ثم بلغه ان ايلك خان سلطان الترك تقدم على بلاده

فصالح ملك الهند وأجل ما كان ينويه في الهند الى ما بعد ان ينتهى من ايلك خان .

كان بين السلطان محمود وبين السلطان ايلك خان ملك السترك منافسة بخصوص خراسان ثم استقر الحال بينهما وانتهى الامر بالصالح والصر ولكن لم يزل سعاة السوء يغرون ما بينهما حتى فسد الحال بينهما فلما سار السلطان محمود الى ملتان اغنم ايلك خان الفرصة وأرسل عساكره فاستولت على بلخ . وكان ارسلان الحاجب عامل السلطان محمود بهرات وأمره اذا دهمه ما يخشاه ان يسرع الى غزنة ففعل وتقدمت عساكر ايلك خان الى هرات واستولت عليها بلا قتال واقام جعفر تكين أخو السلطان ايلك خان بها وأرسل الحسين بن نصر الى نيسابور فلما وصل الخبر بالسلطان محمود وهو محاصر بيضا بمحصنه كما ذكرنا فاسرع بعقد الصلح معه وعاد الى بلاده لرد هذا العدو عنها . فنفقدهم الى بلخ فهرب عنها جعفر تكين أخو السلطان ايلك خان . وأرسل محمود جيشاً بقيادة ارسلان الحاجب يبلغ عدده ١٠ الاف مقاتل الى هرات فلما خرج عساكر الترك منها . وما زال السلطان محمود يقاتل الترك على خراسان حتى اجلاهم عنها وسير وراءهم جيشاً بقيادة اخيه نصر بن سبكتكين فتنبههم الى ساحل جيحون فقطع دابرهم ولما علم ايلك خان بانهم زام جيوشه امام السلطان محمود صعب عليه الامر جداً واستنجد قدر خان ملك الختل ودهاقين ما وراء النهر فامدوه كل منهم بما قدر عليه حتى اجتمع لديه ٥٠ الف مقاتل فتقدم بهم نحو طخارستان وقصد بلخ واستعد السلطان محمود للملاقاة ورتب جيشه هكذا - في القلب نصر بن سبكتكين - الميمنة ابو نصر بن احمد وابو عبدالله بن ابراهيم الطائي - والميسرة ارسلان الحاجب وحصن مقدمته بخمسين من الفيلة . ورتب ايلك خان جيوشه هكذا - السلطان ايلك خان نفسه في القلب . الميمنة قدر خان ملك الختل - الميسرة اخوه جعفر تكين . والتقى الجيشان بظاهر بلخ ودارت بينهما رحى الحرب واستمات الفريقان وطال المدى عليهما ولم تظهر النتيجة حتى هجم اخيراً السلطان محمود

بالفيلة على قلب جيوش ايلك خان فهزمه فظهرت حينئذ الضوضاء والارتباك في صفوف الترك ثم ولوا الادبار وجيوش السلطان محمود تتبعهم وتعمل فيهم قتلاً وسبياً الى أن عبروا النهر وتم الظفر للسلطان محمود واكثر الشعراء من مدحه وتهنئته بهذا النصر المبين . ثم أعاد السلطان محمود نظره نحو بلاد الهند فسار اليها للايقاع بنواسه شاه (احد اولاد ملوك الهند كان اسلم على يده فاستخافه على بعض المعاول التي افترضها ثم ارتد ونبذ الاسلام) فلما اتصل بنواسه شاه قدومه هرب واستولى السلطان محمود على معاقله بلا عناء ثم عاد الى غزنة ظافراً . وفي سنة ٥٩٨ هـ سار السلطان محمود غازياً الى الهند فلما وصل الى نهر الهند وجد برهما بال بن انونديال ملك الهند مستعداً لقتاله في جموع الهند فاقبلوا شديداً وكاد يظفر الهند بالمسلمين ولكن حسن صبر المسلمين جعلهم ينتصرون فانهمزم برهما بال ولحق بهيم نغر (مدينة مقدسة للهند) فتعقبهم السلطان محمود وحاصرهم وافتتحها وغنم منهم جواهر واواني ذهباً وفضة من بيوت اصنامها شيئاً لا يقدر وعاد غانماً ظافراً

وفي سنة ٤٠١ هـ استولى السلطان محمود على بلاد الغور . وفي سنة ٤٠٢ هـ استولى على قصران . وفي سنة ٤٠٤ هـ استولى على ناردين من بلاد الهند وفي سنة ٤٠٥ هـ سار لغزو تانديشر من بلاد الهند فلقى مشقة في طريقه واخيراً انتهى مقابلها على شاطئ نهر غزير المياه لا يخاض وملك تانديشر على شاطئه الآخر متربصاً لينع عبور المسلمين اليه فأمر السلطان محمود بعض شجعانه أن يعبروا ويشعروا جيش الهند حتى يتمكن باقي العسكر من العبور ففعلوا وعبر المسلمون وقتلوا الهندوز وهزموهم وغنموا منهم شيئاً كثيراً ثم عادوا ظافرين

وفي سنة ٤٠٧ هـ سار السلطان محمود الى خوارزم واستولى عليها والسبب في ذلك ان ابا العباس كان قد ملك خوارزم والجرجانية وصاهر السلطان محموداً باخته وكان السلطان محمود قد كتب اليه يامره أن يخطب له على منابر . فجمع أبو العباس كبراء دولته وامرهم بذلك فامتنعوا وهددوه بالقتل ان فعل ثم قتلوه واقاموا

احد اولاده مكانه فسار السلطان محمود اليهم وقتلهم واستولى على خوارزم واستتاب بها حاجبه التوتاش ولا انتهى السلطان من خوارزم وصارت جزءاً من مملكته زحف على قشمبر فاخضعها واعتنق كثيرون من اهلها الاسلام . وفي السنة التالية عاد وقصد مدينة قنوج ففتحها واستولى على كل ما فيها وظل ينتقل في بلاد الهند ويخضع ممالكها واماراتها حتى امتلك سبعة عشر اقلياً من الهند .

وفي سنة ٤١٦ هـ وجه السلطان محمود همه الى فتح سومنات وهي مدينة مقدسة عند الهنود اشتهر اهلها بالعكف على اصنامهم من دون الله ومركزها الى شمالي مدينة دهلي تبعد عنها نحو سبعين ميلاً فاخضعها هذا الفاتح العظيم ولم يجسر احد من ملوك الهند على التعرض له اما كيفية فتحها فهو أنه نفي الى السلطان محمود ان في المدينة المذكورة صنماً عظيماً وثروة هائلة فقصد المدينة ليفتحها واحاط بها فرأى من غناها وقوة اهلها شيئاً كثيراً . وكان الهنود يظنون ان الههم يسحق قوات المسلمين بلا عناء فلما صار المسلمون على الابواب واوشكوا أن يملكوا المدينة هاج الهنود وحاربوا محاربة الذي لا يطمع في الحياة وكانوا يعتقدون ان الصنم الكبير غاضب عليهم وتنهى عن مساعدتهم فارادوا أن يموتوا تحت شفرات سيوف المسلمين كعادة عن ذنوبهم التي اوجبت غضب صنمهم عليهم فافادهم هذا الاعتقاد لانهم ردوا هجمات المسلمين مراراً حتى رأى السلطان محمود أن العود بالسلامة والاكتفاء باقتنائهم السابقة اسلم عاقبة من محاصرة هذه المدينة فامر عساكره بالرجوع وطرب الهنود لهذه النتيجة فاقبلوا على صنمهم يشكرونه لغفرانه لهم بزعمهم . وكان أهل سومنات قد بعثوا الى جيرانهم يطلبون المدد فبينما كان جيش غزنة راجعاً عنها التقى بالمدد قادمًا وكان جيشاً جراراً . فاستند محمود لاقتال وصلى الى ربه يطلب النصر على الكفار ثم اعتلى صهوة جواده وانتضى سيفه وكر به على الاعداء كمن يريد الموت واقتدى عساكره به فهجموا هجوماً عنيفاً على الاعداء ونكلوا بهم من كل جانب وفرقوهم شذر مذر وانتصروا انتصاراً باهراً ثم عزموا على الرجوع الى المدينة لفتحها ونهب ما فيها فاعدوا الكرة على

القوم بهمة زعزعت اركان تلك المدينة العظيمة فهرب اهلها ودخلها المسلمون فغنموا يومئذ اوفر غنيمة وجمعوا من نفيس التحف والمال والذهب شيئاً لا حد له ولا عد .
تم تقدم السلطان محمود الى الصنم الكبير لتحطيمه والمناداة بالاسلام فتقدم اليه اعيان البلدة وكهنتها وقدموا له مبلغاً طائلاً من المال لينترك لهم صنمهم على حاله فطمع اصحاب محمود بالمال ورجوه ان يقبل طلبهم ويوزع المال على الذين جاهدوا معه فاطرق السلطان في الارض ملياً ثم صرح بالاباء وقال :

- انه جاء المدينة ليكسر صنمها لا لبيعه الى اهلها وقال هذه الجملة بالفارسية (محمود بت سكن است نه بت فروش) وجرد سيفه فضرب به ذلك التمثال العظيم وامر من معه من الجنود ان يحطموه ففعلوا . وبينما هم يكسرونه عثروا في جوفه على جواهر ولائى واموال كثيرة جداً تزيد عن المبالغ الذي عرضه عليه النكمة زيادة هائلة ففهم السلطان محمود حينئذ غايتهم من ابقائه . وبعد ان جمع كل التحف امر الهنود بالحضور عنده فحضروا لديه وفرض عليهم ذلك المال الذي عرضه عليه فجاؤا به على سبيل الغرامة . وكان الذي جمعه المسلمون من مدينة سومنات هذه اعظم مما نالوه من كل غزواتهم السابقة

وكان السلطان محمود اشبع من الغزو والفتح وصار ملكه ضخماً واسعاً وكبرت ثروته الى حد انه لم يسمع عن مثلها منذ غيره من ملوك تلك الايام فاراد ان يتمتع بلذة النصر والثروة وعزم على السكون حيناً من الدهر وهو اول من سمى نفسه سلطاناً واقب بيمين الدولة . فاستراح في غزنة عاصمة ملكه وكرسى عزه واهتم ببناء القصور والجوامع فشاد صروحاً فخيمة وزين مدينة غزنة باجمل البنايات وانفق عليها الاموال الوفرة التي غنمها في غزواته الكثيرة وكان امراء غزنة اصحاب السلطان محمود وقواده قد جمعوا شيئاً كثيراً من الذهب والجواهر ايضاً فاقتدوا بسلاطنتهم وبنوا القصور حتي اصبحت مدينة غزنة من اشهر مدن الشرق في تلك الايام وطار صيتها وصيت سلطانها في الافاق . وكان اجمل ما في المدينة الجامع العظيم الذي بناه السلطان محمود وانفق عليه لاموال بغير حساب وجعل في عتبة

بعضاً من حجارة صنم سومنات العظيم
وفي أيام هذا السلطان العظيم عاش الفردوسي الشاعر الفارسي الشهير صاحب
الشاهنامه الياذة الفرس وقد نظمها بإيعاز السلطان محمود
والسلطان محمود غزوات وفتوحات و آثار كثيرة غير ما ذكرنا بطول شرحها
فاكتفينا بما تقدم . وفي سنة ٤٢١ هـ توفي السلطان محمود وقد اكثرت المؤرخون
من ذكره وتعداد مناقبه واصله البعض بمدايحهم الى اعلى الدرجات وهو بلاشك
من اعظم سلاطين الغزنويين واكبر ملوك الشرق

٣٣٣ - السلطان محمد بن محمود

من سنة ٤٢١ — ٤٢٢ هـ او سنة ١٠٣٠ م

كان للسلطان محمود ابنان اكبرهما مسعود ولاء والده على العراق وما يليه في مدة
حياته وحرمه الملك فاوصى به من بعده الى ابنه الثاني محمد
فلما توفي السلطان محمود كان ابنه محمد يبلغ فارس الى ارباب الدولة واخبروه
بوفاته ايده والوصاية له بالملك فاسرع الى غزنة واستولى على الملك وحطبه له في كل مملكة
ايه . ولما اتصل هذا الخبر بمسعود بن محمود وهو باصفهان زحف بجيش كثيف الى
مدينة غزنة وقبل ان يصلها ارسل الى اخيه محمد يطلب منه تسليم الملك اليه ويعرض
عليه شروطاً توافق الاثنين فلم يقبلها محمد . وانتشبت الحرب بين الاثنين ففاز فيها
مسعود واسر محمداً وسجنه في مدينة غزنة بعد ان سمله واستولى على الملك

٣٣٤ - السلطان مسعود بن محمود

من سنة ٤٢٢ — ٤٣٢ هـ او من سنة ١٠٣٠ — ١٠٤٠ م

واستتب الامر للسلطان مسعود وكان شجاعاً كايه الا ان الايام لم تتقدمه كما
خدمت اياه والسعد لم يكن رفيقه في كثير من الاحيان

وكان السلطان محمود قد استولى على اصفهان من يد علاء الدولة بن كاكويه واقطعها عنه مسعوداً ولحق علاء الدولة بأبي كاليبجار يستنجد به ولكن هذا كان احوج منه من بجده فافاء عنده الى ان توفي السلطان محمود ثم عزم على العود الى اصفهان واستخلاصها من يد السلطان مسعود فحارب عامله لكنه انهزم ولم يتيسر له ما تنهه فلحق بتاعة مردجان على بعد ١٥ فرسخاً من همدان فاقام بها الى ان برأ من جراح اصابته ثم استجد فرهاذ بن مرداويج واعاد الكرة على اصفهان فانهمزم هزيمة اتسع من الاولى وفي سنة ٤٢٣ هجرية سار السلطان مسعود من غزنة الى خراسان لتمييد امورها فلما وصلها وكان قد استخلف على بلاد الهند وما جاورها احد قواده المدعو احمد نبال فعظمت سطوته وسوت له نفسه الاستيلاء على ملك الهند فانتقض سنة ٤٢٤ هـ ومنع حمل المال المفروض عليه . فسار السلطان مسعود الى الهند فلما وصلها اظهر احمد نبال الطاعة والخضوع له فعاد السلطان الى خراسان . فلما ابعده عن بلاد الهند عاد احمد نبال الى العصيان واتبعه جمع كثير فارسل اليه السلطان مسعود سنة ٤٢٦ هـ جيشاً كثيفاً لقتاله فهزمه وطارده من مدينة الى مدينة حتى ضعفت نفوس اصحابه وتركوا احمد فقتل نفسه

وفي هذه الاثناء اخذت الدولة السلجوقية في الظهور فتقدم طغرل بك مملكها الى خراسان وانتزعها من يد الغزنوية فلما علم السلطان مسعود بذلك سار الى خراسان وقابل طغرل بك وازاحه عنها . ولكن السلجوقية كانت في بداية امرها متبل جميع الدول العظيمة التي لا ترضى بالهزيمة والعار فجمع طغرل بك جيشاً كثيفاً واعاد الكرة على خراسان فاستولى عليها نهائياً سنة ٤٣١ هـ وبجأ السلطان مسعود الى غزنة . وتقدم طغرل بك الى نيسابور فملكها وارسل اخاه داود الى بلخ فحاصرها فارسل السلطان مسعود ابنه مدعود اليها للمدافعة السلجوقية عنها وذلك في ربيع سنة ٤٣٢ هـ . واقام هو بعد مسير ابنه سبعة ايام ثم خرج من غزنة فاصداً بلاد الهند للمتنى بها على عادة ابيه وليجمع جيشاً من الهنود لقتال السلجوقية واستصحب اخاه محمداً المسمول معه . وكان اهل الدولة قد ضجروا منه فتشاوروا في خلعه وولاية اخيه محمد واجمعوا على ذلك فقاموا عليه وخلعوه وبايعوا اخاه محمداً المسمول ثم داروا بعضهم على بعض ينهبون ما اجتمع لديهم من التحف حتى غني قوم منهم وافتقر آخرون وعمت الفوضى وخربت البلاد

وكان السلطان مسعود غزير الفضل محباً للعلم والعلماء محسناً إليهم كثير الصلات والعطاء.

٢٣٥ - السلطان محمد بن محمود ثمانية

من سنة ٤٣٢ -- ٤٣٣ هـ او من سنة ١٠٤٠ - ١٠٤١ م

ولما خلع القواد السلطان مسعوداً نادوا بمحمد ملكاً عليهم وجاءوا اليه في محبته وهو لا يبصر واعلموه بالحكاية ففرح بالخلاص ولم ينو قتل اخيه لكنه اكتفى بسجنه واظهر له بعض الاكرام . على ان احد اولاد محمد قتل مسعوداً وهو في السجن بدون علم أخيه فحزن محمد عليه حزناً مفرطاً وبعث الى ابن اخيه يعربه على فقد والده و يتبرأ من اثم قتله . وكان ابن اخيه قد اجل السلحوقية عن بلخ واستولى عليها واقام بها فلم يصدق رواية عمه وزحف عليه فخاربه وانتصر في الحرب واسرعه وامر بقتله وقتل كل اولاده الا واحداً منهم يدعى عبد الرحمن لرفقه بابيه في سجنه واستولى على الملك

٢٣٦ - مسعود بن مسعود

من سنة ٤٣٣ - ٤٤١ هـ او من سنة ١٠٤١ - ١٠٤٩ م

واستتب الامر لمسعود الا انه خاف سطوة أخ له يدعى محمود كان سيره ابوه سنة ٤٣٦ هـ الى الهند فاقام بها الى ان توفي ابوه فلما بلغه خبر وفاته بايع لنفسه وخالف على اخيه مسعود وجهاز الجيوش بمدينة ملتان لغزو اخيه ولكن اتته منيته قبل اتمام مقاصده فاستراح مسعود من عناء قتاله . وكانت خوارزم من ممالك محمود بن سبكتكين وابنه مسعود من بعده وكان عليها التوتناش حاجب محمود ومن اكابر قواده وولياها لها معاً ولما شغل مسعود بفتنة اخيه محمد عند موت ابيها اغار علي تكين صاحب بخارا من اطراف البلاد فلما فرغ مسعود من امر اخيه واستقل بالملك بعث الى التوتناش بالمسير الى اعمال علي وانتزع بخارا وسمرقند منه وامده بالعساكر فعبث جيحون سنة ٤٣٤ هـ واستولى على كثير من بلاد تكين وهرب هذا من يديه ثم دعت التوتناش الحاجة

الى الاموال للعساكر ولم يكن في جبايته تلك البلاد فاستأذن في العود الى خوارزم وعاد وفي اثناء عودته كبسه علي تكئين على غرة منه ولكنه تمكن من هرمه وتشتيت جيشه ثم عاد الى خوارزم ومات من جراح اصابته في هذه الواقعة الاخيرة وترك من الولد ثلاثة وهم هارون ورشيد واسماعيل وضبط وزيره احمد بن عبد الصمد البلد والخراين الى ان جاء هرون من عند السلطان بمعه على خوارزم . ثم توفي المتدي وزير السلطان مسعود وبعت على ابي نصر لوزارته واستناب ابو نصر عند هرون بخوارزم ابنه عبد الجبار ثم استوحش من هرون وسخطه ثم اظهر هرون العصيان سنة ٤٢٥ هـ واختفى عبد الجبار خوفاً من غائلته وسعى حتي تمكن من قتله وكتب الى السلطان مسعود بذلك فافره على خوارزم ولكن اصحاب التيناش قاموا على عبد الجبار وقتلوه وولوا على انفسهم اسماعيل بن التوناش فضبط البلد وقام بامرته شكر خادم ابيه . فلما اتصل الخبر بالسلطان مسعود كتب الى شاه ملك بن علي احد اصحاب الاطراف بنواحي خوارزم بقصد خوارزم وقتل اسماعيل واخذها منه . فسار اليها وقاتله عليها اسماعيل وشكر لكنه هزمها واستولى على خوارزم فالتجأ اسماعيل وشكر الى طغرل بك وداود السلجوقيين وطلبوا المعونة منهما . فسار داود معها الى خوارزم فانتصر شاه ملك عليهم واعادهم على الاغقاب فولاد السلطان مسعود خوارزم فاقام بها مقيماً الدعوة الغزنوية . فلما جرى على مسعود من القتل ماجرى وملك مدعود دخل شاه ملك في طاعته وصافاه . وانتهر طغرل بك السلجوقي الفرصة بضعف الدولة الغزنوية بنوالي الفتن وسار سنة ٤٣٤ هـ الى خوارزم واستولى عليها وهرب شاه ملك بين يديه . ثم استولى السلجوقيون على جميع بلاد خراسان وجرجان وطبرستان وهمدان والري والجل فانزعج مدعود . فمسعود اضياع البلاد . منه وارسل سنة ٤٣٥ هـ جيشاً الى حراسان فارسل اليهم داود السلجوقي ابنه الب ارسلان في العساكر فاقتتلوا وانتصر الب ارسلان وتاد عسكر غزنة مهزوماً

ولما رأى الهنود اذبار الغزنوية اجتمع ثلاثة ملوك منهم وقر رايهم على الاتحاد لاستخلاص البلاد التي افنتها المسلمون واخراجهم منها . فجمع عامل مدعود في اخذ جيوش المسلمين واستمد سلطانه فامده حتى اجتمع لديه جيش جرار سار بهم لمقابلة اوائك المتحدين فخاف ادهم وسحب عساكره واعان طاعته لمدعود فالزم الاحران على العود عن قصدهم ورحلوا الى بلادهم فنهقبتهما جيوش المسلمين وهرموها وقتلوا منها تسبئاً

كثيراً وعادوا ظافرين

وفي سنة ٤٤١ هـ توفي السلطان مسعود بن مسعود لعشر سنين من ملكه واراد انه ان يستولي على الملك بعد ابيه ولكن كان عمه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين قد خرج من سجنه (لان مدعود كان قد سجنه) ودعا الجنود الى طاعته فبايعوه واستولى على الملك

٢٣٧ - عبد الرشيد بن محمود

من سنة ٤٤١ - ٤٤٤ هـ او من سنة ١٠٤٩ - ١٠٥٢ م

واسنقر الامر لعبد الرشيد ولقب شمس دين الله سيف الدولة واستحجب طغرل حاجب مدعود وقربه اليه . وكان طغرل هذا شديداً على السجوقيين فلما استولوا على ايران صعب عليه الامر جداً وحت عبد الرشيد على تجهيش الحيوش واستخلاصهم منهم . ولكن عبد الرشيد كان يرى انه مهما جند وجيش ومهما جمع وبذل فلا يستفيد شيئاً فاقعده فكره هذا عن اجابة طلب طغرل . فالح طغرل على عبد الرشيد بارسال الجنود فارسله هو في الف فارس فسانحو سجستان وبها ابو الفضل نائباً عن ييقو اخي طغرل بك السجوقي محاصر قلعة طاق اربعين يوماً ولم يتهرباً له فتحها . فكتب ابو الفضل الى ييقو يستمده لاجلاء الغزنوية عن بلاده فسانر بنفسه اليه في جيش جرار ثم التقوا وقاتلوا وكان طغرل يقاتل وليس له امل في الحياة فانتصر على السجوقيين مع كثرتهم وقلة من معه وغنم منهم غنائم كثيرة

ولحق ييقو وابو الفضل بهرات فاتبعهم طغرل اليها وكتب الى عبد الرشيد يعلمه بما تم ويستمده فامده بما قدر عليه . فلما وصله المدد ورأى نفسه في قوة طمع في الملك وعزم على العود الى غزنة والاستيلاء عليها . فجد السير اليها فلما قرها كتب الى عبد الرشيد مخادعاً له يعلمه ان العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة في العطاء فشاووا اصحابه في ذلك فكشفوا له وجه المكيدة وحذروه من طغرل فصعد الى قلعة غزنة وتحصن فيها وحاصر طغرل غزنة وهدد اهلها ان لم يسلموه عبد الرشيد فسلموه اليه فقتله واستولى على ملكهم وتزوج ابنة عبد الرشيد كرهاً . وكانت الدولة الغزنوية في ذلك الوقت انحصرت

في بلاد افغانستان والهند وضاع منها ما سوى ذلك وكانت الهند اعظم اياتها فكان عاملها عظيماً ويخاف منه في كثير من الاوقات

وكان العامل على الهند في ذلك الوقت خرخير الحاجب . فرأى طغرل انه لا يستتب له امر الا اذا استمال خرخير هذا فكتب اليه يطلب طاعته ودعاه للاتحاد على الساجوقيين واستخلاص ما استولوا عليه . فاجتباط خرخير جداً لما حصل وحرن على عبد الرشيد حزناً مفزطاً واسرع الى غرنة وقتل طغرل المقتصب وكل من له يد في قتل عبد الرشيد . ثم اخرج فرخزاد بن مسعود من محبسه وباعه بالملك . وكان قتل عبد الرشيد سنة ٤٤٤ هـ

٣٣٨ - فرخزاد بن مسعود

من سنة ٤٤٤ - ٤٥١ هـ او من سنة ١٠٥٢ - ١٠٥٩ م

وعلم داود الساجوقي بقتل عبد الرشيد وبالفن التي امتد لحيبها في غرنة فارادانتهاز الفرصة للاستيلاء عليها فسار اليها في جيش حرار فخرج اليه خرخير الحاجب في العساكر وهزمه وعاد داود من حيث اتى . ثم جهز فرخزاد جيشاً عظيماً وسار فاصدأ خراسان وقاتل الساجوقيين عليها وانتصر عليهم واسر عاملهم هناك وكثيرين من امرائهم فانزعج الساجوقيون لهذا النبأ

وجمع داود العساكر وسار الى خراسان وقاتل فرخزاد وهزمه واسر من امرائه جماعة ثم استقر الامر بينهما واطلق كل منهما اسراه وعاد الى بلاده

وفي سنة ٤٥٠ هـ ثار على فرخزاد مماليكه واتفقوا على قتله فقصدوه وهو في الحمام وكان معه سيف فاحذه وقتلهم ومنعهم عن نفسه حتى ادركه اصحابه وخلصوه منهم . وبعد ان نجا من هذا الحادث صغرت نفسه وكان كثيراً ما يذكر الموت ويحتمل الدنيا ويذري بها . وبقي كذلك الى ان اصابه القولنج في صفر سنة ٤٥١ هـ فمات منه

٢٣٩ - ابراهيم بن مسعود

من سنة ٤٥١ - ٤٩٢ هـ او من سنة ١٠٥٩ - ١٠٩٨ م

لما توفي فرخزاد بن مسعود تولى بعده اخوه ابراهيم بن مسعود فاحسن السيرة وغزا الهند مراراً وفتح فيها حصوناً امتنعت على ابيه . ومن اعظم اعمال هذا السلطان اتحاده الودي مع جغري بك داود السلجوقي لانه لما رأى الخراب الذي ينتج من الحروب من قتل رجال وخسارة مال واتلاف مراع وغير ذلك عمد الى مصالحة السلجوقيين فصالح ملكهم داود على ان يكون كل واحد منهما على ما بيده وترك منازعة الآخر في ملكه فوقع الاتفاق على ذلك وكتبت الشروط بينهما فاستبشر الناس به وساد الامن في ايام هذا السلطان واستتبت السكينة في البلاد فحسنت التجارة والزراعة وارتقت العلوم والمعارف وفي سنة ٤٩٢ هـ توفي السلطان ابراهيم بن مسعود بعد ان ملك اربعين سنة وبضعة اشهر

٢٤٠ - مسعود بن ابراهيم

من سنة ٤٩٢ - ٥٠٨ هـ او من سنة ١٠٩٨ - ١١١٤ م

ولما توفي السلطان ابراهيم بن مسعود تولى بعده ابنه مسعود واتبع خطه ابيه ولم يجد عنها فعاش سعيداً الى ان توفي سنة ٥٠٨ هـ

٢٤١ - ارسلان شاه بن مسعود

من سنة ٥٠٨ - ٥١٢ هـ او من سنة ١١١٤ - ١١١٨ م

ولما توفي السلطان مسعود تولى بعده ابنه ارسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وامه سلجوقية اخت السلطان الب ارسلان . فلما جلس

على سرير الملك قبض على اخوته وقتل بعضهم وسجن بعضهم بعد سملهم . وهرب أخ له اسمه بهرام شاه والتجأ الى السلطان سنجر السلجوقي صاحب خراسان فامده بجيش عظيم بقيادة الامير انز قائد جيوشه . فسار الامير انز وبهرام شاه حتى وصلا الى بست وهناك التقيا بجيش كان قد ارسله ارسلان شاه لقتالهما لما بلغه خبر قدومه فمزماه ونهباه وعاد من سلم الى غزنة في اسوأ حال فخاف حينئذ ارسلان شاه وارسل الى الامير انز يضمن له الاموال الكثيرة على ان يعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يقبل . وتجهز الملك سنجر للسير بنفسه مدداً للامير انز فلما وصل الى بست ارسل خادماً من خواصه الى ارسلان شاه في رسالة فقبض عليه في بعض القلاع . فسار حينئذ الملك سنجر مجداً . فلما سمع ارسلان شاه بقربه اطلق الرسول وخرج لقتال سنجر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً لهوله الاطفال . وانتصر اخيراً الملك سنجر انتصاراً باهراً ودخل مدينة غزنة في العشرين من شوال سنة ٥١٠ هـ واقام بهرام شاه ملكاً على كرسي اجداده بعد ان اشترط عليه ان تكون الخطبة بغزنة للخليفة العباسي والسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرام شاه . ورجع الملك سنجر الى خراسان نظاراً منصوراً وهو اول من دخل غزنة من السلجوقيين حتى ان ملك شاه السلجوقي مع تمكنه وعظمة ملكه لم يطمع في هذا الامر يوماً ما

واما ارسلان شاه فانه لما انهرم قصد هندستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكتهم . فلما عاد الملك سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فسار بهرام شاه الى باميان وكتب من هناك الى الملك سنجر يستمده فارسل اليه جيشاً جراراً . واقام ارسلان شاه بغزنة شهراً واحداً وسار يطلب اخاه بهرام شاه فبلغه وصول عساكر سنجر فانهرم بغير قتال لما اعتراه واصحابه من الخوف فلحق بجبال اوغنان فتعقبه اخوه بهرام شاه في عساكر سنجر وارسلوا الى اهلها يهددونهم فسلموه اليهم فاخذوه قائد جيش الملك سنجر واراد ارساله الى سلطانه فبذل له فيه بهرام شاه مالا فسلمه اليه فغفقه ودفنه في تربة ابيه في غزنة . وكان قتله في جمادى الاخرى سنة ٥١٢ هـ



٢٤٢ - بهرام شاه بن مسعود

من سنة ٥١٢ - ٥٤٧ هـ او من سنة ١١١٨ - ١١٥٢

ولما قتل بهرام شاه اخاه ارسلان شاه تولى بعده واستتب له الامر وما زال يخطب على منابرہ للسلجوقيين حتى رأى في نفسه القوة على مقاومتهم فقطع خطبتهم وعلم الملك سنجر بذلك فسار الى غزنة سنة ٥٢٩ هـ ولما قربها ارسل الى بهرام شاه يطلب حضوره اليه فحاف بهرام شاه منه وهرب عن غزنة فدخلها الملك سنجر ثم ارسل الى بهرام شاه يعتب عليه لعدم استقباله وحلف له انه لا يطمع في ملكه فعاد بهرام شاه الى غزنة واعتذر للملك سنجر عما حصل منه فاقره على ملكه وعاد عنه الى خراسان سنة ٥٣٠ هـ واستمر بهرام شاه ملكاً على غزنة بلا منازع حتى ظهرت الدولة الغورية وتقدم الحسين بن الحسين ملك الغور الى مدينة غزنة سنة ٥٤٧ هـ فملكها وهرب منها بهرام شاه واحسن الحسين الغوري السيرة في اهلها واستعمل عليها اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب فيها لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده . ثم عاد الحسين الى بلد الغور بعد ان امر اخاه بالخلع والاحسان على اهل غزنة ففعل ولما جاء الشتاء ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه ملكهم القديم واستدعوه اليهم فسار نحوهم في عسكره فلما قارب البلد ثار اهل على سيف الدين فاخذوه بغير قتال وصلبوه . ودخل بهرام شاه غزنة ثانية لكنه لم تطل ايامه لانه توفي بعد ايام قلائل من هذه الحادثة وذلك سنة ٥٤٧ هـ

٢٤٣ - خسرو شاه بن بهرام شاه

من سنة ٥٤٧ - ٥٥٥ هـ او من سنة ١١٥٢ - ١١٦٠ م

لما توفي بهرام شاه تولى مكانه خسرو شاه ابنه لكنه لم يهنا بالملك كثيراً لان الحسين بن الحسين الغوري بعد ان قتل اخوه بغزنة اقسام ان لا يعود عنها حتى ينتقم لاخيه فسار اليها سنة ٥٥٠ هـ فهرب عنها خسرو شاه الى مدينة هاور واستولى الحسين على مدينة غزنة واستباحها ثلاثة ايام وقتل كل من له يد في قتل اخيه . وبعد ان

اخذ بشار اخيه عاد عنها الى بلاده فرجع اليها خسرو شاه واستولى عليها واقام بها الى ان توفي سنة ٥٥٥ هـ . وكان عادلاً حسن السيرة في رعيته محباً للخير واهله مقرباً للعلماء محسناً اليهم راجعاً الى قوطهم

٢٤٤ - ملك شاه بن خسرو شاه (ويعرف بخسرو شاه الثاني)

من سنة ٥٥٥ - ٥٧٩ هـ او من سنة ١١٦٠ - ١١٨٣ م

لما توفي خسرو شاه تولى بعده ابنه ملك شاه ولقب بخسرو شاه الثاني وفي ايامه كان غياث الدين الغوري قد استفحل امره فجهز جيشاً وارسله بقيادة اخيه شهاب الدين الى غزنة فاستولى عليها وهرب خسرو شاه الى هاور واقام بها . ولما استولى شهاب الدين على غزنة احسن السيرة في اهلها وافاض العدل وافتتح جبال الهند مما يليه ثم قصد هاور وبها خسرو شاه سنة ٥٧٩ هـ في جيش كثيف وحاصرها ثم راسل خسرو شاه وبذل له الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوج ابنته بابن خسرو شاه على ان يطاء بساطه ويخطب لاهيه فامتنع عن اجابته فشدد شهاب الدين الحصار على هاور حتى ضعفت نفوس اهلها وخزلوا خسرو شاه وخرج قاضي البلد وخطيبها يطلبون الامان من شهاب الدين لانفسهم وخسرو شاه تخلف لهم على ذلك وخرج خسرو شاه الى شهاب الدين واستولى هذا على هاور ثم بعث بخسرو شاه واهله وولده مع جيش يحفظونه الى اخيه غياث الدين . فلما وصلوا الى بلد الغور قبض عليهم غياث الدين وجبسهم فكان اخر العهد بهم . وانقرضت دولة بني سبكتكين واستولى الغورية على اعمالها والبقاء لله وحده

٢٤٥ الدولة الصنهاجية بتونس

« تمهيد » رأس هذه الدولة بلكين بن زيري ويرفع نسبه الى حمير بن سبأ وكان في بداية امره قائداً من قواد المعز لدين الله الفاطمي . فلما استولى الفاطميون على مصر وارادوا نقل كرسي مملكتهم من المهدية الى القاهرة صرف المعز اهتمامه الى ما يتخلف وراء ظهره من الممالك والعمالات ونظر في ان يولييه امر افريقية والمغرب ممن له الاطلاع وبه الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة فوقع اختياره على بلكين ابن زيري بن مناد

٢٤٦ - بلكين بن زيري

من سنة ٣٧٠ هـ — ٣٧٣ هـ او من سنة ٩٨٠ — ٩٨٣ م

وكان بلكين بن زيري في ذلك الوقت متوغلاً في المغرب يحارب زناتة . فبعث المعز اليه واحضره وولاه افريقية ما عدا جزيرة صقلية (سيسيليا) لانها كانت للكليبيين وطرابلس لانها كانت لعبد الله بن يخلف الكتامي . وسماه يوسف بدلاً من بلكين وكناه ابا الفتوح واقبه سيف الدولة واوصاه بثلاث ان لا يرفع السيف عن البربر . ولا يرفع الجباية عن اهل البادية . ولا يولي احداً من اهل بيته . ثم ارتحل المعز الى القاهرة ٣٦٢ هـ بعد ان اطلق يد بلكين في افريقية يفعل ما يشاء

وكان اهل المغرب الاقصى يرجون بين الشيعة والمروانية بالاندلس ثم دعوة الشيعة وخطبوا للمروانيين فسار بلكين بن زيري الى المغرب الاقصى وقتل المرتدين ودخل فاساً واستولى عليها وعلى سجلماسة وارض الهبط وطرد منها عمال بني امية واعاد اليها الدعوة العبيدية

وكان القائم بامر الاندلس لذلك الوقت المنصور فصعب عليه انتصار بلكين على عماله وهربهم امامه فجند جنداً عظيماً واجازهم البحر الى مسيلة واتحد ملوك زناتة مع عساكر المنصور على قتال بلكين فاجتمعوا وضربوا مصاف القتال بظاهر سبتة ووصل بلكين بن زيري تيطاوير ونسب هضابها وقطع شعبها النجج المسالك والطرق

لعسكره حتى اطل على معسكرهم بظاهر سبتة فرأى ما هاله واستيقن ظفرهم به ان قاتلهم
فكر راجعاً على عقبه وتوفي سنة ٣٧٣ هـ بواركش بين سبلماسة وللسان منصرفاً من
هذه الغارة الطويلة

٢٤٧ - المنصور بن بلكين

من سنة ٣٧٣ — ٣٨٦ هـ او من سنة ٩٨٣ — ٩٩٦ م

ولما توفي بلكين بعث مولاة ابو زغبلى الى ابنه المنصور بذلك وكان والياً باشير فقام
بامر صنهاجة من بعده واتاه لتقليد العزيز بالله الفاطمي على افريقية والمغرب واتبع سنة
ابيه . ولما توفي بلكين بن زيري استولى خزون وزيري الزناتيان على سبلماسة وفاس
فلما كانت سنة ٣٧٥ هـ ارسل المنصور جيشاً كثيفاً اليهما يردهما الى طاعته فلما قرب
الجيش من فاس خرج اليهم زيري بن عطية الزناتي المغراوي المعروف بالقرطاس في
عساكره فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزم عسكر المنصور وكر راجعاً

ثم قوي المنصور بن بلكين حتى خاف العزيز بالله الفاطمي بمصر جانبه واراد افساد
الحال عليه فارسل داعياً الى كتامة يقال له ابو فهم واسمه حسن بن نصر ليجمعهم لقتال
المنصور وعلم بالتحاد كتامة مع ابي فهم ولكنه لم يعلم ان ذلك باغراء العزيز . فارسل
الى العزيز يعلمه الخبر وطلب منه التصريح بقتال كتامة قبل استئصال امرها فارسل اليه
العزيز رسولين ينهاه عن قتالهم فعلم حينذاك حقيقة الحال وقبض على الرسولين وسجنهما
واسرع بتجهيز العساكر وقاتل الكتاتيين واثخن فيهم وقتل ابا الفهم وجعل عبيده باكون
لحمه امام رسولي العزيز ثم اطلقهما فاعادا الى مولاها وقالوا له ارسلتنا الى شياطين يا كاون
لحم الناس وخبراه بما كان فارسل العزيز الى المنصور يطيب قلبه وارسل اليه هدية جليلة
ولم يذكر له شيئاً عن ابي الفهم وذلك سنة ٣٧٦ هـ

وفي سنة ٣٧٩ هـ خرج من كتامة شخص آخر يقال له ابو الفرج وزعم انه من
ولد القائم بامر الله الفاطمي فاجتمع حوله كثيرون من كتامة وقوي امره اكثر كثيراً
من أبي الفهم حتى انه ضرب السكة باسمه وسجرت بينه وبين نائب المنصور وقائع كثيرة
ثم سار اليه المنصور في عساكره وقاتله وهزمه واسره وقتله واستراح منه

وفي هذه السنة ايضاً خالف ابراهيم بن زيري (عم المنصور) عليه فزحف اليه المنصور بتاهرت ففارقها عمه الي الغرب بمن معه من اهلها واصحابه ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها فطلب اهلها الايمان فامتهم ثم سار في طلب عمه حتي جاوز تاهرت بسبع عشرة مرحلة ولقي عسكره شدة واشير على ابي البهار بالرجوع فرجع الى المنصور فاكرم وفادته

وفي سنة ٣٨٦ هـ توفي المنصور بن بلكين وكان ملكاً كريماً شجاعاً حازماً مظفراً منصوراً حسن السيرة محباً للعدل في الرعية وكانت وفاته اوائل ربيع اول من تلك السنة

٢٤٨ - باديس بن المنصور

من سنة ٣٨٦ — ٤٠٦ هـ او من سنة ٩٩٦ — ١٠١٥ م

لما توفي المنصور بن بلكين تولى الملك بعده ابنه باديس ويكنى ابا مناد فلما استقر له الامر سار الى سردينيا وسكنها واتاه تقليد القائم بأمر الله الفاطمي من مصر واول عمل باشره ارساله العساكر مع عميه يطوفت وحماد لاختضاع زناتة فانهمزوا امام زناتة ورجعا الى اشير . وفي سنة ٣٨٩ هـ ارسل باديس الى المغرب الاقصى عمه حماداً لحرب زيري ابن عطية وبينما هو راجع ولي اخاه يطوفت على تاهرت واشير واستصغر بنو زيري (عمومة باديس) باديس فخالفوا عليه وكادوا يفتكون بعسكره لولا نصيح الناصحين

وفي هذه السنة (٣٨٩ هـ) ارسل عامل باديس بطرابلس الى الحاكم بامر الله بمصر يطلب منه ان يرسل من يستلم طرابلس منه فارسل اليه الحاكم يانساً الصقلي من اخضاء الحاكم فوصل يانس الى طرابلس سنة ٣٩٠ هـ واستلمها واقام بها فارسل باديس الى يانس يساله عن سبب قدومه الى طرابلس فاغلظ يانس في الجواب فارسل اليه باديس جيشاً فقتلهم يانس خارج طرابلس فقتل هو في المعركة وانهمز اصحابه ودخلوا طرابلس وتحصنوا بها فحاصروهم بجيش باديس فاستمدوا الحاكم فامدهم بجيش بقيادة يحيى بن علي الاندلسي وسيرهم الى طرابلس وقتل المال مع يحيى فاختلف حاله فسار الى قلقل وكان قد دخل طرابلس واستولى عليها فاقام معه واستوطنها

وفي سنة ٣٩١ هـ سار ماكن بن زيري عم ابي باديس الى اشير وبها ابن اخيه حماد بن بلكين فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها ماكن واولاده وقوي حماد بن بلكين حتى ندم باديس على اقطاعه ما بيده وكان لباديس ابن اسمه المنصور اراد ان يقدمه ويجهله ولي عهده فارسل الى عمه حماد بان يسلم نائب ابنه المنصور بعض ما بيده من الاعمال منها مدينة نيجس وقصر الافريقي وقسنطينة وسير هاشم بن جعفر من اكابر قواده لاستلام هذه المدن وسبر معه عمه ابراهيم لينزع اخاه حماداً من امر ان اراده فلما فاربا حماداً فارق ابراهيم هاشماً وتقدم الى اخيه حماد وحسن له الخلاف على باديس واتحد معه وظهر العصيان وجعا الجموع الكثيرة حتى بلغ جيشهما ٣٠ الف مقاتل فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار اليهما وتقدم حماد وابراهيم لقتاله فقاتلها وهزمها وخلق حماد بقلعته وحاصره باديس فيها وفي يوم الثلاث سلخ ذي القعدة سنة ٤٠٦ هـ استعرض باديس جنوده وفرح لنشاطهم وقوتهم ثم ذهب الى خيمته فتوفي في نصف الليل بغتة

٢٤٩ - المعز بن باديس

من سنة ٤٠٦ - ٤٥٤ هـ او من سنة ١٠١٥ - ١٠٦٢ م

لما توفي باديس بن المنصور تولى الملك بعده ابنه المعز بن باديس وكان عمره ثمانين سنين . ورجع عسكر باديس عن قتال حماد بجنته ووصلوا الى المهديّة وبها المعز ثامن المحرم سنة ٤٠٧ هـ

وقوي حماد بعد موت باديس واتاه الفرج من حيث لا يحتسب فخرج من قلعته حيث كان محصوراً واستولى على المسيلة واشير واساء السيرة في اهلها وتقدم الى مدينة باغانة وحاصرها فسير اليه المعز جيشاً سنة ٤٠٨ هـ وقاتله فلم تكن الاساءة حتى انهزم حماد وتشتت شمل عساكره فهرب وارسل الى المعز يطلب الامان على نفسه وارسل ابنه القائل رهينة على صدقه فامنه المعز واحسن اليه . وجاء ابراهيم بن بلكين ايضاً الى المعز فامنه واكرم وفادته . وبعد ان استراح المعز من امر عميه الذين افلقا راحته والده وراحته اياماً كثيرة وجه التفاته الى الفتن التي كانت قد اضطرت نيرانها في البلاد بين القبائل وبعضها بتوالي هذه الحروب فضرِبَ المفسدين بيد من حديد حتى اعدت السكينة الى البلاد

ولما عاد الامن الى البلاد واستراح المعز من الحروب اراد ان يتمتع بلذة انتصاراته
فبنى البنابات الجميلة والجوامع الكثيرة وانفق الاموال بغير حساب واكرم العلماء وخالطهم
حتى اعترف المؤرخون انه اعظم من قام من الصنهاجيين

وكانت بينه وبين زنانة حروب انتصر في جميعها • وكان المعز منجرفاً عن مذاهب
الرافضة ومنتحلاً لاسنة فاعلان بمذهبه لاول ولايته ولعن الرافضة ثم امر بقتل من
وجد منهم • وكبابه فرسه ذات يوم فنادى مستغيثاً باسم ابي بكر وعمر فسمعه العامة
فثاروا لحينهم بالشيعه واتخذوا فيهم • وامتنع لذلك خلفاء الشيعة بالفاخرة وخطابه
وزيرهم ابو القاسم الجرجاني محذراً وهو يراجمه بالتحريض لخلفائه والازح فيهم حتى
اظلم الجو بينه وبينهم الى ان قطع الخطبة لهم سنة ٤٤٠ هـ وخطب على جميع منابر
للقياسم بن القادر العباسي • فاستشار المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بطاقته في الانتقام
منه فاشاروا عليه بتسريح الاعراب الهلالية والسليمية من وادي النيل الى افريقية

وبين ذلك ان اعراب بني هلال وبني سليم من قبائل الحجاز كانوا قد نزعوا
الى التورة على احد الخلفاء الفاطميين فنفاهم الى صعيد مصر الا انهم ثابوا فيه فساداً
فلما كان من امر المعز ما كان وسمع المستنصر تلك المشورة اعجبته جداً لانها تكفيه
مؤنة عدوين في وقت واحد فاستقدم اليه وجوهمهم وقال لهم (قد اذنت لكم في جواز
النيل وأوليتكم ما يملك ابن باديس العبد الآبق) • فذهبوا مع قومهم الى الرحيل ولما
دنوا من القيروان خرج المعز الى قتالهم فهزموه الى حيدران بالقرب من قابس ثم
دخلوها وقتلوا باهاها وفر المعز امامهم الى المهدية ولاذ بابنه تميم عامها وذلك سنة ٤٤٩ هـ
فاقام بها لا يقدر على رد غارات هؤلاء الاعراب الى ان توفي سنة ٤٥٤ هـ

٢٥٠ - تميم بن المعز

من سنة ٤٥٤ - ٥٠١ هـ او من سنة ١٠٦٢ - ١١٠٧ م

لما توفي المعز بن باديس تولى الملك بعده ابنه تميم وكانت امور الدولة قد وصلت
الى حالة من الاختلال لم يسبق لها نظير واستولى القواد على كثير من الاعمال فضلاً
عن غارة العرب التي كانت سبباً في اندثار معالم المدينة والحضارة ببلاد تونس لما اتاه

اولئك الاعراب من ضروب العيث ولكن رغماً عن هذا الاندثار والاضمحلال
الظاهرين قام تميم بامور الملك وحارب المخالفين حتى اعاد الى الدولة شيئاً من سطوتها
واغتنتم فرصة اشتغال الهلالية بفتح جهات قسنطينة لاسترداد مدين سوسة وصفافس
وتونس الى طاعته

وفي سنة ٤٨٠ هـ قدم اهل جنوة وبيشة (من مدن ايطاليا) في اسطول مؤلف
من ٣٠٠ مركب تحمل ٣٠ الف مقاتل فاحرقوا مراكب تميم واخذوا المهديّة وكان
روجرزيم النورمنديين بصقلية على ولاء ومودة مع تميم فاستمده فلم ينجده ولذا اضطر
الى مصالحة اهل جنوة على مال اخذوه وانصرفوا

وفي سنة ٥٠١ هـ توفي تميم بن المعز وكان شهيداً شجاعاً ذكياً وله شعر حسن . فنه
انه وقع الاختلاف بين طائفتين من العرب وهما عدي ورياح فقتل رجل من رياح تم
اصطالحوا وكان يهيمه ان لا يصطالحوا فقال ابياتاً يحرض أهل المقتول على الاخذ بناره وهي

متي كانت دماؤكم تطل اما فيكم تار مستقل
اعانتم ثم سالم ان فشلت فما كانت اوائلكم تذلل
ونتمتع عن طلاب النار حتى كان العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالي ولا بيض تفل ولا تسلل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا اميراً من عدي واشتد بينهم القتال . ولما توفي كان
عمره تسعاً وسبعين سنة وكانت ولايته ٤٦ سنة وعشرة اشهر واباناً وخلف من الذكور
اكثر من مائة ومن البنات ستين بنتاً

٢٥١ - يحيى بن تميم

من سنة ٥٠١ - ٥٠٩ هـ او من سنة ١١٠٧ - ١١١٥ م

لما توفي تميم بن المعز تولى بعده ابنه يحيى فاحسن السيرة في الرعية واجزل في العطاء
لهم وعمد الى فتح ما لم يفتحه ابوه فارسل جيشاً الى قلعة قلبية وهي من احصن قلاع
اخرقية فنزل عليها وحصرها حصاراً شديداً ولم يرحنها حتى فتحها . ثم رأى يحيى
انه من مصلحته ان راجع طاعة العبيدين فخطب لهم ببلاده فارسلوا اليه بالحلم والهدايا
وكان قدوم اسطول جنوة وبيشة في ايام ابيه قد نبهه الى بناء الاساطيل فبنى

اسطولا عظيماً وغزا به جنوة وسردينيا فصالحه اهلها
ومع حسن سيرته في الرعية واحسانه اليهم عامل احوته بالفسوة فشتهم شرقاً وغرباً
فنجيل عليه ثلاثة منهم فتكروا له وزعموا انهم من العارفين بالكيحيا وكان ولعاً بها
واشترطوا عليه الخلو فخلا بهم ومعه وزيره وحاميه فوثبوا عليهم بالسكاكين التي كانوا
خبأوها بشياهم امثل هذه الساعة فقتلوا الوزير والحاميه واتحنوه هو بالجراح وقالوا له
« ايها الكلب نحن اخوتك نفيتنا وبقيت في المالك » وما زال متألماً من جراحه هذه
حتى توفي بها سنة ٩٥٥ هـ وقيل انه توفي فجأة والاول اصح والله اعلم

٢٥٢ - علي بن يحيى

من سنة ٥٠٩ - ٥١٥ هـ او من سنة ١١١٥ - ١١٢١ م

ولما توفي يحيى بن نعيم تولى الملك بعده ابنه علي فلما استتب له الامر ارسل عساكره
الى مدينة تونس وحاصرها احمد بن خراسان فصالحه اهلها على ما اراد ثم تقدمت
عساكره الى جبل وسلات وافتتحه وكان ممتنعاً على من سلف من قومه . وناً كدت
الوحشة بينه وبين روجر صاحب صقلية فحدد الاسطول وكاتب المرابطيين براكش
في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية ولكنه لم يتم له ما اراد لان المنية عاجلته في
سنة ٥١٥ هـ

٢٥٣ الحسن بن علي

من سنة ٥١٥ - ٥٦٦ هـ او من سنة ١١٢١ - ١١٧٠ م

لما توفي علي بن يحيى تولى الملك بعده ابنه الحسن بن علي وكان عمره لا يزيد عن
١٢ سنة فقام بأمر دولة مولاة صندل ولم تطل ايامه حتى توفي وكادت الفوضى تقع بين
اصحاب الحسن الى ان فوض امر دولته الى ابي عزيز موفى فصالحته الامور
وكان بين الصنهاجيين وبين روجر ما رأيت من الوحشة فاتفق ان غزا احمد بن
ميمون قائد اسطول المرابطيين، جزيرة صقلية وافتتح قرية منها واتخذ في اهلها قتيلاً

وسبباً وذلك سنة ٥١٦ هـ فلم يشك روجر ان ذلك باغراء الحسن فارسى اساطيله الى المهدي بقيادة جرجير الذي كان قبلاً من ثقات الامير تميم وخادم دولته ففر بما جمعه من الاموال الى روجر واطلعه على احوال اعدائه فجهزه بذلك الاسطول وكان الحسن قد استعد للقائه احسن استعداد فانقضت عليه وعاد جرجير من حيث اتى وفي سنة ٥٣٦ هـ عاد جرجير في ٣٠٠ مركب فوقف على بعد لان الريح لم تساعد على الدخول وبعث للحسن يخادعنه انه جاء مدداً له على صاحب قابس فلم تنطل هذه الحيلة ودعا الناس للرحيل عن المهدي لغياب حاميتها في محاربة صاحب تونس . ولما هدأت الريح دخل اسطول جرجير الى المهدي وتم للنورمانيين الاستيلاء عليها وعلى جميع بلاد الساحل سنة ٥٤٣ . ولبت النورمانديون اصحاب تلك السواحل حتى اخرجهم منها الموحدون كما سنذكر . عند ذكر تلك الدولة ان شاء الله وفي سنة ٥٦٦ هـ توفي الحسن بن علي وانقرضت به الدولة الصنهاجية والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٥٤ - الدولة المروانية بدير بكر

« تمهيد » في حوالي سنة ٣٧٤ هـ ظهر بديار بكر شخص يقال له باز الكردي وصار بقطع الطرق وكلما غنم شيئاً فرقه في اصحابه فكثر جمعه ثم دخل ارمينيا فملك مدينة ارجيش وهي اول مدينة ملكها فقوي بها وسار منها الى ديار بكر فملك مدينة آمد وميافرقين . ولما ملك عضد الدولة الموصل اهمه امر باز الكردي وخاف جانبه فبعث اليه من يقبض عليه ولكنه تمكن من الحرب فكف الطلب عنه . ثم توفي عضد الدولة وتبرف الدولة ثم جاء اوطاهر ابراهيم وابو عبد الله الحسن الى الموصل فملكها ثم حدثت الفتنة بينها وبين الديلم فطمع باز في ملك الموصل فسار من ديار بكر الى الموصل فغلبه ابن ناصر الدولة وقتل في المعركة . وكان ابو علي بن مروان ابن اخت باز معه في هذه الواقعة فنجوا ولحق بخصن كينا فتخابل حتى استولى على ملك ديار بكر كما ستراه ان شاء الله وهو رأس هذه الدولة

٢٥٥ - ابو علي بن مروان

لما قتل باز سار ابن اخته ابو علي بن مروان في طائفة من الجيش الى حصن كيفا وهو على دجلة وهو من احصن المعافل وكان به امرأة باز واهله فلما بلغ الحصن قال لروحة خاله (قد انفذني خالي اليك في امرهم) فظننته صادقا وامرت فتفتحو له باب الحصن ودخله فلما سعد اليها اعلمها بهلاك خاله باز واطمعتها في التزوج بها فوافقت على ملك الحصن وغيره ونزل وقصد حصناً حصناً حتى ملك ما كان لخاله وسار الى ميفارقين وسار اليه ابو طاهر وابو عبدالله ابنا حمدان طمعاً فيه فهزمهما ابو علي وقام بديار بكر وضبطها واحسن السيرة في اهلها ثم خالف عليه اهل ميفارقين واستطالوا على اصحابه فامسك عنهم الى يوم العيد وقد خرجوا الى المصلى فلما تكاملوا في الصحراء دخل البلد واخذ ابا الصقر شيخها والقاء من على السور وقبض على من كان معه منهم واغلق ابواب البلد وامر اهلها ان لا يدخلوها بل يذهبوا حيثما شاؤوا فتشتتوا في البلاد المجاورة وساءت احوالهم

وكان ابو علي قد تزوج ست الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فأتته من حلب فعزم على زفافها بآمد فخاف شيخ البلد واسمه عبد البر ان يفعل بهم مثل فعله باهل ميفارقين فحذر اصحابه منه وامرهم ان ينثروا الذهب في وجهه فاذا غطي وجهه ضربوه بالسكاكين ففعلوا ذلك . والذي تولى قتله رجل يقال له ابن دمنة

٢٥٦ - ابو منصور بن مروان

لما قتل ابو علي بن مروان هاج الناس وماجوا ولم يصدقوا بقتله حتى رمى ابن دمنة رأسه فاسرعوا السير الى ميفارقين وحدث جماعة من الاكراد نفوسهم بملك البلد فاستراب بهم مستحفظ ميفارقين لاسراعهم وقال لهم « ان كان الامير حياً فادخلوا معه وان قتل فاخوه مستحق لموضعه » فلم يكن اسرع من ان وصل ابو المنصور بن مروان الى ميفارقين ودخلها وملكها ولقب بمهد الدولة

واستولى عبد البر على مدينة آمد وزوج ابنته لابن دمنة الذي قتل ابا علي ثم استدعاه ابن دمنة عنده لوليمة عملها فقتله واستولى على آمد وعمرها ببناء البنايات الشاهقة والقصور الفخيمة وعقد مع مهد الدولة الصلح وهادى ملك الروم وحاجب

مصر وغيرها من الملوك فانشر ذكره وعظم امره
اما ممد الدولة فلم يكن له ميافارقين الا الخطبة والسكة لتغلب وزيره شروة على
امور الدولة وكان لشروة هذا غلام قد ولاه الشرطة وكان ممد الدولة يبغضه ويريد
قتله ويتركه احتراماً لشروة ففطن الغلام لذلك فعمل الحيلة حتى افسد الحال بين شروة
وممد الدولة فطمع شروة في الملك وعمل وليمة بقاعة الملتاخ ودعا اليها ممد الدولة فلما
حضر عنده قتله وذلك سنة ٤٠٢ هـ

٢٥٧ - ابو نصر احمد بن مروان

من سنة ٤٠٢ — ٤٥٣ هـ او من سنة ١٠١١ — ١٠٦١ م

لما قتل شروة ممد الدولة ابا منصور خرج من الدار الى بني عم ممد الدولة فقبض
عليهم وقيدهم واظهر ان ممد الدولة امره بذلك ومضى الى ميافارقين ففتحوا له ظناً منهم
انه ممد الدولة فدخلها واستولى عليها وكتب الى اصحاب القلاع يستدعيهم لياخذ
طاعتهم وارسل رسولا الى ارزن الروم ليحضر متوليها ويعرف بجواجه ابي القاسم فسار
خواجه نحوه ولم يسلم القلعة الى القاصد اليه . فلما توسط الطريق سمع بقتل ممد الدولة
فعاد الى ارزن وارسل الى قلعة اسعد فاحضر ابا نصر احمد بن مروان اخا ممد الدولة
(وكان اخوه قد ابعده عنه لانه يبغضه) فلما حضر اليه يابعه وسلمه القلعة . وكان شروة
قد انفذ الى ابي نصر من يحضره فوجدوه قد سار الى ارزن ففتحوا حينئذ انتقاض امره
ولما استولى ابو نصر على ارزن الروم احسن السيرة في اهلها ثم ابتدأ ان يملك باقي
ديار بكر فملكها مدينة مدينة الى ان استولى على جميعها . وعلا صيته فصار مقصداً للعلماء
من سائر الآفاق وكثروا ببلاده ومدحه الشعراء فاجزل لهم العطاء وبقي كذلك الى
ان توفي سنة ٤٥٣ هـ وكان عمره نيفاً وثمانين سنة

٢٥٨ - نصر بن احمد

من سنة ٤٥٣ - ٤٧٢ هـ او من سنة ١٠٦١ - ١٠٧٩ م

لما توفي ابو نصر احمد بن مروان قام بالامر بعده ابنه نصر باتحاده مع وزير ابيه وخالف عليه اخوه سعيد وجرى بينهما حروب كان الظفر فيها لنصر فاستقر في الامارة بميفارقين وغيرها . واستولى اخوه سعيد على آمد وفي سنة ٤٧٢ هـ توفي نصر بن احمد وكانت ايامه ايام راحة وسلام

٢٥٩ - منصور بن نصر

من سنة ٤٧٢ - ٤٧٩ هـ او من سنة ١٠٧٩ - ١٠٨٦ م

لما توفي نصر بن احمد تولى بعده ابنه منصور فلم تطل ايام ملكه كثيرا لان فخر الدولة ابا نصر محمد بن جبير تقدم الى بلاده واستولى على مدينة آمد ثم ميفارقين وباقي مدن ديار بكر سنة ٤٧٩ هـ . ودخل ابن جبير ميفارقين واستولى على اموال بني مروان وذخائرهم وبعثها الى السلطان ملك شاه . اما منصور بن نصر المرواني فانه لحق بالجزيرة واقام بين الغزفي اسوا حال الى ان قبض عليه جكرمس وحبس به بداريهودي حيث توفي سنة ٤٨٩ هـ وبه انقرضت الدولة المروانية والله غالب على امره

٢٦٠ - الدولة المغراوية بمراكش

(تمهيد) مغراوة ويفرن قبايلتان من اعيان قبائل زناتة وكان مغراو ويفرن اخوين شقيقين وهما ابنا بصليتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن الدبديت بن زانا وهو ابو زناتة . وقد ذكرنا عند ذكرنا الدولة الصنهاجية ان بلكين بن زيري صاحب افريقية زحف سنة ٣٦٩ هـ الى المغرب الاقصى واناخ على مدينة فاس وقتل عاملها محمد ابن ابي علي صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكناسي فاجفلت ملوك زناتة من بني خزر المغراويين

وبني محمد بن صالح اليفرنينين امامه وانحازوا جميعاً الى سبته وعبر محمد بن الخير من آل خزر الى المنصور بن أبي عامر المتسلط على الاندلس مستجيراً به ففرج المنصور في عساكره الى الجزيرة الخضراء ممدّاً لهم بنفسه وعقد لجعفر بن علي بن حمدون على حرب بلكين الصنهاجي واجازره البحر فاجتمعت اليه ملوك زناتة وخرىوا مصافهم بظاهر سبتة اجفلهم بلكين بن زيري الصنهاجي منهم وكر راجعاً . ثم لما كانت سنة ٣٧٣ هـ قدم الحسن بن كنون الاقرسي من مصر الى المغرب يطلب ملك جدوده انضم اليه يدو ابن يعلي اليفرني في قومه وتسايعه على مراده وسرح المنصور بن ابي عامر صاحب الاندلس اليه ابن عمه ابا الحكم الملقب بمسكلاجه فانضم اليه آل حرر المغرايون وفيهم زيري ابن عطية رأس الدولة المغراوية هذه فلما انتصر ابو الحكم وحاصر الحسن بن كنون حتى طلب الامان لنفسه وامته واستولى على المغرب الاقصى ودخل فاساً سنة ٣٧٥ هـ وخطب فيها لبني امية عاد الى الاندلس فاستعمل المنصور على المغرب الاقصى الوزير حسن بن احمد بن عبد الودود السلمي واوصاه بالاحسان الى مغراوة ولا سيما مقاتل وزيري ابنا عطية لحسن طاعتهم للروانيين واغراه بيدو بن يعلي اليفرني لعدم صدق طاعته . ففعل حسن بن عبد الودود ما امر به

وفي سنة ٣٧٨ هـ توفي مقاتل بن عطية رئيس مغراوة فقام بالامر بعده اخوه زيري ابن عطية وحسنت محبته للوزير حسن بن عبد الودود ومعاملته له ثم استدعى المنصور بن ابي عامر زيري بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوفد عليه واحسن المنصور اليه ورفع منزلته وعاد الى المغرب بعد ان امره المنصور بقتال بدو بن يعلي اليفرني فاجتمع عليه هو والوزير حسن بن عبد الودود فانتصر عليهم بدو بن يعلي وقتل الوزير حسن بن عبد الودود في المعركة فعقد المنصور بن ابي عامر لزيري بن عطية على المغرب الاقصى من بعده وذلك سنة ٣٨١ هـ وهذا بداية امرهم

٣٦١ - زيري بن عطية

من سنة ٣٨١ — ٣٩١ هـ او من سنة ٩٩١ — ١٠٠٠ م

ولما استتب الامر لزيري بن عطية استدعاه المنصور بن ابي عامر الى قرطبة سنة ٣٨٢ هـ فوفد عليه واخذ معه من الهدايا كل مستغرب من الحيوان والطير فاحتفل

المنصور بقدومه احتفالاً عظيماً وافاض عليه في الجرايات ولقبه بالوزير
ولا يخفى على القاريء الكريم انه كان بين زيري بن عطية المغراوي وبين يدو
ابن يعلي اليفرني منافسات ومنازعات على الرئاسة بالمغرب الاقصى فكان يدو بن يعلي
اذا غلب على زيري دخل مدينة فاس واستولى عليها واذا غلب عليه زيري اخرجها عنها
وملكها وكانت الحرب بينهما سجلاً حتى شئت الرغبة بفاس كثرة تعاقبهم عليها .
فلما سافر زيري بن عطية الى الاندلس كما تقدم استخلف ابنه المعز بن زيري على
المغرب وامره بسكنى تلمسان فانتمز يدو بن يعلي الفرصة في غيبته فزحف الى فاس
ودخلها من عدوة الاندلس بالسيف في ذي القعدة سنة ٣٨٢ هـ وقتل بها خلقاً
كثيراً من مغراوة فلما عاد زيري بن عطية ونزل طنجة بلغه خبر استيلاء يدو على فاس
فاسرع السير نحوه حتى نزل قريباً من فاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق
كثير من القبيلتين مغراوة وبني يفرن الى ان هزمه زيري واقتحم عليه فاساً عنوة
فقتله ومثل به وبعث برأسه الى المنصور بن ابي عامر بقرطبة وذلك سنة ٣٨٣ هـ
وقد تقدم معنا ان زيري بن عطية وفد على المنصور كطلبه سنة ٣٨٤ هـ وانه
افاض عليه في الجرايات ولقبه بالوزير ولكنه لم يكن هذا حد مطمع زيري بن عطية
بل استقل ما وصله به المنصور واستنقبح اسم الوزارة الذي سماه به حتى انه لما خاطبه
به احد رجاله انتهره على ذلك قائلاً له « وزير من بالكع لا والله الا امير بن امير
واعجباً لابن ابي عامر وثقفته لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه والله لو كان بالاندلس
رجل ما تركه على حاله وان له منا يوماً » (مبالغ هذا القول المنصور فصر عليه . ثم
علم المنصور بعد ذلك ان زيري بن عطية ينقصه ويعرض في شأنه ويتكلم فيه بالقبيح
فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذي كان يجريه عليه في كل سنة ومحا اسمه من ديوانه
ونادى بالبراءة منه . فعزم زيري على خلافه فقطع ذكره من الخطبة واقتصر على ذكر
هشام المؤيد ودارد عماله من المغرب والجاثم الى سبتة فانفذ اليه المنصور بن ابي عامر
مولاه واضحاً في جيش عظيم فانتصر زيري عليه وفر واضح الى طنجة فدخلها منهزماً
وكتب الى المنصور يستمد فامده المنصور بجيش كثيف بقيادة ابنه عبد الملك المظفر
واستعد زيري للملاقاته والتقوا بوادي الحية فانهمز زيري بن عطية وفر في شدة من
اصحابه وبني عمه الى مدينة فاس فلما قربها اغلق اهلها دونه الابواب فطالب منهم ان
يخرجوا له حرمه واولاده ففعلوا فأخذهم وانصرف الى الصحراء ونزل بلاد صنهاجة

اما عبد الملك المظفر فانه تقدم بعد انتصاره على زيري فاصداً مدينة فاس فدخلها يوم السبت سلخ شوال سنة ٣٨٧ هـ فاستقبله اهله مستبشرين به فاحسن لقاءهم . وكتب الى ابيه المنصور بالفتح فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وكتب الى ولده المظفر بعهد علي المغرب الاقصى واوصاه بحسن السيرة والعدل فقرأ كتابه على منبر جامع القرويين . واقام عبد الملك بفاس ستة اشهر ثم صرفه والده الى الاندلس وبعث اليها عوضاً عنه عيسى بن سعيد صاحب شرطته فاقام والياً عليها الى صفر سنة ٣٨٩ هـ ثم عزله المنصور عنها وولى عليها مولاه واضحاً الفتي

اما ما كان من امر زيري بن عطية فانه لما نزل بلاد صنهاجة وجدهم قد اختلفوا على ملكهم باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي فاغتنم زيري تلك الفرصة من صنهاجة وزحف اليهم واوغل في بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وحيلة من بلاد الزاب وملك تلمسان وشلف والمسيلة واقام بها الدعوة لهشام المؤيد وحاصر مدينة اشير قاعدة بلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن ابي عامر بذلك يسترضيه ويستنوط على نفسه الرهن والاستقامة ان اعيد الى ولايته . وبينما هو محاصر لاشير انتقضت عليه جراح كانت اصابته فمات منها وذلك سنة ٣٩١ هـ

٢٩٢ - المعز بن زيري بن عطية

من سنة ٣٩١ - ٤١٧ هـ او من سنة ١٠٠٠ - ١٠٢٦ م

لما توفي زيري بن عطية اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فبايعوه وضبط امرهم واقصر عن محاربة صنهاجة وصالح المنصور ابن ابي عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته ولم يزل على ذلك الى ان توفي المنصور وقام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر فبايعه المعز أيضاً ودعاه لمانبره فعزل المظفر واضحاً الفتي عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيري بعهد علي فاس وسائر اعمال المغرب حواضره وبواديته وذلك سنة ٣٩٣ هـ فبث عماله في جميع كور المغرب وجبا خراجها ولم تزل ولايته متممة

وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افترق امر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضطرب امر المغرب على المعز واقام على ذلك الى ان توفي سنة ٤١٧ هـ

٢٦٣ حمامة بن المعز بن عطية

من سنة ٤١٧ - ٤٣١ هـ او من سنة ١٠٢٦ - ١٠٣٩ م

لما توفي المعز بن زيري تولى الملك بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية وكان اختلال امور الدولة بالاندلس بعد انقراض الدولة العامرية داعيا لاستئصال امر حمامة وزيادة استقلاله بالمغرب فقصده الامراء والعلماء واثقه الوفود ومدحه الشعراء ولم يزل مهايا الى ان نازعه ابو كمال اليفرني كما سنذكره ان شاء الله قد ذكرنا بعض الحروب التي وقعت بين مغراوة و بني يفرن في ايام زيري ابن عطية وكيف انه غلبهم وقتل يدو بن يهلي اليفرني واستولى على فاس من يده (راجع فصل ٢٦١) فلما انهزم بنو يفرن انجازوا الى نواحي سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد .

ثم لما كانت سنة ٤٢٤ هـ كان الامير على بني يفرن ابا الكمال تميم بن زيري ابن يهلي فزحف من سلا الى فاس في قبائل بني يفرن وبرزاليه حمامة في جموع مغراوة فكانت بينهم حرب شديدة اجلت عن هزيمة حمامة واستيلاء تميم على فاس واعمال المغرب ودخلها في جهادي الاخرى من السنة المذكورة ولحق حمامة بوجدة فاستمد من كان هناك من قبائل مغراوة وزناتة فاجتمع معه جم غفير فزحف بهم الى فاس سنة ٤٢٩ هـ فافرج عنها ابو كمال ولحق ببلده من شالة واقام بها الى ان هلك سنة ٤٤٦ هـ . وعاد حمامة الى ملكه وجلس على كرسي عزه بفاس الى ان توفي سنة ٤٣١ هـ

٢٦٤ دوناس بن حمام

من سنة ٤٣١ - ٤٥٢ هـ او من سنة ١٠٣٩ - ١٠٦٠ م

لما توفي حمامة بن المعز تولى بعده ابن دوناس بن حمامة ويكنى ابا العطف
وخرج عليه لاول دولته ابن عمه حماد بن معنصر بن المعز بن عطية بن زيري
فجرت له معه حروب وخطوب وكثرت جموع حماد وغلب على ضواحي فاس
وحاصرها حصاراً شديداً واحتفر السياج المعروف بسياج حماد (ويقال ان دوناس
خندق به على نفسه) واستمر حماد محاصراً لفاس الى ان هلك سنة ٤٣٥ هـ
فاستقامت دولة دوناس وساد الامن والسلام بعد أيام الحرب والكرب . وفي ايامه
بلغت فاس من العمارة مبلغاً عظيماً فكثرت فيها القصور الشاهقة والبساتين النامقة .
وانسعت التجارة بها وحسنت الصناعة حتى صارت مقصداً لكل طالب . وذلك
لاعتناء دوناس الزائد بعمارتها . ولم تنزل أيام دوناس احسن ايام الى ان توفي
سنة ٤٥٢ هـ

٢٦٥ - فنوح بن دوناس

من سنة ٤٥٢ - ٤٥٥ هـ او من سنة ١٠٦٠ - ١٠٦٣ م

ولما توفي دوناس بن حمامة تولى بعده ابنه فنوح بن دوناس وكان خفيف
الراس قليل الدراية ونزل بعدوة الاندلس ونازعه اخوه الاصغر عجيسة وكان
بطلاً مقداماً وشهماً مغواراً فاستولى على عدوة الاندلس واستبد على اخيه وافترق
امر فاس بافتراقها وقامت الحرب بينهما على ساق وقدم حتى عظم الخوف بالمغرب
وكثر الهرج وغلت الاسعار واشتدت المجاعة واستمر الامر على هذا الحال ثلاث
سنين ظفر في آخرها الفتوح على اخيه عجيسة وقتله واستولى على المدوتين ثم ظهر

امر المروانيين من لتونة وخشي الفتوح مغبة ذلك فافرج عن فاس وتخلي عنها
واراد عيشة السلام بعيداً عن الملك ومتاعبه وذلك سنة ٤٥٥ هـ

٣٦٦ - معنصر بن حماد

من سنة ٤٥٥ - ٤٦٠ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١٠٦٧ م

لما تخلى الفتوح بن دوناس عن ملك فاس قام بالامر بعده قريبه معنصر بن
حماد بن معنصر بن المعز زيري بن عطية فبايعه قبائل مروانية الذين بفاس واحوازا
وكان معنصر ذا حزم ورأي وشجاعة وشغل بحرب لتونة وكانت له معهم وقائع
مشهورة . ثم قدم يوسف بن تاشفين واستولى على فاس ورحل عنها بعد ان
استخلف عليها عامله الى غمارة وفتح كثيراً من مدنها ولقد تم حصار قلعة فازاز فخالفه
معنصر الى فاس وملكها وقتل عامله عليها .

واتصل الخير بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة فازاز فأرسل اليه جيشاً
بقيادة مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكناسة فالتقاه معنصر وناجزه الحرب
وانتصر عليه وشنت جموعه وقتله وأعمل السيف في عسكره فاستصرخ اهل مكناسة
بيوسف بن تاشفين فسرح عساكر لتونة لخصار فاس فحاصروها وضيقوا عليها جدا
حتى اشتد البلاء على اهلها وخرج معنصر من فاس لقتال عساكر ابن تاشفين
فانهزم وقتل في المعركة وذلك سنة ٤٦٠ هـ .

٣٦٧ - تميم بن معنصر

من سنة ٤٦٠ - ٤٦٢ هـ او من سنة ١٠٦٧ - ١٠٦٩ م

لما قتل معنصر بن حماد في المعركة كما ذكرنا تولى بعده ابنه تميم بن معنصر
فبايعه اهل فاس وكانت أيامه ايام حصار وقتنة وجهد وغسلا وشغل يوسف بن

تاشفين عنه بفتح بلاد غارة حتى اذا كانت سنة ٤٦٢ هـ وفرغ من فتح غارة
قدم الى فاس وحاصرها اياماً ثم اقمحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة الاف من
مغراوة وبني يفرن وهلك تميم بن معنصر في جملتهم وموته اقترض أمر الدولة
المغراوية والدوام لله وحده

٣٦٨ - الدولة الايلكية بتركستان

(تمهيد) هذه الدولة عريقة في القدم ولا يعرف كيف ابتدأت . ولم تعرف
احوالها الا بعد ان اسلم ملكها عبد الكريم سيق وتسمى عبيد الملك واطاع بني
سامان اصحاب ما وراء النهر لمجاورته لهم فخطب لهم في اعماله وهي تركستان
وقاعدتها مدينة كاشغر . فلما طرق الهرم الدولة السامانية في عشرة التسعين والثلاثية
طمع ملك الترك في ذلك الوقت و يعرف بشهاب الدولة هرون بن سامان ويقال
له بقراخان في ملك بخارى قاعدة الدولة السامانية فقصد بلاد بني سامان واستولى
عليها شيئاً فشيئاً حتى قرب من مدينة بخارى فخرج اليه جيش السامانية فانزله امامه
وقتل قائد الجيش ودخل بقراخان مدينة بخارى واستولى عليها وهرب الامير نوح
ابن منصور الساماني منها . ولكن لم يطل بقراخان الاقامة في بخارى لمرض اصابه
من عفونة الارض ورطوبة الهواء فرجع الى كاشغر وتوفي في طريقه وذلك سنة
٣٨٣ هـ ورجع الامير نوح الى بخارى كما مر ذكر ذلك (راجع فصل ١٤٤)

٣٦٩ - ايلك خاند سلجوقي

من سنة ٣٨٣ - ٤٠٣ هـ او من سنة ٩٩٣ - ١٠١٣ م

لما توفي بقراخان في طريقه الى كاشغر تولى الامر بعده اخوه ايلك خاند ولما
استولى محمود بن سبكتكين على غراسان من أيدي السامانية وانحصروا هم في

ماوراء النهر واتفق محمود وفائق و بكتوزون على قصد بخارى فجمعوا جيوشهم وساروا قاصديها فاتفق ان مات فائق في الطريق فانفض جمعهم لانه كان المشار اليه بينهم فلما علم ايلك خان ملك الترك بمود عساكرهم عن قصد بخارى طمع هو في الاستيلاء عليها فسار في سنة ٣٨٩ هـ في جمع من الاتراك الى بخارى مظهرًا الانتصار لعبد الملك بن نوح الساماني صاحب بخارى فظنه صادقًا ولم يحترس منه وخرج اليه القواد وأعيان الدولة من بخارى لاستقباله فقبض عليهم ودخل بخارى بغير قتال في ١٢ ذي القعدة سنة ٣٨٩ هـ فاخفى عبد الملك بن نوح وبث ايلك خان عليه العيون حتى ظفوه به وسجنه فمات مسجونًا وانقرض بموته ملك الدولة السامانية كما تقدم ذكر ذلك (راجع فصل ١٤٥)

واستولى ايلك خان على ما وراء النهر وقبض على بني سامان أخوة عبد الملك ابن نوح واقاربهم وادعاهم السجن ولكن تحايل اسمعيل بن نوح اخو عبد الملك وخرج من السجن في زي امرأة كانت تتردد عليه ولحق باصحاب ابيه بخوارزم وذلك سنة ٣٩٠ هـ فاجتمع اليه قواده وبايعوه ولقبوه المستنصر فكثرت جمعه وقوي جانبه فقصد بخارى لاسترجاعها وكان ايلك خان قد عاد الى تركستان بعد ان استخلف على بخارى أخاه جعفر تكين في قلعة من العسكر لضبط المدينة فقصدهم اسمعيل وقتلهم وهزمهم واجلاهم عن بخارى واستولى عليها وفر المنهزمون من الترك الى حدود سمرقند واسمعيل يتعقبهم فالتقوا بجيش جرار من الترك وضعهم ايلك خان لحفظ سمرقند فانضاف اليهم المنهزمون وحاربوا اسمعيل المستنصر فهزموا ايضًا وغنم سوادهم ثم عاد الى بخارى وقد صلحت احواله فاستبشر الناس بمود السامانية . أما ايلك خان لما علم بما كان جمع جيوشه وتقدم الى ما وراء النهر فالتقاء اسمعيل وهزمه ايضًا فاغتاز ايلك خان لهذه الهزيمة المتوالية وجمع جنودًا كثيرًا واعاد الكرة والتقى هو واسمعيل بنواحي اسروشنة فاقتتلوا وانهزم اسمعيل شر هزيمة وعبر النهر الى نواحي الجوزجان ومنها سار الى مرو فبعث محمود بن سبكتكين العساكر في اثره من جهة وقابوس بن وشمكير صاحب

جرجان من جهة اخرى فقام عن لقاء هذه العساكر وعاد الى ما وراء النهر وقد
 ضجر اصحابه ونزل بجي من العرب فامهلوه حتى كان الليل فقتلوه واستقرت بخارى
 في ملك ايلك خان فاستعمل عليها اخاه جعفر تكين . ثم اصطالح ايلك خان
 والسلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي الذي كان استولى على خراسان من يد
 السامانية على ان يستقر كل منهما في عمله ولا يطمع احدهما في الآخر وانهقدت
 بينهما المصاهرة الا أن سعاة السوء لم يزالوا بها حتى أفسدوا الحال بينهما فلما غزا
 محمود ملتان سنة ٣٩٦ هـ أغتقم ايلك خان الفرصة في خراسان وبعث اليها جيشاً
 بقيادة سباسي تكين واخيه جعفر تكين فسار الى بلخ وجيشاً آخر بقيادة ارسلان
 الحاجب فسار الى غزنة . أما جيش سباسي ف تقدم الى هرات وملكها وأقام هو بها
 وتقدم جعفر تكين بباقي الجيش الى نيسابور فاستولى عليها ثم الى بلخ فلما كان
 بها . واتصل الخبر بمحمود بن سبكتكين وهو بالهند فاسرع بالعودة وجمع جنوده
 وسار الى جعفر تكين ففارقها الى ترمذ وارسل محمود جيشاً الى سباسي بهرات
 ففارقها الى مرو وما زال جيش محمود منتصراً على الترك حتى أجلاهم عن جميع
 خراسان فاستمد ايلك خان بملك الختل فامده بجيش جرار فتقدم به ونزل قبالة
 عساكر محمود ثم اقبلوا قتالاً شديداً حتى انهزم جيش ايلك خان وأتبعهم عساكر
 محمود وأخذوا فيهم قتلاً وأسراً وذلك سنة ٣٩٧ هـ
 وعزم ايلك خان أن يجهز جيشاً آخر لياخذ بثاره من محمود فعاجلته منيته قبل
 اتمام غرضه فتوفي سنة ٤٠٣ هـ

٢٧٠ طغان خان

من سنة ٤٠٣ - ٤٠٨ او من سنة ١٠١٢ - ١٠١٧ م

ولما توفي ايلك خان تولى الملك بعده اخوه طغان خان فراسل محمود بن
 سبكتكين وصالحه وقال له « المصالحة للاسلام والمسلمين ان تشتغل انت بغزو الهند

واشتغل انا بنزو كفار الترك وأن يترك بعضنا بعضاً « فأجابه محمود الى ما طالب وتم الاتفاق والصالح بينهما على هذه القاعدة
ومرض طغان مرضاً شديداً حتى طمع ترك الصين في بلاده فجمعوا جيشاً عظيماً وهاجموا بلاده واستولوا على بعضها فلما بلغه خبرهم وهو مريض طلب من الحق سبحانه وتعالى ان يشفيه ليحلي الكفار عن بلاده ثم يفعل به ما يريد فشفاه الله واستنصر المسلمين للجهاد في الكفار فاجتمع لديه جمع كثير . فلما علم الترك بشفائه وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فنعقبتهم واتخذ فيهم قتلاً واسراً حتى اوصلهم الى بلادهم ثم عاد الى بلاسغوت عاصمة ملكه وكرسي عزه فلما وصلها عاوده المرض فمات في سنة ٤٠٨ هـ . وكان عادلاً دينياً يحب العلم وأهله

٣٧١ ارسلان خان - وقدر خان

من سنة ٤٠٨ - ٤٢٣ هـ او من سنة ١٠١٧ - ١٠٣١ م

لما مات طغان خان تولى بعده اخوه ارسلان خان فخالف عليه لاول ولايته قدرخان يوسف بن بغراخان (وقدر خان هذا كان عاملاً لطغان خان على سمرقند امره بعد موت طغان واستولى على بخارى) وكان بن محمود بن سبكتكين يستنجد به على ارسلان خان فأمده بجيش عظيم وأخيراً خاف محمود من قدرخان فسحب جنوده التي أمده بها فاغتاض قدرخان وصالح مع ارسلان خان واتفقا على غزو بلاد محمود بن سبكتكين واقتسامها فدارا الى بلخ واتصل الخبر بمحمود فارسل اليها المساكرو وهزمهما فلما لم يجد قدرخان وارسلان خان سبيلاً الى الاستيلاء على بلاد محمود عادا من حيث اتيا . ويظهر ان ارسلان خان كان ضعیف الرأي فاستولى قدرخان على الدولة وصار صاحب الامر والمهي فيها وما زال الحال كذلك الى ان توفي سنة ٤٢٣ هـ

٢٧٢ - بقراخان بن قدر خان

من سنة ٤٢٣ - ٤٣٩ هـ او من سنة ١٠٣١ - ١٠٤٧ م

بعد موت قدرخان اقتسم ولده ارسلان خان وبقراخان المملكة فكان نصيب ارسلان خان كاشغر وختن وبلاسغون وكان نصيب بقراخان طراز واسبيجاب وكان ارسلان خان حسن السيرة ديناً مكرماً لا يشرب الخمر فاكتفى بنصيبه ولكن بقراخان كان يطمع في الاستيلاء على بلاد اخيه فاغار على حدوده حتى انتم ارسلان خان ان يجند الجنود لمحاربة اخيه فحارب به وهزمه وكاد يستولي على بلاده الا انه انهزم اخيراً ووقع اسيراً بين يدي اخيه بقراخان فاودعه السجن واستولى على جميع تركستان التي كانت لهم في ذلك الوقت

ولما استتب الامر لبقراخان بايع بولاية العهد من بعده لابنه حسين جعفر تكين فاغتازت امرأة لبقراخان له منها ولد صغير وكانت تطمع في اريجه له ولي عهده فلما خاب ظنها عمدت اليه فسمته فمات هو وعدة من اهله وخنقت اخاه ارسلان خان بن قدرخان وتملت وجوه اصحابه وذلك سنة ٤٣٩ هـ

٢٧٣ - طغرل خان بن قدر خان

من سنة ٤٣٩ - ٤٥٥ هـ او من سنة ١٠٤٧ - ١٠٦٣ م

لما سم بقراخان ارادت امرأته التي سمته ان تولي ابنها بعده فلم يتمسرها ذلك واختلف اولاده فيما بينهم حتى كاد الملك يخرج عن يدهم فقام طغرل خان بن قدرخان وقبض على اولاد اخيه بقراخان واعلمهم واستولى على الملك واستمر كذلك حتى توفي سنة ٤٥٥ هـ

٢٧٤ - طغرل تكين بن طغرل هاه

من سنة ٤٥٥ - ٤٩٦ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١١٠٢ م

لما توفي طغرل خان تولى بعده ابنه طغرل تكين خان وقام عليه لاول ولايته هرون بن طفقاج خان (من عائلة تركية صينية خرجت قرياً من بلاد الصين فاستولت على كثير من بلاد الدولة الايليكية) واراد ان يستولي على مافي يده فانزله هرون امام طغرل تكين وعاد خائباً . وفي ايام طغرل تكين هذا قدم الملك سنجر الساجوقي واستولى على تركستان فصارت جزءاً من المملكة الساجوقية

وفي سنة ٤٩٦ هـ توفي طغرل تكين بن طغرل خان وبموته انقرضت الدولة الايليكية وظهرت في تركستان دول تركية صغيرة لا يهمننا استيفاء اخبارها خصوصاً لعدم وجود توارخ يوثق بها تذكر هذه الدول وغاية مافي الامر ان يأتي ذكر احد ملوك الترك في بعض اخبار الدول الاخرى كالساجوقية وغيرها فيقال مثلاً في سنة كذا خالف قدرخان (مثلاً) صاحب سمرقند على الملك سنجر وينقطع ذكر هذا الملك بالمرّة فلذا اغضينا النظر عنها

وزيادة على ذلك فان الدولة الايليكية المتقدم ذكرها لم تذكر في التوارخ العربية بطريقة يوثق بصحتها فاخضرت منها ما تقدم مع بعض اختلاف افتكرت انه يكون اقرب الى الصواب من غيره . والله ولي الامر وعليه الاتكال

٢٧٥ - دولة المرابطين او الملتيميين بمراكش

(تمهيد) هذه الدولة من قبيلة صنهاجة احدى قبائل البرانس وزعم بعض النسابين من العرب ان صنهاجة وكتامة من حمير خلفهم الملك افر يقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم الى البربرية والصحيح غير ذلك وانهم من كنعان بن حام بن نوح كسلتر البربر . ومن قبيلة صنهاجة قامت دولتان عظيمتان احدهما دولة بني

زيري بن مناد وقد تقدم ذكرها تحت اسم الدولة الصنهاجية والاخرى دولة
المثمين بالمغرب الاقصى والاوسط والاندلس كما سيأتي وهي هذه الدولة التي سنتكلم
عنها الآن بمشيئة الله

موطن هؤلاء المثمين ارض الصحراء فيما بين بلاد البربر والسودان واصحابهم
قوم لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً وانما اموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن يقسم
أحدهم عمره لا يأكل خبزاً الا ان يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق
وقيل لهم المثلثون لانهم يثلثون ولا يكشفون وجوههم اصلاً وذلك سنة لهم
يتوارثونها خلفاً عن سلف . وقيل في اسباب هذا اللثام اقوال كثيرة فمن ذلك
ان الذين يلحقون نسبهم بحمير يقولون ان حمير كانت تثلثم اشدة الحر والبرد حتى
صار اللثام عادة لا تنمك عنهم . وقيل في سبب اللثام ان قوماً من اعدائهم كانوا
يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي ويأخذون المال والحريم
فأشار عليهم بعض مشائخهم ان يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ويقعدون
هم (الرجال) في البيوت متلثمين في زي النساء فاذا اتاهم العدو وظنوه نساء
خرجوا عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركاً به وقيل
غير ذلك والله اعلم

وكان دين صنهاجة اهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب ولم يزالوا مستقرين
بتلك المجالات الصحراوية حتى اسلموا بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم
للمتونة وكان لهم ملك ضخم ودوخوا البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم
السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها
منهم ثم افترق امرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ور يستهم شيئا واستمروا
على ذلك مائة وعشر بن سنة



٢٧٦ - محمد بن تيفات

من سنة ٤٠٠ - ٤٠٣ هـ او من سنة ١٠٠٩ - ١٠١٢ م
ثم قام فيهم الامير محمد بن تيفات المعروف بتاسرت اللاتوني فاجتمعوا عليه
واحبوه وبايعوه وكان من اهل الفضل والدين والجهاد فلبث فيهم ثلاث سنين
ثم استشهد في بعض غزواته

٢٧٧ - يحيى بن ابراهيم الكندي

من سنة ٤٠٣ - ٤٣٤ هـ او من سنة ١٠١٢ - ١٠٤٢ م

لما توفي ابو عبد الله محمد بن تيفات قام بامر صنهاجة من بعده يحيى بن
ابراهيم الكندي واسم على رياستهم وحر بهم لاعدائهم الى ان كانت سنة ٤٣٧ هـ
فاستخلف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وانتحل الى المشرق برسم الحج فلما
قضى حجه وزيارته قفل الى بلاده فمر في عوده بالقيروان فاتي بها الشيخ الفقيه ابا
عمران الفاسي وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه فرآه الشيخ ابو عمران محباً في
الخير فأعجبه حاله وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله واعلمه بسعة
بلاده وما فيها من كثرة الخلق وكب غلب فيهم الجهل . فسأله الشيخ عن
فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئاً ووجد فيه اشتياقاً عظيماً لتعلم تلك الفرائض
فقال له الشيخ :

« وما يمنعك من تعلم العلم » فقال له « يا سيدي عدم وجود عالم بارضي
وليس في بلادتي من يقرأ القرآن فصلاً عن العلم ومع ذلك فاهل ارضي يحبون
الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم في
دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام فان رغبت في الثواب من الله
لبعثت معي بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فينتفعون به ويكون لك
وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم »

فاعطاه الشيخ ابو عمران كتاباً الى الفقيه وأجاج بن زلوا بمدينة نفيس ليعيث معه أحد طلبته لرفض طلبه الشيخ ابي عمران من الذهاب معه

فأخذ يحيى بن ابراهيم كتاب الشيخ ابي عمران وذهب الى مدينة نفيس والتقى بالفقيه وأجاج فانتهب معه أحد طلبته المدعو عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن اهل الفضل والدين والورع . فخرج مع يحيى بن ابراهيم الى الصحراء . فتلقاهما قبائل كدالة وملتونة وفرحوا باميرهم وتبعنوا بالفقيه وبالغوا في اكرامه . ثم شرع يعلمهم القرآن وقيم لهم رسم الدين . ولما كانت قبائل البر برجلهم قد اعتادوا عوائد مخالفة كل المخالفة لروح القرآن ابتداء ان ينههم عن تلك العوائد فلقى منهم اذناً صاماً ورفضوا تعاليم القرآن رفضاً باتاً لكي لا يخلموا تلك العوائد التي انغرس في اذهانهم . فلما رأى عبد الله بن ياسين اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم الى بلاد الدودان الذين دخلوا في دين الاسلام يومئذ فلم يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك وقال له :

« انه أتيت بك لانتفع بملك في خاصة نفسي وما علي فيمن ضل من قومي » ثم أشار عليه ان يعتزلا العالم وان يذهب الى جزيرة قريية هناك ليعتبد فيها فوافق عبد الله بن ياسين على ذلك وذهب هو ويحيى بن ابراهيم ومعهما سبعة نفر من كدالة الى تلك الجزيرة وابتنى فيها عبد الله بن ياسين رابطة (منها لقب مرابطين) هناك وأقام في اصحابه يعبدون الله مدة ثلاثة اشهر فتسامع الناس بهم وانهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثرت الواردون عليهم والتوايون لديهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم الم عاقبه حتي تمكن حبه من قلوبهم فلم تمر عليه الا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو الف رجل من اشراف صنجة فسامهم المرابطين لازومهم رابطته

ولما أنس منهم التقوى ندمهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنجة وقال لهم « معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو الف رجل وان يغلب اف من كدالة

وانتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد اصالحكم الله وهداكم الى صراطه المستقيم فوجب عليكم ان تشكروا نعمته عليكم بان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده »

فقالوا له « أيها الشيخ المبارك مرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا » فأمرهم بارشاد عشائهم وارجاعهم عن غيهم . فوعظهم فلم يعطوا وزجروهم فلم يزدجروا فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه ووعظهم وحذرهم فلم يسمعوا له كلاماً . فلما يئس منهم أمر اصحابه بجهادهم فبدأ أولاً بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة الاف رجل من المرابطين فانهمزوا بين يديه وقتل منهم خلقاً كثيراً واسلم الباقيون اسلاماً جديداً وحسنت حالهم ثم سار الى قبيلة لتونة فنزل عليها وقتلهم حتى انتصر عليهم واذعنوا الى الطاعة وابعوه على اقامة الكتاب والسنة ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى اذعنوا له وابعوه على ما يابعه له لتونة وكدالة فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا الى التوبة والمبايعة وأقروا له بالسمع والطاعة .

فلما قوي أمر عبد الله بن ياسين اخذ في اشتراء السلاح وتجنيد الجنود لغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذلها وطار صيته في جميع بلاد المغرب ثم توفي يحيى بن ابراهيم أمير صنهاجة على اثر ذلك سنة ٤٣٤ هـ

٢٧٨ - يحيى بن عمر الممتموني

من سنة ٤٣٤ - ٤٤٧ هـ او من سنة ١٠٤٢ - ١٠٥٥ م

لما توفي يحيى بن ابراهيم عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بأمر المرابطين في حريهم وجهادهم لعدوهم . وكانت قبيلة لتونة من بين صنهاجة اكثر تدبناً وكان عبد الله بن ياسين يكرهم وبقدهم على غيرهم فاختر منهم ابازكريا يحيى بن عمر وولاه امر صنهاجة بعد يحيى بن ابراهيم . وكان عبد الله بن ياسين هو الامير في الحقيقة

صاحب الامر والنهي فاطاه يحيى بن عمر طاعة عمياء وبذا استقام له الامر بجميع بلاد الصحراء .

وفي سنة ٤٤٧ هـ كان قد انتشر ذكر عبد الله بن ياسين واصحابه المرابطين في المغرب الاقصى فاجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا الى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر واشياخ المرابطين كتاباً يرغبون اليهم في الوصول الى بلادهم ليظهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف من الامراء .

فلما وصل الكتاب الى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم واستشارهم فيما يجب به ففوضوا امر ذلك الى فطنته واظهروا ادعائهم وطاعتهم باوامره . فدعاهم بالخير وحضهم على الجهاد وخرج بهم في ٢٠ صفر سنة ٤٤٧ هـ في جيش كثيف من المرابطين فاسار حتى وصل الى بلاد درعة فطرد منها عامل مسعود بن وانود بن الخزر وفي استولى عليها . واتصل خبر تقدمه بمسعود فجمع جيوشه وسار لقتاله فالتقى الجمعان بين درعة وسجلماسة فاقتتلا وقتلاً شديداً وقتل مسعود وانهمز جمعه واستولى عبد الله بن ياسين على سجلماسة واصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو واحرق الدور التي تباع فيها الخمر وازال المكوس واسقط المغارم الخزنية ومحا ما اوجب الكتاب والسنة محوه واستعمل على سجلماسة عاملاً من لمتونة وعاد الى الصحراء . وفي هذه السنة (٤٤٧ هـ) توفي الامير ابو زكريا يحيى بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان .

٢٧٩ - ابو بكر بن عمر اللعنوني

من سنة ٤٤٧ - ٤٥٣ هـ او من سنة ١٠٥٥ - ١٠٦١ م

لما توفي الامير يحيى بن عمر ولي عبد الله بن ياسين مكانه اخاه ابا بكر بن عمر . وفي سنة ٤٤٨ هـ ندب عبد الله بن ياسين المرابطين لفتح بلاد السوس فرحف ابو بكر بن عمر اليها في جيش كثيف جعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارود انت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى قبلوا مذهب السنة والجماعة

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتحها بالسيف واستولى عليها قوةً واقتداراً ثم تقدم الى بلاد قبائل برغواطة واستولى عليها وأزال منها الكفر . وتوفي عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين اثر جراح اصابته في قتال قبائل برغواطة هذه سنة ٤٥١ هـ

فاستمر الامير أبو بكر على رياسته وجددت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين وعاد بعد ان اخضع قبائل برغواطة الى مدينة اغمات فاقام بها الى صفر سنة ٤٥٢ هـ وفيها خرج غازياً بلاد المغرب في أمم لا تحصى من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح بلاد فزز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكفاسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها وافتتحها عنوة وخر بها فلم تعمّر بعد الى الآن وكان تخريبه اياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم رحع الى مدينة اغمات

وفي سنة ٤٥٢ هـ بلغ ابا بكر بن عمر ان قد وقع الخلاف بالصحراء فصار اليها لاصلاح احوالها واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ولما اصاح ابو بكر بن عمر احوال الصحراء وقتل المفسدين سمع بعظم شأن ابن عمه يوسف بن تاشفين بالمغرب فخافه واراد عزله فتقدم اليه لهذا الغرض . وكان ليوسف بن تاشفين زوجة تدعى زينب بنت اسحق النفازوية (وكانت امرأة ابي بكر بن عمر من قبله) وكانت بارعة الجمال مع علم وسياسة فاشارت عليه كيف يستقبل ان عمه ابا بكر بن عمر فعل بمشورتها فتنازل له ابو بكر بن عمر عن الرياسة وعاد الى الصحراء يجاهد كفار السودان الى ان استشهد من سهم مسموم اصابه في شعبان سنة ٤٨٠ هـ .

٢٨٠ — امير المسلمين يوسف بن تاشفين

من سنة ٤٥٣ — ٥٠٠ هـ او من سنة ١٠٦١ — ١١٠٦ م

لما عزم الامير ابو بكر بن عمر على السفر الى بلاد الصحراء دعا ابن عمه

يوسف بن تاشفين بن ابراهيم الله توفي فعقد له على بلاد المغرب وفوض اليه امره وامره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة البربر وبايعه اشياخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدة . فعاد يوسف الى سجلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال ابي بكر بالنصف الاخر وذلك في ذي القعدة سنة ٤٥٣ هـ فنقدم بهم اقلال من المغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر قبائل البربر القايين به فنقري المغرب بلداً بلداً وتبع اهله قبيلة قبيلة فقوم يقاتلونه ثم يظفر بهم وقوم يفرّون بين يديه وقوم يلقون السلم ويبذلون الطاعة حتى دوخ بلاد المغرب ثم سار حتى دخل مدينة اغمات ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسحق النفاوية التي كانت تحت ابي بكر بن عمر فكانت عنوان سعده والقائمة بملكه والمديرة لامره والفاخرة عليه لحسن سياستها لاكثر بلاد المغرب ومن ذلك اشارتها عليه في امر ابي بكر وكيفية ملاقاته حتى ثبتت لزوجها ملك المغرب بحسن تدبيرها

وفي سنة ٤٥٤ هـ كان امر يوسف بن تاشفين قد استعجل بالمغرب جداً ورسخت قدمه في الملك وعظم صيته فسمت همته الى بناء مدينة يأوي اليها بحشمه وجنده وتكون حصناً له ولارباب دولته فاشترى موضع مدينة مراكش وبنّاها . ومعنى لفظه مراكش (امش مسرعاً) واصلاها برية وقيل لما ذلك لانها كانت مسكناً للصوص

وفي سنة ٤٥٤ هـ المذكورة جمع يوسف بن تاشفين جيشاً كثيفاً قيل بلغ اكثر من مائة الف وقصد مدينة فاس فقاتله قبائل زناتة قتالاً شديداً انهزموا في اخره وانحصروا بمدينة صدينة فدخلها عليهم بالسيف عنوة ثم رحل الى فاس فنازلها بعد ان فتح جميع احوازها فحاصرها حتى فتحها وهو الفتح الاول وذلك سنة ٤٥٥ هـ فاقام بها اياماً واستعمل عليها عاملاً من لمتونة وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى اشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطي من موالى بني حمود ثم رجع الى منازل قلعة فزاز فخالفه بنو معنصر بن حماد

المغراوي الى فاس فدخلوها وقتلوا عامل يوسف الذي كان بها . واتصل الخبر
بيوسف بن تاشفين فسير العساكر لقتالهم فتوالت عساكر المرابطين على تميم بن
معنصر المغراوي صاحب فاس بالغارات والنهب واشتد عليه الحصار حتى قتل
الاقوات بفاس . فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع مغراوة وبني يفرن
وخرج اليهم لاحدى الراحتين فدارت عليه الدائرة فقتل تميم وجماعة من عشيرته
في تلك الوقعة وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن
موسى بن ابي العافية المكناسي فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى المرابطين وبعد
وقائع كثيرة انتصر عليهم وازاحهم عن فاس

وكان الامير يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت محاصراً قلعة فازاز فاتاه
الخبر بانهمزام عساكره أمام الزناتيين فارتحل عن قلعة فازاز بعد ان ترك بها
جيشاً من المرابطين لحصارها فاقاموا عليها تسع سنين ثم دخلوها صلحاً
سنة ٤٦٥ هـ .

ولما ارتحل يوسف بن تاشفين عن قلعة فازاز وذلك سنة ٤٥٦ هـ سار الى
بني مراسن واميرهم بومثد يعلى بن يوسف فغزاهم وفتح بلادهم ثم سار الى
بلاد فندلاوة فغزاهم وفتح جميع تلك الجهات ثم سار منها الى بلاد ورغة ففتحها
وذلك في سنة ٤٥٨ هـ . وفي سنة ٤٦٠ هـ فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف
الى طنجة . وفي سنة ٤٦٢ هـ اقبل الى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد
الحصار عليها حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة خلفاً
كثيراً وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس . فتم لبوسف بن تاشفين في هذه المرة
فتح جميع بلاد المغرب الأقصى ما عدى سبتة وطنجة . ثم طاف بجميع بلاد
المغرب الأقصى يتفقد احواله وينظر في سيرة ولاته وعماله حتى اصاح الكثير من
امور الناس وارجع الناس عن كثير من غيهم

وكانت سبتة وطنجة لبني حمود الادريسين الذين استولوا على الاندلس
عقب انقراض الدولة الاموية فيها . فاستنابوا على سبتة وطنجة من وثقوا به من

مواليهم الصقالة . ولم يزل أمر المدينتين الى نظر هؤلاء النواب واحداً بعد واحد الى ان اسنقل بهما الحاجب سكوت البرغواطي فاستمر عاملاً على المدينتين حتى اتصلت أيام ولايته بدولة امير المسلمين يوسف بن تاشفين . فدعا الحاجب سكوت الى مظهرته على غماره فهم باطاعة أوامره فنهاه ابنه عن ذلك فسكت . فلما فرغ يوسف بن تاشفين من امر المغرب صرف عزمه الى الحاجب سكوت . وكان المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية بالاندلس قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فاعتذر له يوسف بعدم تمكنه مبارحة المغرب حتى ينتهي من أمر الحاجب سكوت . فراجع ابن عباد يشير عليه بان يسير هو الى سبتة بمساكره في البر فينازلها ويبعث ابن عباد اساطيله في البحر فينازلونها ايضاً حتى يمتلكها فزم يوسف على انفاذ هذا الرأي

وفي سنة ٤٧٠ هـ جهز يوسف بن تاشفين جيشاً مؤلفاً من ٤٢ الف مقاتل بقيادة صالح بن عمران وسيرهم الى طنجة فلما قربوا منها برز اليهم الحاجب سكوت وقد أقسم ان لا يرجع حتى ينتصر او يموت وكان سكوت شيخاً يناهز التسعين . فالتقى الجمعان بظاهر طنجة فانزمت سكوت وقتل في المعركة ونشبت جموعه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها واستولوا عليها . ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبتة واعتصم بها

وفي سنة ٤٧٢ هـ بعث الامير يوسف بن تاشفين جيشاً بقيادة مزدي بن تلمكان اللاتوني لغزو المغرب الاوسط فسار الى تلمسان وبها العباس بن بخي من ولد يولي بن محمد المرادي فدخلوا المغرب الاوسط وظفروا يولي بن الامير العباس فقتلوه ثم كروا راجعين الى يوسف بن تاشفين بمرأى كش .

وفي سنة ٤٧٥ هـ ورد كتاب المعتمد بن عباد الى الامير يوسف بن تاشفين يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب الافرنج على اكثر ثغورها ويسأله النصر والاعانة فاجابه يوسف بقوله « اذا فتح الله علي سبتة اتصلت بكم وبذلت جهدي في جهاد العدو »

وكان الفونس السادس ملك أراغون قد تحرك في هذه السنة في جيوش لا تحصى واستولى على أغلب بلاد الاندلس مدينة مدينة فنزل على أشبيلية فأقام عليها ثلاثة أيام فافسد وخرب كل ما حولها وكذلك فعل في شذونة واحوازها وخرب بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فأدخل قواهم فرسه في البحر وقال « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » ثم رجع الى مدينة سرقة فأنزل عليها وحاصرها وحلف ان لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها وأراد ان يقدمها بالفتح عن غيرها فبذل له أميرها المسلمين بن هود مالاً عظيماً فلم يقبله منه وقال المال والبلاد لي وبعث الى كل قاعدة من قواعد الاندلس جيشاً لحصارها والتضييق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر بن ذي النون سنة ٤٧٧ هـ . فلما بلغ ضعف المسلمين بالاندلس هذا الحد من عدم مقدرتهم مقاومة اعدائهم اجتمع رأيهم على مكتابة الامير يوسف بن تاشفين يستنجذونه على عدوهم فكانت به اهل الاندلس كافة من الخاصة والعامة يستصرخونه في تنفيس العدو عن مخنفهم على ان يكونوا معه يداً واحدة . فلما تواترت كتبهم ورسلم عليه بمثل ابنه المعز بن يوسف في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة الجواز فإزها برأ وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بجرأ فاقتموها عنوة في ربيع الآخر سنة ٤٧٧ هـ وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت وجيء به الى المعز أسيراً فقتله صبراً وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بفاس ينظر في امر الجهاد ويستعد له ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصداً نحوها ليعبر منها الى الاندلس . ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة ركب البحر الى المغرب لاستنفار يوسف الى الجهاد فلقية مقللاً ببلاد طنجة بموضع يعرف ببلطة فاخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر فأمره يوسف بن تاشفين ان يرجع الى الاندلس ويستعد بن عده حتى يلحقه وجمع يوسف بن تاشفين جمعاً كثيفاً من المسلمين وأجازهم البحر واتخذ الجزيرة الخضراء قاعدة لآعماله . ولما تكاملت جنوده بساحل الجزيرة الخضراء

عبر هو في أثرها في موكب عظيم من قواد المرابطين والنجادهم وصالحاتهم فوصل الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع الاول سنة ٤٧٩ هـ

وكان في انتظاره المعتمد بن عباد صاحب شبيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس . واتصل الخبىر بالفونس السادس ملك اراغون وهو في ذلك الوقت يحاصر سرقسطة فارتحل عنها وقصد يوسف بن تاشفين بعد ان استمد أمراء الاندلس فأمدوه بجموع لا تحصى وسار اليه يوسف بن تاشفين ايضاً فالتقى الجمعان بالقرب من بطليوس وكان نزول يوسف بن تاشفين بموضع يعرف بالزلاقة (واليه تنسب هذه الغزوة الشهيرة)

ونزل المعتمد بن عباد بموضع آخر يحجز بينه وبين يوسف ربة وبين المسلمين والافرنج نهر بطليوس يشرب منه الجميع . فلما تكاملت جيوش الفونس امرهم بالهجوم على المعتمد بن عباد بعد ان حثهم قائلاً « ان ابن عباد مسعر هذه الحروب وهو لاء الصحرأيون (يقصد المرابطين) وان كانوا اهل حفاظ وذوي بصائر في الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادم ابن عباد فهاجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم امر الصحرأويين بعده ولا اراه (اعني ابن عباد) يصبر لكم ان صدقتموه القتال »

فات جواسيس ابن عباد واخبرته الحقيقة فاستمد يوسف بن تاشفين لكنه لم يصله مدده حتى كانت غشيته جنود الفونس واحاطت به من كل جهة فهاجت الحرب وحى الوطيس واستمر القتال في اصحاب ابن عباد فصبر صبراً لم يمهده مثله وكاد يلاشى جيشه لولا ان وافقه جنود يوسف بن تاشفين واول من وصل من قواده داود بن عائشة وكان بطلاً شهياً فنفس بمجيئه كربة ثم وصل يوسف بن تاشفين بعد ذلك وطبوله قد ملئت أصواتها الجوف فلما ابصره الفونس وجهه حماته اليه وقصدته بمعظم جنوده فبادر اليهم يوسف فصد بهم صدمة ردتهم الى مراكزهم وصبر الفريقان صبراً عظيماً وبعد قتال ثتيب لهولة الولدان أنهزم الفونس هزيمة شنعاء واصابه طعنة في احدى ركبتيه بقي يجمع بها بقية عمره . وهرب الفونس

وجيوشه وسيوف المسلمين تصفعهم والرماح تطعنهم حتى لحقوا بربوطة لجاء اليها واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما كان الليل انساب الفونس واصحابه من الربوة واقتلوا من بعد ما نشبت فيهم اظافر المنية . واستولى المسلمون على ما كان في محلهم من الاثاث والانية والاسلحة وغير ذلك

وعظم شأن يوسف بن تاشفين بهذا الانتصار المبين فنقلب في ذلك اليوم بامير المسلمين واتاه تقليد الخليفة المقتدي بامر الله العباسي على ما فتحه ولقبه ناصر الدين ثم رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب ظافراً منصوراً

وفي سنة ٤٨٤ هـ طمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين في الاستيلاء على بلاد الاندلس لما تحققه من ضعف اهلها وعدم مقدرتهم حفظ انفسهم فسير جيشاً بقيادة سير بن ابي بكر فعبروا الخليج واتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها واخرجوا ابا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوها ثم قصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصره بها وضيقوا عليه فقاتل اهلها قتالاً شديداً وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه ولكن لما كانت الكثرة تغلب الشجاعة واذا نفذت المدة لم تغن العدة انتصر المرابطون مراراً عليه فاتجأ الى الفونس ملك اراغون وكتبه ليده بالمساكر ليجلي عنه المرابطين على أن تكون البلاد له فامده الفونس بجيش عظيم . ولما علم سير قائد المرابطين بقدوم الافرنج لنصرة ابن عباد انتخب من رجاله عشرة الاف من اهل الشجاعة والنجدة وسيرهم بقيادة ابراهيم بن اسحق اللاتوني وبعثهم للقاء الافرنج فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها الافرنج حتى لم يفلت منهم الا القليل ثم شدد سير بن ابي بكر الحصار والتضييق على اشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على المعتمد وجماعة من اهل بيته وبعث بهم الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمجن المعتمد باغماث واستمر في السجن الى ان مات سنة ٤٨٨ هـ .

ثم عمد سير الى بطليوس وقبض على صاحبها عمر بن الافطس وقتله هو

وابنيه يوم الاضحى سنة ٤٨٩ هـ ورثاهم ابن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول
في أولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثـر فما البكاء على الاشباح والصور
واستولى سير قائد يوسف بن تاشفين على جميع بلاد الاندلس ومها منها
ملوك الطوائف ولم يبق منهم غير المستعين بن هود صاحب سرقسطة وكان قد
اعتصم بالافرنج

وفي سنة ٥٠٠ هـ توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان حازماً ضابطاً
للأمور مؤثراً لاهل العلم والدين كثير المشورة وهو اعظم ملوك المرابطين بلا
مراء حتى جملة كثير من المؤرخين اول الدولة المرابطية لشهرته الفاتحة وعدم
اشتهار من سبقه



٢٨١ علي بن يوسف

من سنة ٥٠٠ — ٥٣٧ هـ او من سنة ١١٦ — ١١٤٢ م

لما توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين قام بالامر بعده ابنه علي بن يوسف بعهد
منه اليه بذلك فبايعه جميع من حضر من لمتونة براكش وسائر قبائل صنهاجة وبايعه
الفقهاء واشياخ القبائل ولما تمت له البيعة براكش كتب الى سائر بلاد المغرب والاندلس
يعلمهم بوفاة ابيه واستخلافه من بعده وبأمرهم بالبيعة فاتته البيعة من جميع البلاد واقبلت
نحوه الومود للتعزية والتهنئة الا اهل مدينة فاس فان ابن اخيه يحيى بن أبي بكر بن
يوسف كان اميراً عليها من قبل جده يوسف فلما انتهى اليه الخبر بموت جده وولاية
عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعة عمه فخرج عليه ووافقه على ذلك جماعة من قواد
لمتونة فزحف عليه علي بن يوسف من براكش حتى اذا دنا من فاس خاف يحيى بن
ابي بكر على نفسه وعلم ان لاطافة له بحرب عمه . فاسلم فاساً لعمه وخرج منها واسكنه
عمه معه براكش ثم اتهمه بالتشغيب عليه فبعث به الى الجزيرة الخضراء فاستقر بها الى
ان مات

وفي سنة ٥٠٣ هـ جاز امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس بقصد الجهاد فعبّر البحر من سبتة منتصف المحرم في جيوش عظيمة وانتهى الى قرطبة فأقام بها شهراً ثم خرج منها غازياً الى مدينة طلابوت ففتحها عنوة بالسيف وفتح حصوناً كثيرة حتى انتهى الى طليطلة فحاصرها ولم يتمكن من فتحها فقفّل راجعاً الى قرطبة ومنها عاد الى المغرب الأقصى.

وفي سنة ٥٠٤ هـ فتح الامير سير بن ابي بكر شنترين وبطليوس وبرنقال واشبونه وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس وكتب بالفتح الى امير المسلمين

وفي سنة ٥٠٧ هـ توفي الامير سير بن ابي بكر بمدينة اشبيلية ودفن بها وولى اشبيلية عوضاً عنه ابو عبد الله محمد بن فاطمة فلم يزل عليها الى ان توفي سنة ٥١٠ هـ

وكانت سرقسطة من بلاد الاندلس تحت تسلط بني هود تغلبوا عليها في صدر المائة الخامسة ايام الطوائف وتوارتوها الى ان كان منهم احمد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فزحف اليه ابن رودمير سنة ٥٠٣ هـ فخرج اليه المستعين فالتقوا بظاهر سرقسطة فانهمزم المسلمون واستشهد المستعين احمد بن يوسف بن هود صاحب سرقسطة فتولى بعده ابنه عبد الملك بن المستعين الملقب بعماد الدولة .

فلما كانت سنة ٥١٢ هـ اتحد النونس وابن رودمير على فتح سرقسطة فزحفوا اليها وشددا الحصار عليها واتصل الخبر بامير المسلمين علي بن يوسف فكتب الى امراء غرب الاندلس بامرهم بالاتحاد مع اخيه تميم بن يوسف (الذي كان يوءد والياً على شرق الاندلس) فيسيرون معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة فاطاعوا امره . وخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع امراء الاندلس وقصد لاردة وقاتل الاسبانيين عليها قتالاً شديداً والنصر متبادل بين الطرفين حتى كل تميم ورجع الى بلنسية . فلما رجع شدد الفونس وابن رودمير الحصار على سرقسطة وافتتجها قوة واقتداراً سنة ٥١٢ هـ المذكورة

وفي سنة ٥١٣ هـ تقدم ابن رودمير الى شرق الاندلس وابتداء بفتح مدنه وحصونه حتى استولى على قلعة ابوب وهي من احصن قلاع الاندلس فانزعج امير المسلمين علي بن يوسف لهذه الاخبار وجاز الى الاندلس في السنة المذكورة وهو جوازه الثاني وقاتل الاسبانيين وانتصر عليهم في عدة مواقع واصلاح احوال الاندلس ثم عاد منها سنة ٥١٥ هـ بعد ان استخلف عليها اخاه تميم بن يوسف

وفي سنة ٥٢٠ هـ توفي الامير تميم بن يوسف بن تاشفين فولى امير المسلمين علي

ابن يوسف مكانه على الاندلس ابنه تاشفين بن علي فكان حسن الجهاد
وفي سنة ٥٣٧ هـ توفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وذلك لسبع خلون
من رجب من السنة المذكورة وكان حليماً وقوراً صالحاً عادلاً . وفي ايامه ظهر محمد بن
تومرت المعروف بالمهدي ببجبال المصادمة فكان ظهوره الضربة القاضية على دولة المرابطين
وسبباً لتأسيس دولة الموحدين كما سيأتي ذكره ان شاء الله

٢٨٢ تاشفين بن علي

من سنة ٥٣٧ — ٥٣٩ هـ او من سنة ١١٤٢ — ١١٤٤ م

لما توفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين تولى بعده ابنه المعز تاشفين بعده
منه اليه بذلك وكان امر عبد المؤمن بن علي خليفة محمد بن تومرت المهدي قد استغفل
بتينممل وسائر بلاد المصادمة اهل جبل درن وخرج للاستيلاء على المغرب الاقصى من
يد الدولة المرابطية فسار امير المسلمين تاشفين بن علي لقتاله فاقتلوا قتالاً شديداً انهزم
فيه المرابطون هزيمة شنعاء وتوالت الهزائم على تاشفين فلما علم بعدم مقدرته برد هجمات
الموحدين رحل الى وهران سنة ٥٣٩ هـ فتمتقه الموحدون اليها وقتلوه بها وذلك لسبع
وعشرين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ

٢٨٣ — اسمعق بن علي بن يوسف

من سنة ٥٣٩ — ٥٤١ هـ او من سنة ١١٤٤ — ١١٤٦ م

لما قتل امير المسلمين تاشفين بن علي قام بالامر بعده اخوه اسمعق بن علي ولكن لم
يلبث طويلاً حتى داهمته جنود الموحدين وحاصرت مراکش وهو بها سنة ٥٤٠ هـ
واستمر حصار مراکش تسعة اشهر حتى جهد اهلها الجوع والخوف فخرجوا لقتال الموحدين
فانهزموا امامهم واقتحموا عليهم المدينة في شوال سنة ٥٤١ هـ وقتل عامة الملتزمين ونجا
اسمعق في خواصه الى القصبه حتى نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسمعق بن علي بين
يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون وانمحي اثر الملتزمين واستولى الموحدون على جميع بلاد

المغرب والله غالب على امره

٢٨٤ - الدولة المزيديّة بالحلة.

(تمهيد) كان بنو مزيد هؤلاء من بني أسد وكانت محلاتهم من بغداد الى البصرة الى نجد وكان بينهم وبين بني ديس من عشائرهم وقائع وحروب اشتهر بسببها بالحسن علي بن مزيد لانفصاراته المتوالية على ابن ديس فقلده بفر الدولة بن بويه امر الجزيرة الديسية سنة ٣ ٤ هـ وهذا ابتداء ملكهم

٢٨٥ - ابو الحسن علي بن مزير

من سنة ٤٠٣ - ٤٠٨ هـ او من سنة ١٠١٢ - ١٠١٧ م

وقام عليه لاول ولايته مضر بن ديس وقاتله واسترجع منه الجزيرة الديسية فانحصر ملك علي في نواحي الحلة فاقام عليها الى ان توفي سنة ٤٠٨ هـ

٢٨٦ - ديبس بن علي بن مزير

من سنة ٤٠٨ - ٤٧٤ هـ او من سنة ١٠١٧ - ١٠٨١ م

لما توفي ابو الحسن علي بن مزير تولى بعده ابنه ديس بن علي بن مزير بعهد منه فخالفه اخوه الاكبر المقلد واتصل ببني عقيل واقام بينهم ثم استمد جلال الدولة فامده بعسكر وقصدوا ديبساً فانهمزم امامهم واسر جماعة من اصحابه ولحق ديس بالشريد منهمزماً فسار به الى مجد الدولة وضمن عنه المال المقرر في ولايته فاجيب الى ذلك وخلع عليه واستقام حاله . وذهب المقلد مع جماعة من خفاجة فذهبوا مطيراباد والنيل اقبح نهب وعاثوا في منازلها . ولم تكن الحلة بنيت حينئذ . وعبر المقلد دجلة الى ابي الشوك فاقام عنده حتي اصلى امره

وكان لديس بن مزيد اخ آخر اسمه ثابت بن علي فهذا اتصل بالبساسيري سنة ٤٢٤ هـ واستمده على أخيه ديس فامده بجيش عظيم فنزحهم لهم ديس عن البلاد وملاك ثابت اعمال ديس والنيل فبعث اليه ديس طائفة من اصحابه فانهمزوا امام ثابت فسار ديس عن البلاد وتركها لثابت حتى رجع البساسيري الى بغداد فسار في جموع بني اسد وخفاجة فقاتلوا ثابتاً ملباً ثم اصطلحوا على ان يعود ديس الى اعماله ويقطع أخاه ثابتاً بهض تلك الاعمال فتحالفوا على ذلك وفي سنة ٤٤١ هـ اقطع الملك الرحيم ديس بن علي بن مزيد حماية نهر الصلة ونهر الفضل وكانت من اقطاع جند واسط فغضبوا وزحفوا اليه فلقبهم واكن لهم فزهمم واثخن فيهم وغنم اموالهم ودوابهم فكروا راجعين الى واسط وفي سنة ٤٤٦ هـ خالف بنو خفاجة على الامير ديس وعاثوا في بلاده بالفساد فاستنجد البساسيري فجاء بنفسه لنجدته وعبر ديس الفرات معه وقاتل خفاجة واجلاهم عن بلاده فسلخوا البرية ورجع البساسيري عنهم فعادوا الى الفساد فعاد اليهم فدخلوا البرية فاتبعهم الى خفان فوقع بهم واثخن فيهم وحاصر خفان ثم اقتحمه واخرجهم ورجع الى بغداد ومعه اسارى من خفاجة فصلبوا بها ولما انقرض امر بني بويه واستولى الملك طغرل بك السلجوقي على بغداد وقتل الملك الرحيم آخر بني بويه كما تقدم ذكر ذلك وكان البساسيري قد فرق الملك الرحيم قبل مسيره من واسط الى بغداد للقاء طغرل بك مجمعا على الخلاف على السلجوقيين الذين مع قطلمش ابن عم طغرل بك جدملوك السلجقة ببلاد الروم ومعه متمم الدولة ابو الفتح عمر وسار معهم قریش بن بدران صاحب الموصل . فلقبهم ديس والبساسيري على سنجار وهزمهم ورجع قریش الى ديس جريحا فخلع عليه وسار معهم وذهب بهم الى الموصل وخرج ديس وقریش والبساسيري الى البرية واتبعهم عساكر السلجوقيين بقيادة هزارست فوقع بهم ورجع بالغنائم والاسرى وارسل ديس وقریش الى هزارست ان يستعطف بهم

السلطان ففعل . وبعث ديبس ابنه بهاء الدولة مع وافد قريش فاكرمها السلطان
طغرل بك واقرب ديبساً على اعماله ثم خالف نيسال اخو السلطان طغرل بك عليه
بهمنان فسار اليه فانتهز البساسيري فرصة غيابه واتحد هو وديبس وغيره ودخلوا
بغداد سنة ٤٥٠ هـ وخطبوا فيها للعلويين اصحاب مصر (الفاطميين) .

ولما انتهى طغرل بك من امر اخيه رحع الى بغداد فخرج عنها البساسيري
وديبس واصحابهما ولحقوا ببلاد ديبس . واعاد طغرل بك الخطبة ببغداد للخليفة
العباسي وارسل عساكره لقتال البساسيري وديبس فالتفتوا وانهمزم ديبس وهرب
وقتل البساسيري وذلك سنة ٤٥١ هـ ثم كاتب ديبس السلطان طغرل بك السلجوقي
يطلب منه الامان فأمّنه واقربه على عمله وخلع عليه خلعة سنّية . فاستمر ديبس في
ولايته الى ان توفي سنة ٤٧٤ هـ

٢٨٧ - منصور بن ديبس

من سنة ٤٧٤ - ٤٧٩ او من سنة ١٠٨١ - ١٠٨٦ م

ولما توفي ديبس بن علي بن مزيد تولى بعده ابنه منصور ولقب بهاء الدولة
وسار الى السلطان ملك شاه فآخذه على عمله فاستمر كذلك الى ان توفي سنة ٤٧٩ هـ

٢٨٨ - صدقة بن منصور

من سنة ٤٧٩ - ٥٠١ او من سنة ١٠٨٦ - ١١٠٧ م

لما توفي منصور بن ديبس تولى بعده ابنه صدقة الملقب بسيف الدولة فارسل
اليه الخليفة نقيب العلويين ابا الغنائم يعزّيه وسار صدقة الى السلطان ملك شاه
فخلع عليه ولاد مكان ابيه

وفي سنة ٤٨٥ هـ توفي السلطان ملك شاه وتولى بعده ابنه السلطان بركيارق

وحصلت بينه وبين اخوته فتن يطول شرحها سنذكرها ان شاء الله في تاريخ الدولة السلجوقية . وفي كل هذه المدة كانت صدقة بن منصور مطيعاً للسلطان بركيارق ممداً له تارة بنفسه وتارة بجيوشه الى ان كانت سنة ٤٩٤ هـ وفيها ارسل الوزير الاعز ابوالمحسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق الى صدقة بن منصور يقول له « قد تخلف عندك لخزانة السلطان الف الف دينار فان أرسلتها والا سيرنا اليك العساكر وأخذنا منك بلادك » فلما وصلته هذه الرسالة قطع خطبة السلطان بركيارق وخطب لاختيه السلطان محمد . وكان السلطان بركيارق في ذلك الوقت مشغولاً بقتال اخوته وفنتهم فلما عاد الى بغداد في هذه السنة منهزماً امام اخويه محمد وسنجر ارسل الى صدقة بن منصور مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياذ من اكابر اصحابه يشير عليه بطاعة السلطان وامثال اوامره فابي الامتثال أن لم يسلم اليه الوزير أبا المحاسن فلم يجبه الى ذلك فتم على متاعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

وفي سنة ٤٩٦ هـ استولى صدقة على مدينة هيت من يد عاملها بها الدولة شروان بن وهب بن وهيب

وفي سنة ٤٩٧ هـ استولى على مدينة واسط واجلى الاتراك عنها واقام بها الى سادس ذي القعدة ثم انجدر الى بلده

وفي سنة ٤٩٩ هـ انجدر سيف الدولة صدقة بن منصور من الحلة الى البصرة فلما والسبب في ذلك ان البصرة كانت لاسماعيل بن ارسلانجق عاملاً عليها من قبل السلجوقيين فاقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكناً بالاختلاف الواقع بين السلاطين السلجوقية فخذ الاموال السلطانية واستولى عليها . وكان قد راسل صدقة واطهر له انه في طاعته وموافقه . فلما استقر الامر للسلطان محمد اراد ان يرسل الى البصرة مقطوعاً ياخذها من اسماعيل فخطب صدقة في معناه حتي أقرت البصرة عليه . فارسل السلطان عميداً اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان

هناك فتمه اسماعيل ولم يمكنه من عمله فاسر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك . وافق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وأنه على قصد واسط فسر اسماعيل بذلك لانشغال صدقة عن البصرة فاسر صدقة عاملاً من قبله على البصرة فامسكه اسماعيل واعقله . فاسر صدقة اليه وحصن اسماعيل القلاع واعقل وجوه البلد من العباسيين والعلويين والاعيان وحاصرها صدقة وخرج اسماعيل لقناله فخالفه طائفة من اصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد فاقتحموها وأنزمو اسماعيل الى قلعة الجزيرة فامتنع بها واستولي صدقة على البصرة ثم استأمن اسماعيل الى صدقة فأمنه . وسار اسماعيل الى فارس فمضى ومات بها . ورتب صدقة بالبصرة مملوك جده واسمه التونتاش شحنة على البصرة ورتب معه مائة وعشرين فارساً فخالفت عليه ربيعة واجتمعت ضده ودخلوا البصرة بالسيوف واسروا التونتاش وأقاموا بها شهراً ينهبون ويخربون فاسر اليهم صدقة عسكرياً لاجراجهم منها فوصل بعد خروجهم وانتزع السلطان البصرة من صدقة وبعث اليها شحنة وعميداً واستقام امرها

وفي سنة ٥٠١ هـ خالف سرخاب بن كيخسرو على السلطان محمد والتجأ الى صدقة بن منصور فاجاره وطلبه السلطان فلم يسلمه واطهر الخلاف فاسر اليه السلطان في جيش جرار فقاتله وقتله واسر اولاده واسر سرخاب بن كيخسرو أيضاً وكان صدقة جواداً حليماً صدوقاً عادلاً في رعيته وكان يقرأ ولا يكتب وكانت له خزانة كتب . وهو الذي بنى الحلة في العراق فمظم شأنه وعلي قدره بين الملوك

٢٨٩ - ديبس بن صدقة

من سنة ٥٠١ - ٥٣٩ هـ أو من سنة ١١٠٧ - ١١٣٤ م

ولما قتل السلطان محمد صدقة ارسل اماناً لزوجته فجهأت الى بغداد وأمر

السلطان الامراء بتلقيها واطلق لها ولدها ديبسا واعتذر لها من قتل صدقة واستخاف ديبسا على الطاعة وأن لا يحدث حدثاً . واقام في ظله واقطعه السلطان أقطاعاً كثيرة . ولم يزل ديبس مقبياً عند السلطان محمد الى ان توفي ومالك ابنه محمود سنة ٥١١ هـ . فطلب اليه ديبس ان يسرحه الى بلده فسرّحه وعاد اليها فملكها واستقام امره .

وفي سنة ٥١٢ هـ لما توفي الخليفة المستظهر وبويع ابنه المسترشد خاف ابنه الآخر من غائلة اخيه وانحدر في البحر الى المدائن وسار منها الى الحلة فابى ديبس ان يكرهه وتكفل بما يطلبه . وفي اثناء ذلك برز البرسقي بن بغداد مجلباً على ديبس الجوع وسار اخو الخليفة الى واسط فملكها سنة ٥١٣ هـ وقوى امره وكثرت جموعه فبعث الخليفة الى ديبس بشأنه وانه خرج عن جواره فلقى امره بالطاعة وبعث اليه وهو بواسط عسكرياً من قبله وقبض عليه وبعثه الى اخيه المسترشد . وكان مسعود اخو السلطان محمد بالموصل ومعه اتابكته حيوس بك فاعتزما على قصد العراق لغية السلطان محمود عنه فسار لذلك ومعه وزيره فخر الملك ابو علي ابن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي بن اقسنقر وكروباري بن خراسان التركاني صاحب البواريج وابو الهيجاء صاحب اربل وسنجار فلما قاربوا بغداد خاف البرسقي شأنهم وبعث اليه الملك مسعود وحيوس بك انهم انما جاؤا نجدة على ديبس . وكان البرسقي انما ارتاب من حيوس بك فصالحهم ودخل مسعود بغداد ونزل دار المملكة . وجاء منكبرس في العساكر فساد البرسقي عن بغداد لخاربه ودفعه فمال الى النعمانية وعبر دجلة واجتمع مع ديبس بن صدقة وكان ديبس قد صانع مسعوداً وصاحبه بالهدايا والاطاف مدافعة عن نفسه فلما لقيه منكبرس اعتضد به وخاف على السلطان مسعود فسار اليهم بمساكره للقائهم فخاف عن اللقاء لكثرة من معها فبقي الفريقان مدة بلا قتال حتى اتاهم كتاب الخليفة بوجوب الصلح وترك القتال فاصطالحوا وعاد ديبس الى الحلة

وفي سنة ٥١٤ هـ خالف السلطان مسعود على اخيه السلطان محمد وكان

دييس من أعظم المخرضين له على العصيان . وجمع مسعود جيوشه وجيوش من ناصره على هذا الامر وبينهم ديبس المذكور وساروا لقتال السلطان محمود فانهزموا امامه وعادوا خاسرين فبادر ديبس لطلب الامان بعد ان ارسل حرمه الى البطيحة وسار بامواله عن الحلة وأمر بنهبها فوصل السلطان الى الحلة فوجدها خاوية على عروشها فرجع عنها . وارسل ديبس اخاه منصوراً لاصلاح الحال بينه وبين السلطان فامسكه السلطان وسمله فحزن ديبس لذلك جداً وابس السواد وحصلت بينه وبين البرسقي وقائع اسر فيها عفيماً خادماً الخليفة ناطقة وحمله الى المسترشد عقاباً ووعيداً على سمل اخيه فغضب الخليفة وسار لحرب ديبس فكانت بينهما حروب انهزم فيها ديبس واسر جماعة من اصحابه فقتلوا صبراً وسبيت حرمه ورجع المسترشد الى بغداد يوم عاشوراء من سنة ٥١٧ هـ

ونجا ديبس وعبر الفرات وقصد غزنة من عرب نجد مستنصرًا بهم فابوا عليه فسار الى المنيقي وحالفهم على أخذ البصرة فدخلوا ونهبوا أهلها وقتل مقدم عسكريها فبعث المسترشد الى البرسقي بالعتاب على اهمال امر البصرة فتجهز البرسقي للانحدار اليها فعارقها ديبس ولحق بقلعة جعبر وصار مع الافرنج (الصليبيين) واطمعهم في حلب وسار معهم لحصارها سنة ٥١٨ هـ فامتنعت عليهم فعادوا عنها . ولحق ديبس بالملك طغرل بك ابن السلطان محمد فاغراه بالمسير الى العراق وسهل عليه أمر امتلاكه . فسمع له وسار معه بالعساكر الى العراق وملكوا بغداد ونهبوها ثم أجلاهم عنها الملك محمود فلحقوا بالسلطان سنجر بخراسان مستنجدين به وحسن له ديبس الاستيلاء على العراق وخيل له ان المسترشد والسلطان محموداً متفقان على أبعاده ولم يزل يفتل له الذروة والغارب حتى حرك حفيظه لذلك وسار الى العراق سنة ٥٢٢ هـ فوصل الى الرمي وأستدعى السلطان محموداً من همدان يخبر ما خيل له ديبس فجاء محمود مبادراً واكذب ديبساً فيما خبل وأمر السلطان سنجر العساكر بتلقي محمود وأجاسه معه على التخت واقام عنده الى آخر سنة ٥٢٢ هـ ثم عاد الى خراسان بعد ان اوصاه باعادة ديبس الى بلده فرجع السلطان محمود الى

همذان وديس معه ثم سار الى بغداد سنة ٥٢٣ هـ وأنزل ديساً بداره واسترضى له الخليفة فرضي عنه ولكنهم أمتنع عن ولايته فضمن الامير ابن قزل والاحمديلي ديساً الى السلطان محمود فاعاده لولايته

فلما عاد السلطان محمود من العراق الى همذان منتصف سنة ٥٢٣ هـ وكان قد ألم به مرض أخذ ديس ابنه الصغير وقصد العراق لجمع المسترشد لمدافعته وكان بهرور شحنة بغداد بالحلة فهرب عنها. وملكها ديس

وأصل الخبر بالسلطان محمود فاحضر الامير ابن قزل والاحمديلي ضامني ديس وطالبهما بالضمن فسار الاحمديلي في اثر ديس. وجاء السلطان الى العراق فالحق ديس بالبصرة ونهبها وأخذ ما في بيوت الاموال وبعث السلطان في اثره العساكر فدخل البرية. وجاءه عند مفارقتة البصرة قاصد من صرصر يستدعيه والسبب في ذلك ان صاحبها توفي في هذه السنة وخلف سرية له فاستولت على القلعة وارادت أن تتم أمرها برجل له قوة ونجدة فوصف لها ديس وحاله في العراق وكثرة عشيرته فكتبت اليه تستدعيه ليتزوج بها وتملكه القلعة بما فيها فلحقه كتابها بعد مفارقتة البصرة فاخذ الادلاء معه وسار من أرض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من بني كلب كانوا شرقي القوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وبعث فيه عماد الدين زنكي وكان عدوه وكان عنده ابن تاج الملوك مأسوراً في واقعة كانت بينهما فطلب أن يبعث اليه ديساً ويفادي به ابنه والامراء الذين معه ففعل ذلك تاج الملوك. وحصل ديس في يد زنكي وقد ايقن بالهلاك لكن زنكي أطلقه وحل له الاموال والدواب وأكرم وفادته واستمر ديس مقيماً مع زنكي حتى أنحدر معه الى العراق كما سذكه أن شاء الله

في سنة ٥٢٦ هـ نازع مسعود وسلجوق ابن اخيهما داود بعد وفاة ابيه السلطان محمود ثم استقر الامر للسلطان مسعود. وكان اخوهما طغرل عند عمهما سنجر بنخراسان وكان كبير بيت أهل السلجوقية وله الحكم على ملوكهم فنكر على

السلطان مسعود لقتاله سلجوق وطغرل وسار به الى العراق وانتهى الى همدان وبعث الى عماد الدين زنكي فولاه شحنة بغداد والى ديبس بن صدقة وهو عند زنكي فقطعه الحلة . وتجهز السلطان مسعود لقتال سنجر وطغرل واستدعى الخليفة للحضور معه فخرج من بغداد معه فانهمز السلطان مسعود أمام عمه سنجر وولى سنجر الملك طغرل وخطب له في جميع البلاد

وفي هذه الاثناء كان قد وصل عماد الدين زنكي وديس بن صدقة واستولوا على بغداد فعلم الخليفة المسترشد وهو راجع من المعركة بذلك فاسرع بالعود الى بغداد وقاتل عماد الدين زنكي وديس بن صدقة وهزمهما ودخل بغداد ولحق ديبس الى بلاد الحلة وكانت بيد اتباع الخليفة فارسل اليه الخليفة العساكر لقتاله فهزموه وشدوا شمله ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم الى عسكرها فملكها سنة ٥٢٧ هـ فبعث الخليفة اقبال الخادم وبرئقش الشحنة بالعساكر الى ديبس فلقبهم في عسكر واسط وانهمز وسار الى السلطان مسعود واقام عنده

واقام ديبس بن صدقة عند السلطان مسعود الى سنة ٥٢٩ هـ وفيها كانت الحرب بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد وانهمز المسترشد ووضع في خيمته واتفق وصول السلطان سنجر فخرج مسعود لاستقباله وترك الخليفة وحده في خيمته فقام عليه الباطنية وقتلوه كما تقدم ذكر ذلك فلما قتل الباطنية الخليفة انهم السلطان مسعود ديبسا بقتله وقتله بهذه التهمة

٢٩٠ - صدقة بن ديبس

من سنة ٥٢٩ هـ - ٥٣٢ هـ أو من سنة ١١٣٤ - ١١٣٧ م

ولما قتل ديبس بن صدقة كان ابنه صدقة مقيما بالحلة فاجتمعت اليه عساكر ابيه وياهموه وأسر السلطان مسعود الشحنة بك ايه بمعاجلته وأخذ الحلة . منه فخام عن ذلك لكثرة من مع صدقة بن ديبس فلما رجع السلطان مسعود الى بغداد

سنة ٥٣١ هـ صالحه صدقة بن ديس وأطاعه وقاتل معه الفائمين عليه
وفي سنة ٥٣٢ هـ خرج صدقة بن ديس مع السلطان مسعود لقتال صاحب
فارس وخوزستان فقتل في تلك الحرب

٢٩١ - محمد بن صدقة

من سنة ٥٣٢ هـ - ٥٤٠ هـ أو من سنة ١١٣٧ - ١١٤٥ م

لما قتل صدقة بن ديس كما تقدم ولى السلطان مسعود بدمه ابنه محمداً علي
الحلة وجعل معه مهمل بن ابي عسكر واستقام أمره بالحلة
وفي سنة ٥٤٠ هـ خالف عليه عمه علي بن ديس وتحصن بقلمة تكريت فإشار
مهمل على السلطان مسعود بالقبض عليه فلم علي بن ديس بذلك فهرب من
تكريت ولحق ببني أسد وجمعهم وسار بهم الى الحلة فخرج اليه محمد فهزمه علي وملك
الحلة . واستهان السلطان بأمره أولاً ولكنه لم يلبث حتى استغفل

٢٩٢ - علي بن ديس

من سنة ٥٤٠ هـ - ٥٤٥ هـ أو من سنة ١١٤٥ - ١١٥٠ م

فلما استغفل أمر علي بن ديس وقوي أمره بالحلة وكثر جمعه سار اليه مهمل
فبين معه من العسكر من بغداد فقاتلهم علي وهزمهم وعادوا منهزمين الى بغداد .
وكان أهل بغداد يتعصبون لعلي بن ديس فازعجوا مهملًا عن اللحاق به مرة
أخرى . فصارت يد علي بن ديس فوق كل يد في أوضاع الأمراء بالحلة وتهصرف
فيها وصار شحنة بغداد فاطاعته الناس . ولكنه أساء السيرة في الرعية حتى رفعوا
شكاوهم ضده الى السلطان مسعود سنة ٥٤٢ هـ فغلبه عن الحلة واقطعها سلار كرد

فسار اليها من همدان وجمع عسكرياً من بغداد وقصد الحلة واحتاط على أهل علي وأقام بالحلة . ولحق علي بن ديبس بالتشكنجر في أقطاعه بالاحف مستنجداً به فانجده وسار معه الى واسط وسار معها الطرناي صاحب واسط فانزعوا الحلة من سلاركرد فرجع الى بغداد آخر سنة ٥٤٢ هـ واستولى علي على الحلة وفي سنة ٥٤٤ هـ انتقض علي بن ديبس والتشكنجر والطرناي على الملك مسعود وقطعوا خطبته وخطبوا للملك ملك شاه ابن السلطان محمود وساروا به الى العراق وراسلوا الخليفة المقتني في الخطبة له فامتنع وجمع المساكر وحصن بغداد وارسل الى السلطان مسعود بالخبر فشغل عنهم بقاء عمه السلطان سمنجر كان سار اليه بالري . فلما علم التشكنجر بمراسلة الخليفة للسلطان مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علي بن ديبس فهرب الطرناي خوفاً الى النعمانية . ثم وصل السلطان مسعود الى بغداد فرحل التشكنجر من النهروان وأطلق علي بن ديبس فسار الى السلطان مسعود فلقية ببغداد واستعطفه فرضي عنه وفي سنة ٥٤٥ هـ توفي علي بن ديبس بن صدقة صاحب الحلة وبموته انقرضت الدولة المزيرية والبقاء لله وحده

٢٩٣ - الدولة الزيرية بغرناطة (بالاندلس)

(تمهيد) لما استبد بادي بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بافريقية سنة ٣٨٥ هـ ولي عمومته وقرابته ثغور عمله . ثم كانت الحرب بينه وبين زيري بن عطية المغراوي صاحب المغرب الاقصى وخام عن لقائه في جيوش المنصور بن أبي عامر التي كان قد امدده بها كما تقدم ذكر ذلك فلما رجع بادي بلا قتال خاف عليه عمه حماد بن بلكين فقاتله بادي وانصر عليه . وكان لحامد بن بلكين عم يقال له زاوي بن زيري بن مناد فهذا ما رأى الفتنة بين قومه قد امتدت فضل فراقهم فاجاز البحر الى الاندلس في بنييه وبني اخيه

وحاشيته ونزل على المنصور بن أبي عامر المتسلط على الدولة في ذلك الوقت فاصطنعهم لنفسه وأكرم وفادتهم واتخذهم بطانة لدولته فاستمروا كذلك الى أن انقضى امر الدولة العامرية ونشأت الفتننة بالاندلس وأنحل نظام الخلافة فيها فعهد زاوي بن زيري الى البيرة ونزل غرناطة واتخذها داراً لملكه وهو رأس هذه الدولة

٢٩٤ - زاوي بن زيري

من سنة ٤٠٣ - ٤٢٠ هـ أو من سنة ١٠١٢ - ١٠٢٩ م

واستولى زاوي على ملك غرناطة وأطاعه أهلها واستمر له الامر كذلك حتى بايع العامريون المرتضي المرواني سنة ٤٠٨ هـ فقصد غرناطة سنة ٤٢٠ هـ في عساكره فلقبهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة وهزمهم في السنة المذكورة وأصاب من زخائرهم وأموالهم شيئاً كثيراً . ثم وقع في نفسه سوء اثار البربر بالاندلس أيام هذه الفتنة وحذر مغيبته فارتحل الى سلطان قومه بالقيروان واستخلف على غرناطة أبنه وانا بن زاوي وذلك سنة ٤٢٠ هـ

٣٩٥ - وانا بن زاوي

من سنة ٤٢٠ - ٤٢١ هـ أو من سنة ١٠٢٩ - ١٠٣٠ م

واساء وانا السيرة في أهل غرناطة فبعث أهل غرناطة الى ابن عمه حبوس ابن ماكسن بن زيري وكان مقيماً في بعض الحصون فاسرع الى غرناطة واستولى عليها

٢٩٦ - حيوس بن ماكسن بن زيري

من سنة ٤٢١ - ٤٢٩ هـ أو من سنة ١٠٣ - ١٠٣٧ م

فاسميد حيوس بن ماكسن بن زيري بغرناطة الى أن توفي سنة ٤٢٩ هـ

٢٩٧ - باديس بن ماكسن

من سنة ٤٢٩ - ٤٦٧ هـ أو من سنة ١٠٣٧ - ١٠٧٤ م

لما توفي حيوس بن ماكسن بن زيري تولى بعده ابنه باديس بن حيوس ابن ماكسن وكانت بينه وبين ذي النون وابن عباد حروب واستولى على سلطانه كاتبه اسماعيل بن نغزلة الذي ثم نكبه وقتله سنة ٤٥٩ هـ وقتل معه خلقاً من اليهود ثم توفي باديس بن ماكسن سنة ٤٦٧ هـ

٢٩٨ - المظفر أبو محمد عبد الله بهرليكين

من سنة ٤٦٧ - ٤٨٣ هـ أو من سنة ١٠٧٤ - ١٠٩٠ م

لما توفي باديس بن ماكسن تولى بعده حافده المظفر أبو محمد عبد الله بن بهرليكين بن باديس وولى اخاه تقياً بمالقة بعهد من جده وخامها المرابطون سنة ٤٨٣ هـ وانقرض أمرهم .

٢٩٩ - الدولة الحمدية بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ولد ادريس اجاز هو واخوه القاسم الى الاندلس في جملة من اتباعها وصاروا في جملة المستعنين مع أمراء العدو من البربر فعقد لهما المستعنين فيمن عقده

من المغاربة عقد لعلي على طنجة وعملها ولقاسم وكان الاسن على الجزيرة الخضراء .
 وكان في نفوس المغاربة والبرابرة تشييع لاولاد ادريس فابتدأ علي بن حمود
 يبتث دعوته سرا . ولما حصلت فتنة البربر بالاندلس وحاصروا قرطبة بدعوة
 المستعين واقتحموها وقتلوا هشاماً المتغلب عليها اغتتم علي بن حمود هذه الفرصة
 وظهر دعوته جهاراً وتعصب معه الكثير من البربر وهو حينئذ بسببة

٣٠٠ - علي بن حمود

من سنة ٤٠٦ - ٤٠٨ هـ او من سنة ١٠١٥ - ١٠١٧ م

لما اقتحم البربر قرطبة وقتلوا هشاماً بدعوة سليمان المستعين بالله خالف عليه
 الفتي خيران العامري لانه لم يكن راضياً عن ولايته فقاتله المستعين وهزمه واصابه
 جراح كثيرة وقع منها طريحاً حتى ظنوه مات فتركوه ولكنهم لم يمت بل قام بهمد
 ان تركوه وشفي من جراحه وخرج سرا الى شرق الاندلس

واستولى على المرية وما جاورها وعظم أمره وكان يخطب في بلاده هشام الموند
 ظناً منه انه في قيد الحياة . فلما رأى علي بن حمود هذه الفتن طمع في ملك الاندلس
 فكتب لخيران الفتي العامري يعلمه بموت هشام الموند وانه ولده عهده والاخذ بشاره
 ان هو قتل . فخطب خيران لعلي بن حمود واستمال الناس للخروج معه على سليمان
 المستعين وأرسل استدعى علي بن حمود من سبتة فأجاز البحر الى الاندلس والتقاءه
 خيران ومن وافقه بالمنكب وهي بين المرية ومالقة سنة ٤٠٦ هـ فقرر رأيهم على قصد
 قرطبة فتجهزوا وساروا الى قرطبة وبايعوا لعلي بن حمود . فلما علم بهم المستعين
 خرج اليهم في جموع البربر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز سليمان والبربر
 وأخذوا اسيراً فحملوا الى علي بن حمود فاعتقه هو واخوته ودخل علي بن حمود
 قرطبة في المحرم سنة ٤٠٧ هـ وقتل سليمان في ٧ محرم من السنة واستولى على قرطبة
 ودعا الناس الى بيعته فبويع واجتمع له الملك ولقب المتوكل على الله

ثم خالف عليه خيران الفتي العامري لانه نقل اليه ان علياً يسعى في قتله
فخرج من قرطبة واطهر الخلاف وسأل عن بني أمية فدل على عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموي وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً
ونزل بجيان فبايعه خيران وغيره ولقبوه المرتضي وساروا جميعاً الى غرناطة فقاتلهم
صاحبها زاوي بن زيري وقتل المرتضي في هذه الواقعة ورجع خيران الى جيان .
واتصلت هذه الاخبار بعلي بن حمود فتجهز للسير الى جيان لقتال خيران
فلما كان يوم ٢٨ ذي القعدة سنة ٤٠٨ هـ برزت العساكر الى ظاهر قرطبة
ووقفوا ينتظرون خروجه أما هو فكان قد دخل الحمام فقتله غلماناً فلما طال على الناس
انتظاره بحثوا عنه فوجدوه مفتولاً فعاد المسكر الى البلد . وكان علي بن حمود حسن
السيرة يحب المدح ويجزل العطاء عليه

٣٠١ - القاسم بن حمود

من سنة ٤٠٨ - ٤١٥ هـ او من سنة ١٠١٧ - ١٠٢٤ م

لما توفي علي بن حمود بايع الناس اخاه القاسم ولقب المأمون فلما استقر ملكه
كاتب العامريين واستألفهم . وبقي مالكاً قرطبة الى سنة ٤١٢ هـ وفيها سار من
قرطبة الى أشبيلية فخالفه ابن اخيه يحيى بن علي بن حمود من مالقة الى قرطبة
ودخلها بلا مانع ودعا الناس الى بيعته فاجابوه وبايعوه في مستهل جمادى الاولى
سنة ٤١٢ هـ ولقب المملي . وبقي بقرطبة يدعي له بالخلافة وعمه القاسم بأشبيلية
وفي سنة ٤١٣ هـ سار يحيى عن قرطبة الى مالقة وعلم عمه بذلك فأسرع الى
قرطبة فدخلها يوم ١٨ ذي القعدة سنة ٤١٣ هـ واقام بها شهراً ثم اضطرب أمره
بها وسار ابن اخيه يحيى بن علي الى الجزيرة الخضراء وغاب عليها وبها اهل عمه
وماله . وغلب اخوه ادريس بن علي صاحب سبتة على طنجة فلما ملك ابنا اخيه
بلادهم طمع الناس فيه وثار عليه اهل قرطبة ونقضوا طاعته و بايعوا المستظهر ثم

للمستكني من بني أمية كما تقدم ذكر ذلك في الدولة الاموية بالاندلس ولحق المأمون و برابرة بالارباض واعتصموا به وقتلوا دونه وحاصروا المدينة ٥٠ يوماً ثم عزم اهل قرطبة لدافعتهم فافرجوا عن الارباض وانفضت جموعهم سنة ٤١٤ هـ ولحق المأمون بأشبيلية وبها ابنه محمد ومحمد بن زيري من رجالات البربر فاطمعه القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد في الملك وان يمتنع من القاسم فمعهه واخرجوا اليه ابنه وضبطوا بلدهم ثم اشتد ابن عباد واخرج محمد بن زيري وملك المدينة . أما القاسم فاحق بشر يش ورجع عنه اكثر البربر الي يحيى المعتلي ابن اخيه فبايعوه سنة ٤١٥ هـ وزحف الى عمه المأمون بشر يش فتغلب عليه وأسره ولم يزل عنده أسيراً وتمتد اخيه ادريس من بعده بمالقة الى ان توفي في محبسه سنة ٤٢٧ هـ

٣٠٢ . يحيى بن علي بن محمود

من سنة ٤١٥ - ٤٢٦ هـ او من سنة ١٠٢٤ - ١٠٣٤ م

واسنقل يحيى المعتلي بن علي بالامور واعتقل محمداً والحسن ابني عمه القاسم المأمون بالجزيرة الخضراء ووكل بها من يحفظها واستمر كذلك الى ان خلع اهل قرطبة المستكني بالله الاموي وقتلوه فخطبوا بعده للمعتلي يحيى بن علي وكشبو اليه بمالقة وخطبوه بالخلافة وخطبوا له في رمضان سنة ٤١٦ هـ فاجابهم الى ذلك وأرسل اليهم عبد الرحمن بن عطف اليفرني واليا عليهم فبقي هذا في قرطبة الى محرم سنة ٤١٧ هـ فسار اليه مجاهد وخيران العامر يان في ربيع الاول في جيش كثير فلما قاربوا قرطبة ثار اهلها بعبد الرحمن بن عطف فاخرجوه بعد ان قتلوا من اصحابه جماعة واستولى خيران ومجاهد على قرطبة واقاموا بها نحو شهر ثم اختلفوا فخاف احدهما من الآخر فعاد خيران الى المرية وبقي مجاهد بعده مدة ثم عاد الى دانية فبايع اهل قرطبة للمعتد اخي المرتضي الاموي ثم خلعوه واستبد بأمر قرطبة الوزير ابن جمهور بن محمد . وأقام المعتلي يحيى بن علي بمالقة يتر بصر لهم ويردد اليهم المساك

لحصارهم من وقت لا آخر حتى اتفق البربر على طاعته وسلموا اليه ما بأيديهم من
الحصون والمدن فقوي وعظم شأنه وظهره محمد بن عبد الله البرزالي على أمره
فسار اليه بقرمونة واقام فيها محاصراً لاشبيلية طامعاً في الاستيلاء عليها من يد ابن
عباد الى ان توفي سنة ٤٢٦ هـ غدر به محمد بن عبد الله البرزالي وبهوته انقطعت
دولة بني حمود بقرطبة وانحصر ملكهم في مالقة

٣٥٣ - ادريس بن علي بن حمود

من سنة ٤٢٧ - ٤٣١ هـ او من سنة ١٠٣٥ - ١٠٣٩ م

لما توفي يحيى بن علي رجع احمد بن موسى بن بقية وانقاد نجا الصقلي
وزيرا دولة الحمدية الى مالقة دار ملكهم واستدعوا أخاه ادريس بن علي بن
حمود من سبتة وطنجة وكانت اقطاعه في مدة حياة اخيه وبايعوه بالخلافة واشترطوا
عليه ان يولي سبتة حسن بن أخيه يحيى فقبل هذا الشرط فتم أمره بالخلافة وتلقب
المنأيد بالله وبايعه اهل المرية وأعمالها وورندة والجزيرة

وفي سنة ٤٣١ هـ سار القاضي ابو القاسم بن عباد ولده اسماعيل في عسكر ليقابل
على البلاد فاستولى على قرمونة واشبونة واستنجد فاستنجد صاحبها ادريس بن علي
وباديس بن عموس صاحب صنهاجة فاتاه صاحب صنهاجة بنفسه وأمدّه ادريس
بعسكر بقية ابن بقية مدبر دولته فلم يحسروا على اسماعيل بن عباد فعادوا عنه
فسار اسماعيل مجدداً لياخذ على صنهاجة الطريق فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس
قبل ذلك بقليل فارسلت صنهاجة من ردهم فعادوا وقاتلوا اسماعيل بن عباد
فلم يلبث أصحابه ان انهزموا وأسلموه فقتل وحمل رأسه الى ادريس ولم يكن ادريس
مصدّقاً بانهصار جيوشه على ابن عباد حتى انه لحوفه العاقبة ولا يقانه انتصار ابن عباد
انتقل من مالقة الى جبل يحتمي به واصابه المرض لكثرة القتال بهذا الامر فلما

جاؤا له براس ابن عباد كان قد أشرف على الهلاك فعاش بعد ذلك يومين
ثم توفي

٣٠٤ الحسن بن يحيى بن علي

من سنة ٤٣١ - ٤٣٤ هـ او من سنة ١٠٣٩ - ١٠٤٢ م

لما توفي ادريس بن علي بايع ابن بقرية ابنه يحيى بن ادريس بماله بعده
وكان نجبا الصقلي بسببة فبايع للحسن بن يحيى بن علي بن حمود وسار معه في
جموعهما الى مالفة فهرب عنها ابن بقرية ودخلها الحسن بن يحيى ونجبا الصقلي ثم
استمالا ابن بقرية حتى حضر فقتله الحسن وقاتل ابن عمه يحيى بن ادريس . وبايع
الزاض الحسن بالخلافة واقتب المستنصر بالله وبعد ان استتب له الامر رجع نجبا
الصقلي الى سببة وترك معه الحسن المستنصر نائبا له يعرف بالشطيفي فبقي الحسن
كذلك نحواً من سنتين ثم مات سنة ٤٣٤ هـ فقبل ان زوجته ابنة عمه ادريس
سمته بشار أخيها يحيى فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفي ادريس بن يحيى
وكتب الى نجبا وابن الحسن المستنصر بسببة ليعقد له فاغتال نجبا ابن الحسن وسار
الى مالفة عازماً على محو دولة الحمديين ايسئد هو بالامر ولكنه لما أظهر قصده
هذا لابر لم يقيأوه وقتلوه وقتلوا الشطيفي واحضروا ادريس بن يحيى بن علي
وبايعوه

٣٠٥ ادريس بن يحيى

من سنة ٤٣٤ - ٤٣٨ هـ او من سنة ١٠٤٢ - ١٠٤٦ م

واستتب الامر لادريس بن يحيى وتلقب بالعالى وولى على سببة سكوت
ورزق الله من عبيد ابيه ثم قتل محمدا وعسنا ابني عمه ادريس فثار ضده السودان

بدعوة أخيهما محمد بمالقة وامتنعوا بالقصبة . ثم ارسل محمد الى ادريس بن يحيى
فجاء اليه وثنائزل له عن الخلافة سنة ٤٣٨ هـ . واعتقله محمد

٣٠٦ - محمد بن ادريس بن علي

من سنة ٤٣٨ - ٤٥٠ هـ او من سنة ١٠٤٦ - ١٠٥٨ م

وتلقب محمد هذا بالمهدي وولى أخاه عمده ولقبه السامي ثم نكر منه بعض
الزغات فنفاه الى العدوة فأقام بن غارة
وكان محمد المهدي هذا شديد البطش بأعدائه فهان به البربر وخافوه وراسلوا
الموكل بادر يس بن يحيى فأجابهم الى اخراجه واخرجه وبايع له وخطب له بسبنة
وطنجة وبقى بها الى ان توفي سنة ٤٤٦ هـ
ولما نفى المهدي اخاه السامي وسار الى غارة اطاعوه وبايعوه . ولما توفي
ادر يس بن يحيى خاطب البربر محمد بن القاسم بالجزيرة واجتمعوا اليه وبايعوه
بالخلافة وتلقب بالمهدي ايضاً . فن ذلك ترى ان الفوضى ضربت اطناها في
تلك الربوع الامر الذي أدى الى زوال ملك جسيمهم
واستمر محمد بن ادريس بمالقة الى ان توفي سنة ٤٥٠ هـ ولما توفي محمد
ابن ادريس قصد ادريس بن يحيى مافة واستولى عليها ولكنه لم تطل مدته ثم
انتقلت الى صنهاجة وانقرض امر الحمد بن

٣٠٧ - الدولة الطهوية بسر قنطرة بالاندلس

(تمهيد) لما انتثر ملك الخلافة العربية بالاندلس واقترب الجماعة بالجهات
وصار ملكها طوائف من الموالي والوزراء كان ابو ايوب سليمان بن محمد بن هود
الجنامي مقياً بمدينة تطيلة فاستبد بها وملكها وتلقب المستعين بالله وذلك سنة ٤١٠ هـ

٣٠٨ - سليمان بن محمد بن هود

من سنة ٤١٠ - ٤٣٥ هـ او من سنة ١٠١٩ - ١٠٤٣ م

ولما استولى سليمان على تطيلة كان منذر بن مطرف بن يحيى العجبي قد استولى على سرقسطة والثغر وتلقب المنصور واقام بها الى ان توفي سنة ٤١٤ هـ فتولى بعده ابنه وتلقب المظفر فطمع فيه سليمان وسار اليه الى سرقسطة وقتلها واستولى عليها وقتل المظفر ففر ابن للمظفر الى لاردة واستولى عليها وجمع بها جموعاً كثيرة وجاءهم الى سرقسطة وحاصرها لكنه لم يتمكن من فتحها فعاد عنها خائباً واستمر سليمان ملكاً بسرقسطة الى ان توفي سنة ٤٣٥ هـ

٣٠٩ - المقدر احمد بن سليمان

من سنة ٤٣٥ - ٤٧٤ هـ او من سنة ١٠٤٣ - ١٠٨١ م

لما توفي سليمان بن محمد بن هود تولى بعده على سرقسطة ابنه احمد وتلقب المعتدر واتبع سيرة ابيه الى ان توفي سنة ٤٧٤ هـ لتسع وثلاثين سنة من ملكه

٣١٠ - يوسف بن احمد

من سنة ٤٧٤ - ٤٧٨ هـ او من سنة ١٠٨١ - ١٠٨٥ م

لما توفي احمد بن سليمان تولى بعده ابنه يوسف بن احمد وتلقب المؤتمن وكان عالماً بالعلوم الرياضية وله فيها تأليف مثل الاستهلال والمناظر وتوفي سنة ٤٧٨ هـ

٣١١ - احمد بن يوسف

من سنة ٤٧٨ - ٥٠٣ هـ او من سنة ١٠٨٥ - ١١٠٩ م

ولما توفي يوسف بن احمد تولى بعده ابنه احمد وتلقب المستمين بالله كلقب جده وفي ايامه كانت وقعة وسقة زحف سنة ٤٨٩ هـ في جموع لا تحصى من المسلمين لقتال الافرنج فانهمزم المسلمون وقتل منهم اكثر من عشرة آلاف رجل . وأقام اميراً بسرقسطة الى ان توفي سنة ٥٠٣ هـ شهيداً بظاهر سرقسطة في زحف الفونس السادس ملك اراغون (يلقبه مؤرخو المسلمين بالطاغية) اليها

٣١٢ - عبد الملك بن احمد

من سنة ٥٠٣ - ٥١٣ هـ او من سنة ١١٠٩ - ١١١٩ م

لما توفي احمد بن يوسف تولى بعده ابنه عبد الملك وتلقب عماد الدولة وفي سنة ٥١٢ هـ زحف الفونس (الطاغية) الى سرقسطة بجيش كثيف وقاتل عبد الملك قتالاً شديداً واستولى على سرقسطة من يده فلقق عبد الملك بروطة من حصونها واقام بها الى ان توفي سنة ٥١٣ هـ

٣١٣ - احمد بن عبد الملك

من سنة ٥١٣ - ٥٣٦ هـ او من سنة ١١١٩ - ١١٤١ م

لما توفي عبد الملك بن احمد تولى بعده ابنه احمد وتلقب سيف الدولة والمستنصر والى النكاية في الطاغية ثم سلم له روطه على ان يملكه بلاد الاندلس فانتقل معه الى طليطلة بحشمه وأمواله وأقام بها الى ان هلك سنة ٥٣٦ هـ وانقرض أمرهم ثم ظهر منهم محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان

المستعين بن محمد بن هود وثار على دولة الموحدين عند فشلها وسسند كر اخباره
متفرقة في دولة الموحدين ان شاء الله

٣١٤ - الدولة العامرية ببلمسية وواينمة بالاندلس

« تمهيد » لما تفرق ملك الاندلس طوائف كان للامرين فيه مملكتان
احدهما اسمها مجاهد العامري ومركزها دانية وجزائر ميوركا ومنوركا والاخرى
اسمها خيران العامري ومركزها بلنسية ولان هاتين المملكتين من اصل واحد
فسند كرها الآن تحت اسم الدولة العامرية انما قسمها الى قسمين القسم الاول
دولة مجاهد العامري والقسم الثاني دولة خيران العامري فنقول وعلى الله الاتكال

القسم الاول

٣١٥ - مجاهد العامري

من سنة ٤١٢ - ٤٣٦ هـ او من سنة ١٠٢١ - ١٠٤٤ م

كان مجاهد بن يوسف بن علي من فحول الموالي العامريين وكان المنصور
ابن ابي عامر قد رباه وعلمه مع مواليه القراآت والحديث والعربية فكان مجيداً
في ذلك . فلما كانت الفتنة البربرية الشهيرة خرج مجاهد من قرطبة هو والموالي
العامريون وكثير من جند الاندلس سنة ٤٠٠ هـ وبايعوا المرتضي الاموي كما ذكرنا
ذلك ولقيهم زاوي بن زيري بفحص غرناطة فهزمهم وبدد شملهم ثم قتل المرتضي
بج تقدم . وسار مجاهد الى طرطوشة فلما تم تركها وانتقل الى دانية واستقل بها
سنة ٤١٢ هـ واستولى على جزائر ميوركا ومنوركا سنة ٤١٣ هـ واستعمل عليها المعيطي
فأراد الاستبداد ومنع طاعة مجاهد فلم يوافقه اهل ميوركا على ذلك وعزل مجاهد
وولى مكانه عبد الله ابن اخيه فغزا سردينية في الاساطيل واقتحمها وكانت بينه

و بين اهلها وقائع كثيرة اسرى احداها ابنه فبذل فيه مالا كثيرا فداه به واستمر واليا على جزائر ميوكا ومنوركا خمس عشرة سنة ثم توفي فولي مجاهد عليها بعد ابن اخيه مولاه الاغلب سنة ٤٢٨ هـ

وكان بين مجاهد صاحب دانية وبين خيران صاحب مرسية وابن ابي عامر صاحب بلنسية حروب ووقائع يطول شرحها الى ان توفي مجاهد سنة ٤٣٦ هـ

٣١٦ - علي بن مجاهد

من سنة ٤٣٦ - ٤٧٤ هـ او من سنة ١٠٤٤ - ١٠٨١ م

لما توفي مجاهد العامري تولى بعده ابنه علي بن مجاهد وتلقب اقبال الدولة . وكان علي محبا لاهل العلم كثير الاحسان اليهم وكان حسن السياسة فصاهرا لمقتدر ابن هود وحافنه واستمر الحال بينهما على اتفاق ووئام حتى وقعت بينهما الفتنة سنة ٤٦٨ هـ فزحف ابن هود الى دانية واخرج علي بن مجاهد منها ونقله الى سرقسطة فاقام بها الى ان توفي سنة ٤٧٤ هـ

٣١٧ - ابو عامر بن علي

من سنة ٤٧٤ - ٤٧٨ هـ او من سنة ١٠٨١ - ١٠٨٥ م

لما توفي علي بن مجاهد بمعتقله بسرقسطة لحق ابنه أبو عامر بالافرنجة واستمدم على ابن هود فامدوه بشروط اشترطوها عليه فتغلب على بعض حصونه وملكها وتلقب سراج الدولة . وفي سنة ٤٧٨ هـ زحف اليه المومنين بن هود واستولى على ما كان بيده وانقرض ملكهم

القسم الثاني

٣١٨ - خيران العامري

من سنة ٤٠٤ - ٤١٩ هـ او من سنة ١٠١٣ - ١٠٢٨ م

كان خيران الفتي العامري من موالي العامرين ومن المتقدمين في دولتهم وكانت له يد اثناء الفتنة البربرية كما تقدم ذكر ذلك فلما تولى اصحاب الاطراف كل على ما في يده انقلب خيران العامري على اربولة سنة ٤٠٤ هـ ثم ملك مرسية سنة ٤٠٧ هـ ثم حيان ثم المرية سنة ٤٠٩ هـ وبايع المنصور بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر ثم انقض خيران على المنصور وسار من المرية الى مرسية واقام بها ابن عم المنصور أبا عامر محمد بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر الذي خرج اليه من قرطبة من حجرة القاسم بن حمود لهذا الغرض فبايعه ولقبه الموثق ثم المعتصم ثم تنكر عليه واخرجه من مرسية فلحق بالمرية واغرى بها الموالي فاخذوا ماله وطرده وخلق بغرب الاندلس الى ان مات واقام خيران أميراً على مرسية الى ان توفي سنة ٤١٩ هـ

٣١٩ - زهير العامري

من سنة ٤١٩ - ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٢٨ - ١٠٣٧ م

لما توفي خيران الفتي العامري قام بالامر بعده أبو القاسم زهير العامري وتلقب عميد الدولة واستمر أميراً على مرسية الى ان كانت سنة ٤٢٩ هـ وفيها زحف الى غرناطة فبرز اليه باديس بن حبوس صاحبها وهزمه وقتل زهير بظاهر غرناطة

٣٣٠ - المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن

من سنة ٤٢٩ - ٠٠ او من سنة ١٠٣٧ - ٠٠ م

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر بويع سنة ٤١١ هـ عقب الفتنة المشهورة بشاطبة وتلقب المنصور راطع المولي العاميون وخطبوا له ثم ثار عليه اهالي شاطبة فلحق ببلنسية فلكها وفوض أمرها للموالي .
وكان خيوان العامري مباحاً للمنصور هذا كما تقدم ثم خاف عليه واستقل بمرسية الى ان توفي بها واستولى عليها بعده زهير العامري الى ان قتل سنة ٤٢٩ هـ .
فلما قتل زهير العامري ارسل المنصور ابنه محمداً الى مرسية فلكها وتولاها من قبل ابيه فصار المنصور اميراً على بلنسية ومرسية ثم انضاف اليه المرية بعد قليل فقوي أمره وعلا صيته فخافته ملوك الطوائف واستقر الحال كذلك الى ان توفي

٣٣١ - محمد بن عبد العزيز

من سنة ٤٥٧ - ٠٠ او من سنة ١٠٦٤ - ٠٠ م

فلما توفي المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن تولى بعده ابنه محمد بن عبد العزيز فطعم فيه صهرة المأمون بن اسحاق بن ذي النون وزحف اليه في ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ واستولى على بلنسية وانقرض بهذه الحادثة أمر الدولة العامرية التي اسسها خيران العامري

٣٣٢ الدولة المراسية بحلب

(تمهيد) واس هذه الدولة صالح بن مرداس من بني كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة وفازت نسلاتهم بنو اسبج حلب . وكانت مدينة الرحبة لابي علي بن عمال اخلفهم في سنة ٤٥٧ هـ . وكانوا بالتبديل وما كانها من ياء وبقيت له مدة ثم اخذها

منه بدران بن المقلد العقيني فعند ذلك أمر الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي بمصر نائبه بدمشق لؤلؤاً البشاري بالمسير اليها فقصد الرقة أولاً وملكها ثم سار الى الرحبة وملكها وعاد الى دمشق . وكان بالرحبة رجل يعرف بابن محكان فملك البلد واستبد بها وبعث الى صالح بن مرداس يستعين به على امره فحضر وأقام عنده مدة ثم فسد ما بينهما وقاتل صالح ثم اصطاحا وزوجه ابن محكان ابنه . ثم انتقل ابن محكان الى مدينة عانة وأقام بها ثم ثار عايب أهلها فأتاهم واستعان عليهم بصالح بن مرداس فلما وصل صالح الى عانة وضع لابن محكان من يقتله فقتله غيلة وسار صالح الى الرحبة وملكها واستولى على اموال ابن محكان وأحسن الى الرعية وخطب بالرحبة للفاطميين اصحاب مصر

وكان المتولي على حلب في ذلك الوقت من بني حمدان ولكن كان أمرهم قد ضعف واستولى لؤلؤ مولى ابن المعالي بن سيف الدولة على حلب واستبد بها فطمع صالح ابن مرداس في الاستيلاء عليها فهاجمها في ٥٥٠ فارس ولكنه انهزم امام لؤلؤ ووقع أسيراً في يده فبقي معتقلاً عنده مدة ثم تمكن من الهرب وجعل ٢٠٠ فارس وهاجم بهم حلب وانتصر على لؤلؤ فدفع له لؤلؤ مالا جزبلاً على ان يترك حلب ففعل . ثم ضعف امر لؤلؤ بحلب وخالف عليه أحد قواده المدعو فتوح واستقر بالقاهرة وكاتب الحاكم بأمر الله الفاطمي بمصر وأطهر طاعته والعصيان على مولاه لؤلؤ وأخذ من الحاكم صيدا ويبروت

وخرج لؤلؤ منها الى انطاكية . وتسلم حلب نواب الحاكم وتسلمت بأيديهم الى ان ضعف امر الخلافة الفاطمية بمصر واعتراه ما يمترى الدول من الهرم فاجتمع حسان امير بني طي وصالح بن مرداس امير بني كلاب وسنان بن عليان وتحالفوا وانفقوا على ان يكون من حلب لعانة لصالح بن مرداس ومن الرملة الى مصر لحسان ودمشق لسنان وكان هذا التحالف سنة ٤١٤ هـ

٣٢٣ صالح بن مرداس

من سنة ٤١٤ — ٤٢٠ هـ او من سنة ١٠٢٣ — ١٠٢٩ م

فقصد صالح حلب وبها انسان يعرف بابن ثعبان يتولى امرها للمصريين وبالقلمة

خادم يعرف بموصوف فاما اهل البلد فدخلوه الى صالح لاحسانه ولسوء سيرة المصريين معهم • وصعد ابن ثمان الى القلعة فحصره صالح بالقلعة الى ان نفذت الاقوات التي فيها فسلم الجند القلعة لصالح فاستتب له الامر بحلب وملك من بعلبك الى عانة واستمر اميراً مطاعاً ٦ سنين الى ان كانت سنة ٤٢٠ هـ وفيها أرسل الظاهر الفاطمي من مصر جيشاً بقيادة انوشكين البربري الى الشام لقتال صالح وحسان • فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالاخوانه على الاردن عند طبرية فقتل صالح وولده الاصغر وانفذ راسها الى مصر ونجا ولده ابو كامل نصر بن صالح

٣٢٤ - نصر بن صالح

من سنة ٤٢٠ - ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٢٩ - ١٠٣٧ م

لما نجا ابو كامل نصر بن صالح من المعركة كما تقدم اسرع الى حلب وملكها وتلقب شبل الدولة وطمع فيه الروم اهل انطاكية وتجهزوا في جيش عظيم وقصدوا حلب للاغارة عليها فهنهم اصحاب نصر بن صالح فعادوا الى انطاكية خاسرين واستمر نصر بن صالح ملكاً على حلب الى سنة ٤٢٩ هـ

وفيها أرسل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي صاحب مصر الوزيري بمساكر مصر الى حلب فبرز اليه نصر والتقوا عند حماة فانهزم نصر وقتل وملك الوزيري حلب في رمضان من هذه السنة • واستولى الوزيري على الشام كله وعظم امره وكثر ماله واستكثر من الجند فتمى للمصريين عنه انه عازم على العصيان فدسوا لاهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فساد الوزيري عنها الى حلب في ربيع الآخر سنة ٤٣٢ هـ وتوفي بعد وصوله اليها بشهر واحد

٣٢٥ - ثمال بن صالح

من سنة ٤٣٣ - ٤٤٩ هـ او من سنة ١٠٥٧ - ١٠٦١ م

وكان ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الوزيري جاء الى حلب فملكها تسليماً من اهلها وحصر امرأة الوزيري واصحابه بالقلعة

احد عشر شهراً وملكها في صفر سنة ٤٣٤ هـ

وفي سنة ٤٤٠ هـ انفذ المصريون الى محاربته ابا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان فخرج اهل حلب لحربه فهزمهم ثم رحل عن حلب الى مصر . ودامت الفتن والحروب بين ثمال بن صالح وبين المصريين الى ان تنازل ثمال عن حلب للمصريين فانفذوا اليها ابا علي الحسن بن علي بن ملهم ولقبوه مكيين الدولة فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ

وسار ثمال الى مصر واستقر ابن ملهم بحلب ولكنه اساء السيرة في اهلها حتى ابغضوه وراسلوا محمود بن شبل الدولة نصر بن مرداس . وعلم ابن ملهم بذلك فقبض على جماعة منهم . وكان من ضمن الذين كاتبوا محموداً رجل يعرف بكامل بن نباتة فلما قبض ابن ملهم على اصحابه خاف وجلس يبكي ويقول لكل من ساله عن سبب بكائه . « ان اصحابنا الذين اخذوا قتلوا واخاف علي الباقيين » حتى هيج اهل المدينة على ابن ملهم واجتمعوا الى كامل بن نباتة وراسلوا محموداً وهو على مسيرة يوم يستدعونه فحضر عندهم واشتد ساعده بهم وذلك سنة ٤٥٢ هـ

٣٣٦ - محمود بن نصر بن صالح

من سنة ٤٥٢ - ٤٥٣ هـ او من سنة ١٠٦٠ - ١٠٦١ م

وحاصر محمود ومن معه ابن ملهم بحلب واتصل هذا الخبير بالمصريين فسيروا ناصر الدولة ابا علي بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر لينزع محموداً من دخول حلب . فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب ودخل البرية فتبعه ناصر الدولة فالتقيا بالفتنيدي في رجب من السنة فانهمزم اصحاب ابن حمدان وثبت هو فخرج وحمل الى محمود اسيراً فاخذه وسار الى حلب فملكها وملك القلعة في شعبان سنة ٤٥٣ هـ ثم اطلق محمود ابن حمدان وابن ملهم فصارا الى مصر . ثم ارسل المصريون ثمال بن صالح لاستخلاص حلب من يد ابن اخيه فذهب اليها في عسكر مصر وقاتل ابن اخيه وهزمه واستولى على حلب ثانية سنة ٤٥٣ هـ اما محمود فلحق باخواله بني نمير ببحران

٣٢٧ - مال بن صالح ثانية

من سنة ٤٥٣ - ٤٥٤ هـ او من سنة ٢٠٦١ - ١٠٦٢ م

ولما دخل مال بن صالح حلب امتلكها واستتب له الامر فيها ثم غزا الروم وانتصر عليهم ثم توفي بحلب في سنة ٤٥٤ هـ وكان كرم حلياً

٣٢٨ - عطية بن صالح

سنة ٤٥٤ هـ او سنة ١٠٦٢ م

لما توفي مال بن صالح نولى على حلب بعده اخوه عطية بن صالح فاستكثر من الترك حتى قوي امرهم عنده واستولوا على امور الدولة فآشار عليه اصحابه بقتلهم فامر اهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون فقصصوا محموداً بجرات واجتمعوا معه على محاصر حلب فحصرها وملكها . اما عمه عطية بن صالح فلحق بالركة وملكها ولم يزل بها حتى اخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣ هـ ولحق عطية ببلاد الروم واقام بالقسطنطينية الى ان توفي سنة ٤٦٥ هـ

٣٢٩ - محمود بن نصر بن صالح ثانية

من سنة ٤٥٤ - ٤٦٨ هـ او من سنة ١٠٦٢ - ١٠٧٥ م

واستتب الامر لمحمود بحلب ثانية وقوي امره حتى اغار على ماحوله ففي سنة ٤٦٠ هـ ارسل محمود جيشاً من الترك بقيادة ابن خان التركاني الى ارتاح فحصرها واخذها من الروم . وصار محمود الى طرابلس وحصرها ولم يتركها حتى اخذ من اهلها اموالاً جزيلة واستمر محمود ملكاً مطاعاً الى ان توفي بحلب سنة ٤٦٨ هـ

٣٣٠ - نصر بن محمود

من سنة ٤٦٨ - ٤٦٩ هـ او من سنة ١٠٧٥ - ١٠٧٦ م

لما توفي محمود بن نصر بن صالح بن مرداس نولى بعده ابنه نصر وكان سيء السيرة مدمناً للخمر معيباً لشجرة النساء فخرج يوماً وهو سكران الى جيش التركان الذين ملكوا اباه البلد وهو الحاضر يوم الفطر فلقوه وقبلوا الارض بين يديه فسيهم واراد قتلهم فرماهم احدثهم باتاب كانت القاضية عليه

٣٣١ - سابى بن محمود

من سنة ٤٦٩ - ٤٧٣ هـ او من سنة ١٠٧٦ - ١٠٨٠ م

لما قتل الترك نصراً اقاموا مكانه احاه سابى بن محمود فاحسن السيرة وخصوصاً مع الترك ووصلهم وملاً ايديهم وفي سنة ٤٧٣ هـ قدم تنش بن الب ارسلان وعاصم حلب اربعة اشهر حتى اشتد الحصار على اهلها وكاد تنش يفتحها لولا مساعدة شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي للحمليين وامداده لهم . ثم رحل تنش عن حلب وملاك بزاعة والبيرة . فلما رحل عنها استدعى اهل حلب شرف الدولة ليسلموها له فلما قاربها امتنعوا عن ذلك واتفق اب ابن مقدمهم ابن الحيتي خرج يتصيد فوقع اسيراً في يد شرف الدولة فقرر معه ان يسلمه البلد اذا اطلعه فاجابه الى ذلك واطلقه فسار الى حلب واجتمع بايه وعرفه ما استقر فاذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ٤٧٣ هـ . وحصر النلعة واستنزل منها سابى بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس وانقرضت بهذه الحادثة الدولة المرداسية والبقاء لله وحده

٣٣٢ - الدولة العبادية باشبيلية بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي من ولد النعمان بن المنذر واصل رياسته انه كان ولي القضاء والوزارة باشبيلية فلما حصلت الفتنة واستولى الحموديون على قرطبة من يد الامويين كان القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل مختصاً بالقاسم بن حمود وهو الذي احكم ولايته فلما ثار اهل قرطبة بالقاسم بن حمود وبايعوا المستظهر الاموي لحق القاسم باشبيلية وكان بها مع القاضي أبي القاسم محمد بن اسماعيل ومحمد بن زيري والياء عليها فاشار عليه أبو القاسم بعدم قبول القاسم بن حمود باشبيلية ففعل وطردوه . ثم قام أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد وطرد محمد بن زيري من اشبيلية ايضاً وملكها هو واستتب له الامر فيها وذلك سنة ٤١٤ هـ .

٣٣٣ - أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد

من سنة ٤١٤ - ٤٣٣ هـ او من سنة ١٠٢٣ - ١٠٤١ م

هكذا كانت بداية تملك محمد بن اسماعيل على اشبيلية واستمر أميراً على اشبيلية واحسن السيرة في اهلها . وفي ايامه ظهر امر المؤيد هشام بن الحاكم وكان قد اختفى وانقطع خبره وكان ظهوره بالقة ثم سار منها الى المرية فخافه صاحبها زهير العامري فاخرجه منها فقصده قلعة رباح فاطاعه اهلها فسار اليهم صاحب اسماعيل بن ذي النون وحاربهم فضعفوا عن مقاومته فاخرجوه فاستدعاه القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل ابن عباد اليه باشبيلية واذاع امره وقام بنصره وكان رؤساء الاندلس في طاعته فاجابه الى ذلك صاحب بلنسية ونواحيها وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحب طرطوشة واتفقوا بخلافته وخطبوا له وجددت ييمته بقرطبة في المحرم سنة ٤٢٩ هـ وسير ابن عباد جيشاً الى زهير العامري لانه لم يحطط للمؤيد فاستنجد زهير بحبوس ابن ماكسن صاحب غرناطة فسار اليه بجيشه فعاد عسكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال

وفي سنة ٤٣١ هـ ارسل ابو القاسم ابنه اسماعيل في عسكر عظيم ليستولى على البلاد فاستولى على فرمونة واشبونة فاستنجد واستنجد صاحبها بادريس بن علي الحمودي وباديس ابن حبوس الزيري فذهب اليه باديس بنفسه وامده ادريس بن علي بعسكر بقيادة ابن بقية مدبر دولته لكنهم خاموا عن لقاء اسماعيل بن ابي القاسم لكثرة من معه وعادوا عنه فصار اسماعيل مجدداً لياخذ الطريق على اصحاب باديس فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس الحمودي قبل ذلك بقليل فارسل باديس من ردهم فعادوا وقتلوا اسماعيل العبادي قتالاً شديداً فانهمزم اصحابه وقتل هو

وفي سنة ٤٣٣ هـ توفي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد صاحب اشبيلية وكان حسن السياسة كريماً مهابةً تمكن من مد نفوذه على اغلب ملوك الطوائف بالاندلس بحسن سياسته

٣٣٤ - عباد بن محمد

من سنة ٤٣٣ — ٤٦١ هـ او من سنة ١٠٤١ — ١٠٦٨ م

لما توفي القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد تولى بعده ابنه عباد بن محمد ولقب بالمتنشد بالله فضبط ما ولي ثم اظهر موت المؤيد واستقل بامر اشبيلية وما انضاف اليها (وقال بعض المؤرخين ان ظهور المؤيد لاحقيقة له بل كان ذلك من تمويهات ومكر القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد ليستتب له الامر والله اعلم) وبقي عباد اميراً على اشبيلية الى ان توفي من ذبحة لحقته لليلتين خلفاً من جمادى الاخرى سنة ٤٦١ هـ

٣٣٥ - ابو القاسم محمد بن عباد بن القاضي محمد

من سنة ٤٦١ — ٤٨٤ هـ او من سنة ١٠٦٨ — ١٠٩١ م

لما توفي المتنشد عباد بن محمد تولى بعده ابنه ابو القاسم محمد بن عباد بن القاضي ابي القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد ولقب بالمتنشد على الله واتسع ملكه وشمخ سلطانه

وملك كثيراً من الاندلس وملك قرطبة ايضاً وولى عليها ابنه الظافر بالله فحسده يحيى ابن ذى النون عليها فسير اليها جرير بن عكاشة فملكها وقتل الظافر بالله . ولم يزل المعتمد يسمى في اخذها حتى عاد وملكها وولى عليها ولده المامون ولا يغرب عن القارىء الكريم ان المعتمد لم يملك ما ملك من بلاد الاندلس بمحض قوته بل كان يستمد بالفونس ملك اراغون كما استنجد به غيره من ملوك الطوائف فانفتح لامونس باب للتدخل في امور المسلمين بالاندلس واستعمل معهم المكر والحيل وصار يضرب احدهم بالآخر حتى اخضع الجميع لسلطانه وضرب عليهم جزية سنوية كانوا يؤدونها وهم صاغرون واستمر الحال على ذلك الى ان ظهر بالمغرب ملك المرابطين واستفحل امر يوسف بن تاشفين فتعالت آمال المسلمين بالاندلس باعانه . وضابقتهم الفونس (الطاغية) في طلب الجزية فقتل ابن عباد ثقتة اليهودي الذي كان يتردد اليه لاختذ الجزية بسبب كلمة اسف بها فاغتاز الفونس جداً وابتدأ يتجهز الى اشبيلية فخاف المعتمد العاقبة واستنجد يوسف بن تاشفين فانجده وهزم الافرنج في واقعة الزلاقة المشهورة . (راجع فصل ٢٨٠) ثم طمع يوسف بن تاشفين في ملك الاندلس فاغار عليه واستولى على اشبيلية من يد ابن عباد سنة ٤٨٤ هـ

٣٣٦ - دولة ابن الافطس بيطليوس بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة ابو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الافطس اصله من بربر مكناسة لكنه ولد ابو بالاندلس ونشأ بها وتخلقوا بخلق اهلها فلما كانت الفتنة التي شتمت شمل الاندلس استولى عبد الله بن مسلمة على بطليوس وذلك سنة ٤٢١ هـ

٣٣٧ - ابو محمد عبد الله بن مسلمة

واستمر ابو محمد عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس اميراً على بطليوس الى ان توفي

٣٣٨ - ابو بكر محمد بن عبد الله

لما توفي ابن الافطس تولى بعده ابنه ابو بكر محمد بن عبد الله ولقب المظفر واسعة محل ملكه وكان من اعظم ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن ذي النون حروب كثيرة وكذلك مع ابن عباد . واستولى ابن عباد على كثير من ثغوره ومعاقله واعتصم المظفر ببطروس بعد هزيعين هلك فيها خلق كثير وذلك سنة ٤٤٣ هـ ثم اصلى بينهما ابن جهور وفي سنة ٤٦٠ هـ توفي المظفر ابو بكر محمد بن عبد الله

٣٣٩ - عمر بن محمد

من سنة ٤٦٠ - ٤٨٩ هـ او من سنة ١٠٦٧ - ١٠٩٥ م

لما توفي محمد بن عبد الله تولى بعده ابنه ابو حفص عمر بن محمد المعروف بساحة ولم يزل سلطاناً بها الى ان قتله يوسف بن تاشفين امير المرابطين يوم الاضحي سنة ٤٨٩ هـ ورثاه ابن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها
الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء على الاشباح والصور
عدد فيها اهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكي الجداد . وانقرضت دولة ابن الافطس بهذه الحادثة والدوام لله وحده

٣٤٠ - الدولة الجهورية بقرطبة بالاندلس

(تمهيد) كان رئيس الجماعة ايام الفتنة بقرطبة ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور لما خلع الجند المعتز آخر بني أمية ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها فلما خلا له الجو وامكنته الفرص وثب على قرطبة واستولى عليها سنة ٤٢٢ هـ

٣٤١ - ابو الحزم جهور بن محمد

من سنة ٤٢٢ - ٤٣٥ هـ او من سنة ١٠٣٠ - ١٠٤٣ م

ولما استولى جهور بن محمد على قرطبة لم ينتقل الى رتبة الامارة ظاهراً بل دبورها تدبيراً لم يسبق اليه مثيل واطهر انه حام البلد الي ان يجيء من يستحقه ويتفق اليه الناس فيسلمه اليه . ورتب البوابين والحشم على ابواب قصور الامارة ولم يتحول هو عن داره اليها وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بايدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم . وكان جهور حسن السيرة جداً محباً للرعية للغاية حتى كان يحضر جنازتهم ويعود مرصاهم ويشهد افراحهم على طريقة الصالحين وهو مع ذلك يدبر الامر تدبير الملوك

وكان مأمون الجانب وأمن الناس في ايامه وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٤٣٥ هـ

٣٤٢ - ابو البكر محمد بن جهور

لما توفي ابو الحزم جهور بن محمد تولى بعده ابنه ابو الوليد محمد بن جهور فجري على سنن ابيه الى ان توفي

٣٤٣ - عبد الملك بن محمد

ولما توفي ابو الوليد محمد بن جهور تولى بعده ابنه عبد الملك بن محمد فساء السيرة وتكره الى الناس وحاصره ابن دي النون بقرطبة فاستغاث بمحمد بن عساد فامده بالحيش ووصي عسكره بذلك فدخلوا اهل قرطبة وخاعوه سنة ٤٦١ هـ واخرجوه عن قرطبة وانقرض امر الدولة الجمهورية والله غالب على امره

٣٤٤ - وفاة بني ذى النون بطليطلة بالاندلس

(تمهيد) راس هذه الدولة اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان ابن ذى النون أصله من قبائل هواراة ورأس سلمه في الدولة المروانية وكانت لهم رئاسة في شنترية وتغلب اسماعيل هذا على حصن افلتين سنة ٤٠٩ هـ انشاء الفتنة وكانت طابطة ليعيش بن محمد بن يعيش واليهما منذ اول الفتنة فلما توفي يعيش هذا سنة ٤٢٧ هـ استدعى الجند بطليطلة اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذى النون من حصن افلتين فضى الى طابطة ومالكها

٣٤٥ - اسماعيل بن محمد الرصمى

من سنة ٤٢٧ - ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٣٥ - ١٠٣٧ م
وامتد ملك اسماعيل الى جنجالة من عمل مرشية ولم يزل اميراً بطليطلة الى ان توفي سنة ٤٢٩ هـ

٣٤٦ - يحيى بن اسماعيل

من سنة ٤٢٩ - ٤٦٧ هـ او من سنة ١٠٣٧ - ١٠٧٤ م
لما توفي الظافر اسماعيل بن محمد تولى بعده ابنه يحيى بن اسماعيل ولقب المأمون واستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطاناه وكانت يده و بين الفونس (الطاغية) مواقف مشهورة .
وفي سنة ٤٣٥ هـ غزا بلنسية وغلب على صاحبها المظفر من ولد المنصور بن أبي عامر تم غلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد وقتل ابنه أبا عمر
وفي سنة ٤٦٧ هـ توفي المأمون يحيى بن اسماعيل مسموماً على ما قيل .

٣٤٧ - القادر بالله يحيى بن اسماعيل

من سنة ٤٦٧ - ٤٧٨ هـ او من سنة ١٠٧٤ - ١٠٨٥ م

لما توفي النامون يحيى بن اسماعيل تولى بعده حافده القادر بالله يحيى بن اسماعيل وضايقة الفونس مضايقة شديدة وحاصره مراراً حتى غلب على طليطلة فخرج له القادر عنها سنة ٤٧٨ هـ وشرط عليه ان يظاھرہ على اخذ بلنسية وكانت لابن أبي عامر فخلع اهلها العامل عليهم خوفاً من القادر ان يمكن منهم الفونس فدخلها القادر واقام بها سنتين وقتل سنة ٤٨١ هـ وانقرض أمرهم .

وفي اخذ طليطلة يقول عبد الله بن فرج اليعصبي المشهور بابن المسال
يا اهل اندلس حثوا مطيكم فما المقام بها الا من الفلط
الثوب ينسل من اطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدولا يفارقنا كيف الحياة مع الجيات في سفلط

٣٤٨ - الدولة السلجوقية بإيران

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى سلجوق وهو احد أمراء الترك رحل من بلاده لمضايقة ملك الترك له الى بلاد الاسلام بحدود ايران واسلم هو وعشيرته وتوفي على مقربة من بخارى فخلفه على رئاسة قبيلته ابنه ميكائيل فقاتل كسفار الاتراك مراراً الى ان استشهد في بعض غزواته وخلف من الاولاد ييقو وطغرل بك محمداً وجغرى بك داود فاطاعهم عشائروهم ووقفوا عند أمرهم ونهيتهم فخاف أمير بخارى منهم فاساء جوارهم وعمل جهده في اىصال لاذى بهم فالتجأوا الى بقرخان ملك الترك واقاموا عنده الى ان شعروا بنفرة منه سببت بينهم الحروب فالتجأوا الى الضرورة الى العبور الى خراسان فلما عبروا جميعون كتب اليهم خوارزم شاه هرون بن التونتاش يستدعيهم ليمتقوا معه على ان يكونوا يداً واحدة ففسار

طغرل بك وداود وبيقوا اليه وخيموا بظاهر خوارزم وذلك سنة ٤٢٦ هـ فغدر خوارزم شاه بهم واكثر في اصحابهم القتل والنهب والسبي فساروا عن خوارزم بجموعهم وقصدوا مرو

وكان السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين الغزنوي هذه السنة بطبرستان قد ملكها فراسلوه وطلبوا منه الامان وضمنوا انهم يقصدون الطائفة التي تفسد في بلاده ويدفعونها عنه ويكونون من اعظم اعوانه . فقبض السلطان مسعود على رسلهم وجيز عسكراً جراراً اليهم فساروا اليهم والنقوا عند نسا في شعبان واقتتلوا فانهمز السلاجوقيون وعظم الامر عليهم واشتغل جيش السلطان مسعود بالغنمية فكبسهم داود بن ميكائيل بعد ان كانوا قد اطمأنوا وامنوا الطلاب فجزهم شريفة

وعاد المنهزمون من العسكر الى الملك مسعود وهو بنديسابور فقدم على ما كان منه وخاف ان هية السلاجوقيين تمكن من قلوب عساكره فلا يقدر ان يثبتوا امامهم فيما بعد فارسل الى طغرل بك وداود ابني ميكائيل يتهددهم ويتوعددهم . فأمر طغرل بك كاتبه ان يكتب الى السلطان مسعود

« قل اللهم مالك الملك توتي المال من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

فلما وصل كتابه هذا الى السلطان مسعود ارسل اليهم يهدم بالمواعيد الجميلة وشير اليهم خلعاً نفيسة ومنحهم لقب دهاقين فلم يقبلوا خلعهم واستخفوا برسله لعلمهم بان كل ذلك مكر من السلطان مسعود وانه لو قدر عليهم لانهم وعاثوا في بلاده فساداً وتوالت كتب نواب السلطان مسعود اليه بافسادهم في البلاد يستغيثون به فلا يجيبهم بشيء ولا يرسل اليهم من ينزع السلاجوقيين لادر يريده الله حتى استولي السلاجوقيون على خراسان وطرردوا منها عمال السلطان مسعود . فاستيقظ السلطان مسعود من غفاته وجزر جيشاً عظيماً سيره بقيادة حاجبه سباشي فاقام بهرات مدة خائفاً لقاء السلاجوقيين ثم تقدم الي مرو وبها

داود بن میکائیل السلجوقي فقتاله داود وانتصر علیه وقويت نفوس السلجوقيين بهذا الانتصار وزاد طمعهم وعاد داود الى مرو فاحسن السيرة في اهلها وخطب له فيها اول جمعة في رجب سنة ٤٢٨ هـ وهذا بداية أمرهم ولا يخفى على القاري الكريم انه تفرع من الدولة السلجوقية عدة فروع وممالك كبيرة لها شأن عظيم في التاريخ . والآن سأذكر الدولة السلجوقية الكبرى التي تفرع عنها كل ممالك السلجوقيين وان شاء الله سأذكر باقي ممالك السلجوقيين كل واحدة في حينها حسب الطريقة التي اتبعتها من البداية في هذا الكتاب مقدّمًا وضعًا الدولة التي ظهرت مقدّمًا طبعًا والله ولي التوفيق

داود بن میکائیل

— ٣٤٩ —

وطغرل بك بن میکائیل

من سنة ٤٢٨ - ٤٥٥ هـ او من سنة ١٠٣٦ - ١٠٦٣ م

وفي مدة يسيرة استولى داود وطغرل بك على كل خراسان وجرجان وطبرستان وخطب لها بها حتى هاجم ملوك بني بويه المستولين على العراق والنزم الملك كاليجار من بني بويه ان يعقد اتفاقاً مع طغرل بك خوف غائلتهم وذلك سنة ٤٣٩ هـ وفي سنة ٤٤٣ هـ استولى طغرل بك على اصفهان وعلى اذربيجان في سنة ٤٤٦ هـ ولم يزل السعد يخدمهم والفوز يحالفهم والملك داود يفتح البلاد من جهة واخوه الملك طغرل بك من جهة حتى قوي امرهما وعظم صيتهما وكانت دولة بني بويه لذلك العهد للملك الرحيم آخر ملوكهم وكانت قد بلغت من الضعف والفساد الى درجة لم يسبق لها مثيل فطمع السلطان طغرل بك في الاستيلاء على بغداد فتقدم اليها وملكها سنة ٤٤٧ هـ واعتقل الملك الرحيم وخطب له بها . واستقر الملك طغرل بك بالعراق واخوه داود بخراسان

وفي سنة ٤٥١ هـ توفي السلطان داود بن ميكائيل وملك بعده ابنه الب ارسلان وخلف داود عدة اولاد ذكور منهم السلطان الب ارسلان وياقوتي وسليمان وقاروت بك . ولا توفي الملك داود تزوج اخوه طغرل بك امرأته ام ابنه سليمان وعهد لابنها سليمان بالملك من بعده

وفي سنة ٤٥٤ هـ خطب السلطان طغرل بك ابنة الخليفة القائم بامر الله العباسي فانزعج الخليفة لهذا الطلب الذي لم يقدم عليه احد قبل السلطان طغرل بك ورفض ذلك رفضاً باتاً مهما كانت نتيجة الرفض ولكن عميد الملك وزير السلطان طغرل بك اظهر للخليفة خطارة الرفض ونصحه كذلك القضاة والعلماء فقبل ذلك مضطراً وتم العقد في شعبان من هذه السنة . وكان السلطان طغرل بك في هذا الوقت في جهات بلاد ارمينية يحارب الروم فقدم في المحرم سنة ٤٥٥ هـ ليتم زفاف ابنة الخليفة له وتم ذلك في صفر من السنة فلما دخل اليها كانت جالسة على سرير ملبس بالذهب فقبل الارض بين يديها وخدمها ومع ذلك هي لم ترفع الحمار عن وجهها ولا قامت له . ولم تطل ايام السلطان طغرل بك بعد هذا الزفاف لانه سار في ربيع الاول من هذه السنة من بغداد الى بلد الجبل فلما وصل الى الري مرض وتوفي . وكان عمره سبعين سنة تقريباً وكان عقيماً لم يلد ولداً . وكان طغرل بك حليماً شجاعاً باسلاً في الحروب لا يطيب له عيش بغدر الغزو وشن الغارات

٣٥٠ - الب ارسلان بن داود

من سنة ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م

ولما توفي السلطان طغرل بك اجلس عميد الملك في السلطنة سليمان بن داود فلما خطب له بالسلطنة اختلف عليه الامراء وخطب بعضهم للسلطان الب ارسلان وهو في ذلك الوقت صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه .

فلما رأى عميد الملك انقلاب الحال عليه أمر بالخطبة للسلطان الب أرسلان وبعده لآخيه ساليان

أما السلطان الب أرسلان (ومعنى اسمه الأسد الظافر) فكان بطالاً صنديداً وسيداً مهيباً لم يقم في الدولة السلجوقية أعظم منه . وقام عليه لأول ولايته الأمير قطاش السلجوقي (جد سلاجقة بلاد الروم والبحري اسيا الصغرى) وجمع جموعاً كثيرة وتقدم قاصداً الري فاتصل الخبر بالسلطان الب أرسلان فأسرع بتسيير الجنود الى الري فسبقوا قطاش اليها وقَاتلوه وهزموه

ولما استتب الامر للسلطان الب أرسلان وجه التفاته لغزو بلاد الروم اتماماً لمقاصد ابيه فلما كان عدة مدن لكنه كان شديد الوطأة على المسيحيين حتى هيجت معاملته لهم غضب الدولة الرومانية الشرقية وكان امبراطور القسطنطينية يومئذ من اشهر ابطال زمانه واعظمهم قدراً وهو رومانوس ديوجانيس (رومانوس الرابع) فهذا بدء بالاستعداد لقتال السلطان الب أرسلان فجهز جيشاً عظيماً بلغ ٢٠٠ الف مقاتل على ما قيل وتقدم بهم الى ملازكرد من اعمال خلاط (يقال خلاط أو اخلاط) فبلغ السلطان الب أرسلان وهو بمدينة خونج من اذربيجان عائداً من حلب فسار اليه في خمسة عشر الفا اذ لم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو . فجد في السير فلما قرب العسكران رأى الب أرسلان ان قوته اقل كثيراً من قوة الرومانيين فارسل الى امبراطورهم يطلب منه المهادنة فرفض رومانوس هذا الطلب فانزعج السلطان لذلك . فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال صلى وبكى فبكى الناس ابكائه ثم لبس البياض وتحنط وقال « ان قتلت فهذا كفني » وزحف الى الروم بجيشه القليل بقلوب لا امل لها في الحياة فانهمز الروم هزيمة شنعاء وأسر الامبراطور رومانوس بنفسه والذي اسره ضابط خامل من ضباط السلطان الب أرسلان تهدده الب أرسلان في اليوم السابق بالعزل والتجريد على خوله ولم يعلم ان الذي قبض عليه هو الامبراطور ولكنه جاء به الى مولاه فلما رأى الب أرسلان اهتمام الرومانيين

العظيم في انقاذ هذا الاسير وصراخهم الكثير من بعده علم ان اسيره رومانوس وسأله عن ذلك فاجاب بالايجاب فعند ذلك ضربه ثلاث مقارع وقال له « الم ارسل اليك في المهادنة فاييت » فقال « دعني من التوييخ وافعل ما تريد » فقال له السلطان « ما عزمتم ان تفعل بي ان اسرتني » قال « القبيح . فلم يفضب الب ارسلان من هذا ولا اظهر الكدر فدل بذلك على شهامته ومرضته وسأل رومانوس ثانية « ماذا تظن اني سافعل بك » قال « ان كنت ظالماً فاقتلني او محبباً للفخر فجزني بالقبود الى عاصمة ملكك والاخرى بعيدة وهي ان كنت كريماً فاطلقني من الاسر على مال او ديه اليك » فقال الب ارسلان « اني شكر اخلصاً ووعده جزاء هذا الاحسان ان يخلص له الوداد ويدفع اليه جزية عاماً بعد عام وعلى هذا الاتفاق افترق البطلان ورومانوس ينوي القيام بوعده ولكن التقادير لم تساعد على ذلك لانه وجد حين وصوله الى بلاده ان قومه خانوه وولوا غيره مكانه فخار في امره وخاف ان يتهمة الب ارسلان بالخيانة فجمع كل ما قدر على جمعه من المال وارسله الى السلطان شارحاً له حقيقة حاله وسبب التقصير في اداء المطلوب كله فتأثر الب ارسلان لذلك وعزم على تعصيد صديقه وارجاع الملك اليه بقوة السيف وبينما هو يستعد لذلك باغه ان الرومانيين سجنوا رومانوس البطل وقتلوه فعدل عن عزمه ونوى للرومانيين شرّاً وكل ذلك كان سنة ٤٦٣ هـ .

وعظم قدر الب ارسلان بعد ذلك واتسعت حدود مملكته وصارت من حدود الشام الى ضفاف نهر جيحون وامتلات خزائنه بالمال واجتمع تحت أمره ٢٠٠ الف بهل فقصد ارجاع بلاده الاصلية وهجم على خوارزم فاعترضه في طريقه مستحفظ قلعة اسمه يوسف وأخره زماناً ثم ظفر به الب ارسلان فأمر اصحابه ان يضربوا له اربعة اوتاد ويشد اطرافه اليها . فقال له يوسف « يا غيث مثلي يقتل هذه القنلة » فغضب السلطان واخذ القوس والنشاب وأمر شلمانه بتخليته

أيقنله هو بيده فخلوه ورماه السلطان بسهم فاخضاه فوثب يوسف يريد فقام السلطان عن السرير ونزل عنه مثر ووقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته فكانت هي القاضية عليه وبقي الب أرسلان مدة يتألم من جرحه قبل الوفاة وهو يلوم نفسه على ما بدا منه من عدم التدبير وقلة الحكمة في معاملة خصمه ولات ساعة مندم ضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله ثم توفي الب أرسلان في عاشر ربيع الأول سنة ٤٦٥ هـ وكانت مدة ملكه ٣٠ مع سنين وستة أشهر وأياماً وكان السلطان الب أرسلان من أعظم الأبطال وأشهر الفواد الفاتحين وكان يكرم العلماء وينشط العلم وقام بتدبير دولته الوزير الفائق الشهرة المعروف بالخواجه نظام الملك واعطاه السلطان الب أرسلان السلطة التامة في تدبير أمور الدولة وحكومتها فقام بما أسند اليه خير قيام وتقدمت البلاد في مدته تقدماً عظيماً ودفن الب أرسلان في مدينة مرو ببلاد خراسان ورسم على قبره عبارة هذه ترجمتها - (يا من رأيتم عظمة الب أرسلان تصل الى السماء تعالوا الى مرو وانظروها مدفونة في التراب)



٣٥١ ملك شاه بن الب أرسلان

من سنة ٤٦٥ - ٤٨٥ هـ او من سنة ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م

لما توفي السلطان الب أرسلان تولى بعده ابنه ملك شاه وخالف عليه لأول ولايته عمه قاروت بك بن داود واسرع طالباً الري للاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملك شاه والوزير نظام الملك وجرى بين الفريقين قتال انهزم به قاروت ووقع اسيراً في يد احد اصحاب السلطان ملك شاه فقتله فثمنتت عساكره وكان كثيرون من عسكر ملك شاه يميلون الى قاروت بك فلما قتل مدوا ايديهم الى اموال الرعية بدعوى ان الوزير نظام الملك يمنع عنهم الاعطيات فزال الرعية من ذلك اذى شديد فظهر نظام الملك للسلطان خطارة الامر ان هو لم

يضرِب على ايدي المفسدين ففوض ملك شاه الى الوزير نظام الملك اجراء ما يراه موافقاً فلم يمض وقت كبير حتى ازال تلك المفاسد واطهر من الكفاءة والشجاعة وحسن السيرة ما هو مشهور

وفي سنة ٤٧٣ هـ خالف الامير تكش (وقيل طرسوس) على اخيه السلطان ملك شاه وجمع من حوله رجالاً يجاهرون بعزمهم على اعطائه الملك فجار به ملك شاه وانتصر عليه بغير عناء كبير ففر الامير من البلاد واستراح السلطان بعد ذلك من القلاقل . ثم وجه السلطان ملك شاه همه الى الفتح فنجح في ذلك كثيراً وفي مدة يسيرة استولى على ما وراء النهر كبخارا وسمرقند وخوارزم وكاشغر غير ما افتتحه من جهات الشام التي صارت بعد قليل في قبضة يده فاستمرت مملكته انسياً هائلاً حتى صار هو السلطان المطلق على بلدان اسيا الواقعة ما بين البحر المتوسط وحدود الهند

وكان الخليفة العباسي صاحب بغداد في يد هذا السلطان العظيم وتحت أمره لا يملك من الخلافة غير اسمها وكل ما بقي عن مهام الملك في يد هذا السلطان السامجوي ثم زار السلطان ملك شاه بغداد مرتين فشغف بها حتى عزم على نقل كرسي مملكته اليها . وقد مدح المؤرخون ملك شاه بكل امر حميد ونسبوا اليه كل فضيلة ولكنه مع كل ما نسب اليه من الفضائل قد سود صحيفة تاريخه البضاء بقتل وزيره نظام الملك الذي شاد له ولايته من قبله صروح الفخار وأسس له سلطنة نفوق كل سلطانات ذلك الزمان . وقد ذهب المؤرخون عدة مذاهب في سبب قتله نذكر اشهرها واقربها الى العقل وذلك ان نظام الملك ولي حافده عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك اعمال مرو وارسل السلطان اليها شحنة اسمه قودن وهو من خواصه فنازع عثمان في شيء فخمدت عثمان حمداً منه وطعمه بجده على ان قبض على قودن وسجنه ثم اطلقه فقصد السلطان ملك شاه . مستغنياً كياً فاغتاط السلطان ملك شاه لاستبداد نظام الملك وبنيه في الملك وتعديههم حدود سلطتهم وارسل الى نظام الملك رسالة يقول له فيها « ان كنت شريكاً في الملك فلذلك

حكم وان كنت نائبي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهو لا اولادك قد جاوزوا أمر السياسة وطعموا الى ان فعلوا كذا وكذا

فخضر المرسلون عند نظم الملك وادردوا عليه الرسالة فقال :

« قولوا للسلطان اذا كنت لم تعلم بعد اني شريكك في الملك فاعلم . فالك مانلت هذا الامر الا بتدبيرى ورأى اما تذكر حين قتل ابوك فقامت بتدبير امرك وقامت الخوارج عليك من أهلك وغيرهم وانت في ذلك الوقت انمسك بي فلما قدرت الامور اليك واطاعك القاصي والداني اقبلت لنجنى لي الذنوب وتسرع في السعيات . وقولوا له عني ان ثبات تلك القنصوة معذوق بهذه الدواة وان اتفقا سبب كل غنيمة ومتى اطبقت هذه الدواة زالت تلك » واطال فيما هذا سبيله

فلما خرج الرسل من عنده اتفقوا على كتان ماجرى عن السلطان فابلغوه ما مضمونه العبودية والاعتذار . ولكن كان للسلطان عين في أوامرك الرسل من خواصه المقر بين اليه لانه خاف ان يكتم الرسل عنه ما يقول نظام الملك فابلغه ما قاله نظام الملك بالحرف الواحد . ومن هذا الوقت ابتدأ السلطان ملك شاه في تدبير قتل نظام الملك فوضع له بعض الباطنية فقتله عاشر رمضان سنة ٤٨٥ هـ

وقيل في ابتداء أمر نظام الملك انه كان من ابناء الدهاقين بطوس وكان كاتباً للامير باخر صاحب بلخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ مامعه ويقول له (قد سمعت يا حسن) فهرب الى الملك داود بن ميكائيل السلجوقي وهو بمرود فدخل اليه . فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له « هذا حسن الطوسي فسلمه واتخذ والدًا ولا تخلفه » . وكان نظام الملك اذا دخل عليه الائمة الا كابر لا يقوم لهم ويجلس في مسنده وكان له شيخ فقير اذا دخل اليه يقوم له ويجلسه في مكانه ويجلس بين يديه فقيل له عن سبب ذلك فقال « أن أولئك اذا دخلوا علي يشنون علي بما هو ايسر في فيز يدني كلامهم عجباً وتبهاً وهذا يذكرني بعبوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك فارجع

عن كثير مما انا فيه وكان مجلسه عامراً بالعلماء وأهل الخير والصلاح وهو الذي بني المدرسة النظامية ببغداد فكانت تضاهي اعظم مدارس أوروبا اليوم . واكثر الشعراء من رثائه فمن جيد ما قيل قول شبل الدولة :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف
بدت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الي الصدف

ولم يمض السultan ملك شاه بعد هذا الوزير الا شهوراً وبضعة ايام حاول في خلالها ان ينفذ غرضه وينقل مقر السلطنة الى بغداد لانه كان مغرمًا بالعيش في تلك المدينة فعارضه الخليفة ورجاه ان يتهمل في الامر ويصبر عشرة ايام ريثما يرى طريقة في الانتقال منها فأبهره ملك شاه ذلك ولكن الموت عاجله قبل انقضائها فمات مأسوفًا عليه ليلة الجمعة النصف من شوال سنة ٤٨٥ هـ لثمان وثلاثين من عمره بعد ان رقيت بلاده في ايامه الى اعلى درجات الثروة والعز ورتعت في بحبوحة الامن والسلام زمنًا طويلاً فظم واصلح وشاد المعابد والمدارس . واكثر هذا السلطان من المستشفيات وقرب العلماء وأهل الادب واكثر لهم من الصلات . وفي ايامه اجتمع العارفون بالحساب والفلك والفوا التقويم الاسلامي المشهور باسم الجلالية نسبة الى جلال الدين وهو لقب السلطان ملك شاه

٣٥٢ - محمود بن ملك شاه

من سنة ٤٨٥ - ٤٨٥ هـ او من سنة ١٠٩٢ - ١٠٩٢ م

لما توفي السلطان ملك شاه كتبت زوجته تركان خاتون موته واستدعت اليها الامراء فسترضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره اربع سنين وشهور وهو اصغر اولاد السلطان . ملك شاه خلفوها على ذلك وارسلت الى الخليفة المقتدي العباسي في الخطبة لابنها فاجابها الى ما طالبت بعد ان اشترط عليها ان يقوم تاج

الملك (وزير ملك شاه بعد قتل نظام الملك) بوصايته لصغر سنه فاجابه الى ذلك وخطب لمحمود يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال سنة ٤٨٥ هـ وكان بركيارق اكبر اولاد السلطان ملك شاه في اصفهان فخافته ترکان خاتون وارسلت اليه من قبض عليه واعتقله ولكن لما ظهر خبر موت السلطان ملك شاه لم ترض الجنود النظامية بمحمود سلطاناً عليهم لصغر سنه ووثبوا الى السجن الذي فيه بركيارق واخرجوه من الحبس وخطبوا له في اصفهان وبايعوا له . فلما علمت ترکان خاتون بالخطبة لبركيارق باصفهان سارت اليها في المساكر لقتاله وحصلت وقائع بين الفريقيين فانهمز عسكر ترکان خاتون وحاصرها باصفهان وشتت شمل عساكرها واستولى على الملك

٣٥٣ - بركيارق بن ملك شاه

من سنة ٤٨٥ - ٤٩٨ هـ أو من سنة ١٠٩٢ - ١١٤ م

ولما هزم بركيارق عسكر ترکان خاتون سار الى بغداد وخطب له فيها سنة ٤٨٦ هـ . وكان السلطان بركيارق هذا اشقى سلاطين السلاجقة وكل ايامه كانت حروب ومنازعات لانه لم يكد يستئب له الامر حتى خالف عليه عمه تنش ابن البارسلان (جد الدولة البورية في الشام وحلب) وقاتله وهزمه ولكنه تمكن بعد قليل من جمع ثنات عسكره واعاد الكرة على عمه تنش فهزمه وقتله سنة ٤٨٨ هـ ولم يكد يستريح من عمه حتى ظهر اخوه الملك محمد بن ملك شاه وناوأ اخاه بركيارق القتال وانتصر عليه مراراً ودامت الحروب بينهما اكثر من ثماني سنوات تارة ينتصر محمد ويخطب له ببغداد واخرى ينتصر بركيارق فيعيد الخطبة له الى ان وقم الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملك شاه وتقررت القاعدة بينهما ان يخطب للسلطان بركيارق بالري والجل وطبرستان وخوزستان وفارس وان يخطب للسلطان محمد بديار بكر والجزيرة الموصل والشام وارمينية

والمراق وان لا يعارض أحدهما الآخر في شيء مما له أما بلاد خراسان فاقطعها
لاخيهما الملك سنجر ولم يهنا السلطان بركيارق بهذا الصلح لان المنية عاجلته في السنة
الثانية وكان قد أصيب بالسل والبواسير فلما يئس من نفسه خلع على ولده ملك شاه
وعمره أربع سنين وثمانية اشهر واحضر جماعة الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه ولي
عهده في السلطنة وجعل الامير اياس اتايكه فاجابوه كلهم بالسمع والطاعة ثم توفي
السلطان بركيارق في يوم ١٢ ربيع الآخر سنة ٤٩٨ هـ .

٣٥٤ - ملك شاه بن بركيارق

من سنة ٤٩٨ - ٤٩٨ هـ او من سنة ١١٠٤ - ١١٠٤ م

ولما توفي السلطان بركيارق تولى بعده ابنه ملك شاه كوصيته وقام بتدبير
دولته وزيره اياس فطمع عمه محمد بن ملك شاه في الاستيلاء على ما بيد ابن
اخيه فسار اليه وانتزع الملك من يده فصارت جميع المملكة للسلطان محمد بن ملك
شاه بن الب ارسلان

٣٥٥ - محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان

من سنة ٤٩٨ - ٥١١ هـ أو من سنة ١١٠٤ - ١١١٧ م

واستتب الامر للسلطان محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان . وتوالي هذه
الحروب والغتن المهلكة ضعف شأن الدولة السلجوقية ووثب نواب الاعمال كل على
ما في يده واستولى عليه ولكن السلطان محمد كان شجاعاً لا يهتم الضيم فلم يقدر ان
يرى هذا الانقسام وعزم على عمل كل ما في جهده لارجاع السطوة للدولة السلجوقية
كما كانت فسار سنة ٤٩٩ هـ الى الموصل ليأخذها من جركميش صاحبها لذلك
الوقت فخرج هذا الى السلطان محمد واظهر عبوديته وتابعيته له فأقره على عهده وعاد

عنه . فلما عاد السلطان محمد عن الموصل وثب عليها شخص يقال له جاولي واغتمصها من جكر ميش واستولى عليها فأرسل اليها السلطان محمد عسكرياً ومليحاً من اصحاب جاولي سنة ٥٠٢ هـ

وكان السلطان محمد عضداً قوياً لجيوش المسلمين في الحروب الصليبية التي ثارت نيرانها في تلك الايام وأمرها معروف

وفي ذي الحجة سنة ٥١١ هـ مرض السلطان محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان فلما يئس من نفسه أحضر ولده محموداً وقبله وبكى كل واحد منهما وأمره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة . فقال محمود لوالده « انه يوم غير مبارك » يعني من طريق النجوم فقال له « صدقت ولكن عليّ اما عليك فمبارك بالسلطنة » فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين . وكان السلطان محمد عظيم الهبة عادلاً حسن السيرة شجاعاً

٣٥٦ - محمود بن محمد

من سنة ٥١١ - ٥٢٥ هـ أو من سنة ١١١٧ - ١١٣٠ م

لما توفي السلطان محمد تولى السلطنة بعده ابنه محمود ووثب عليه لاول ولايته عمه ائك سنجر صاحب خراسان ووقع بينهما حرب شديدة انهزم فيها السلطان محمود واستولى عمه سنجر على جميع البلاد وهرب محمود فراسله السلطان سنجر في الصالح على ان يخطب للسلطان سنجر في جميع البلاد أولاً وللسلطان محمود بعده واستقر الامر بينهما على ذلك فأعاد السلطان سنجر ابن اخيه السلطان محموداً الى بلاده . وكان السلطان سنجر شجاعاً فأعاد الى الصدور احترام الناس الاول لآل سلجوق والخضوع لدوائهم حتي ولى على سمرقند رجالاً من اوباش الناس كان سابقاً له في قصره

وصار هذا الوالي ينجي الى السلطان سنجر حيناً بعد حين ويقدم له الشراب

وهو مئرد برداء الامارة حتى شاع بين الناس ان سنجر عظم الى حد ان الملوك صارت تخدمه وتنفق للخدمة بن يديه

ولم يكذ السلطان محمود يستريح من غارة عمه التي قضت على استقلاله حتى خاف عليه اخوه السلطان مسعود صاحب اذربيجان وأراد الوثوب عليه والاسنيلاء على ما بقي من اثار السلطنة فأرسل السلطان محمود الى اخيه من نصحه ليرجع عن غيه واحضره الى اخيه السلطان محمود فقبله بكل تجلة واکرام واجلسه معه على كرسي السلطنة فدل بذلك على شهامته وكرم اخلاقه وذلك سنة ٥١٤ هـ .

وفي سنة ٥١٧ هـ اشتدت نكاية الكرج في بلاد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيما اهل دربند شروان فخصر جماعة من اعيانهم الى السلطان محمود وشكوا اليه ما هم فيه من الخوف من الكرج وعدم مقدرتهم عن حفظ بلادهم فسار السلطان محمود معهم وقاتل الكرج وهزمهم واجلاهم عن بلاد المسلمين

وفي سنة ٥١٩ هـ اتحد الملك طغرل اخو السلطان محمود مع ديس بن صدقة المزيدي على قصد العراق فقصداه في جموعها ولكنهما انهزما امام الخليفة اولاً وامام السلطان محمود ثانياً فلجقا بالملك سنجر بخراسان ثم دس ديس الى الملك سنجر ان السلطان محمود آخرج عن طاعته وانه اتحد مع الخليفة على ابعاده (ابعاد سنجر) ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق . فلما وصلوا الى الري كان السلطان محمود بهمدان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام تغير على ما زعم ديس . فلما جاءه الرسول باذر الى المسير الى عمه فاكرم السلطان سنجر وفادته واجلسه معه على التخت . وتحقق السلطان سنجر حسن نية السلطان محمود وكذب ديس فعاد الى خراسان بعد ان سلم ديساً الى السلطان محمود واوصاه باكرامه واعادته الى بلده

وفي سنة ٤٢٥ هـ في شوال توفي السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بهمدان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة وولايته ثلاث عشرة سنة وكان حليماً كريماً

عاقلاً يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع في اموال الرعايا
عفيفاً عنها كافاً لاصحابه عن التطرق الى شيء منها

٣٥٧ - داود بن محمود

من سنة ٥٢٥ - ٥٢٦ هـ أو من سنة ١١٣٠ - ١١٣١ م

لما توفي السلطان محمود بن محمد تولى بعده داود ولكنه لم يهتأ بالسلطنة
اذ وثب عليه عمه السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه واخذ البلاد من يده
وذلك سنة ٤٢٦ هـ

٣٥٨ - مسعود بن محمد بن ملك شاه

من سنة ٥٢٦ - ٥٤٧ هـ أو من سنة ١١٣١ - ١١٥٢ م

وكانت ايام السلطان مسعود جميعها فنن وحروب لا يخرج من حرب حتى
تفتتح امامه اخرى وذلك لقيام اخوته واولادهم ومنازعتهم هذا السلطان السي
الخط في السلطنة حتى ضعفت الدولة السلجوقية الى درجة لم يسبق لها مثيل
وطمع الخليفة المسترشد بالله العباسي (مع ان عهدنا بالخلفاء من زمن طويل لا
يقدر على منازعة اقل الامراء لضعفهم فضلاً عن الملوك) في قتال السلطان
ولكن لم تكن قوة السلطان مسعود قد بلغت من الضعف هذه الدرجة حتى ينتصر
عليه الخليفة فانتصر السلطان مسعود عليه واسر الخليفة ووضعه في خيمة واتفق
وصول السلطان سنجر فخرج الناس والسلطان مسعود لمقابلته فقام الباطنية على
الخائفة وقتلوه كما تقدم ذكر ذلك . وكان بالضعف قد تطرق الى كل جسم
السلجوقية في ذلك الوقت فان السلطان سنجر وهو اعظم سلاطينهم ويعد الجميع
نواباً عنه في اعمالهم بلغ به الضعف الى درجة لم ترو عنه قبلاً فانهم زعم امام الخطا

الذين استعان بهم خوارزم شاه على قتاله

وفي سنة ٥٤٧ هـ توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه بهمدان وكان عهده الى ملك شاه ابن اخيه السلطان محمود فخطب له الامير خاصبك بالسلطنة ورتب الامور وقررها بين يديه . ثم قبض عليه وارسل الى اخيه السلطان محمد ابن محمود وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة . فسار اليه محمد فاجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة . ثم شمر محمد بنجبث خاصبك فتاني يوم وصوله لما دخل اليه قتله ومعه زنكي الجاندار والقي راسيها وبقيتا حتى اكلتها الكلاب واستقر محمد في السلطنة

٣٥٩ - محمد بهمد محمود

من سنة ٥٤٧ - ٥٥٤ هـ او من سنة ١١٥٢ - ١١٥٩ م

وكان السلطان محمد ضعيفاً بهذا التقدير حتى لم يتمكن من حمل الخليفة ان يخطب له ببغداد فاستبد الخليفة المقتني بالله بالعراق منفرداً عن اي سلطان وحكم على عسكره واصحابه وهو اول من قدر على ذلك من حين تحكم المماليك على الخلفاء ومن عهد المستنصر الى الان . وحاول السلطان محمد ان يحمل الخليفة بالقوة على ان يخطب له وحاصر بغداد لهذا الغرض فلم يفرج بهراة

واهم ما يذكر في هذه المدة انهزام السلطان سنجر امام الغزو وقوعه اسيراً في قبضة يدهم فاذاقه التريكان كل انواع العذاب والهوان ثم تمكن من الفرار فوجد البلاد في اسواء حال فمات من الغم في سنة ٥٥٢ هـ . وهو يعرف بالسلطان العادل وله شهرة كبير في البأس والبسالة ولكنه كان سيئ الطامع

وفي سنة ٥٥٤ هـ توفي السلطان محمد بن محمود ولم يترك الا ولداً صغيراً فسلمه قبل وفاته الى آقسنقر الاحديلي وقال « انا اعلم ان الناس لا تطيع مثل هذا الطفل وهو ودعة عندك فارحل به الى بلادك » فاخذته ورحل الى مراغة

٣٣٠ - سلیمان شاه بن محمد

من سنة ٥٥٤ - ٥٥٦ هـ او من سنة ١١٥٩ - ١١٦٠ م

ولما توفي السلطان محمد بن محمود اجمع راي ولاية الامور على تولية عمه سليمان شاه في الملك بعده ولكن خاب ظنهم لما كان يرجونه من اصلاح سليمان شاه الاحوال لانه ما عتم ان تسلم السلطة حتى عكف على شرب الخمر ومعاشره النساء والصفاعين وكان له وزير عاقل يدعى شرف الدين كردبازة فنهاه عما هو فيه وان المملكة في غاية الاحتياج لمن يدبرها فاهانه سليمان شاه وأمر اصحابه الصفاعين ان يعيشوا به فاغناظ شرف الدين كردبازة مما حصل وندم على نصحه لسليمان شاه وانقطع عن مقابلاته وصار يستنز الفرص للخلاص من تحت يد هذا السلطان الغشوم الى ان مكنته الفرص من ذلك فقتله سنة ٥٥٦ هـ .

٣٣١ - ارسلان شاه بن طغرل بك بن محمد

من سنة ٥٥٦ - ٥٧٣ هـ او من سنة ١١٦٠ - ١١٧٧ م

لما قتل شرف الدولة كردبازة السلطان سليمان شاه بن محمد ولي بعده ارسلان شاه بن طغرل بك بن محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان فاستوزر لاول ولايته ايلدكز . وكان ايلدكز هذا من موالي السلطان مسعود وكان عاقلاً حسن السيرة عظيم السياسة فاستولى على الامور وصار صاحب الامر والنهي ولم يكن لارسلان شاه الا الاسم فقط واستمر الحال على ذلك الى ان توفي ايلدكز سنة ٥٦٧ هـ فقام بتدبير الدولة بعده ابنه محمد البلهوان واتبع خطوات ابيه من الاستيلاء على أمور السلطنة والحجر على السلطان ارسلان شاه . وفي سنة ٥٧٣ هـ توفي السلطان ارسلان شاه بن طغرل

٢٣٦٢ - طغرل بن ارسلان شاه

من سنة ٥٧٣ هـ - ٥٩٠ هـ أو من سنة ١١٧٧ - ١١٩٣ م

ولما توفي السلطان ارسلان شاه بن طغرل قولى بصدده ابنه طغرل وقام
البلهوان محمد بن ايلدكز بتدبير دولته كما كان في أيام ابيه الى ان توفي البلهوان سنة
٥٨٢ هـ وتولى تدبير الدولة بعده ابنه قزل بن محمد فطمع طغرل حينئذ في استرجاع
حقوق السلطنة المضمومة وجمع العساكر وعارض قزل في اجراءاته جهاراً فخافه
وارسل الى الخليفة يستنجده ويخوفه من طغرل . وفي الوقت نفسه كان طغرل قد
أرسل رسولاً الى الخليفة يطلب الخطبة له ببغداد ونقل كرسي السلاطة اليها .
فاكرم الخليفة رسول قزل ووعدته بالنجدة ورد رسول السلطان طغرل بلا جواب وأمر
بنقض دار السلطنة ببغداد فهدمت الى الارض وعفي اثارها

وفي سنة ٥٨٤ هـ أرسل الخليفة العساكر مسدداً لقزل لقتال السلطان طغرل
فهم طغرل وشتت جموعهم وأعاد هزيمة الناس للوك الساجوقية نوعاً ما . ولكن
قزل جمع شتات عسكره واعاد الكرة على السلطان طغرل فهزمه وقبض عليه واعتقله
فبقي في اعتقاله الى سنة ٥٨٧ هـ وفيها قتل قزل ولم يعلم قاتله وتولى بعده ابنه اينانج
فهرب السلطان طغرل من سجنه بعد قتل قزل وحارب اينانج بن قزل واتهمر
عليه فاستنجد اينانج خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار اليه سنة ٥٨٨ هـ فلما
نقار با ندم اينانج على استدعاء خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه
وتحصن في قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الري وملكها وحاصر قلعة طبرك ففتحها
في يومين وراسله طغرل واصطلحا وبعثت الري في يد خوارزم شاه تم عاد الى
خوارزم لمنها من استيلاء اخيه سلطان شاه عليها . فلما دخلت سنة ٥٩٠ هـ
قصد السلطان طغرل بلاد الري فاغار على من به من اصحاب خوارزم شاه وعلم
بذلك اينانج بن البلهوان فخاف على نفسه وارسل الى خوارزم شاه يفتنر ويسأله
انجاده مرة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من

السلطان طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور بإقطاعه البلاد . فسار خوارزم شاه من نيسابور الى الري وعلم طغرل بجيشه وكانت عناكره متفرقة فلم ينتظر ليجمعها بل سار مجدا فين معه فروجع عن قصده حتى تجتمع اليه العساكر فلم يقبل وكان فيه تنجاة . بل تم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الري ولم يكن الا القليل حتى انهم عسكر طغرل وقتل هو في المعركة واستولى خوارزم شاه على البلاد وبقته انتقضت الدولة السلجوقية العظمى والملك لله يوثيه من بشاء

٣٦٣ - الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى (بنو قطلمش)

(تمديد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية وهي تنسب الى قطلمش بن اسراييل بن سلجوق . ولما انتشر السلجوقيون في البلاد طابوا بين الملك دخل قطلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها ولما قوي أمره وكثرت اتباعه خالف على السلطان الب ارسلان واظهر عليه العصيان فنهاء الب ارسلان عن ذلك فلم ينته فسير اليه العساكر لقتاله فانهمز قطلمش وقتل في المعركة وذلك سنة ٤٥٦ هـ .

٣٦٤ - سليمان بن قطلمش

من سنة ٤٥٦ - ٤٧٩ هـ او من سنة ١٠٦٣ - ١٠٨٦ م
لما قتل قطلمش كما تقدم تولى بعده ابنه سليمان بن قطلمش على قونية واقصرا ونواحيها مما كان لآبيه . وفي سنة ٤٧٧ هـ استولى على مدينة انطاكية من يد الروم المستولين عليها لذلك الحين وفي ذلك قال الابوردي من قصيدة مطاها
لمت كناصره الحصان الاشقر نار بمثلج الكيثب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التي نشرت معاقلا على الاسكندر
وطئت مناكبها جياذك فانتت تلقى اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على الروم بانطاكية فلما استولى سليمان بن قطلمش عليها ارسل اليه مسلم بن قريش يطلب منه الضريبة التي كانت تدفعها الروم اليه فابى ان يرسل اليه شيئاً فجمع مسلم عساكره من العرب والتركمان لحصار انطاكية واستعد سليمان لقتاله ايضاً فالتقيا سنة ٤٧٨ هـ فانهمزم مسلم ونقدم سليمان لحصار حلب فامتعت عليه وسأله اهلها الامهال حتى يكاتبوا السلطان ملك شاه بخصوص تسليمه البلد فامهالهم ولكنهم عوضاً عن اتمام وعدم ارسالوا الى تاج الدولة نثس بن الب ارسلان صاحب دمشق يستنجذونه على سليمان فاسرع لاجابة طلبهم وسار بنفسه لقتال سليمان فقاتله فانهمزم سليمان وخاف ان يقع اسيراً في يد عدوه فقتل نفسه بخنجر ومات سنة ٤٧٩ هـ

٣٣٥ - قلعج ارسلان بن سليمان

من سنة ٤٧٩ — ٥٠٠ هـ او من سنة ١٠٨٦ — ١١٠٦ م

ولما توفي سليمان بن قُطلمش تولى بعده ابنه قلعج ارسلان وفي ايامه قدمت جموع الصليبيين ومروا ببلادهم وكان بين الفريقين وقائع مشهورة انهزم فيها قلعج ارسلان وقد تقدم ذكر ذلك في اخبار الصليبيين وفي سنة ٥٠٠ هـ كان الخلاف بين جكرمس وجاولي سقاو وكلاهما من فواد السجوقية بشأن الاستيلاء على مدينة الموصل فاستعد جكرمس السلطان قلعج ارسلان فأمد به بنفسه وعسكره فلما قرب من الموصل سار عنها جاولي واستولى قلعج ارسلان عليها وعلى ديار بكر وتبع جاولي . وكان هذا قد لحق بسنجار واستنجد الملك رضوان ابن نثس بن الب ارسلان صاحب الشام فانجده وسار معه لقتال قلعج ارسلان فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه عسكر قلعج ارسلان والقى نفسه في نهر الخابور فغرق . وسار جاولي الى الموصل وملكها

٣٦٦ - مسعود بن قلع ارسلان

من سنة ٥٠٠ هـ - ٥٥١ هـ او من سنة ١١١٦ - ١١٥٦ م

لما توفي قلع ارسلان تولى بعده على قونية واقصرا واعمالها ابنه مسعود واتسعت المملكة في ايامه باستيلائه على ملطية وسيواس واعمالها وساد السلام في مدته وعم الامن الى ان توفي سنة ٥٥١ هـ

٣٦٧ - قلع ارسلان بن مسعود

من سنة ٥٥١ هـ - ٥٨٨ هـ او من سنة ١١٥٦ - ١١٩٢ م

لما توفي مسعود بن قلع ارسلان تولى بعده ابنه قلع ارسلان وحصلت بينه وبين ذي النون بن الشمند صاحب ملطية وسيواس حرب فانهزم ذو النون ولحق بنور الدين محمود بن زنكي صاحب دمشق يستنجد به على قلع ارسلان فسار نور الدين بعساكره الى بلاد قلع ارسلان واستولى على كيسون ومرعش وبهنس ومرزبان وارسل سرية من عسكره الى سيواس فملكوها

وكان قلع ارسلان لما قصد نور الدين بلاده قد سار من طريقها التي تلي بلاد الشام الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح فصالحه على ان تكون سيواس بيد ذي النون واقرقا على ذلك سنة ٥٦٨ هـ

وكان قلع ارسلان بن مسعود قد زوج ابنته من نور الدين محمود بن قرا ارسلان ابن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر واعطاه عدة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها هجرها فامتعض ابوها قلع ارسلان لذلك وعزم على غزو نور الدين في ديار بكر واخذ بلاده منه . فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن ايوب . فأرسل صلاح الدين الى قلع ارسلان في المعنى فاعاد الجواب « اني كنت قد سلمت الى نور الدين عدة حصون تجاوز بلاده لما تزوج ابنتي فحيث آكل الاصر معه الى ما يعلمه فأنا أريد ان يعيد الي ما اخذه مني » وترددت الرسل بينهما بلا فائدة فهاذن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكرهم فاصدأ بلاد قلع ارسلان . فلما صبح قلع ارسلان بقره منه ارسل

اليه اكبر امير عنده يقول « ان نور الدين فعل مع ابني كذا ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه » فلما وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادى اليه الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاط وقال للرسول « قل اصاحبك والله الذي لا اله الا هو لئن لم يرجع لاسيرين الى ملطية ويني وبينها يومان ولا انزل عن فرسي الا في البلد ثم اقصد جميع بلاده وأخذها منه » فرأى الرسول من شدة صلاح الدين وكثرة من معه ما هاله فخاف ان يرجع بلا نتيجة فتضيع بلادهم لا محالة فطلب من صلاح الدين ان يجتمع به ليقول شيئاً بدا له من نفسه وليس من مرسله فأذن له صلاح الدين في ذلك فقال له « يا مولانا اما هو قبيح بثلثك وانت من اعظم السلاطين واكبرهم شأنًا ان تسمع عنك الناس انك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة واعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيك وللسلمين عامة وجمعت العساكر من اطراف البلاد البعيدة والقرية وسرت وخسرت انت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل امرأة مغنية (يقصد المرأة التي تزوجها نور الدين على ابنة مولاة قلعج ارسلان) ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة وملوك الاسلام وكافة العالم واحسب ان احداً ما يواجهك بهذا اما يعلمون ان الامر هكذا ثم افرض ان قلعج ارسلان مات وهذه ابنته قد ارسلتني اليك استجورك وتسألك ان تنصها من زوجها فان فعلت فهو الظن بك ان لا تردّها »

فجذب صلاح الدين من فصاحته وقال له الحق معك وحمل نور الدين ان يترك المغنية التي تزوجها على ابنة قلعج ارسلان وان بكرم هذه ففعل . وخلص قلعج ارسلان بحكمة وزيره هذا من حروب مهلكة ربما كانت القاضية عليه وكل ذلك كان سنة ٥٧٦ هـ

وكان لقلج ارسلان عدة اولاد ذكور فخاف اختلافهم بعد موته ففرق عليهم البلاد في حياته فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين كيخسرو . واقصرا وسيواس لقطب الدين ودوقاط لابنه ركن الدين سليمان . وانقرة لمحبي الدين . وملطية لعز الدين قيصرشاه واباستين لغياث الدين . وقيسارية لنور الدين . واعطى تكسار واماسا لابني اخيه . فكانت هذه القسمة سبباً في تنقيص عيش قلعج ارسلان في اواخر ايامه لان اولاده استضعفوه وتخلوا عنه ولم يزل ينتقل من واحد الى واحد والكل يرفضونه حتى سار الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب قونية فقبله واكرمه ولكن لم تطل ايام قلعج ارسلان

بعد ذلك لشدة حره فتوفي في قونية سنة ٥٨٨ هـ وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة
وعدل وافر

٣٦٨ - غياث الدين كينسرو بن قلع ارسلان

من سنة ٥٨٨ - ٥٩٦ هـ او من سنة ١١٩٢ - ١١٩٩ م

لما توفي قلع ارسلان بن مسعود استولى بنوه كل منهم على ما في يده حسب قسمة
ابيهم فكانت قونية وهي عاصمة البلاد حينئذ من نصيب غياث الدين كينسرو بن
قلع ارسلان . ولم يمض وقت طويل حتى وقعت المنازعات والمخاصمات والفتن بين الاخوة
اولاد قلع ارسلان . وطمع كل منهم في الاستيلاء على ما بيد اخيه الى ان ظهر عليهم
اخيراً اخوه ركن الدين بن قلع ارسلان . واخيراً حاصر قونية وبها اخوه غياث
الدين فهرب غياث الدين منها ولحق ببلاد الشام واستولى ركن الدين على قونية فصارت
كل مملكة ابيه تحت تصرفه المطلق بلا منازع

٣٦٩ - ركن الدين بن قلع ارسلان

من سنة ٥٩٦ - ٦٠٠ هـ او من سنة ١١٩٩ - ١٢٠٣ م

واستمر ركن الدين بن قلع ارسلان ملكاً على آسيا الصغرى (كانت تعرف
قبلاً ببلاد الروم) الى ان توفي سنة ٦٠٠ هـ . وكان ركن الدين ملكاً حازماً شديداً
على الاعداء الا انه رمي بالزندقة وقيل انه معطل

٣٧٠ - قلع ارسلان بن ركن الدين

من سنة ٦٠٠ - ٦٠١ هـ او من سنة ١٢٠٣ - ١٢٠٤ م

لما توفي ركن الدين بن قلع ارسلان تولى بعده ابنه قلع ارسلان بن ركن الدين
ولكنه لم يهنأ بالملك طويلاً لان عمه غياث الدين الذي هرب من ابيه كما تقدم طمع

في الملك بعد موت اخيه واستنجد ملك القسطنطينية لذلك الوقت لارجاع الملك اليه فانجده وتمكن من اغتصاب الملك من يد قلعج ارسلان ابن اخيه سنة ٦٠١ هـ

٣٧١ - غياث الدين كيخسرو بن قلعج ارسلان ثانياً

من سنة ٦٠١ - ٦٠٧ هـ او من سنة ١٢٠٤ - ١٢١٠ م

هكذا تمكن غياث الدين ان يستولى على الملك مرة اخرى واستنجد امره جداً واسترجع مدينة انطاكية التي كان استولى عليها الروم ايام الفتن بين اخوته . وقصده علي بن يوسف صاحب شمشاط ونظام الدين بن ارسلان صاحب خرت برت وغيرها وعظم امره الى ان قتله اشكر صاحب قسطنطينية ٦٠٧ هـ

٣٧٢ - كيكاوس بن كيخسرو

من سنة ٦٠٧ - ٦١٦ هـ او من سنة ١٢١٠ - ١٢١٩ م

لما قتل غياث الدين كيخسرو بن قلعج ارسلان تولى بعده ابنه كيكاوس وتلقب الغالب بالله وكان عمه طغرل شاه بن قلعج ارسلان صاحب ارزن الروم قد طلب الامر لنفسه وسار لقتال كيكاوس ابن اخيه وحاصره في سيواس وخالف عليه ايضاً اخوه كيغباد بن كيخسرو وقصد مدينة انقرة وملكها . فاستنجد كيكاوس بالملك العادل صاحب دمشق فانفذ اليه العساكر وافرج طغرل عن سيواس قبل وصولهم . فسار كيكاوس الى انكورية وملكها من يد اخيه كيغباد وجسه وقتل اصحابه وسار الى عمه طغرل بارزن الروم فظفر به سنة ٦١٠ هـ وقتله

وفي سنة ٦١٥ هـ اتفق كيكاوس بن كيخسرو والافضل بن صلاح الدين على قصد حلب واعمالها وهي في ذلك الوقت لشهاب الدين طغرل بن الظاهر على ان تكون الخطبة لكيكاوس والولاية للافضل في جميع ما يفتحونه من حلب واعمالها وتعاقدوا على ذلك وساروا فملكوا قلعة رغبان وتسلمها للافضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل ناسر فاستأثر بها كيكاوس وارتاب للافضل . ثم استنجد ابن الظاهر صاحب حلب

الاشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط على ان يخطب له بحلب و ينتش اسمه على
السكة فسار لانجاده ومعه احياء طي من العرب فنزل بظاهر حلب وسار كيكافوس
والافضل الى منبج ولقيت طليعتهم طليعة الظاهر فاقتتلوا وعاد عسكر كيكافوس منهزمين
اليه فاجفل وسار الاشرف الى رغبان وتل ناشر وبهما اصحاب كيكافوس فغلبهم عليهما
واطلعتهم الى صاحبهم . وسلم الاشرف الحصنين الى شهاب الدين بن الظاهر صاحب
حلب وبلغه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم . وبعد
انهزام كيكافوس كما تقدم ورجوع الاشرف الى مصر عزم على قصد بلاد الاشرف
بالجزيرة واتفق مع صاحب آمد وصاحب اربل على ذلك وكنا يخطبان له . ولكن
عاجلته المنية عن اتمام قصده اذ توفي سنة ٦١٦ هـ .

٣٧٣ - كيغباد بن كيخسرو

من سنة ٦١٦ - ٦٣٤ هـ او من سنة ١٢١٩ - ١٢٣٦ م

توفي كيكافوس بن كيخسرو وخلف بنيه صفاراً وكان اخوه كيغباد محبوباً منذ
أخذه من انكورية فاخرجه الجند من محبسه وملكوه
وفي هذه الاثناء حدثت الفتنة بين الاشرف صاحب الجزيرة والمعلم صاحب
دمشق وجاء جلال الدين خوارزم شاه من الهند سنة ٦٢٣ هـ منهزماً امام التتر فملك
اذربيجان واعترضه به المعلم صاحب دمشق على الاشرف وظاهرها الملك مسمود
صاحب آمد من بني ارتق . فأرسل الاشرف الى كيغباد ملك اسيا الصغرى (بلاد
الروم) يستنجده على صاحب آمد والاشرف بومئذ محاصر لما ردين . فسار كيغباد
واقام على مطية وجهاز السالك من هناك الى آمد ففتح عدة حصون . وعاد صاحب
آمد الى موافقة الاشرف فكتب الى كيغباد ان يرد اليه ما اخذه منه فامنع فبعث
الاشرف عساكره مدداً لصاحب آمد على كيغباد وكان محاصراً لقاعة الكحنا فلقه بهم
وهزمهم واتخذ فيهم وعاد ففتح القلعة .
واستفحل امر كيغباد جداً وقوي شأنه وهابته الملوك واتسع ملكه بما افتتحه .
ثم مد يده الى ما يجاوره من البلاد فملك خلاط بعد ان دافع عنها مع الاشرف بن .

العادل جلال الدين خوارزم شاه . فنازعه الاشرف في ذلك واستصرخ اخاه الكامل
فسار في العساكر من مصر سنة ٦٣١ هـ وسار مع الملك من اهل بيته وانتهى الى النهر
الازرق من تخوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من اهل بيته فلقية كيفباد
وهزمه وحصره في خرت برت وكنت للارتقبيين . ورجع الكامل بالمساكر الى مصر
سنة ٦٣٢ هـ وكيفباد في اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكها من يد نواب الكامل
وولى عليها من قبله . وسار الكامل سنة ٦٣٣ هـ فارتجعها . ثم توفي كيفباد بن
كيخسرو سنة ٦٣٤ هـ .

٣٧٤ - كيخسرو وبه كيفباد

من سنة ٦٣٤ هـ — ٦٥٤ هـ او من سنة ١٢٣٦ — ١٢٥٦ م

ولما توفي كيفباد بن كيخسرو تولى بعده ابنه كيخسرو بن كيفباد وفي هذه المدة
انقرضت الدولة الساجقية من بلاد المسلمين واختلت الدولة الخوارزمية وخرج التتر
من مفازة الترك وراء النهر واستولى جنكيزخان سلطانهم على الممالك وانتزعها من يد
بني خوارزم شاه وفر جلال الدين آخرهم الى الهند ثم رجع واستولى على اذربيجان
وعراق العجم . وكانت الدولة الايوبية في ذلك الوقت المالكة على مصر والشام واربينية
كما سنذكر ذلك في اما كنه ان شاء الله .

وانتشر التتر في سائر النواحي وعاثوا فيها واستفحل ملكهم فسارت منهم طوائف
الى بلاد الروم سنة ٦٤١ هـ فاستنجد كيخسرو ببني أيوب وغيرهم من الترك في جواره
وجاءه المدد من كل جانب ولكنه انهزم امام التتر مع كثرة عساكره ونجا بعياله واموله
الى قلعة فتحصن فيها ثم راسل التتر ودخل تحت طاعتهم واستقامت اموره معهم
ان مات سنة ٦٥٤ هـ

٣٧٥ - عز الدين كيغباد بن كيمخسر والثاني

من سنة ٦٥٤ - ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٦ - ١٢٥٧ م

وتولى بعده ابنه كيغباد الثاني وهو اكبر اخوته ومع ذلك خطب لاختونه عز الدين كيكاسوس وركن الدين قلج ارسلان معه وامرهم واحد . وكان جنكزخان ملك التتر قد توفي وتولى بعده على كرسي سلطنتهم بقراقوم ابنه طلوخان ثم توفي وملك بعده ابنه منكوخان فبعث اخاه هولاكوخان لفتح العراق فصار لذلك وملك العراقيين وفتح بغداد وفي سنة ٦٥٤ هـ ارسل الخان الاكبر منكوخان الى بلاد الروم اميراً من امراء الملل اسمه بيكو في العساكر فصار الى ارزن الروم وملكها عنوة ثم ملك قيسارية ومسيرة شهر معها واستولى على اكثر بلاد الروم وكثر عيث التترالدين مع بيكوفي مملكة كيغباد حتى عزم على المسير الى الخان الاعظم منكوخان ليقدم عبوديته ويؤكّد تابعيته لكي يرجع عنه بيكوفين معه . فصار من قونية سنة ٦٥٥ هـ ومعه سيف الدين طرطاي من موالي ابيه وأخذ معه من الهدايا والاموال للخان الاكبر شيئاً كثيراً . ولما صار كيغباد قاصداً قراقوم كرسي التتر وثب اخوه عز الدين كيكاسوس على المملكة واستولى عليها واعتقل اخاه الاكبر ركن الدين قلج ارسلان واتفق موت كيغباد اثناء طريقه الى قراقوم فخلصت بلاد الروم لاختيه عز الدين كيكاسوس .

٣٧٦ - عز الدين كيكاسوس الثاني بن كيمخسر

من سنة ٦٥٥ - ٦٥٩ هـ او من سنة ١٢٥٧ - ١٢٦٠ م

وضايق بيكو المغولي عز الدين كيكاسوس وهزمه مراراً فهرب كيكاسوس امامه وبيكوفيتهم حتى جاء في اتباعه الى قونية فهرب عز الدين كيكاسوس الى بلاد الساحل ونزل بيكو على قونية وحاصرها حتى استامن له اهلها على يد خطيبهم فرفع عنهم الحصار وامنهم

وفي هذه الاثناء قدم هولاء كوفته بغداد فارسل يستدعي بيكو من بلاد الروم فسار اليه في عساكره وحضر معه فتح بغداد ثم امتشعر هولاء كوفته باستبداد بيكو وميله الى المصيان فدرس له من سمه . ولما انتهى هولاء كوفته من امر بغداد تقدم الى الشام وحاصر حلب وبعث من هناك يطلب عز الدين كيكافوس وركن الدين قلع ارسلان ومعين الدين سليمان البرنواه وزير دولتهم والمدير لها فحضروا واعجب هولاء كوفته بصاحبة البرنواه فاقر كيكافوس على بلاده واحسن الى وزيره البرنواه وفي سنة ٦٥٩ هـ حصلت فتنة بين كيكافوس وبين اخيه قلع ارسلان وانحاز الوزير سليمان البرنواه الى ركن الدين قلع ارسلان واستمدا هولاء كوفته على قتال كيكافوس فامدهم فهزمهم كيكافوس اولاً ثم امدهم هولاء كوفته بالعمساكر مرة اخرى فانهمز كيكافوس وهرب ولحق بالقسطنطينية واستولى اخوه ركن الدين قلع ارسلان على البلاد

٣٧٧ - قلع ارسلان بن كيخسرو

من سنة ٦٥٩ - ٦٦٠ هـ او من سنة ١٢٦٠ - ١٢٦١ م

ولما استولى ركن الدين قلع ارسلان على البلاد استعحكم عليه البرنواه واراد الاستبداد بالامر فعارضه قلع ارسلان فيما يريد ثم وضع له من قتله غيلة سنة ٦٦٠ هـ

٣٧٨ - غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلع ارسلان

من سنة ٦٦٠ - ٦٨٢ هـ او من سنة ١٢٦١ - ١٢٨٣ م

ولما قتل البرنواه قلع ارسلان اقام بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وكان صلياً وقام هو بتدبير الدولة وصارت اليه جميع الامور وله الامر والنهي بلا معارض ولا منازع . وكان التتر لما استولوا على البلاد وضعوا لهم فيها من يقوم مقامهم ويعرف ذلك في تلك الايام بالشحنة (كالتنصل في هذه الايام) وكان الشحنة

في ذلك الوقت في بلاد الروم اميراً من النثر اسمه طغا فسمع هذا الشحنة ان الملك
الظاهر صاحب مصر قد تقدم لقتال النثر فاستمد ابقا بن هولاء كوفامده بامير بن
هاكدوان وترقو لحماية بلاد الروم من الظاهر . ثم زحفوا الى الشام وسار اليهم
الظاهر من مصر وهزمهم مراراً حتى وصل الى قيسارية واستولى عليها فارسل اليه
البرنواه واستحشه للوصول الى بلاده . وبلغ ابقا بن هولاء كوفامده الواقعة وهزيمة
عساكره امام الظاهر فزحف في جوع المغل الى قيسارية وكان الظاهر قد عاد الى
مصر فاستولى على قيسارية وعلم بمكانة البرنواه لظاهر فقبض عليه وقتله واستعمل
على بلاد الروم مع كيخسرو اخاه قنطيرطاي بن هولاء كوفامده عاد الى بغداد .
فعمم امر قنطيرطاي ببلاد الروم وصار امير المغل بها . ولما توفي ابقا بن هولاء كوفامده
واستولى بعده اخوه احمد لكرار بن هولاء كوفامده الى اخيه قنطيرطاي في التقدم
اليه فامتنع خوفاً منه على نفسه ثم حمله غياث الدين كيخسرو على اجابة اخيه وسار
معه فقتل تكرار اخاه قنطيرطاي . فانهم المغل غياث الدين بانه علم برأي تكرار
فيه . ولما ولي ارغون بن ابقا بعد لكرار عزل غياث الدين كيخسرو عن بلاد
الروم وحجسه سنة ٦٨٢ هـ .

٣٧٩ - مسعود بن كيكاس

من سنة ٦٨٢ - ٧١٨ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٣١٨ م

وتولى بعده ابن عمه مسعود بن كيكاس واستعمل ارغون معه هولاء كوفامده
امراء النثر فصار هذا الاخير صاحب الامر والنهي ولم يكن لمسعود من الملك سوى
الاسم واستمر الحال كذلك الى سنة ٧١٨ هـ فاصاب مسعود الفقر وانحل امره
وبقي الملك للنثر ثم فشل امرهم واضمحلت دولتهم واستولت الدولة العثمانية على جميع
هذه البلاد ولا تزال في يدها الى الان . والله غالب على امره يوتي الملك من
يشاء وهو العزيز الحكيم

٣٨٥ - الدولة البورية (بنو تنش بن الب ارسلان ومواليهم)

بالشام وحلب

(تمهيد) لما قدم السلجوقيون طالبيين للملك واستولوا على العراق كما تقدم ذكر ذلك ارسل السلطان ملك شاه السلجوقي احد امراء السلجوقية المدعوات ابن اتق الى الشام ففتح الرملة وبيت المقدس واقام فيهما الدعوة العباسية ومحا الدعوة العلوية ثم حاصر دمشق مرارا حتى ملكها سنة ٤٦٨ هـ وفي سنة ٤٧٠ هـ اقطم السلطان ملك شاه اخاه تنش بن الب ارسلان بلاد الشام وما يفتحها من تلك النواحي فسار الى حلب وحاصرها وكان اتسز (قيل ان اسمه اقسس) يقاتل اهل بيت المقدس اندرهم باصحابه فافتتحها عنوة واستباحها ثم قدم الى دمشق فارسل بدر الجالي العساكر من مصر اطرد اقسس من الشام فاستجد اقسس بن تنش بن الب ارسلان فسار الى دمشق ولما قرب منها رحل عنها عسكر المصريين وركب اقسس ليلته بالعرب من المدينة فلامه تنش على تأخره عن الطلوع الى القائد وقبض عليه وقتله وملك تنش دمشق واحسن السيرة في اهلها وسمي تاج الدولة وكان ملكه دمشق سنة ٤٧٢ هـ وهذا بداية ملكه . والدولة البورية هذه هي فرع من فروع الدرلة السلجوقية كما لا يخفى وهذا نسب تنش مؤسس هذه الدولة . هو تنش بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

٣٨١ - تنش بن الب ارسلان

من سنة ٤٧١ - ٤٨٨ هـ او من سنة ١٠٧٨ - ١٠٩٥ م

وفي سنة ٤٨٥ هـ استولى تنش بن الب ارسلان على حصص وقلعة عرقة وقلعة افامية وغيرها من بلاد الشام . ثم عزم تنش على المسير الى بغداد لقيادة اخيه السلطان ملك شاه لانه كان مريضاً فلما وصل الى هيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق وقد طمع في السلطنة فجمع العساكر وسار نحو

حلب وملكها واطاعه في طريقه صاحب انطاكية وصاحب الرها وحران وخطبوا له في بلادهم . وقصدوا الرحبة فحاصروها وملكوها في محرم سنة ٤٨٦ هـ وخطب فيها لتتش بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فلم يقبلهم اهلها فحاصروها وافتحوها عنوة وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً . ثم قصد تتش الموصل واستولى عليها وعلى غيرها حتى استتب له الامر في جميع تلك النواحي فسار الى ديار بكر واستولى على ميفارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان . وسار منها الى اذربيجان يفتح المدن في طريقه حتى اتسعت مملكته وبلغت من العظمة شأواً بعيداً . فخاف السلطان بركيارق بن السلطان ملك شاه القائم على السلطنة السلاجوقية العظمى بعد ابيه من زيادة سطوة عمه لثلاثين اذ كان الملك وكان بركيارق في ذلك الوقت بنصيبين فعبر دجلة وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير الف فارس فارسل اليه عمه احد الامراء اتباعه لقتاله فقاتله وانهزم بركيارق شر هزيمة فلاحق باصفهان وبها اخوه الملك محمود فلم يقبله اهل اصفهان ولكن اتفق موت اخيه بعد قليل فقبلوه واقاموه عليهم ملكاً بدلاً من اخيه فعظم شأنه وكثر عسكره . وعزم تتش بن الب ارسلان على المسير الى اصفهان للاستيلاء عليها من ابن اخيه بركيارق وكان بركيارق وقتئذ مريراً بالجدري فاهل تتش حتى شفي بركيارق ارجمائس الى الملك بلا قتال فلما شفي بركيارق جمع العساكر وسار لقتال عمه تتش والتتوا بقرب الري وبعد قتال شديد انهزم تتش بن الب ارسلان وقتل في هذه الواقعة وذلك سنة ٤٨٨ هـ

ولما توفي تتش بن الب ارسلان وقع الاختلاف بين ولديه رضوان ودقاق وحارب احدهما الآخر واستولى رضوان على حلب واورشها وبنيه واستولى دقاق على دمشق واورشها وبنيه فانقسمت هذه الدولة الى دولتين احدهما قاعدتها حلب وهي لبني رضوان والاخرى قاعدتها دمشق وهي لبني دقاق وسنتكلم على كل منهما على حدة فلنبداً بدولة رضوان والله ولي التوفيق

القسم الاول

٣٨٢ - رضوان بن تنش

من سنة ٤٨٨ - ٥٠٩ هـ او من سنة ١٠٩٥ - ١١١٥ م

كان تنش بن الب ارسلان قد عهد بالملك بعده لابنه رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير من الامراء فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن علي الخوازمي قد سلمها اليه تنش وحكمه في البلد والقلمة . فنزلوا اولاً كالاضياف على ابي الحسن القاسم ابن علي لتحكمه في البلد . ثم استمال رضوان جند القلمة اليه فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على ابي القاسم وخطب لرضوان على منابر حلب وقوي امره حتى اغار على ما حوله

وفي الوقت نفسه كان دقاق بن تنش قد استولى على دمشق فطمع رضوان في انتزاعها من يده فسار اليه سنة ٤٩٠ هـ وحاصره ولكن امتنعت دمشق عليه وعاد بخفي حنين فطمع دقاق في قصد حلب وساعده على ذلك باغيسيان صاحب انطاكية فاستنجد رضوان بسكمان من سروج في امم من التركان والنقوا بقنسر بن فانهزمت عساكر دقاق ونهب شوادهم وعاد رضوان الى حلب ودقاق الى دمشق ثم سعى بينهما بالصالح على ان يخطب لرضوان بدمشق وانطاكية قبل دقاق فانهقد ذلك بينهما

وفي هذه السنة (٤٩٠ هـ) ارسل المستعلي بالله الفاطمي من مصر الى الملك رضوان بن تنش يدعوه الى الخطبة له على ان يساعده على اخيه وبذل له الاموال في ذلك فخطب له في جميع اعماله ما عدا انطاكية وحلب والمعرفة . ثم حضر عنده سكمان بن ارتق و باغيسيان صاحب انطاكية فانكرا ذلك واستمظاه فاعاد الخطبة العباسية في ذات السنة

وفي سنة ٥٠٩ هـ توفي رضوان بن تنش صاحب حلب وكان قد قتل اخويه
ابا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في اموره ويد اخاهم

٣٨٣ - الب اسمعيل بن رضوان

من سنة ٥٠٩ - ٥١٠ هـ أو من سنة ١١١٥ - ١١١٦ م

لما توفي رضوان بن تنش بن الب ارسلان تولى بعده ابنه الب ارسلان
وكان صغيراً فقام بتدبير الدولة اتاكبه لؤلؤ فاستبد بالامور وصار النافذ الكلمة
فعارضه الب ارسلان في بعض اجراءاته فلما شعر لؤلؤ بمعارضة الب ارسلان قام
عليه وقتله وكان ذلك سنة ٥١٠ هـ

٣٨٤ - سلطان شاه بن رضوان

من سنة ٥١٠ - ٥١١ هـ أو من سنة ١١١٦ - ١١١٧ م

لما قتل لؤلؤ مولاه الب ارسلان ولي في الملك بعده اخاه سلطان شاه بن
رضوان بن تنش واستبد في دولته اكثر من استبداده في دولة اخيه حتى ضجر
ارباب الدولة وبالاخص الجند الاتراك من استبداده

وفي سنة ٥١١ هـ خرج لؤلؤ قاصداً قلعة جعبر ليجمع بصاحبها فلما كان عند
قلعة نادر قتله عسكره الاتراك وانتهبوا خزانته فخرج عليهم اهل حلب فاستمادوا
ما اخذوه . وولى اتاكبة سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص يرقناش فبقى
شهرًا وعزلوه وولى بعده ابو المعالي بن المكي الدمشقي ثم عزله وصادروه وارتبكت
الاحوال وساد الاضطراب فخاف اهل حلب على مدينتهم من الصليبيين فاستقدموا
نجم الدين ايلغازي وسلموه المدينة وانحل امر بني رضوان والبقاء لله وحده

القسم الثاني

٣٨٥ - دقاق بن تنش

من سنة ٤٨٨ - ٤٩٧ هـ او من سنة ١٠٩٥ - ١١٠٣ م

كان تنش بن الب ارسلان قد بعث ابنه دقاقاً الى اخيه السلطان ملك شاه ببغداد فاقام هناك الى ان توفي ملك شاه فسار مع ابنه محمود وامه خاتون الجلالية الى اصفهان ثم ذهب عنهم سرّاً الى بركيارق ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التي قتل فيها فلما قتل ابو تنش بن الب ارسلان (فصل ٣٨١) سار به مولاه تكين الى حلب واقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سرّاً يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرّاً وجد في السير فارس فرسل اخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به ساوتكين وملكه المدينة وجعله مستقلاً عن اخيه رضوان وساعده على ذلك كثيرون من خواص ابيه . وفي هذه الاثناء وصل معتمد الدولة طغديكين ومعه جماعة من خواص تنش (وكان طغديكين زوج والدة دقاق) فقال اليه وثبت امره ولكن كان باغضاً لسautكين فاغرى اصحاب دقاق على قتله فقتلوه

وفي سنة ٤٩٠ هـ قدم رضوان الى دمشق بقصد انتزاعها من يد اخيه دقاق فلم يقدر وعاد خائباً فطعم دقاق في الاستيلاء على ما بيد رضوان فنهزم امامه كما تقدم ذلك (راجع فصل ٣٨٢) وانتهى الحال بينهما بالصلح على ان يخطب دقاق لـ اخيه الملك رضوان في بلاده

وفي سنة ٤٩٦ هـ استولى الملك دقاق بن تنش صاحب دمشق على الرحبة والسبب في ذلك أن الرحبة كانت اكربوقا فلما قتل استولى عليها قايماز من موالي السلطان الب ارسلان فطعم دقاق فيها وسار هو واتبائه طغديكين اليها

سنة ٤٩٥ هـ فامتعت عليهم فعادوا عنها . ثم توفي قايمار في صفر سنة ٤٩٦ هـ وقام بأمر الرحبة حسن من موالي الانراك فابعد عنه كثيراً من جنده وخطب لنفسه فسار دقاق اليه وحاصره في القلعة حتى استأمن وخرج اليه واقطعه بالشام اقطاعات كثيرة وملك دقاق الرحبة واحسن الى اهلها وجعل فيها من يحفظها ثم رجع الى دمشق .

وفي رمضان سنة ٤٩٧ هـ توفي دقاق بن تنش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وخطب اتابكه طغتكين لولد له صغير سنه سنة واحدة ثم قطع خطبته وخطب لعمه بكماش بن تنش وعمره اثنتا عشرة سنة . ثم طمع طغتكين في الملك فاشار على بكماش بن تنش بالمسير الى الرحبة وقتال اهلها لانهم عصوا عليه فخرج وملك الرحبة وعاد فلم يتمكن طغتكين من دخول دمشق . فمضى الى الملك بودوين ملك الصليبيين بالشام واستنجد به على طغتكين فخرضه بودوين على الافساد في اعمال دمشق وتخريبها ففعل ولكن بودوين لم ينجده فيش من اخذ دمشق من هذا المقتصب . واستقر الامر بدمشق لطغتكين

٣٨٦ اتابك طغتكين

من سنة ٤٩٧ - ٥٢٢ هـ أو من سنة ١١٠٣ - ١١٢٨ م

هكذا استتب الامر لatabك طغتكين بدمشق وتمكن بحسن سياسته ان يستولي على الملك من يد بني موله . وكان طغتكين شجاعاً مهاباً حارب الصليبيين مراراً وانتصر عليهم حتى لم يجسروا على قصد دمشق مدة . وكان اذا قصدوه يستنجد بمن حوله من ملوك المسلمين عليهم ويشئت شملهم . وفي سنة ٥٢٢ هـ توفي اتابك طغتكين صاحب دمشق وكان حسن السيرة مؤثراً للعمل محباً في الجهاد واقبه ظهير الدين

٣٨٧ - بوري بن طغتكين

من سنة ٥٢٢ - ٥٢٦ هـ او من سنة ١١٢٨ - ١١٣١ م

لما توفي طغتكين تولى بعده اكبر اولاده بوري بن طغتكين فاقر وزيرايه ابا علي طاهر بن سديد المزدغاني على وزارته . وكان المزدغاني يرى راي الرفضية الاسماعيليه وكانوا كثيرين بدمشق فقوي بهم وتحكم في البلد . وجاء الخبر الى بوري بان وزيره المزدغاني والاسماعيليه قد راسلوا الافرنج بان يملكوهم دمشق فقتل المزدغاني وامر بقتل الاسماعيليه حيثما وجدوا . وقدم الافرنج الى دمشق وحاصروها وضيقوا عليها فاستصرخ بوري بالعرب والتركمان وبذل كل جهده في مدافعة الافرنج عن المدينة حتى لما لم يقدروا حصارها شيئاً رجعوا عنها خائبين واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون . وفي سنة ٤٢٥ هـ ثار الاسماعيليه على بوري وطعنوه فاصابته جراحة واندمت ثم انتفضت عليه في رجب من سنة ٥٢٦ هـ فتوفي منها لاربع سنين ونصف من ولايته



٣٨٨ - شمس الملوك اسماعيل بن بوري

من سنة ٥٢٦ - ٥٢٩ هـ او من سنة ١١٣١ - ١١٣٤ م

لما توفي بوري بن طغتكين تولى بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل وخاف عليه اخوه محمد بيبك فسار اليه اسماعيل وحاصره حتى طلب الامان فامنه وعاد الى دمشق . ثم سار الى باشاش وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح واخذوا جماعة من تجار دمشق في بيروت فسار اليها حتى وصلها في صفر سنة ٥٢٧ هـ وقتلها ونقب اسوارها وملكها عنوة ونزل بالافرنج الذين بها واعتصم فلبم بالقلعة حتى استامنوا وملكها ورجع الى دمشق ثم بلغه ان المسترشد زحف الى الموصل فطعمه هو في حماة وسار آخر رمضان وملكها يوم الفطر من غده فاستامنوا اليه فامنهم وعاد الى دمشق . وكان شمس الملوك سيئ السيرة في رعيته كثير الظلم والمعدوان وبالغ

في المقوبات لاستخراج الاموال لانه كان بخيلاً ذني النفس فكرهته وعيته كرهاً زائداً فراسل عماد الدين زنكي ليحضر اليه ليمسكه دمشق وحته على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال ونقل الجميع الى صوبه . وثابع رسله الى زنكي يقول له « ان اهملت المعبي سلت البلد للافرننج » فسار زنكي وظهر الخبر في المدينة فامتعض اصحاب ابيه وجده واقلقهم وذكروا الحال لوالدته . فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة في الخلوة من غلمانها فلما راته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقتل وكان قتله في رابع عشر ربيع الاخر سنة ٥٢٩ هـ

٣٨٩ - شهاب الدين محمود بن بوري

من سنة ٥٢٩ - ٥٣٣ هـ او من سنة ١١٣٤ - ١١٣٨ م

لما قتل شمس الدين اسماعيل بن بوري تولى بعده اخوه شهاب الدين محمود ابن بوري وفي اول ولايته وصل اتابك زنكي وحاصر دمشق فدافع عنها اهلها دفاعاً محموداً . ثم وصل رسول المسترشد الى اتابك زنكي يامره بمسألة صاحب دمشق شهاب الدين محمود واصله معه فرحل عن دمشق منتصف السنة وكانت مدينة حمص لذلك الوقت لغير جان بن قراجا وكان عماد الدين زنكي كثيراً ما يمرض له حتى ضايقه . فلما كثر تعرض وتضييق عماد الدين على مدينة حمص راسل اهلها سنة ٥٣٠ هـ شهاب الدين محمود بن بوري في ان يسلموها اليه ويطيحهم عوضاً عنها تدمر فاجابهم الى ذلك . وسار اليهم وتسلمها منهم وسلم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جده معين الدين انز وعاد عنها الى دمشق . فلما علم عماد الدين زنكي باستيلاء شهاب الدين على حمص سار اليها في شعبان سنة ٥٣١ هـ وراسل واليها معين الدين انز في تسليمها فلم يذمل وحاصرها فامتعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة وعاد اليها مراراً بلا فائدة .

وكان لام شهاب الدين محمود بن بوري المسماة مردخاتون ابنة جاولى اليد الطولى في تدبير المملكة فافتكر عماد الدين زنكي ان هو تزوجها تسهل عليه ملك حمص وغيرها حتى دمشق نفسها فخطبها لى ابنها وتزوجها ولكنه لم يظفر بما امله في دمشق فقط سلموا له حمص وقلمتها

وفي شوال سنة ٥٣٣ هـ قتل شهاب الدين محمود بن بوري على فرسه غيلة قتله ثلاثة من غلمانه كانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا

٣٩٠ - جمال الدين محمد بن بوري

من سنة ٥٣٣ هـ - ٥٣٤ هـ او من سنة ١١٣٨ - ١١٣٩ م

وتولى بدمه اخوه جمال الدين محمد بن بوري وفوض امر دولته الى مملوك جده معين الدين انز واقطعه بملك واستقامت اموره . وعلمت مردخاتون بقتل ابنها شهاب الدين محمود فارسلت الى زوجها (الجديد) زنكي بالخبر وكان بالجزيرة وسالت منه الطالب بثار ابنها فصار الى دمشق واستعدوا للحصار فمدل الى بملك وجد في حربها ونصب عليها المجانيق حتى استامن اليه اهلها وملكها في ذي الحجة سنة ٥٣٣ هـ ثم سار الى دمشق وبعث الى صاحبها جمال الدين في تسليمها والنزول عنها على ان يعوضه عنها فلم يجب الى ذلك فزحف عليها وحاصرها من جميع الجهات وضيق عليها .

ثم توفي جمال الدين محمد بن بوري رابع شعبان سنة ٥٣٤ هـ وزنكي محاصر به وهو معه في مراوضة الصلح

٣٩١ - مجير الدين أبو بکر محمد

من سنة ٥٣٤ هـ - ٥٤٩ هـ او من سنة ١١٣٩ - ١١٥٤ م

لما توفي جمال الدين محمد بن بوري طمع زنكي في الاستيلاء على دمشق

وهجم عليها بقوة غربية ولكن اهل دمشق كانوا في غاية التيقظ فدافعوا عنها بكل قواهم واقاموا مجير الدين آبق بن محمد مكان ابيه وقام بامر دولته معين الدين انز مملوك جده فارسل الى الافرنج يستنجدهم على مدافعة زنكي على ان يحاصروا قاشاش فاذا فتحها اعطاهم اياها فاجابوه الى ذلك حذراً من استعطالة زنكي بملك دمشق . فسار زنكي للقائهم قبل اتصالحهم بعسكر دمشق ونزل حوران في رمضان من السنة فقام الافرنج عن لقائه واقاموا ببلادهم فعاد زنكي الى حصار دمشق في شوال من السنة ثم احرق قرى المريج والغوطة ورحل عائداً الى بلاده . ثم وصل امداد الافرنج الى دمشق بعد مسيره عنها فسار معهم معين الدين انز الى قاشاش فملكها وسلمها للافرنج كما وعدهم

وفي سنة ٥٤٣ هـ قصدت عساكر الافرنج (وفي مقدمتها ملك اورشليم وهو حينذاك بودوين الثالث ومن خلفه نصارى المشرق ومن بعدهم عسكر لويس ملك فرنسا وملك المانيا في ساقاة الجيش ليحفظ المخاريين من وثوب عدو من الورا) مدينة دمشق وحاصروها وجد المسلمون على القتال ببدالة عند عدوة النهر الذي يخترق البساتين . ولما رأى كونراد ملك الالمان ذلك اسرع بفريق من رجاله الى مقدمة الجيش وانقض على المسلمين كهصاعة فوثب عليه رجل من المسلمين طویل القامة شديد الباس فعاجله ملك الالمان بضربة سيف بين العنق والكف فشقه نصفين فارتاع المسلمون وانهمزوا الى المدينة وبقي الافرنج ماكين عدوة النهر وابقن سكان دمشق بمعجزهم وهموا ان يخلوا المدينة والقوا على ابوابها ومدخل الافرنج منها حجارة ضخمة ليتيسر لهم الفرار بعيالهم واموالهم قبل ان يدركهم الافرنج وتيقن هؤلاء املاك دمشق ووقع بينهم الاختلاف في من منهم يكون الامير عليها فادى ذلك بينهم الى الخصام والنزاع واخذ بعضهم يعملون على احباط مساعي البعض الآخر . وبينما الافرنج يتخاصمون على من يستولي على دمشق منهم اتاهم الخبير بان اميري حلب والموصل قادمان بجيش جرار لقاتلهم فمادوا عن دمشق بالحزبي والفضيحة

وفي سنة ٥٤٤ هـ توفي معين الدين انزمدبر دولة ابق والمتغلب عليه
وفي سنة ٥٤٩ هـ استولى نور الدين محمود بن زنكي على مدينة دمشق والسبب
في ذلك ان الافرنج كانوا استولوا على عسقلان في السنة السابعة فلم يجد نور الدين
طريقاً اليهم ليزيجهم عنها لاعتراض دمشق في طريقه بينه وبين عسقلان .
وقويت شوكة الافرنج بعد ملكهم عسقلان حتى استعرضوا كل مملوك وجارية من
النصارى بدمشق فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى الوطن اخذوه
قهرًا من مجير الدين . وكان للافرنج على اهل دمشق كل سنة قطعة يأخذونها
منهم . فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى المسلمين بالاشام
مقام فراسل مجير الدين صاحبها واستأله وواصله بالهدايا وظهر له المودة حتى
وثق به وكاتب من بها من الاحداث واستألمهم فوعده ان يسلموا المدينة اليه .
وسار نور الدين الى دمشق فارسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال
وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا في امداده
ولكن نور الدين اسرع الى دمشق وتسلمها قبل ان يجمعوا هم عساكرهم فعادوا
بخفي حنين ودخل نور الدين دمشق من الباب الشرقي وحصر مجير الدين في
القلعة وراسله في تسليمها وبذل له قطاعاً في جملته مدينة حمص فسلم القلعة اليه
وسار الى حمص فاعطاه عوض حمص بالس فلم يرض بها مجير الدين وسار عنها
الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها داراً وانقرض ملك الدولة البورية من دمشق
وصارت دمشق تحت حكم الدولة الزنكية وسيأتي ذكرها ان شاء الله والملك لله
يوثيه من يشاء وهو ولي التوفيق

٣٩٢ - الدولة الارنقية بمباردين وديار بكر

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية لان مؤسسها ارتق ابن اكسك كان من ممالك السلطان ملك شاه بن الب ارسلان ملك السلجوقية وكان له مقام محمود في دولتهم . وكان على حلوان وما اليها من اعمال العراق . ولما بعث السلطان ملك شاه عساكره لحصار الموصل مع فخر الدولة بن جبير سنة ٤٧٧ هـ امده بمسكر آخر مع ارتق فهزموه مسلم بن قريش وحصره بآمد ثم داخله في الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه ونجا الى الرقة ثم خشي ارتق من قلمته ولحق بتش بن الب ارسلان بحلب طامعاً في الاستيلاء على حلب من يده فهزموه فتش فالحق ارتق بالرها واستولى عليها وعلى سروج وما زال كذلك الى ان توفي سنة ٤٨٣ هـ

٣٩٣ - سقمان بن ارتق

من سنة ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ او من سنة ١٠٩٠ - ١١٠٤ م

لما توفي ارتق بن اكسك تولى بعده ابنه سقمان . وفي سنة ٤٩١ هـ لما ملك الافرنج انطاكية اجتمعت الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان في ذلك المقام المحمود ثم تناذلوا وافترقوا وعاد سقمان الى الرها . وكان بينه وبين كربولقا صاحب الموصل فتن وحروب الى ان توفي كربولقا سنة ٤٩٥ هـ وولي الموصل بعده موسى التركاني فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل فاستنجد موسى بسقمان بن ارتق على ان يعطيه حصن كيفا فانجده وسار اليه وافرغ عنه جكرمس واستولى سقمان على حصن كيفا . وفي سنة ٤٩٧ هـ استولى سقمان على مدينة ماردين . وفي سنة ٤٩٨ هـ توفي سقمان ابن ارتق وكان حازماً حسن السياسة صادق

الجهاد وبعد موته انقسمت الدولة الى قسمين مستقبين فاستبد اخوه ايلغازي
بمباردين واورشها بنيه و بقي ابنه ابراهيم بن سقمان بحصن كيفا واورثه اخوته وبنيه
واتباعا لجري الاحوال نتكلم على كل من القسمين على حدته .

القسم الاول

٣٩٤ - ابراهيم بن سقمان

لما توفي سقمان ابن ارتق اجتمع اصحابه وبايعوا ابنه ابراهيم بن سقمان فملك
حصن كيفا واستمر به الى ان توفي

٣٩٥ - داود بن سقمان

ولما توفي ابراهيم بن سقمان تولى بعده اخوه داود بن سقمان واستمر ملكه
بحصن كيفا الى ان توفي

٣٩٦ - فخر الدين قرا ارسلان بن داود

لما توفي داود بن سقمان تولى بعده ابنه فخر الدين قرا ارسلان بن داود
فظم شأنه وملك اكثر ديار بكر مع حصن كيفا وتوفي سنة ٥٦٣ هـ

٣٩٧ - نور الدين محمد بن قرا ارسلان

من سنة ٥٦٣ - ٥٨١ هـ او من سنة ١١٦٦ - ١١٨٥ م

ولما توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود ملك بعده ابنه نور الدين محمد
وكانت بينه وبين صلاح الدين الايوبي مودة ومظاهرة . ظاهر صلاح الدين

على الموصل على ان يظاهاهه على آمد فظاهاهه صلاح الدين وحاصرها من صاحبها
ابن سان سنة ٥٦٩ هـ وصارت من اعمال نور الدين . ثم توفي نور الدين محمد
سنة ٥٨١ هـ .

٣٩٨ - قطب الدين سقمان بن محمد

من سنة ٥٨١ - ٥٩٧ هـ او من سنة ١١٨٥ - ١٢٠٠ م

وتولى بعده ابنه قطب الدين سقمان بن محمد وقام بتدبير دولته العوام بن
سباق وكان عماد الدين (عم قطب الدين سقمان) اخو نور الدين محمد قد سار في
المساكر مهددا لصلاح الدين على حصار الموصل فلما بلغه الخبر بوفاة اخيه سار
ملك البلد لصغر اولاد اخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على خرت برت وانتزعها
منهم وملكها واورثها بنيه . فلما افرج صلاح الدين عن الموصل لقيه قطب الدين
سقمان فافقره صلاح الدين على ملك ابيه بكيفا وابقى بيده آمد التي ملكها لايه
واشترط عليه مراجعته في احواله ولوقوف عند اوامره . وكان لقطب الدين سقمان
اخ اسمه محمود وهو المرشح للامارة بعده الا ان سقمان كان شديد البغضاء له
فاشخصه الى حصن منصور من آخر عمله واصطفي مملوكه اياسا وزوجه باخته
وجعله ولي عهده . واستقر ملك قطب الدين بكيفا وآمد وما اليها الى ان توفي
سنة ٥٩٧ هـ .

٣٩٩ - اياسه مملوك قطب الدين

من سنة ٥٩٧ - ٥٩٧ هـ او من سنة ١٢٠٠ - ١٢٠٠ م

لما توفي قطب الدين سقمان بن محمد تولى بعده مملوكه اياس كهده له ولكن
ارباب الدولة دسوا الى محمود بن محمد وهو بمحبسه بالقدم اليهم ليولوه الملك
فقدم اليهم وحارب اياسا وانتصر عليه وحبسه واستولى على ملك ابيه وجده

٤٠٠ - محمود بن محمد

من سنة ٥٩٧ - ٦١٩ هـ او من سنة ١٢٠٠ - ١٢٢٢ م

ولما استولى محمود على الملك اساء السيرة وظلم الرعية وكان ينتحل العلوم
الفلسفية فكبرته رعيته كرهاً زائداً . وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٦١٩ هـ غير
ماسوف عليه .

٤٠١ - المسعود بن محمود

لما توفي محمود تولى بعده ابنه المسعود وحدثت بينه وبين الافضل بن العادل
فتنة واستنجد عليه اخاه الكامل فسار في العساكر من مصر ومعه داود صاحب
الكرك والمظفر صاحب حماة فحاصروه بآمد الى ان نزل عنها وجاء الى الكامل
فاعتقله وانقرض ملك بني سقمان

القسم الثاني

٤٠٢ - ايلغازي بن ارتق

من سنة ٤٩٨ - ٥١٦ هـ او من سنة ١١٠٤ - ١١٢٢ م

كان ايلغازي بن ارتق في ذلك الوقت شحنة بغداد وله اليد الطولى في تدبير
أمور المملكة فلما توفي اخوه سقمان بن ارتق سار الى ماردين واستولى عليها
وفي سنة ٥٠٨ هـ كتب السلطان محمد الساجوقي الى جميع أمراء الساجوقية
بالشام وأسيا الصغرى والعراق وارمينية للاتحاد على قتال الافرنج فسار
جميع الأمراء كأمراء السلطان محمد الا ايلغازي بن ارتق فسار اليه البرسقي ونازله
بماردين حتى اذعن وأرسل عسكرياً مع ابنه اياز فسار البرسقي عنه الى الرها ونازلها

ثم سار الى سيمساط وبلد سروج ثم عاد الى شمعان وهناك قبض على اياز بن ايلغازي حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردین . فسار ايلغازي الى حصن كيفا واستنجد ابن اخيه داود بن سقمان فسار معه في عسكره الى البرسقي فلقبهم في اخر السنة واقتتلوا قتلاً شديداً فانهمز البرسقي وعسكره وخلص اياز بن ايلغازي من الاسر فارسل السلطان محمد الى ايلغازي يتهده فخافه وسار الى الشام واقام عند طغتكين صاحب دمشق ثم اتفق ايلغازي وطغتكين على الامتناع والالتجاء الى الافرنج ولاحتما بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حصن وجددوا اليهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازي الى الرستن على عزم قصد ديار بكر فقصد الامير قرجان بن قراجا صاحب حصن وقد تفرق عن ايلغازي جميع اصحابه فظفر به قرجان وأسرہ وارسل الى السلطان محمد يعرفه ذلك ليرسل اليه من يستلم ايلغازي فطالب الامد ولم يرد السلطان بشيء فعدل الى الصلح مع ايلغازي على ان يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز . وسار ايلغازي من حصن الى حلب وجمع الزمكمان وعاد الى حصن وطالب بولده اياز وحصر قرجان .

وفي هذه الاثناء كان السلطان محمد السلاجوقي قد جهز جيشاً عظيماً وسيره بقيادة الامير برسق بن برسق لقتال الافرنج وأمرهم بقتال ايلغازي اولاً ثم طغتكين بدمشق فاذا فرغوا منها قصدوا بلاد الافرنج وقاتلهم فوصل هذا الجيش العرمرم الى حصص وكان ايلغازي محاصراً لها فافرج عنها وسار الى حلب وسار طغتكين اليها ايضاً وحصنوا المدينة واستعدوا للمحاصر . وتقدم الامير برسق بهساكره وحاصره حلب فامتنعت عليه . فـاروا الى حماة من اعمال طغتكين وبها ذخائره ففتحوها عنوة ونهبوها وسلبوها للامير قرجان صاحب حصص فاعطاهم اياز بن ايلغازي وكان رهينة عنده كما تقدم وبقي الامير برسق بهساكره ولم يتقدم لقتال الافرنج لكثرة جموعهم من جهة ولظنه انه متى دخل الشتاء تفرقوا من جهة أخرى فلما دخل الشتاء ولم يتفرقوا عاد برسق بهساكر الى العراق فتمتقبه الافرنج وهزموه ومن معه

فرجع الى بلاده بالخري والعار . وكان اياز بن ايلغازي أسيراً عنده فقتله الموكلون به سنة ٥٠٩ هـ وعاد طغديكين الى دمشق وايلغازي الى ماردين وفي سنة ٥١١ هـ كتب اهل حلب الى الامير ايلغازي بن ارتق يطلبون منه ان يقدم اليهم ويسلم مدينتهم لضعف أرائهم بها وعدم مقدرتهم مدافعة الافرنج فاجاب طلبهم وسار الى حلب وملكها واستخاف بها ابنه حسام الدين قمرتاش وعاد الى ماردين

ولما عاد ايلغازي عن حلب تاركاً بها ابنه طمع الافرنج في الاستيلاء عليها وتقدموا اليها وحاصروها وضيقوا عليها فجاء ايلغازي لقتالهم ومنعهم عن المدينة فهزموه فعاد وجمع عسكراً آخر واستأنف القتال فهزم الافرنج ودخل حلب فاصالح أمورها ثم عبر الفرات الى ماردين بعد ان استخلف على حلب ابنه سليمان ، وما مدح به ايلغازي في هذه الواقعة قول النظمي

قل ما تشاء فقولك المقبول وعليك بعد انطلق التمويل
واستبشر القرآن حين نصرته وبكى لفقد رجاله الانجيل

وفي سنة ٥١٥ هـ عصى سليمان بن ايلغازي على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة عنده فسمع والده الخبر فسار مجداً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذراً فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك وقتلهم بعد ان مثل بهم واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمغته رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغديكين يشفع فيه فلم يجبه ايلغازي الى ذلك واستناب بحلب سليمان بن اخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

وفي سنة ٥١٦ هـ توفي ايلغازي بن ارتق بميفارقين



٤٠٣ - حسام الدين قمرتاش بن ايلغازي

من سنة ٥١٦ - ٥٤٧ هـ او من سنة ١١٢٢ - ١١٥٢ م

لما توفي ايلغازي بن ارتق تولى بعده بماردین ابنه حسام الدين قمرتاش وملك ابنه الآخر سليمان ميافارقين وكان بحلب سليمان ابن اخيه عبد الجبار بن ارتق فاستولى عليها وبقي قمرتاش بماردین واستمر ملكه بها وكان مستولياً على كثير من قلاع ديار بكر ثم استولى سنة ٥٣٢ هـ على قلعة السباح وكانت بيد بعض بني مروان . ولم يزل قمرتاش ملكاً بماردین الى ان توفي سنة ٥٤٧ هـ .

٤٠٤ - الكي بن قمرتاش وابنه ايلغازي

لما توفي حسام الدين قمرتاش تولى بعده بماردین ابنه الكي بن قمرتاش وبقي ملكاً الى ان توفي وولى بعده ابنه ايلغازي بن الكي الى ان توفي ولم يقع الى تاريخ وفاتها

٤٠٥ - بولق ارسلان بن ايلغازي

لما توفي ايلغازي تولى بعده ابنه بولق ارسلان وكان صغيراً فقام بشدبير الدولة وزيره الثقش . وعلى عهد بولق هذا قصد العادل ابو بكر بن ايوب ماردین وخشيته ملوك الجزيرة ولم بقدروا على منعه فحاصر ماردین وضيق عليها حتى غلت الاقوات فيها فبعث اليه الثقش وزير بولق بالطاعة وتسليم القلعة لاجل معلوم على ان يدخل اليهم الاقوات فأجاب العادل الى ذلك ووضع ابنه على بابها ان لا يدخلها من القوت الا ما يكفي اهلها يوماً بيوم فصانعو الولد بالمال وشحنوها بالاقوات وبينما هم في ذلك جاء نور الدين صاحب الموصل لانجادم وقتل عدوهم فانهزم عسكر العادل وخرج اهل القلعة فاوقفوا بعسكر الكامل ابنه فرحلوا جميعاً منهزمين . ونزل بولق ارسلان الى نور الدين وشكره

ثم توفي بولق ارسلان بن ايلغازي صاحب ماردین بعد ذلك بقليل

٤٠٦ - ارتق المنصور بن ايلغازي

لما توفي بولق ارسلان نصب لؤلؤه الخادم اخاه الاصغر ناصر الدين ارتق بن ايلغازي فقام النقش بتدبير دولته كما كان في ايام اخيه . وازداد استبداد النقش وحججه على ارتق الى درجة لا تطاق . فصار ارتق ينتهز الفرص للغلاص منه وفي سنة ٦٠١ هـ مرض النقش فجاء ارتق لعيادته وقتل لؤلؤا خادمه ثم رجع الى النقش فقتله في فراش مرضه واستقل ارتق بعد موت النقش بالملك وتلقب الملك المنصور . ثم توفي سنة ٦٣٦ هـ .

٤٠٧ - السعيد نجم الدين غازي بن ارتق

من سنة ٦٣٦ - ٦٥٨ هـ او من سنة ١٢٣٨ - ١٢٥٩ م
ولما توفي ارتق بن ايلغازي تولى بعده ابنه السعيد نجم الدين غازي بن ارتق واستمر ملكاً الى ان توفي سنة ٦٥٨ هـ

٤٠٨ - المظفر قرا ارسلان بن ارتق

من سنة ٦٥٨ - ٦٥٩ هـ او من سنة ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م
ولما توفي السعيد نجم الدين غازي بن ارتق تولى بعده اخوه المظفر قرا ارسلان ابن ارتق ولم تطل مدته اذ توفي سنة ٦٥٩ هـ

٤٠٩ - نجم الدين غازي بن قرا ارسلان

من سنة ٦٥٩ - ٧١٢ هـ او من سنة ١٢٦٠ - ١٣١٢ م
لما توفي المظفر قرا ارسلان بن ارتق تولى بعده ابنه نجم الدين غازي بن قرا

ارسلان وطل ملكه الي ان توفي سنة ٧١٢ هـ لاربع وخمسين سنة من ولايته

٤١٠ - المنصور احمد بن غازي

من سنة ٧١٢ - ٧١٦ هـ او من سنة ١٣٦٢ - ١٣٦٦ م

ولما توفي نجم الدين غازي تولى بعده ابنه احمد بن غازي وملك الى ان توفي سنة ٧١٦ هـ

٤١١ - الصالح محمود بن احمد

من سنة ٧١٦ - ٧١٦ هـ او من سنة ١٣٦٦ - ١٣٦٦ م

ولما توفي المنصور احمد بن غازي تولى بعده ابنه الصالح محمود بن احمد ولكنه لم يهنأ بالملك طويلاً لان عمه المظفر نغر الدين داود بن المنصور قام عليه لاول ولايته وخلعه من الملك واغتصب المملكة لنفسه ولم يملك محمود الا اربعة اشهر

٤١٢ - المظفر فخر الدين داود بن المنصور

من سنة ٧١٦ - ٧٧٨ هـ او من سنة ١٣٦٦ - ١٣٧٦ م

واستتب الامر للمظفر فخر الدين داود بن المنصور في المملكة وطالت ايامه ثم توفي سنة ٧٧٨ هـ

٤١٣ - مجد الدين عيسى بن داود

ثم تولى بعده ابنه مجد الدين عيسى بن داود فلم يزل ملكاً على ماردين حتى استولى عليها العثمانيون من يده وهي في يدهم للآن . وانقرضت الدولة الارنقية والملك لله بوثيه من يشاء وهو العزيز الحكيم .

٤١٤ - دولة الشاهات بارمينية

(تمديد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية أيضاً لان مؤسسها سكران كان من موالي قطب الدين اسماعيل بن ياقوتي بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وكان ينسب اليه فيقال سكران القطبي وكان شعباً عادلاً في احكامه . وكانت خلاط وارمينية لبني مروان ملوك ديار بكر وكانوا في آخر دولتهم قد اشتد عسفهم وظلمهم وساء حال اهل البلد معهم فاجتمع اهل خلاط وكانوا سكران هذا واستدعوه ليلجأوا اليهم فصار اليهم سنة ٥٠٢ هـ

٤١٥ - سكران القطبي شاه ارمنه

من سنة ٥٠٢ - ٥٠٩ هـ او من سنة ١١٠٨ - ١١١٥ م

لما سار سكران الى خلاط واستولى عليها خالف عليه اهل ميافارقين فحاصروها وضيق عليها حتى التفتها في ذات السنة وفي سنة ٥٠٩ هـ ارسل السلطان محمد السلجوقي ملوك وامراء المسلمين لقتال الافرنج وكان سكران القطبي شاه ارمن منهم ففتحوا عدة حصون ثم حاصروا الرها فامتنعت عليهم ثم تل ناشر كذلك . واستدعاهم رضوان بن نقش صاحب حلب فلما ساروا اليه امتنع من لقائهم . وفي هذه الاثناء مرض سكران القطبي هناك فرجع عنهم وتوفي في طريقه ببالس

٤١٦ - ظهير الدين ابراهيم بن سكران

من سنة ٥٠٩ - ٥٢١ هـ او من سنة ١١١٥ - ١١٢٧ م

لما توفي سكران القطبي ملك خلاط وارمينية بعده ابنه ظهير الدين ابراهيم بن سكران فأحسن السيرة واتبع طريقة ابيه الى ان توفي سنة ٥٢١ هـ

٤١٧ - احمد بهر سكرمان

من سنة ٥٢١ - ٥٢٢ هـ أو من سنة ١١٢٧ - ١١٢٨ م

ولما توفي ظهير الدين ابراهيم بن سكرمان ملك بعده اخوه احمد بن سكرمان ولم تطل ايام ملكه لانه توفي سنة ٥٢٢ هـ لعشرة اشهر من ملكه .

٤١٨ - شاه ارمنه سكرمان بهر ابراهيم

من سنة ٥٢٢ - ٥٨١ هـ أو من سنة ١١٢٨ - ١١٨٥ م

ثم ملك بعده ابن اخيه شاه ارمن سكرمان بن ابراهيم وكان صبيًا فاستبدت عليه جدته ام ابراهيم ثم عزمت على قتله فقتلها اهل الدولة سنة ٥٢٨ هـ واستبد شاه ارمن وقوي امره وكان يدينه وبين الكرج وقائع مشهورة .

وفي هذه الاثناء كان صلاح الدين الايوبي ملك مصر والشام قد استنحل امره وعلاصيته فكاتبه مظفر الدين كوكبري واغراه بملك الجزيرة ووعدته بخمسين الف دينار . وسار صلاح الدين الى سنجار وحاصرها وهو مجمع المسير الى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكي فاستنجد بشاه ارمن صاحب خلاط . فبعث شاه ارمن مولاة مكتمر الى صلاح الدين شفيعاً فلم يقبل صلاح الدين شفاعته فرجع عنه مغاضباً واخبر شاه ارمن الخبر وخوفه عاقبة الالهـال والتمواني عن صلاح الدين . فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخفياً بظاهاها الى ماردين وصاحبها حينئذ نجم الدين البي وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عز الدين فاستدعاه شاه ارمن فخرج معهم ومعه دولة شاه صاحب بدليس وازن . وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حران وفرق عساكره في نواحيها فلما سمع باجتماعهم ضده سار عن حران الى رأس عين فلما سمعوا بمسيره تفرقوا كل منهم الى بلده .

ثم توفي شاه ارمن سكيان بن ابراهيم سنة ٥٨١ هـ ولم يلد ولداً ذكرًا

٤١٩ - مكتمر مولى سكيان

من سنة ٥٨١ - ٥٨٩ هـ أو من سنة ١١٨٥ - ١١٩٢ م

لما توفي شاه ارمن سكيان بن ابراهيم كان مولاه مكتمر بميفارقين فأسرع الى خلاط واستولى على كرسي بني سكيان وولي على ميفارقين اسد الدين برتقش من موالى شاه ارمن . وكان شمس الدين الباهوان بن ايلدز صاحب اذربيجان قد زوج شاه ارمن على كبر سنه بنداً له ليجعل ذلك طريقاً الى ملك خلاط وأعمالها . فلما بلغه وفاة شاه ارمن كاتب صلاح الدين وكان محاصراً للموصل (وقد عزم على قصد خلاط ليلتها لخلوها من الساطان) ان لا يقصد خلاط وحسن له استمرار الحصار بالموصل حتى يفتحها . وكان ذلك مكراً منه لكي يتمكن من الاستيلاء على خلاط ففسار اليها . فلما علم أهل خلاط بمسيره اليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه ليدفع عنهم الباهوان ففسار صلاح الدين الى خلاط وفي مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما ونزلوا قريباً من خلاط فتردد الرسل بين صلاح الدين والباهوان واتفقوا ان يترك الباهوان وصلاح الدين خلاط لمكتمر مولى سكيان ففعلوا وعادوا عنها . واقام مكتمر اميراً بخلاط وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن وحروب يطول شرحها . وكان مكتمر لاول ولايته قد اخضع اقسنقر من موالى شاه ارمن وزوجه بنته وجعله اتابكه فاقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكتمر وترى به حتى امكنته الفرص فقام عليه وقتله وكان قتله سنة ٥٨٩ هـ .

٤٢٠ - اقسقر

من سنة ٥٨٩ - ٥٩٤ هـ أو من سنة ١١٩٢ - ١١٩٧ م

ولما قتل اقسقر مكتمر كما تقدم اسنقل ملك خلاط وارمينية واعتقل محمد ابن مكتمر واو في بعض القلاع . واستمر ملكه الى ان توفي سنة ٥٩٤ هـ . وقام أحد الارمن ملك خلاط بعده ولكن الاهالي لم يرضوا به وخاعوه لسبعة ايام من ولايته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من ميبسه وملكوه عليهم



٤٢١ محمد بن مكتمر

من سنة ٥٩٤ - ٦٠٤ هـ أو من سنة ١١٩٧ - ١٢٠٧ م

واستولى محمد بن مكتمر على خلاط وارمينية وتلقب الملك المنصور واستوزر شجاع الدين قطاغ القنجاقي داودار شاه ارمن فقام بما عهد اليه خير قيام الى سنة ٦٠٣ هـ وفيها قبض محمد بن مكتمر على وزيره هذا مع حسن سيرته واعتقله فهاج الجند لهذا الفعل . وعكف محمد بن مكتمر بعد نكته الوزير على لذاته فاجتمع اهل خلاط وجندها وكبيرهم بلبان مملوك شاه ارمن وكتبوا الى ارتق بن ايلغازي بن البي صاحب ماردين يستدعونه للملك . وجاهر بلبان ومن معه بالعصيان وساروا الى ملاذكرد واستولوا عليها واجتمع الجند على بلبان فسار يريد خلاط ووصل ارتق بن ايلغازي لموعدهم ونزل قريباً من خلاط فبعث اليه بلبان « ان الجند والرعية اثموني فيك فارجع واذا ملكت البلد سلحتك اليك » فتحنى قليلاً . وكان الاشرف موسى بن العادل بن ايوب صاحب الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طمع فيها لنفسه وخشي أن يزداد قوة عليهم فغافله الى ماردين واقام بتدليس وحبى ديار بكر حتى استوعبها وعاد الى حران . أما بلبان فجمع المساكر وجدد الحصار على خلاط ومحمد بن مكتمر منعكف على لذاته

غير سائل عما يكون فنام عليه أهل خلاط وقبضوه ومكنوا بلبان منه فدخل الى خلاط واستولى عليها ولكنه لم تطل ايامه لان الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل الايوبي حاصره فيها واستولى عليها سنة ٦٠٤ هـ فصارت ارمينية جزءاً من المملكة الايوبية وانقضت دولة الشامات والله غالب على امره . وهو ولي التوفيق

٤٢٢ - دولة الموحدين بمراكش

(تمهيد) راس هذه الدولة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي واصله من هرغة من بطون المصامدة . وزعم بعض المؤرخين ان نسبه يتصل باهل البيت والاغاب غير ذلك . نشاء في جبل السوس اقصى بلاد المغرب ثم رحل الى المشرق في شبيبته طالباً للمعلم فاتهى الى العراق واجتمع بابي حامد الغزالي والكيما الهراسي والطرطوشي وغيرهم فتعلموا لابي حامد الغزالي وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي واصول الفقه والدين ثم حج وقيم بمكة وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً لا يصحبه من متاع الدنيا الا العصار وكوة وكان شجاعاً فصيحاً في اساني العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في امر الله بغير اظهاره وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحلاً للادى من الناس بسببه فزاله بمكة من المكروه بسبب ذلك ما حبيب اليه مفارقتها فخرج منها الى مصر وبالغ في الانكار فزادوا في اذاه وطرده الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الناس به خلط في كلامه فينسب الى جنون . فخرج من مصر الى الاسكندرية ومنها بجرأ الى بلاده فاتهى الى المهدي وملكها يومئذ الامير يحيى ابن تميم الصنهاجي وذلك في سنة ٥٠٥ هـ فنزل فيها وجلس على الطريق يظار الى امارة فلا يرى منكراً من آلة الملاحى او اواني الخمر الا نزل اليها وكسرها فتسامع الناس به في البلد فجاؤوا اليه وبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه وراى ورعه اكرمه وساله الدعاء فقال له « اصلحك الله لرعينك » . ولم يبق بعد ذلك بالمهدي لا اياً.

يسيرة ثم انتقل الى بجاية فاقام بها مدة وفيها وجد عبد المؤمن بن علي فتوسم محمد ابن تومرت في عبد المؤمن بن علي النجاة وانفصاحة فاصاحبه معه وسار الى مراکش دار مملكة امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه قبلاً فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثرت اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه . وبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى اخت امير المسلمين في موكبها ومعها من الجوارى الحسنان عدة كثيرة وهن مسفرت (وكانت عادة المشمين يسفرن نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال) فحين رأى النساء كذلك انكر عليهن وامرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت اخت امير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى امير المسلمين وانه يتحدث في تغيير الدولة . فامر علي بن يوسف باحضاره واحضر جماعة من علماء البلد لينظروه فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغى منها فاتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن اسود وقال مخاطباً محمد بن تومرت « ما هذا الذي يذكر عنك من الاقوال في حق الملك العادل الحليم المتعادل الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه » فقال له محمد بن تومرت « اما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه اقوال واما قولك ان الملك يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما نقولونه له وتضررونه به مع علمكم ان الحجة عليه متوجهة فهل بالغت يا قاضي ان الخمر تباع جهاراً وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ اموال اليتامى » وعدد من ذلك شيئاً كثيراً

فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه واطرق حياء ففهم الحاضرون من فحوى كلامه انه طامع في المملكة لنفسه . ولما راوا سكوت الملك وانحداءه لكلامه لم يتكلم احد منهم فقال مالك بن وهيب (وزير الملك علي بن يوسف) وكان كثير الاجزاء على الملك :

« ايها الملك ان هذا سيفتح علينا باباً يعسر علينا سده وان عئدى لنصيحة ان

قبلتها حمت عاقبتها وان تركتها لم تامن غائلها . فقال الملك « ما هي » فقال :
« اني خائف عليك من هذا الرجل وارى ان نعتقه واصحابه وننفق عليهم كل يوم
ديناراً لتكتفى شره وان لم نفعل ذلك لننفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك »
فقبل الملك هذا الاقتراح ولكن قام رجل من الملمسين وشفع في محمد بن تومرت
فاطلقه الملك . فلحق محمد بن تومرت ومن معه بجبل السوس الذي فيه قبيلة هرغة
وغيرهم من المصامدة سنة ٥١٤ هـ فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به اهل تلك النواحي
فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يديه فجعل يعطهم ويذكرهم بايام الله ويذكرهم
شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة
من هذه الدول لا تباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه . فاقام على
ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمي اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي بشر
بالمهدي الذي يملأ الارض عدلاً وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى .
فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن بن علي وقول له لا يوجد هذا الا فيك
فانت المهدي فبايعوه على ذلك . وسمع الامير علي بن يوسف بمبايعته فارسل
عسكراً لقتاله فهزم اصحاب ابن تومرت عسكر علي بن يوسف مع كثرتهم وقتلهم
فقوى ظنهم بالمهدي واقبلت اليه افواج القبائل وانتهى خبره الى امير المسلمين ثانياً
فاحضره مرة اخرى وقال له « ايها الرجل اتق الله في نفسك الم انك عن عقد
الجموع والمغازب وامرتك بالخروج من البلد » فقال « ايها الملك قد امتثلت امرك
وخرجت من البلد واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لاقوال المبطلين » فتوعد امير
المسلمين وهم بالقبض عليه ثم عصمه الله منه ليقضي الله امراً كان مفعولاً
فخرج محمد بن تومرت حتى اتى مدينة تينمل فاقام بها ثم لحق به اصحابه العشرة
السابقون الى دعوته والمصدقون بامامته وهم عبد المؤمن بن علي الكومي وابو محمد
البشير الوانشر يسي وابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي وابو يحيى بن يكيث الهنتاتي
وابو حفص عمر بن علي آصناك وابراهيم بن اسماعيل الخنزرجي وابو محمد عبد الواحد
الحضرمي وابو عمران موسى بن تمار وسليمان بن خلوف وعاشر . فاقاموا بتينمل

وعظم صيت محمد بن تومرت في جبل درن وكثر اتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعى الناس إلى بيعته وخطب فيهم وألهمهم أنه المهدي المنتظر فبايعوه ببيعة عامة . ثم بث دعاته في بلاد المصامدة يدعون الناس إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد وتحرى الحق وظهار الكرامات فاثبت الناس عليه من كل جهة فلقنهم عقائد التوحيد باللسان البريرى وجعل لهم فيه الاشارة والحزاب والسور وقال لهم من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد لا تجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته . فاستوات محبته على قلوبهم وعظموه ظاهراً وباطناً حتى كانوا يستغيثون به في شدائهم وينوّهون باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جمع غفير . فلما علم ان ناموسه قد رسيخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيباً وندبهم الى جهاد المرابطين واباح لهم دماءهم واموالهم فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت فانتخب منهم عشرة الاف من انجاد الموحدين وقدم عليهم ابا محمد البشير وعقد له راية بيضاء ودعى لهم وانصرفوا فساروا الى مدينة غمات وانتهى الخبر الى امير المسلمين فجهز لقتالهم جيشاً من الحشم والاجناد فلما التقوا انتصر الموحدون وهزموا المرابطين واتبعهم بالسيف حتى ادخلوهم مراكش وحاصروها اياماً ثم افرجوا عنها حين تسكثرت عليهم جيوش المرابطين وكان ذلك ثالث شعبان سنة ٥١٦ هـ .

وقسم المهدي الفنائم التي غنمها من المرابطين . وانتشر ذكر المهدي بجميع اقطار المغرب والاندلس ثم غزا مراكش فقام محاصراً لها ثلاث سنين يباكرها باقتال ويرواحها من سنة ٥١٦ - ٥١٩ هـ

والا ضجر من مقامه هناك نهض الى وادي نفيس وانحدر مع مسيلة يدعو الناس لطاعته ويقاتل من ابى منهم فانقاد له اهل السهل والجبل وبايعته كدمية ثم غزا بلاد روكاكة فاخذهم بالدعاء الى توحيد الله وشرائع دينه وسار في بلاد المصامدة يقاتل من ابى ويسلم من اجاب ففتح بلاداً كثيرة ثم رجع الى تينمل فاقام بها شهرين ريثما استراح الناس ثم غزا مدينة اغيات وبلاد هزرجة وانتصر

عليها ثم غزا اهل درن ففتح قلاعها وحصونه واطاعه جميع من فيه من قبائل هرغة وهنتانة وكفيسة وغيرهم وعاد الى تينمال ظفراً غانماً . وبعد ان استراح اصحابه انتدبهم الى غزو مرا كش وقتل المرابطين وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي وابا محمد البشير وخص عبد المؤمن بامامة الصلاة فساروا حتى انتهوا الى اغمت فلقبهم ابو بكر بن علي بن يوسف في حيش كفيف من لمتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية ايام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموا ابا بكر وجيشه الى مرا كش وقتلوه في كل طريق وحصروا مرا كش اياماً ثم رجعوا الى تينمال فخرج المهدي للقائهم فرحب بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وتوفي المهدي عقب هذه الحادثة وكانت وفاته يوم الاربعاء اثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٥٢٤ هـ وكان المهدي رجلاً ربة اسمر عظيم الهامة غائر العينين حاد النظر خفيف العارضين ذا سياسة ودهاء عظيم وكان مع ذلك عالماً فقيهاً راوياً بالحديث عارفاً بالاصول والجدل فصيح اللسان مقدماً على الامور والنظام غير متوقف في سفك الدماء ويهون عليه اتلاف عالم في بلوغ غرضه وكان كثيراً ما يمثّل بقول ابي الطيب المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم فسا نفع بما دون النجوم
فطم الموت في امر حقير كطم الموت في امر عظيم



٤٢٣ - عبد المؤمن بن علي الكومي

من سنة ٥٢٤ - ٥٥٨ هـ أو من سنة ١١٢٩ - ١١٦٢ م

لما توفي المهدي تشوق كل واحد من العشيرة اخصائه الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل شتى وأحبت كل قبيلة ان يكون الخليفة منها وان لا يتولى عليها من هو من غيرها فتماسكوا في ذلك فاجتمع العشيرة ونامروا فيما بينهم وخافوا على انفسهم الاتفاق وان تفسد نياتهم وتفترق جماعتهم فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن بن علي

لكونه كان غريباً بين أظهرهم ليس من المصامدة لان المصامدة من البرانس وكومية قبيلة عبد المؤمن من البتر فقدموه لذلك مع ما كانوا يروون من ميل المهدي الخصوصي اليه فتم له الامر بعد مضي سنتين من موت المهدي وبويع البيعة العامة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوماً من ربيع الاول سنة ٥٢٦ هـ

وفي سنة ٥٢٨ هـ تسمى عبد المؤمن بن علي امير المؤمنين (واعلم ان لقب امير المؤمنين كان في صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من الراشدين او بني امية او من بني العباس بعدهم . ولما قام عبيد الله المهدي اول ملوك العبيديين بأفريقية تسمى امير المؤمنين لانه كان يرى انه احق بالخلافة من بني العباس المعاصرين له بالمشرق فهو اول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاندلس وراى ان له في الخلافة حقاً اقتداءً بسلفه الذين كانوا خلفاء بالمشرق . وكلاهما اعني العبيدي والاموي قرشي من بني عبد مناف . ثم لم يتجاسر احد لا من ملوك العجم بالمشرق ولا من ملوك البربر بالمغرب على التلقب بامير المؤمنين لانه لقب الخليفة الاعظم القرشي الى ان جاءت دولة المرابطين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغرب والاندلس وعظم سلطانه واتسعت مملكته وخاطب الخليفة العباسي بالمشرق فولاه على ما بيده وتسمى بامير المسلمين ادباً مع الخليفة . ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بامير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده . اهـ

وفي سنة ٥٢٩ هـ امر عبد المؤمن ببناء رباط مدينة تازا فبنيت وحصن سورها ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزواته الطويلة التي مكث فيها سبع سنين واجلت عن فتح المغربين معاً الاقصى والاوسط خرج لها من تينمال في صفر سنة ٥٣٤ وقصد جبال غمارة وخرج تاشفين بن علي (في حياة ابيه) بمساكره يحاذيه في البسيط والناس يفرون منه الى عبد المؤمن . ثم نزل تاشفين بأزاء عين القديم وذلك في فصل الشتاء فقام بذلك المنزل شهرين حتى احرق اهل محلاته اوتاد اخبيتهم ودماحهم وهدموا بيوتهم وخيامهم . ثم اشتعلت نار

الفئة والعلاء بالمغرب واقشعت الرعايا من البلاد وتوفي خلال ذلك امير المسلمين علي بن يوسف سنة ٥٣٧ هـ وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور في غزاته هذه . وتمادى عبد المؤمن في غزاته الى جبال بنيانة وبطوية فافتتحها ثم نزل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى الى بلاد زناتة فطاعته قبائل مديونة ثم رحل الى تلمسان وسار اليهم الى هناك تاشفين بن علي بن يوسف امير المسلمين بن المرابطين فهرزمه الموحدون مراراً فلحق بوهرا ن وبعث ابنه ولي عهده ابراهيم بن تاشين الى مراكش في جماعة من لمونة . وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى الهنتي (جد الملوك الحفصيين اصحاب تونس) ومعه بنو ومانوا من زناتة فقدموا الى بلاد زناتة ونزلوا منداس وسط بلادهم واجتمع بنو يادين كلهم وبنو يلوي وبنو مري ن ومغراوة فشن فيهم الموحدون حتى ازعنوا للطاعة ودخلوا في دعوتهم . ثم سار عبد المؤمن في جموع الموحدون الى وهران فلجأ تاشفين الى رابية هناك فاحدقوا بها واضرموا النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشين من الحصن راكباً فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل ومات لسمع وعشرين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ (وبه انقضت دولة المرابطين وتلتها دولة الموحدون التي نحن بصددھا الآن) ولما مات تاشفين ايقن عبد المؤمن ببلوغ امله فعاد الى تلمسان وحاصرها وافتتحها عنوة وعفا عن اهائها . ثم سار الى مدينة فاس وحاصرها حصاراً شديداً وافتتحها ثم رحل عبد المؤمن من فاس عامداً الى مراكش فوافته في طريقه بيعة اهل سبتة فولى عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر على مدينة سلا فافتتحها ثم تمادى عبد المؤمن الى مراكش وهناك اجتمع بقائده ابي حفص عمر بن يحيى بباقي جيشه فتمحدوا جميعاً على حصار مراكش والمرابطون يدافعون جهدهم حتى اعيام الجوع فبرزوا الى مدافعة الموحدون فانهمزموا وتبهم الموحدون بالقتل فافتحموا عليهم المدينة في اخريات شوال سنة ٥٤١ هـ وقتل عامة المرابطين ونمحي اثرهم واستولى الموحدون على جميع البلاد فسبحان من يغير ولا يتغير

وما صدق عبد المؤمن ان انتصر على المرابطين واستتب له الامر حتى ظهر له عدوا آخر هو محمد بن هود السلاوي اصله رجل من سوقة اهل سلا لحق بعبد المؤمن عند ما ظهر وشهد معه فتح مراكش ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه وتسمى بالهادي وتكنى ناسوته من قلوب العامة وكثير من الخاصة ثم بايحه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن الا مراكش فصرح اليه عبد المؤمن عسكرياً من الموحدين بقيادة يحيى بن اسحق فالنقي بالماسي وقاله فانتصر الماسي عليه وعاد مهزوماً الى عبد المؤمن فصرح اليه عبد المؤمن الشيخ ابا حفص الملتاتي في جيش عظيم فاتح ذي القعدة سنة ٥٤٣ هـ فانصرف الشيخ بن حفص في جيوش الموحدين حتى انتهوا الى رابطة ماسة فبرز اليهم محمد ابن هود في نحو ٦٠ الفا من اصحابه وبعد قتال شديد انهزم اصحاب محمد بن هود وقتل في الحركة فكفى الله عبد المؤمن شره بعد ان كاد يفسد عليه امره

ولما غزا عبد المؤمن غزوته الطويلة التي مر ذكرها واستولى على المغربين كما تقدم اتته وفود اهل الاندلس ليرسل اليها الجيوش ويستولي عليها من يد المرابطين فارسل معهم عبد المؤمن عسكرياً فاجازوا الى الاندلس ونزلوا على بلدة شريش ففتحوها في ذي الحجة سنة ٥٣٩ هـ ثم زحف الموحدون الى لبلبة ثم الى شلب وبطلبوس وباجة ففتحوها جميعاً ثم تقدموا الى مدينة اشبيلية فحاصروها براً وبحراً الى ان فتحوها في شعبان سنة ٥٤١ هـ ثم استولوا على قرطبة سنة ٥٤٣ هـ ثم فتحوا غرناطة بعد ذلك ومحاربت جميع بلاد المسلمين بالاندلس تابعة لدولة عبد المؤمن بن علي أو بالحري دولة الموحدين

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب افرقيصة بسبب تنازع ملوكها من بني زيري بن مناد الصنهاجيين واستطالة العرب عليهم بها فاجمع على غزوها فخرج من مراكش اوائل سنة ٥٤٦ هـ واستخلف عليها الشيخ ابا حفص الملتاتي وسار عبد المؤمن مجداً لا يلوي على شيء حتى دخل الجزائر في غفلة من اهلها فاطاعوه ثم تقدم الى مدينة بجاية وافتتحها عنوة واطاعه يحيى بن عبد العزيز ونزل له عن

قسطنطينة فنقله عبد المؤمن معه الى مراكش باهله وخاصته فسكنها واحسن عبد المؤمن اليه

وفي سنة ٥٥٠ هـ أمر عبد المؤمن بن علي باصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه وتغيير المنكرات ما كانت وامر مع ذلك بتحرير كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب الحديث واستنباط الاحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة .

وفي سنة ٥٥٢ هـ نقل عبد المؤمن مصحف امير المؤمنين عثمان بن عفان من قرطبة الى مراكش وفيها بناء جامع الكتبيين بمراكش .

وفي سنة ٥٥٣ هـ غزا عبد المؤمن افرقية وافتتح المهدية وطرابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقابس وبالجملة فانه استخلص في هذه السنة جميع بلاد افرقية من القائمين بها

وفي سنة ٥٥٥ هـ أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد افرقية والمغرب فكسر من برقة في جهة الشرق الى بلاد نول من السوس الاقصى في جهة الغرب بالفراخ والاميال طولاً وعرضاً ثم اسقط من التكسير الثلث في الجبل والفياض والانهار والساخ وما بقي قسط عليه الخراج والزم كل قبيلة بقسطها وهو أول من احدث ذلك بالمغرب

وفي هذه السنة ٥٥٥ هـ أمر عبد المؤمن ببناء جبل الفتح وتحصينه وهو جبل طارق فبنى وشيد حصنه .

وفي سنة ٥٥٦ هـ عبر عبد المؤمن الى جبل طارق والسبب في ذلك انه بلغه ان محمد بن مردنيش الاثر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان وأطاعه واليهما محمد بن علي الكومي ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونة وملكها ثم رجع الى قرطبة وخرج ابن يكيث لحر به فهزمه ابن مردنيش وقتله . فكتب عبد المؤمن الى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افرقية عليه وأنه واصل اليهم فلما نهض من تلمسان في رجسته هذه عدل الى طنجة فدخلها في ذي

الحجة سنة ٥٥٥ هـ وأقام بها الى أن دخلت سنة ٥٥٦ هـ فغبر منها الى الاندلس ونزل بجبل طارق فأقام به شهر بن واستشرف من احوال الاندلس ووفد عليه قوادها واشياخها فامر بغزو غرب الاندلس (بلاد البرتغال) فنهض اليه الشيخ ابو محمد عبدالله بن أبي حفص الهنتاقي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن المرنكش من احواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصاري وخرج الفونس من طليطلة لاغاثة فانهمزم امام ابن أبي حفص والموحدين وساق المسلمون السبي الى قرطبة واشبيلية

وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة وبابورة وحصن القصر فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد الى مراكش ولما استتب الامر لعبد المؤمن بالمغربيين وافريقية والاندلس تآقت نفسه الى الجهاد فامر بتجهيز العساكر وبناء المراكب فتم له ما اراد وبني اربماية سفينة حربية ولكنه لم يلبث طويلاً بعد تمامها حتى عاجلته المنية سنة ٥٥٨ هـ وكان قد خرج من مراكش قاصداً الاندلس للجهاد فلما وصل الى رباط سلا ابتداء به مرضه الذي توفي فيه فلما تمادى به الممخاف ان يفاجئه الحمام فأمر بزل ولده محمد من ولاية الهمد (وكان ولاه ولاية عهد قبل ذلك بمدة) واسقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من المعجز عن القيام بامر الخلافة . ثم اشتد مرضه فتوفي ليلة الجمعة اثامن من جمادى الاخرى من سنة ٥٥٨ هـ وكان عالماً فصيحاً فقيهاً عالماً بالاصول والجدل والحديث مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية ذا حزم وسياسة واقدام في الحرب ومهات الامور سرى الهمة ميمون النقية . لم يقصد قط بلداً الا فتحه ولا جيشاً الا هزمه . محباً لال العلم والادب مكرماً لوفادتهم منفقاً لبضاعتهم ذكر بعضهم ان الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي العباس لما انشده :

ماهر عطفه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
اشار عليه ان يقصر على هذا البيت وأمر له بالف دينار . والله اعلم .

٤٢٤ - يوسف بن عبد المؤمن بن علي

من سنة ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ او من سنة ١١٦٢ - ١١٨٤ م

لما توفي عبد المؤمن بن علي تولى بالخلافة بعده ابنه يوسف بن عبد المؤمن وامتنع من بيعته اخواه السيد ابو محمد صاحب بجاية والسيد ابو عبد الله صاحب قرطبة فكف عنهم ولم يطالبهم ببيعتهم فلما راوا اجتماع الناس عليه قدم اخواه مبايعين في سنة ٥٥٩ هـ فوصلهم امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بالاموال والجامع واحسن اليهم

وفي سنة ٥٥٩ هـ ثار مزدغ الصنهاجي من صنهاجة وضرب السكة باسمه وكتب فيها « مزدغ الغريب نصره الله عن قريب » وكانت ثورته ببلاد غمارة فبايعه خلق كثير فسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقاً كثيراً فبعث اليه امير المؤمنين يوسف جيشاً من الموحدين فقتل وحمل راسه الى مركش وفي سنة ٥٦٠ هـ كانت واقعة الجلاب بالاندلس بين السيد ابي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الافرنج مع ابن مردنيش فانهمز ابن مردنيش ومن معه من الافرنج وكتب السيد ابو سعيد بالفتح الى اخيه امير المؤمنين يوسف

وفي سنة ٥٦١ هـ ثار سبع بن منغداد بجبل تيزيران من بلاد غمارة وعظمت الفتنة في قبائلها فبعث اليهم يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدين بقيادة الشيخ ابي حفص الهنتاتي ثم تعاضمت الفتنة في غمارة وصنهاجة فخرج اليهم امير المؤمنين بنفسه ووقع بهم واستأصلهم وقتل سبع بن منغداد وحمل راسه الى مركش وعقد يوسف لاختيه السيد ابي علي الحسن على سبعة وسائر بلادهم

وفي سنة ٥٦٤ هـ بعث امير المؤمنين الشيخ ابا حفص الهنتاتي في جيوش الموحدين الى الاندلس لاستنقاذ بطليوس من حصار العدو فلما انتهوا الى اشبيلية باقوا ان الموحدين واهل بطليوس هزموا العدو واسروا قائد جيشه فسار الشيخ ابو حفص الى قرطبة

وفي سنة ٥٦٥ هـ وجه يوسف بن عبد المؤمن اخاه السيد ابا حفص الى الاندلس برسم الجهاد فعبه البحر من قصر الجباز الى طريف في عشرين الفاً من الموحدين والمتطوعة فدخلوا بلاد العدو ثم نهضوا الى مرسية ومعهم ابراهيم بن همشك (كان من قواد ابن مردنيش فنزع عنه الى الموحدين) فحاصروا ابن مردنيش الشاثر بمرسية واعمالها واستولوا على اكثر بلادها

ولما اتصل بابير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد ابي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو فنفض الى الاندلس في مائة الف من العرب والموحدين فوصل قرطبة سنة ٥٦٧ هـ ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية فخافه محمد بن مردنيش وحمل على قلبه فمضى ومات فجاء اولاده واخوته الى امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لابيهم فاحسن اليهم امير المؤمنين وتزوج اختهم واصبحوا عنده في اعز منزلة

ثم خرج امير المؤمنين غازياً بلاد العدو ولكنه لم ينجح كثيراً في غزواته هذه فرجع الى اشبيلية في ذات السنة (٥٦٧) . وفي هذه السنة شرع يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية فتمت وصليت فيه الجمعة في ذي الحجة منها . ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعاً الى مراکش سنة ٥٧١ هـ .

وفي سنة ٥٧٥ هـ ثار احد بني الرند بقصبة بافريقية وعصا الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن فسار الخليفة اليه في ذات السنة وحاصر قصبة وضيق عليها وقتلها عنوة وظفر بابن الرند القاتم بها فقتله وذلك سنة ٥٧٦ هـ ثم عاد الى مراکش فدخلها سنة ٥٧٧ هـ وقدم عليه ولاة الاندلس ورواها يهنونه بالاياب فاكروهم وفادتهم وانصرفوا ثم بلغه ان الفونس نازل قرطبة وشن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثم نزل استجة وتغلب على حصن شتيلة واسكنه الافرنج وانصرف . فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على معاودة الجهاد فخرج من مراکش سنة

٥٧٩ هـ وسار الى سبتة ومنها امر الناس بالجواز الى الاندلس فلما استكمل الناس الجواز عبر هو في آخرهم في الحاشية والعيبد وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر سنة ٥٨٠ هـ فدخل بجبل الفتح ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ثم سار الى اشبيلية ثم نهض الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فانتهى اليها في السابع من ربيع الاول من السنة وحاصرها وقتل اهلها ثم حصل سوء تفاهم بين عساكر المسلمين في بعض الاوامر المعطاة لهم فرحلوا عن المدينة والخليفة غير عالم بذلك ولم يبق معه الا القليل من خواصه فلما رأى الافرنج المحصورون بالمدينة قلعة من ميم يوسف فتحوا ابوابها وخرجوا اليه وقتلوه حتى اصابه هو في هذه المعركة جراح بالغة فانهزم صحابه وساروا به الى اشبيلية ثم اراد الخليفة العبور الى المغرب فاشتد الله ومات في الطريق . وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ وكان محباً للعلوم راغباً في تحصيلاها مع حسن سيرة وسياسة

٤٢٥ — المنصور بالله يعقوب بن يوسف

من سنة ٥٨٠ — ٥٩٥ هـ او من سنة ١١٨٤ — ١١٩٨ م

لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بويع ابنه ابو يوسف يعقوب بن يوسف ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واقب المنصور بالله واستنوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن أبي حفص المبتدائي واستفز الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى فاستولى على بعض الحصون واشغف في بلاد العدو ثم اجاز البحر الى الخضرة وقمت له البيعة بالمغرب ايضاً وكان اول شيء فعله انه اخرج مائة الف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات المغرب ورد المظالم التي ظلمها العمال في ايام ابيه واكرم الفقهاء وراعى الصالحين . واهم ما حدث في دولته ثورة بني غانية المسوفيين أصحاب جزيرة ميورقة واعمالها فلما تبشئ من ذلك

سكان امير المسلمين يوسف بن تاشفين قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة وبابسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية

فتوارثها بنوه من بعده الى ايام يوسف بن عبد المومن فبعث اليه محمد بن اسحق بن محمد المسوفي بالطاعة فقبل ذلك يوسف بن عبد المومن وبعث اليه قائده علي بن الروبرنير ليختبر امره ويعقد له البيعة عليه وبو كد الامر في ذلك . وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمون في الرئاسة فلما انتهى اليهم ابن الروبرنير وعلموا الامر الذي قدم لاجله انكروا على اخيهم ذلك لانه لم يكن اعلمهم بمكاتبته يوسف بن عبد المومن فقبضوا عليه وعلى الروبرنير وقدموا مكانه احاهم علي بن اسحق بن محمد ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المومن وولاية ابنه يعقوب المنصور فركب علي بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من اهلها وعليها يومئذ السيد ابو الربيع بن عبد المومن وكان خارجا في بعض مذهبها فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة ٥٨١ هـ .

وكان اقتحام ابن غانية لمدينة بجاية يوم الجمعة فعمد الى الجامع الاعظم وادار به الخيل والرجل فن بايعه خلى سبيله ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه ثم استولى علي بن اسحق على مازونة ثم على مديانة ثم على القلعة ثم نازل قسطنطينة فامتنت عليه واتصل الخبير بالمنصور فسر ح ابا زيد بن ابي حنص بن عبد المومن وعقد له على حرب ابن غانية . فوصل السيد ابو زيد افريقية وشرذ ان غانية عنها الى الصحراء . ثم عاود ابن غانية الاجلاب على بلاد افريقية فسار اليه المنصور بنفسه فهدد افريقية وشرذ ابن غانية في خبر يطول شرحه ثم عاد الى مراکش فدخلها سنة اربع وثمانين وخمسمائة لهجرة وفي ايام المنصور هذا قدم العرب من بلادهم الى افريقية واستوطنوها بجلائهم وخيامهم كذلك وصارت ارض المغرب منقسمة بين امتين امة العرب اهل اللسان العربي وامة البربر اهل اللسان البربري بعد ان كانت بلادهم خاصة بالبربر لان العرب الذين وفدوا اليه قبل هذا التاريخ كان قصدهم الغزو والجهاد وليس الاستيطان فمضى قضا وطهرهم عادوا لبلادهم او اقاموا فيام المختلين

وفي سنة ٥٨٥ هـ تحرك امير المومنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غربها وهي اول غزواته فعب من قصر الجاز الى الجزيرة الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول من السنة المذكورة ثم نهض من الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة لشبونة وانحأها فقطع الثمار واحرق الزرع وقتل وسبا واضرم النيران في القرى وابلغ في النكابة وانصرف الى العدو فدخل فاسا في آخر رجب من السنة المذكورة وفي هذه الاثناء كانت الحروب الصليبية بالشام واستولى الفرنج على بيت المقدس

وغيره منها وقام صلاح الدين لجهادهم فارسل صلاح الدين الى يعقوب المنصور هدايا
حجة نفيسة وطلب منه تسيير اساطيله لغزو الافرنج بالشام واستخلاصه منهم ولكن صلاح
الدين لم يخاطبه في رسالته بامير المؤمنين فلم يجبه الى حاجته

وفي سنة ٥٨٦ هـ عاد ابن غانية الى افريقية فنهض المنصور اليها من فاس فالتى
بلاد افريقية ساكنة وقد فر ابن غانية منها الى الصحراء حين سمع بقدومه .
ولما علم الافرنج بالاندلس ان المنصور مشغول عنهم بابن غانية طعموا في البلاد
واستولوا في هذه السنة على مدينة شلب وباجة وبابورة من غرب الاندلس . واتصل
الخير بالمنصور وهو بافريقية فغاظه ذلك جداً فعاد الى فاس سنة ٥٨٧ هـ وكان قد
مرض في طريقه فدخل فاساً واقام بها مر بضاً سبعة اشهر فلما شفي من علته نهض الى
مراكش فاقام بها الى سنة ٥٩١ هـ ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد فخرج من
مراكش يوم الخميس ١٨ جمادى الاولى سنة ٥٩١ هـ وعبر البحر من قصر المجاز فوصل
الجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة ٢٠ رجب من السنة المذكورة فاقام بها يوماً واحداً
ثم نهض قاصداً سرعة الجهاد في الافرنج خوفاً من ان تفسد نيات المسلمين او يقل عزيمتهم
اذا طال عليهم الامد فسار حتى بقي بينه وبين حصن الارك (اليه تنسب هذه الفزوة)
الذي كان قاعدة الاعمال الحربية للافرنج نحو مرحلتين فجمع عساكره ورتبهم واستختمهم
على الثبات وحسن النية في الجهاد . فلما رأى الفونس وهو بحصن الارك تقدم جيوش
المسلمين اليه امر فرقة من عسكره بمهاجمتهم وصددهم عن التقدم فهجمت هذه الفرقة على
المسلمين بقلوب لا تهاب الموت ودارت رحى الحرب بين الفريقين وحمي وطيسها وكاد
ينتصر الافرنج انتصاراً عظيماً لولا شجاعة الشيخ ابي يحيى بن ابي جنص الذي مات شهيداً
حماسته ورسالته فخلد له ذكراً مجيداً فإنه بحسن تدبيره وجهاده تمكن من حصر فرقة
الافرنج المهاجمة وملاشاتها حتى لم ينح منها الا طويل العمر فلما انهزمت هذه الفرقة هجم
الفونس في جموعه وتكاثر عليه عساكر المسلمين واحتلط الحابل بالابل ونحوه ابن
آدم الى وحش ضار بفترس اخاه وبعد قتال فلما يحدث اشد منه انتصر المسلمون
انتصاراً باهراً وفر الفونس فيمن نجا من اصحابه وغنم المسلمون شيئاً كثيراً . ثم عاد امير
المؤمنين يعقوب بن يوسف الى اشبيلية ظافراً منصوراً . ولم يلبث بها طويلاً حتى
اضطر الى معاودة قتال الافرنج لان الفونس لما ولى منهزماً سار الى طليطلة عاصمة ملكه
وجمع جيشاً آخر وعاود الهجوم على بلاد المسلمين فقاتله يعقوب مرة اخرى وانصر عليه

بانية فطلب الفونس من امير المؤمنين هدية خمس سنوات فاجابه الى ذلك ثم عاد الى مراكش سنة ٥٩٤ هـ

وفي سنة ٥٩٥ هـ توفي امير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف وكلت ذا حزم ودين وسياسة ومدحه كثير من الشعراء فما مدح به قول بعض شعراء عصره حين طلب منه الفونس الصالح فاجابه اليه

اهل بارت يسعى اليه ويرتجى ويزار من اقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالكرامات متلداً وموشحاً ونخسماً ومتوجاً
عمرت مقامات الملوك بذكره وتمطرت منه الرياح تأرجاً

٤٢٦ - الناصر لدين الله محمد بن يعقوب

من سنة ٥٩٥ - ٦١٠ هـ او من سنة ١١٩٨ - ١٢١٣ م

لما توفي يعقوب بن يوسف بويع بالخلافة على المغرب وافريقية والاندلس بعده ابنه محمد بن يعقوب ولقب الناصر لدين الله وثار عليه لاول ولايته علودان البخاري بجبال غماره فسار امير المؤمنين محمد بن يعقوب اليه وفتح جبال غماره واخذها من يد هذا المعتصب ثم رجع الى مراكش

قد ذكرنا في خلافة يعقوب بن يوسف خبر نزوع يحيى بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية واستيلائه على افريقية ثم استرجاعها منه وهروبه الى الصحراء امام يعقوب بن يوسف . فلما توفي يعقوب بن يوسف طمع ابن غانية في البلاد فرجع من الصحراء واستولى على طرابلس والمهدية وبلاد الجريد ثم نازل تونس سنة ٥٩٩ هـ وافتتحها عنوة ثم دخل في دعوتها اهل القيروان وقوى امره وانتظمت ممالكه وخطابه فيها للتخليفة النيسابورية . فاقبل بامير المؤمنين الناصر لدين الله هذا كله فاستشار اصحابه فيما يفعله فاشار عليه الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن ابى حنيفة بالنهوض اليه والمدافعة عنها فعمل على رايه ونهض

اليها سنة ٦٠٠ هـ وبث اسطولا في البحر بقيادة يحيى بن ابي ذكريا المزرجي .
واصل ذلك بان غانية فبعث ذخائره وحرمه الى المهدي وخرج هو من تونس
الى القيروان ثم الى نفصة ثم الى جبل بني دمر فتحصن به ووصل الناصر الى
تونس ثم سار في اتباع ابن غانية الى نفصة ثم الى قاس ثم عاد الى المهدي فعمسك
عليها واستمد لحصارها وسرح الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص لقتال ابن
غانية في اربعة آلاف من الموحد بن سنة ٦٠٢ هـ فلقه بجبل تاجورة من نواحي
قابس ووقع به وبث براسه الى الناصر . اما الناصر فانه استمر محاصرا المهدي
وبها يومئذ علي بن الغاني وكان يدعى بالحاج وكان بطالا شجاعا اظهر من مكاييد
الحرب ما يقصر عنه الوصف واشحى الموحد بن والغب في كبايتهم فكانوا يسمونه
بالحاج الكافر ثم نزل على الامان واحسن اليه الناصر احسانا تاما وسماه الحاج
الكافي بالياء بدل الراء لما راي من مراعاته لصاحبه وهدن عهده معه واستشهد
الحاج الكافي هذا في وقعة العقاب الآتي ذكرها . وكان فتح المهدي في ٢٧
جمادي الاولى سنة ٦٠٢ هـ وولى الناصر عليها محمد بن يعمور المرغي وارتحل عنها
فدخل تونس غرة رجب من السنة واقام بها بقية السنة واكثر التي بعدها
وفي رمضان سنة ٦٠٣ هـ عاد الناصر من تونس الى المغرب الاقصى بعد ان
استخاف على تونس الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاتي جد الدولة
الحفصية تونس وهذا بداية امرها وسيأتي ذكرها في غير هذا لمحل ان شاء الله
ولما قتل يحيى بن اسحق المسوفي ارسل المنصور اسطولا بقيادة السيد ابي
العلاء والشيخ ابي سعيد بن ابي حفص لفتح جزيرة مبورقة من يد بني غانية
المسوفيين فاقتحموها عنوة وقتلوا صاحبها عبد الله بن اسحق المسوفي وانصرف
السيد ابو العلاء الى مراكش بعد ان ولى عليها عبد الله بن طاع الله الكومي
وفي ايام الناصر لدين الله هذا ظهر عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن فرس
وكان من العلماء ببلاد جزولة واستحل الامامة ودعى انه القحطاني المراد بقوله
(لا نفوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بهمه يلاها عدلا)

كما ملئت جوراً) - الحديث - وكان مما ينسب اليه من الشعر قوله
 قولاً لا بناء عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
 قد جاء سيد قحطان وعالمها ومنتهى القول والغلاب للدول
 والناس طوع عصاه وهو سائقهم بالامر والنهي بحر العلم والعمل
 وبأدروا امره فالله ناصره والله خادع اهل الزيف والحيل
 فبعث اليه الناصر الجيوش فزموه رقتل وسبق رأسه الى مراكش فنصب بها
 وسكنت الفتنة

(غزوة العقاب) ثم علم الناصر ان الافرنج بالاندلس قد
 استطالوا على بلاد المسلمين نهبا وسبياً فأقلقه ذلك وأمر بتجهيز العساكر للجواز الى
 الاندلس لجهاد الافرنج . فجمع جيشاً يجل عن الحصر واجاز بهم البحر من قصر
 المجاز في ذي القعدة سنة ٦٧ هـ وسار الى اشبيلية وعساكره في زيادة مستمرة
 لما ينضاف اليهم من اهل الاندلس حتى بلغ عددهم على ما قيل ٦٠٠ الف مقاتل
 فلما علم الافرنج بقدومه بهذا الجيش المرمر خافوه جداً وسألوه الصلح مراراً فلم
 يجبههم اليه بل خرج من اشبيلية في اواخر صفر سنة ٦٠٨ هـ غازياً بلاد قشتالة
 فسار حتى وصل الى حصن سبطرة (وهو حصن منيع على قمة جبل ليس له مسالك
 الا من طريق واحد في مضائق وادعار) فنزل عليه الناصر وادار به الجيوش
 ونصب عليه اربعين منجنيقاً فلم يقدر ان يفتحه واستمر محاصراً له ثمانية اشهر بلا
 فائدة حتى فنيت ازواد عساكره وقتل علوفاتهم ووهنت عزائمهم ونقطت
 الامداد عن الحلة فالت بها الاسمار ودخل فصل الشتاء فشتد البرد واصاب
 المسلمين كل ضرر .

وعلم الفونس ما آل اليه امر المسلمين من الضجر والضعف فجمع جيشاً نظماً
 وخالف الناصر الى قلعة رباح فنازلها وبها يومئذ ابو الحجاج يوسف بن قادس
 فدافع عن الحصن دفاعاً اوجب له الفخر وكتب للناصر مراراً يستمده فكان وزير
 الناصر يخفي كتب ابى الحجاج اثلاً يترك حصن سبطرة ويذهب لامداده . فلما

طل الحصار على ابن قادس ونس من امداد الناصر سلم الحصن لافونس وسار
هو الى الناصر ليعلمه الحل بنفسه وذهب معه صهر له . فلما دخل الى الناصر
واعلمه ابن قادس بما كان امر يقتله وقتل صهره فقتلا وذلك بسعاية ابن جامع وزير
الناصر فخذت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر .
واحس ابن جامع بذلك فابعد من العساكر كل من خشي منه
ولما استولى الفونس على قلعة رباح وهي احصن قلعة للمسلمين بالاندلس
زحف الى الماصر فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان وهجم الافرنج
على المسلمين ودارت رحى حرب يشيد لها ولها الولدان فانهم المسلمين هزيمة لم
يسبق لها نظير وقتل منهم ١٥٠ ألفا فذهبت هذه الهزيمة بقوة المسلمين بالمرب
والاندلس ولم تنصر لهم بعدها راية مع الفرنج الا فيما ندر . وكانت هذه المعركة
الكبرى يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ٦٠٩ هـ . ولحق الناصر باشبيلية . قتل كل من
اساء فيه اظلم ثم عاد الى مراكش وقد اثرت الهزيمة فيه تأثيرا سيئا فلما وصل
رباط القنح من سلا توفي به ليلة الثلاثاء ١٣ شعبان سنة ٦١٠ هـ .

٤٦٧ - المنتصر بالله يوسف بن محمد

من سنة ٦١٠ - ٦٢٠ هـ أو من سنة ١٢١٣ - ١٢٢٣ م

ولما توفي الماصر محمد بن يعقوب بويع بعده ابنه يوسف بن محمد وهو ابن
ست عشرة سنة ولقب بالمنتصر بالله وغاب عليه الوزير أبو سعيد بن جامع
ومشيخته الموحدين فقاموا بأمره واستبدوا عليه . واشتغل المنتصر عن تدبير امر
الملك وانعكس على الشرب والاهو وعشرة النساء فاستبد ولاية الاطراف على ما
بايديهم وطمع الافرنج بالاندلس في المسلمين واستولوا على كثير من المدن التي
بيدهم وظار الهرم على دولة الموحدين
وفي سنة ٦١٣ هـ ظهر بنو مرين بجهة فاس وكانوا موطنين بصحراء فيجيج

وماء الاها فاقتمحوا المغرب في هذه السنين لخلائه من الحامية واكتسحوا
بساطه بالغارات وانجازت رعاياه الى المعادل والحصون وكثرت الشكايات بهم
الى المنتصر وهو مقيم براكش فكتب الى السيد ابي ابراهيم صاحب فاس يامره
بغزوهم فخرج اليهم وهم ببلاد الريف فاوقعوا به وقعة شنعاء كانت باكورة فتحهم
وعاد السيد مغلولاً الى فاس (وبنو مرين هؤلاء هم الذين الفوا لدولة المرينية
التي استولت على المغرب الاقصى بعد انقراض دولة الموحدين وسيأتي ذكرها)
وفي سنة ٦١٤ هـ هزم المسلمون بقصر ابي دانس بالاندلس امام الافرنج
هزيمة تقرب من هزيمة المعقاب واستولى الافرنج على قصر ابي دانس

اما يوسف المنتصر فاستمر مقيماً براكش على لذاته الى ان توفي وكان من
خبر وفاته أنه كان مولعاً باتخاذ الحيوان واستنجاه فكان يوثق اليه باصناف
البقر من الاندلس فيرسلها في بستانه الكبير من حضرة مراكش ويحمل بعضها
على بعض للتنازل فخرج ذات يوم للتطوف على تلك البقر والنظر اليها فتوسط
قطيعاً منها فانكرته بقرة شرود فطمته في صدره طعنة كانت القاضية على حياته .
وكانت وفاته يوم السبت ١٢ ذي الحجة سنة ٦٢٠ هـ ولم يكن في بني عبدالموثن
احسن منه وجهاً ولا ابغ في المخاطبة

٤٢٨ عبد الواحد بن يوسف

من سنة ٦٢٠ - ٦٢١ هـ او من سنة ١٢٢٣ - ١٢٢٤ م

لما توفي المنتصر يوسف بن محمد اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا
للسيد ابي محمد عبد الواحد بن يوسف وهو اخو المنصور فاستقام له الامر نحو شهرين
وخطب له جميع اعمال الموحدين ما عدا مرسية فان ابن اخيه السيد ابا محمد عبد
الله بن المنصور الملقب بالعدل كان والياً عليها وكان وزيره بها الشيخ ابا زيد

ابن يرجان المعروف بالاصغر وكان من دهاة الموحدين فاغراه بالتوثب على الامر وشهد له انه سمع من المنصور العهد له بالخلافة من بعد الناصر وقال له فيما قال « انك احق بالخلافة من عبد الواحد انت ولد المنصور واخو الناصر وعم المنتصر ولك الراي وحسن السياسة والحزم ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان » فسمع السيد ابو محمد عبد الله بن المنصور كلام وزيره وطلب من اهل مرسية البيعة لنفسه فبايعوه ونسعى بالعدل وكان اخوته ابو العلا الاصغر صاحب قرطبة وابو الحسن صاحب غرناطة وابو موسى صاحب مالقة فبايعوه مسراً . وكان ابو محمد بن ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي صاحب جيان وقد عزله عبد الواحد بن يوسف بعنه ابي الربيع بن ابي حفص فانتقض وبايع للعدل وزحف مع ابي العلا صاحب قرطبة وهو اخو العدل الى اشبيلية وبها عبد العزيز اخو عبد الواحد فدخل في دعوتهم . وامتنع السيد ابو زيد بن ابي عبد الله اخو البياسي عن بيعه العدل وتمسك بطاعة عبد الواحد . ثم خرج العدل من مرسية الى اشبيلية ومنها كتب الى اشياخ الموحدين الذين ببحيرة مراكش يدعوه الى بيعته وخلص عبد الواحد ووعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والولايات الجلييلة فسارعوا الى ذلك ودخلوا الى عبد الواحد وتهددوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويبايع للعدل فاحابهم الى ذلك فخرجوا عنه ووكلوا بالقتل من يحفظه وكان ذلك يوم السبت ٢١ شعبان سنة ٦٢١ هـ .

وفي يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد واحضروا القاضي والفقيه والاشياخ فشهد على نفسه بالخلع وبايع للعدل . ثم دخلوا عليه بعد مضي ١٣ ليلة من خلعهم فحبسوه حتى مات وانتهبوا قصره واستولوا على امواله وحريمه فكان عبد الواحد هذا اول من خلع وقتل من بني عبد المؤمن .

٤٣٩ - العادل عبد الله بن المنصور

من سنة ٦٢١ - ٦٢٤ هـ او من سنة ١٢٢٤ - ١٢٢٦ م

بويج له البيعة الاولى برسية منتصف صفر سنة ٦٢١ هـ وتلقب بالعادل في احكام الله ثم خلاص له الامر وبايمه كفة الموحدين وخطب له براكش واخر شعبان من السنة المذكورة وتوقف عن بيعته السيد ابو زيد بن ابي عبد الله اخو البياسي كما ذكرنا وكان والياً على بانسية وشاطبة ودانية . ولما رأى السيد ابو محمد البياسي امتناع اخيه عن بيعه العادل اثر هو بياسة وما انصف اليها من قرطبة وجيان وقيجة وحصون الثغر الاوسط وتلقب بالظافر (لما دعي البياسي قيامه من بياسة) فبعث العادل اخاه السيد ابا الملا الاصغر في جيش كشف الى البياسي فحاصره ببياسة ولما اشتد عليه الحصار اظهر الطائفة والانقياد وبايع للعادل حتى اذا افرج عنه ابو الملا عاد الى النيكث وبعث الى الفونس يستنصرة على العادل على ان ينزل له من باسة وقيحاطة فنجده الفونس بعشرين الفا من اشداء الافرنج . ولما توفت اليه جموع الفرنج نهض من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا دنأ منها خرج اليه السيد ابو الملا الاصغر والتفوا وقتلوا فنهزم السيد ابو الملا واستولى البياسي والفرنج على محلاته . ولما رأى العادل ما وقع باخيه وجنده خشي ان يتفاقم داء البياسي ويمتد عباب فتنه الى مراکش فترك اخاه ابا الملا قبايته وعبر البحر الى سلا وسار منها الى مراکش فوصلها بعد ان قام في طريقه اليها من العرب شدائد . ولما دخلها استوزر ابا زيد بن عبد الواحد بن ابي حفص وتغدير لابن يرچان ففسد باطنه وسعي في اساد الدولة . وغلب ابو زكريا بن الشهيد شيخ هنتانة ويوسف بن علي شيخ تينجل على امر العادل

ثم خافت عليه عرب الحلط وهسكورة وعاثوا في نواحي مراکش وخربوا بلاد دكالة فخرج اليهم ابن يرچان فلم يبق شيئا فمده اليهم العادل عسكرياً من الموحدين بقيادة ابراهيم بن اسماعيل فهزم رطل واصطارت الاحوال على العادل .

وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي الى قبائلهم للحشد ومدافة هسكورة والعرب فاتفقا ايضاً على خلع العادل واضطربت الامور ولما انتهى الى ابي العلاء صاحب الاندلس خبر اخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الضعف دعا لنفسه باشبيلية فبويع له بها واطاعه اغلب اهل الاندلس وتلقب بالمامون . وبايع له السيد ابو زيد صاحب بلنسية وهو اخو البياسي وذلك في اوائل سنة ٦٢٤ هـ

ثم كتب الممامون ابو العلاء الى الموحدين الذين بمراكش يدعهم الى بيعته ويعلمهم باجتماع اهل الاندلس والموحدين الذين بها عليه ووعدهم في ذلك ومنامهم فتوقف بعضهم عن اجابته اولاً ثم اتفقوا على مبايعته وخلع اخيه العادل فدخلوا عليه قصره وسالوه ان يخلع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ووضعوا راسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له « لانتركك او تشهد على نفسك بالخلع » فقال لهم « اصنعوا ما بدا لكم والله لا اموت الا امير المؤمنين » فخنقه حتى مات وكانت وفاته يوم ٢١ شوال سنة ٦٢٤ هـ وكان خيراً فاضلاً

٤٣٠ - المأمون به المنصور

سنة ٦٢٤ هـ - ٦٢٩ هـ او من سنة ١٢٢٦ - ١٢٣١ م هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتفاض المملكة على اخيه العادل دعا لنفسه باشبيلية وبايعه اهل الاندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا ولقب الممامون

وكان الممامون يتخلق باخلاق الحجاج بن يوسف الثقفي في الشدة والصرامة فندم الموحدون بمراكش وتخوفوا ان ياخذهم بدم عمه عبد الواحد الخلع ثم اخيه العادل فاتفق رايعهم على مبايعة يحيى بن الناصر وكان شاباً في السادسة عشرة من عمره فبايعوه بجامع المنصور بمراكش وامتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة

من بيته وقالوا قد بايعنا المامون فلا ننكث بعهده . وتأخر قدوم المامون الى مراکش
وبقي بالاندلس لاسباب ياتي شرحها و اقام يحيى بمرآة واستتب امره بهض الشي*
وجهن جيشاً من الموحدين لقتال الخلط وهسكورة فانهمز جيش يحيى وعاد مغلولاً
الى مراکش . ثم اضطربت الاحوال على يحيى و انتقضت البلاد وغلت الاسعار
وعم الخراب والفساد بلاد المغرب واستحوذ بنو مريـن على ضواحيه وضائقوا
الموحدين في كثير من امصاره واقتضوا جبايته وكثرت الثوار في الاقطار على ما
سنذكره ان شاء الله

في سنة ٦٢٥ هـ ثار ببجبال غمارة محمد بن ابى الطواحين الكتامي المتنبى وكان
يتعجل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع واظهر انواعاً من الشعبة
فكثرت تابعوه ثم اطلعوا على كذبه فنبذوا اليه عهده وزحفـت اليه العساكر من سبتة
ففر عنهم ثم قتله بعض البرابرة غيلة

وانتقض امراء الاندلس على المامون واستولى كل منهم على ما بيده واستظهر
كل منهم على امره بملوك الافرنج ونزلوا لهم عن كثير من الحصون ففسدت ضماير
اهل الاندلس على الموحدين وتصدى للثورة عليهم محمد بن يوسف بن هود من
اعقاب الجذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة ومر ذكرهم . وانتقض في سنة ٦٢٥ هـ
فسار اليه السيد ابو العباس صاحب مرسية في عسكر كثيف فهزمهم ابن هود
وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للفايفة المستنصر العباسي ثم
زحف اليه السيد ابو زيد بن محمد اخو البياسي من شاطبة وكان والياً بها فهزمه
ابن هود فرجع الى شاطبة واستعجاش بالمامون وهو يومئذ باشبيلية فخرج في العساكر
ولقيه ابن هود فانهمز واتبعه المامون الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت عليه فاقلع
عنه ورجع الى اشبيلية ثم اجاز الى المغرب كما سيأتي ذكره فقوي امر ابن هود
وبايعه اهل شاطبة ثم اهل قرطبة واشبيلية ولم يبق الموحدين بالاندلس سلطان .
وفي سنة ٦٢٩ هـ ثار محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر بمحـصن
ارجونة من اعمال قرطبة ودعا لابى ذكرى الحفصي صاحب افريقية ثم دخل في

طاعته اهل قرطبة . وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذا بهبل الملك بها وكانت خطوط استولى الاسبانوليون فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك واورثه بنيه وسياتي ذكر دولتهم فيما بعد ان شاء الله وقد تقدم ان الموحدين بمراكش خنفوا العادل وبايعوا اخاه المأمون ثم ندموا وبايعوا ابن اخيه يحيى بن الناصر . فوصلت بيعة الموحدين الى المأمون وهو باشبيلية فسر بها وامر باقراؤها على منابر الاندلس وعزم على الجواز الى مراكش فلما وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبران الموحدين قد نكثوا بيعته وبايعوا ابن اخيه يحيى فوجم لذلك واطرق ملياً ثم انشد عثملاً بقول حسان

لتسمعن وشيكاً في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله ان يبعث اليه جيشاً من الفرنج يجوز بهم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فشرط عليه صاحب قشتالة (كستيلة) ان يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وان يبني بمراكش اذا دخلها جيش النصاري الذين معه كنيسة لانقام واجباتهم الدينية فيها وان لا يقبل اسلام من يسلم من النصاري بل يرده الى اخوانه فيحكمون عليه بمقتضى شرعهم الى غير ذلك من الشروط المجحفة بالحقوق والتي لا يقبلها احد الا من كان على حالة المأمون من الضعف والاضمحلال . فاجابه المأمون الى جميع ما طلب منه . وكان يحيى بن الناصر صاحب مراكش لما رأى اختلال احواله كما ذكرنا فر بنفسه الى تيفل في سنة ٦٢٦ هـ فقدم اشياخ الموحدين الذين بها واليا يضبطها للمأمون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بذلك . واستمر يحيى معتصماً بالجبل اربعة أشهر ثم بدا له فعاد الى مراكش وقتل عامل المأمون الذي قدمه الموحدون بها واقام بها سبعة ايام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به واقام منتظراً لقدم المأمون ودفاعه عن مراكش . ثم بعث صاحب قشتالة جيشاً يبلغ اثني عشر الفا على الشروط المتقدمة الى المأمون وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ٦٢٦ هـ فمهر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة

من السنة (وهو أول من ادخل عسكر الفرنج ارض المغرب واستخدمهم) فراح بسببة اياماً ثم نهض الى مراكش حتى اذا دنا منها لقيه يحيى بجيوش الموحدين وبعد قتال شديد انهزم يحيى وفر الى الجبل . ودخل المأمون مراكش وبايعه الموحدون والمأمون هذا هو أول من غير شرائع الموحدين التي سنّها لهم محمد بن تومرت المهدي وهو أول من امن المهدي وتعا اسمه من السكة والخطبة وكان لا يعتبر مهدياً الا عيسى

وبعد ان استتب الامر المأمون في مراكش امر باشياخ الموحدين الذين نكثوا ببعثه فقتلوا عن آخرهم وقيل كان عدد القتل اربعة آلاف فعلقت رؤوسهم بدائر سور المدينة حتى انزلت . ثم أمر المأمون للناصرى الذين معه ببناء الكنيسة بمراكش حسب شرطهم فبنيت في الموضع المعروف بالسجينة

وبعد أن مكث المأمون بمراكش خمسة اشهر نهض الى الجبل لقتال يحيى ابن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة ٦٢٧ هـ فالتقى معه في الموضع المعروف بالكاعة فانهمز يحيى وقتل من مسكره اربعة الاف وفي هذه السنة (٦٢٧) استبد الامير زكريا بن الشيخ ابي محمد بن ابي حفص بافريقية وخلع طاعة الموحدين

وفي سنة ٦٢٨ هـ خرجت بلاد الاندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها ابن هود الثر بها

وفي سنة ٦٢٩ هـ خرج على المأمون اخوه السيد ابو موسى عمران بن المصور بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد فاقبل الخبر بالمأمون فخرج اليه وبلغه في طريقه ان قبائل بني فزاز ومكلاثة قد حاصروا مكناسة واثاثوا في نواحيها فسار اليهم وحسم مادة فسادهم وعاد الى سبتة فحاصر بها اخاه السيد ابا موسى فانهت عليه . ولما طالت غيبة المأمون عن مراكش اغتنم يحيى بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها عنوة مع عرب سفيان وشيخهم جرهمون بن عيسى ومعه ابو سعيد بن وانودين شيخ هنتاة وعاثوا فيها وهما موا كنيسة النصارى التي بنيت بها . واتصل

الخبر بالأمون وهو على حصار سبته فارتحل عنها سراً الى مراكش وذلك في ذي الحجة من السنة ولما ابعده عن سبته عبر ابو موسى صاحبها الى الاندلس وابيع لابن هود واعطاه سبته فعوضه ابن هود عنها بالمرية فكان السيد ابو موسى بها الى ان مات

وتوات هذه الاخبار على المأمون وهو في طريقه فمضى اسفاً ومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبته وكانت وفاته في آخر يوم من سنة ٦٢٩ هـ وكانت أيامه ايام شقاء وعناء ومنازعة وكان مع ذلك شهماً حازماً مقدماً على عظام الامور . وكان اذا فكر في حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاها من كثرتهم ينشد مثلاً

تكاثرت الطغاة على خدائش فما يدري خدائش ما يصيد
يشير الى حاله معهم وأنه لا يدري ما يتلافى من ذلك

٤٣١ - الرشيد به المنصور

من سنة ٦٣٠ - ٦٤٠ هـ أو من سنة ١٢٣٢ - ١٢٤٢ م

لما توفي المأمون بن المنصور بويع لابنه عبد الواحد بن المأمون بوادي العبيد ثاني يوم وفاة ابيه اعني اول يوم من سنة ٦٣٠ هـ واقب الرشيد فوضع والده في تابوت وسار الى مراكش فخرج اليه يحيى بن الناصر فقاتله الرشيد وهزمه واستولى على مراكش ومكث بها الى سنة ٦٣١ هـ وفيها نهض الى الجبل حيثما كان يحيى واصحابه فاورق بهم وعاد منصوراً

وفي سنة ٦٣٢ هـ اوقع الرشيد ببعض رؤساء الخاطا لخوفه منهم فاجتمع الخاطا وقدموا عليهم يحيى بن هلال بن حميدان واجلبوا على سائر النواحي واعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه وزحفوا لحصار مراكش . وخرجت عساكر الرشيد لقتالهم فانهمزوا امامهم وحاصر يحيى بن الناصر ومن معه من الخاطا

وهسكورة مدينة مراكش وشددوا عليها الحصار فخرج منها الرشيد الى سجلماسة واقتحمها يحيى واصحابه ونهبوها وساء اثرهم فيها واضطربت احوال الخلافة بها وفي هذه السنة (٦٣٢ هـ) قدم الفرنج الجنوبيون ونازلوا سبتة وحاصروها حصاراً شديداً ونصبوا عليها المنجنيقات واستمروا على ذلك الى سنة ٦٣٣ هـ فلما طال الحصار على اهل سبتة صالحوا الافرنج في الافراج عنها باربعماية الف دينار فقبلوا واقلعوا عنها

وفي سنة ٦٣٣ هـ خرج الرشيد من سجلماسة قاصداً مراكش وخرج يحيى ابن الناصر لقتاله فانهمز يحيى ودخل الرشيد مراكش ظافراً ولحق يحيى بعرب معقل فغدر به بعضهم وقتله وبعث برأسه الى الرشيد فاستراحت البلاد من غاراته وكفى الله الرشيد شره

وفي سنة ٦٣٥ هـ بايع أهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود الثائر بها . وفي سنة ٦٣٦ هـ وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وكان قد بايع اولاً ابا زكريا الحفصي صاحب افرقية ثم بداله فرد البيعة للرشيد

وفي هذه السنة ٦٣٦ هـ استولى الفرنج بالاندلس على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار مملكتها وذلك يوم الاحد ٢٣ شوال من السنة وفي سنة ٦٣٧ هـ انتشر بنو مرين ببلاد المغرب واشتدت شوكتهم به وانهمز الرشيد امامهم مراراً

وفي سنة ٦٤٠ هـ توفي الرشيد غريماً في بعض صهاريج بستانه وذلك يوم الخميس ٩ جمادى الآخرة من السنة . وقيل اخرج من الماء حياً فخم لوقته ومات



٤٣٢ - السعيد علي بن المأمون

من سنة ٦٤٠ - ٦٤٦ هـ او من سنة ١٢٤٢ - ١٢٤٨ م

لما توفي الرشيد بن المأمون بويع بعده اخوه ابو الحسن السعيد علي بن المأمون وتلقب المعتضد بالله . وكان ضرر بني مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد اعضل فخرج السعيد سنة ٦٤٢ هـ لتهديد بلاد المغرب فانتهى الى سجلماسة وكان صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه وقتله فاستولى عليها ثم رجع حتى نزل المقرمة من ارض فاس وعقد المهادنة مع بني مرين وقفل الى مراكش . فكانت هدنة على دخن الم يلبث الا يسيراً حتى عاود النهوض اليهم سنة ٦٤٣ هـ فجمع له اميرهم ابو بكر بن عبد الحق جموع زناتة وعمد نحوه حتى اذا تراءى الجمعان وتهايا القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى ازموار واستولى عليها وغلب الموحدون عليها فرجع السعيد ادراجه في اتباعه ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فواقع به واستلحم كثيراً من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كانون ببني مرين ورجع السعيد الى الحضرة . ثم تقدم الامير ابو بكر بن عبد الحق المريني الى مكناسة فضايقها وخطب طاعة اهلها فثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وخطبوا لابي ذكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيمهم بمراكش فبايعه اهل مكناسة بمواطنة الامير ابى بكر بن عبد الحق المريني (فانه كان يدعو اليه في اول امره وكذا اخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بامرته عند ما تم له ملك المغرب كما سنبينه أن شاء الله في الدولة المرينية)

وفي هذه السنة بعث اهل اشبيلية واهل شبة بطاعتهم للامير ابى ذكريا الحفصي . وكان ابو ذكريا قد تغلب على تلمسان وبايعه صاحبها يعفراسن بن زيان العبد وادي فعظم قدر ابى ذكريا وحدثته نفسه بالتوثب على كرسى الخلافة بمراكش

فنظر امير المؤمنين السعيد علي بن المامون كيف انقسمت الدولة على نفسها واستبعد كل واحد على عمله وتاكيد ان ذلك يذهب بحياة الدولة فجمع الموحدين وخطب فيهم وحشهم على لم شعث هذه الدولة قبل تمكن اصحاب الاطراف كل في عمله فاجابوه الى ذلك . فحشد السعيد الجنود ونهض من مراكش آخر سنة ٦٤٥ هـ يريد مكناسة وبني مرين اولاً ثم تلمسان وغمراسن ثانياً ثم افريقية وابن ابي حفص ثالثاً

فتقدم السعيد الى مكناسة فرأى ابو بكر بن عبد الحق المريني ما لا قبل له به فافرج عن البلاد وتركها للسعيد وخرج اهل مكناسة يطلبون العفو فعفا عنهم ثم سار الى تازا متعقباً ابا بكر ومن معه من بني مرين فخف ابو بكر وارسل بيعته للسعيد وطلب العفو عن نفسه ومن معه فتقبل السعيد منه ذلك ثم تقدم السعيد الى تلمسان فارسل اليه غمراسن بطاعته فلم يقبل منه ان لم يحضر بنفسه فتشاقل غمراسن عن القيد وخشية على نفسه فحاصر السعيد تلمسان ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ركب مبرأ وقت القيلولة على حين غفلة من الناس ليحاطوا بالقلعة ويتقرب مكناسها فبصر به فارس من بني عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان فانقض عليه وطعنه طعنة كانت القاضية عليه وذلك منساخ صفر سنة ٦٤٦ هـ ولما علم عسكر السعيد بموته انهزموا بغير قتال واسنولى بنو عبد الواد على معسكرهم

٦٤٦ هـ — عمر المرتضى بن ابي ابراهيم

من سنة ٦٤٦ — ٦٦٥ هـ ومن سنة ١٢٤٨ — ١٢٦٦ م

لما توفي السعيد علي بن المامون كان عمر بن المرتضى بن ابي ابراهيم ابن يوسف بن عبد المؤمن والياً من قبله بقصة رباط الفتح من سلا فاجتمع الموحدون بجابع المنصور من قبة مراكش وعقدوا له البيعة وبعثوا بها اليه ونهض متوجهاً الى مراكش فلقه وفداهم اثناء طريقه بتماسنا واجتمع عليه اشياخ

العرب وبايعوه ايضاً واستقام امره وتلقب بالمرتضي وعقد يعقوب بن كانون على بني جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان . ثم دخل الحضرة واستوزر أبا محمد بن يونس من قرابته

ولما توفي السعيد استولى ابو بكر بن عبد الحق المريني على رباط تازا ومكناسة ثم استولى سنة ٦٤٧ هـ على فاس واعمالها فاقتطع عن المرتضي بلاد المغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من سلا الى السوس

ولاول دولة المرتضي هذا استولت دولة الاسبانيين على اشبيلية بالاندلس وهي احدى عواصمه وذلك يوم الاثنين ٥ شعبان سنة ٦٤٦ هـ وانحصر ملك المسلمين في الاندلس في مقاطعة غرناطة وملوكها بنو الاحمر

وفي سنة ٦٥٣ هـ خرج المرتضي من مراكش لاسترجاع فاس واعمالها من يد بني مرين المتغلبين عليها وكان جيشه ٨٠ الف فارس فسار حتى نزل جبل بني بهلول قبلة فاس وكانت هيبة بني مرين وناموسهم قد تمكن من قلوب جيش المرتضي فكانوا مذقروا من احواز فاس لا ينامون الا غراراً . فانطلق ذات ليلة فرس لبعض الجنديين وجرى بين الاخوية وجرى الناس خلفه ليسكوه فظن اهل المحلة ان بني مرين قد اغاروا عليهم فركبوا خيولهم وماج بعضهم في بعض وانقلبوا منهزمين لا يلون على شيء وانصل الخبر بابي بكر بن عبد الحق المريني وهو بفاس فخرج للوقت واستولى على جميع ما في محلة الموحدين . وعاد المرتضي الى مراكش واعرض عن بني مرين سائر ايامه فقوي امرهم واستفحل سلطانهم .

وفي سنة ٦٥٥ هـ استولى ابو بكر بن عبد الحق المريني على سجلماسة ثم توفي ابو بكر بعد ذلك بقليل وقام بعده يعقوب بن عبد الحق فضايق الموحدين كثيراً وحاصر مراكش مدة ثم افرج عنها . ومن سوء حظ المرتضي انه فضلاً عن مضايقة المرينيين له ثار عليه عمه ابو العلاء ادريس الملقب بابي دبوس ولحق يعقوب ابن عبد الحق المريني فاكرم الامير يعقوب وفادته وامده على قتال المرتضي بخمسة الاف من شعبان بني مرين . فسار ابو دبوس حتى وصل الى سلا فكتب منها

الى العرب واشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة المرتضى يدعوهم الى بيعته ويهدمهم ويمنيهم فتلقتهم وفود العرب والهساكرة وصناجة آزموور ببعض الطريق فبايعوه وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة . ثم كتب الى خاصته من وزراء المرتضى ان يعلموه بحال البلد والدولة فراجعوه « ان اسرع السير واقبل ولا تتخش شيئاً فاننا قد فرقنا الجند في اطراف البلاد وهذا وقت انتهاز الفرصة » فزحف ابو دبوس الى مراكش ومعه عرب سفيان و بني جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفيناني فلما دنوا من مراكش اغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رمحه بمصراع الباب

ودخلت سنة ٦٦٥ هـ والمرتضى بمراكش غافل عن شان ابي دبوس والاسوار خالية من الحامية والحراس . فقصد ابو دبوس باب اغاث ونسور البلد من هناك ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فهرب المرتضى ناجياً بنفسه من باب الفاتحة ولحق بازمور ونزل على صهر له من بني عطوش كان والياً عليها من قبله . وكان ابن عطوش هذا قد اسره العدو فاقتداه المرتضى بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه آزموور . فلما وقعت عليه الكائنة بمراكش ذهب اليه مستجيراً به ومطعناً اليه فكان من جزائه له ان قبض عليه وقيده وكتب الى ابي دبوس يعلمه فارسل اليه من اخذه وقتله في الطريق وكان قتل المرتضى في شهر ربيع الآخر من سنة ٦٦٥ هـ

٤٣٤ - ابو المعز ادريس الوائلي بالله المعروف بابي دبوس

من سنة ٦٦٥ - ٦٦٨ هـ او من سنة ١٢٦٦ - ١٢٦٩ م

لما دخل ابو دبوس مراكش وفر منها المرتضى على ما تقدم باينه كافة الموحدين واهل المقد والحل من الوزراء . واستقل ابو دبوس بمملكة مراكش ولما علم يعقوب بن عبد الحق المريني بانتصار ابي دبوس ارسل اليه يهنئه ويطلب

منه ما شرطه على نفسه عند ما امد به ساكره . فلما وصل كتاب يعقوب الى ابي دبوس ادركه الفخوة وغلب عليه الكبر وقال للرسول « قل ليعقوب بن عبد الحق يغتنم سلامته ويبيعت الى بيئته حتى اقره على ما ييده والا غزوته بجنود لا قبل له بها »

فعاد الرسول الى الامير يعقوب وابانغ الخبر ودفع اليه كتاب ابي دبوس فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلفاء لعالهم والروساء لخدمهم فتحقق الامير يعقوب نكته وغدره فنض اليه في جموع بني مرين وحاصره بمراكش مدة وضيق عليه . فلما راي ابو دبوس عدم امكانه مدافعه يعقوب كتب الى يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان يطلب اليه الاغارة على بلاد المغرب التي بيد بني مرين ففعل والنزم يعقوب ان يفرج عن مراكش ليقاتل يغمراسن وبعد ان حسم مادة فساد عاده قاصداً مراكش مرة اخرى فخرج اليه ابو دبوس في جموع الموحدون فالتقوا بوادي ودغفوا والتحم القتال وقامت الحرب على قدم وساق فلم تضر الا ساعة حتى انزمت الموحدون واطلق ابو دبوس عنانه للفرار يريد مراكش فادركته خيل بني مرين وقتلوه واتوا به الى الامير يعقوب فسجد شكراً لله ثم بث به الى فاس ونقدم هو الى مراكش فاستولى عليها في اوائل المحرم سنة ٦٦٨ هـ وفر الموحدون الذين كانوا بمراكش الى جبل تينملل فبايعوا اسعق بن ابي ابراهيم اخا المراتضي فبقي ذبالة هناك الى سنة ٦٧٤ هـ فقبض عليه رجيء به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق فقتله وانقرضت دولة بني عبد المؤمن من الارض والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه



٤٣٥ الدولة الزنكية بالجزيرة والشام

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية مؤسسها الاتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر وكان من موالي السلطان ملك شاه السلجوقي وعظم امره بين الوزراء حتى ولاه السلطان محمود شحنة العراق سنة ٥٢١ هـ وكان البرسقي والياً على حلب فقتله الباطنية بالموصل وكان مملوكاً تركياً شجاعاً فاقام ابنه مسعوداً والياً بحلب فلما قتل ابوه سار الى الموصل وملك بها مكان ابيه واستخلف على حلب اميراً اسمه قياز ثم استخلف بعده رجلاً اسمه قنق فاساء السيرة فخلعه اهل حلب وولوا عليهم سليمان بن عبد الجبار

ثم توفي مسعود بن البرسقي امير الموصل هذه السنة (٥٢١ هـ) فولى السلطان محمود السلجوقي عماد الدين زنكي على الموصل وما يليها سار اليها واستولى عليها وهذا بداية ملكه الى ان كان ما سنذكره ان شاء الله

٤٣٦ - عماد الدين زنكي بن اقسنقر

من سنة ٥٢١ - ٥٤١ هـ او من سنة ١١٢٧ - ١١٤٦ م

لما استولى عماد الدين زنكي على الموصل سنة ٥٢١ هـ ارسل عسكراً الى حلب ومعه توقيع السلطان محمود بالتمام فاجاب اهل حلب اليه وسيروا قائد العسكر سليمان ابن عبد الجبار وقتلوا زنكي فاصالح بينهما ولم يرد احدهما الى حلب . ثم سار عماد الدين زنكي بنفسه الى حلب وملك منبج في طريقه واستبشر اهل حلب بتقدمه فرتب امور حلب وسمل عيني قتلت

وفي سنة ٥٢٣ هـ عبر عماد الدين زنكي الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق يستنجد به ويطلب منه المونة على جهادهم فارسل بوري الى ابنه سونج الذي كان نائباً عن

ابيه بحجة يامره بالمسير الى عماد الدين زنكي فصار اليه فغدر زنكي به وقبض عليه ونهب خيامه واعتقله وجماعة من مقدمي عسكره بحلب وسار زنكي الى حماة فلما لم يخلوها من الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد غدر بصاحبها ايضاً الذي يسمى قيرجان بن قراجا وقبض عليه واحضره معه الى حمص وامره ان يامر ابنه وعسكره بتسليم حمص اليه فامرهم فلم يلتفتوا اليه فلما يئس زنكي منها رحل عنها عائداً الى الموصل واستصحب سونج واءراء دمشق معه وبذل له بوري مالا في ابنه فلم يجبه الى طلبه

وفي سنة ٥٢٤ هـ عاد زنكي من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب القريب من حلب وكان اهله الافرنج يضايقون اهل حلب وجمع الافرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا زنكي فرحل عن الاثارب وسار الى ملتهاهم وبعد قتال شديد انهزم الفرنج وقتل منهم كثير ون واسر بعض فرسانهم ثم عاد زنكي الى الاثارب واخذ عتوة وقتل واسر كل من فيه وخربه فبقى خراباً للان

وفي سنة ٥٢٦ هـ كاتب السلطان سنجر عماد الدين زنكي وديس بن صدقة وامرهما بقصد العراق فسارا ونزلا بالماذرية من دجيل وعبر الخليفة المسترشد الى الجانب الغربي فنزل بالعباسية والتقى العسكران بحصن البرامكة فابتداء زنكي فحمل على مينة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهمزوا منه وحمل نصر الخادم من ميسرة الخليفة على مينة عماد الدين وديس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهمز ديس وعماد الدين وقتل من عسكرها جماعة فلحق الاتابك بالموصل

وفي سنة ٥٢٧ هـ ارسل الخليفة المسترشد الشيخ بهاء الدين ابا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها عتاب اغاظ فيه وزادها ابو الفتوح غلظة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه زنكي واهانه واقبه بما يكره فسمع الخليفة فسار عن بغداد في ٣٠ الف مقاتل فلما قارب الموصل فارقه اتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين ونازلها الخليفة في رمضان وقتلها وضيق عليها فنواطأ جماعة من الجصاصين بالموصل على

تسليم البلد فسمي بهم فصلبوا . وبقي الحصار على الموصل نحو ٣ اشهر ولم يظفر منها بشيء . ولا بلغه عن مها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائداً الى بغداد . وفي هذه السنة سار شمس الملوک اسماعيل بن بوري صاحب دمشق الى حماة وهي لعماد الدين زنكي وحصرها فلما عذوة وطلب اهلها منه الامان فامنهم ثم انحل امر اسماعيل بن بوري وضمفت دولته واستطال عليه الافرنج وخشي عاقبة امرهم فاستدعي الاتابک زنكي سرّاً ليلکة دمشق ويرج نفسه . وشهر بذلك اهل دولته فشكوا الى امه فوعدهم خيراً ثم اغتالته وقتلته وجاء الاتابک زنكي الى دمشق وحصرها وضيق على اهلها فقام برفع الحصار مملوك لطغتكين اسمه معين الدين انز واستولى على الامر بسبب ذلك (وقد تقدم ذكر ذلك في الدولة البورية) ولما لم ير زنكي مطمئناً في اخذ دمشق اصطالح مع اهلها ورحل عنها

وفي سنة ٥٣٠ هـ اجتمع الملوك واصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود السلاجوقي وسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر اذ ربيحان الى بغداد ثم سار اليها عماد الدين زنكي بعهده من الموصل وخطب للملك داود ببغداد . ولما باغ السلطان مسعوداً الخبر جمع الساکرو سار الى بغداد وحصرها نيفاً وخمسين يوماً فلم يظفر بهم فعزم على العود الى همدان فوصله طرناي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلمة الامراء المجتمعين ببغداد فعاد الملك داود الى بلاده وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل في نفر يسير من اصحابه . ودخل السلطان مسعود بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد له وفيها بخطه « انه متى جمع او خرج لحرب السلطان فقد خلع نفسه » فاقبوا بخلعهم ونصب للخلافة المقتفي بن المستظهر فارسل الاتابک زنكي رسوله الى بغداد وهو القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري وبايع المقتفي بعد ان ثبت عنده الخلع واتصرف الى الاتابک باقطاع

من خاصة الخليفة ولم يكن ذلك لاحد قبله . وانصرف الراشد من الموصل الى اذربيجان سنة ٥٣١ هـ

وكان قد أسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلاعها سنة ٥٣٠ هـ فان اصحابها اولاد قيرجان بن قراجا ضجروا من كثرة أمراض عماد الدين زنكي لم فراسلوا شهاب الدين في ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضها تدمر فاجابهم الى ذلك فتمسكها واقطعها لملوك جده معين الدين انز . فلما رأى عسكر زنكي بحجة وحلب خروج حمص الى صاحب دمشق تابعوا الفارات على بلدها فارسل شهاب الدين الى زنكي في الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر زنكي عن حمص ولم يكن ذلك الا لمدة وجيزة فان زنكي نازل حمص سنة ٥٣١ هـ فلم يتمكنه معين الدين انز من فتحها فرحل عنها الى بعين وهي للفرنج وضيق عليها فاجتمع الفرنج ليدفعوه عن بعين وجرى بينهم قتال شديد اجلى عن انهمزام الفرنج ودخول بعضهم الى حصن بعين فحصر زنكي الحصن وضيق عليه فطالب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعين وخمسين الف دينار فاجابوه الى ذلك فاطلقهم وتسلم الحصن . ثم فتح المعرة وكفر طاب واخذها من الفرنج

وفي سنة ٥٣٢ هـ سار زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بهابك فلك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانئاس واطاعه ثم سار زنكي الى حمص فحصرها ثانية ثم رحل عنها الى سلمية بسبب نزول الروم على حلب كما سيأتي . ثم عاد الى منازلة حمص فسلمت اليه المدينة والقلعة وارسل فخطب ام شهاب الدين محمود صاحب دمشق وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك اسماعيل وانما حمله على التزوج بها ما رآه من تحكها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب امه ولم يحصل على شيء فاعرض عنها

وكان ملك الروم المدعو يوحنا كمناس قد خرج سنة ٥٣١ هـ متجهزاً من بلاده فاشتغل بقتال الارمن وصاحب انطاكية وغيره من الفرنج فلما دخلت سنة ٥٣٢ هـ سار الى بزاغة وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان

ثم غدر باهلها . قتل فيها واسر وسبي فتنصر قاضيها واربع مائة نفس من اهلها
واقام فيها عشرة ايام ثم رحل عنها من معه الى حلب ونزل على قويق (نهرها)
وزحف اليها وجرى بينه وبين اهلها قتال كثير فانهزم الروم ورحلوا الى الاثارب
وملكوها وتركوا فيها سبايا نزاغة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم وساروا نحو
شيزر فخرج لاميير اسوار نائب عماد لدين زنكي بحلب واوقع من في الاثارب
من الروم واستغلك اسرى نزاغة وسباياها . وسار ملك الروم الى شيزر وحصرها
ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا وارسل صاحب شيزر ابو العساكر بن منفذ
الكناني الى زنكي يستنجده فسار زنكي ونزل على العاصي بين حماة وشيزر بحيث
يراهم الروم . واقام ملك الروم محاصرا شيزر ٢٤ يوما ثم رحل عنها من غير ان
ينال منها غرضاً . وسار زنكي في اثر الروم فظفر بكثير ممن تخاف منهم . ومدح
الشعراء زنكي بسبب ذلك ومن هذا ما قاله مسلم بن خضر الحوي من ابيات اولها
بعزمك ايها الملك العظيم تذل لك الصعاب وتسقيم

ومنها

الم تر ان كلب الروم لما	تبين انه الملك الرحيم
فجاء فطبق الغلوات خيلاً	كان الجحفل الليل البهيم
فحين رميته بك في خميس	تبين فوت ما امسى يروم
كانك في العجاج شهاب نور	توقد وهو شيطان رجيم

وفي سنة ٥٣٣ هـ ملك اتابك زنكي بن اقسنقر بعلبك . وفي سنة ٥٣٤ هـ
ملك شهر زور واعمالها . وفي سنة ٥٣٧ هـ فتح اتابك زنكي مدينة الرها من الفرنج
وحاصر قلعة البيرة (وهي للفرنج) وضيق عليها وقارب ان يفتحها فجاء خبر قتل
نصير الدين نائيه بالموصل فسار عنها . فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم
فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردن وسلموها اليه فملكها المسلمون
وفي سنة ٥٤١ هـ خمس ماضين من ربيع الآخر قتل اتابك عماد الدين زنكي
ابن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جمبر قنله جماعة من معاليكه

ليلاً غيلة وهربوا الى قلعة جمبر . فصاح من بها من اهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله فاطهروا الفرح . فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق وفاضت روحه لوقته وكان قد زاد عمره على ستين سنة وقد خطه الشيب وكان شديد الهيبة على عساكره ورعيته عظيم السياسة وكانت الموصل قبل ان يملكها اكثرها خراب بحيث يقف الانسان قرب محلة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعروة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة . وكان الانسان لا يقدر على المشي في الجامع العتيق الا ومعه من يحميه وهو الان في وسط العمارة . وكانت الموصل من اقل بلاد الله فاكهة فصارت في ايامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين

٢٣٧ - نور الدين محمود بن زنكي

من سنة ٥٤١ - ٥٦٩ هـ او من سنة ١١٤٦ - ١١٧٣ م

لما توفي الاتابك عماد الدين زنكي أخذ ولده نور الدين محمود خاتمه من يده وكان حاضراً معه وسار الى حلب وملكها . وكان أخوه سيف الدين غازي بمدينة شهر زور وهي اقطاعه فارسل اليه زين الدين علي كوجك نائب ابيه عماد الدين زنكي بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر واستقر ملك سيف الدين غازي على البلاد وبقي أخوه نور الدين محمود بحلب وهي له

قد تقدم معنا ان عماد زنكي استولى على مدينة الرها سنة ٥٣٧ هـ من الفرنج وكان صاحبها اسمه جوسلين فلما قتل زنكي عند حصاره حصن جمبر اغرى جوسلين سكان الرها النصارى ان يسلموها اليه فدخل اليها وملكها وحاصر قلعتها فدهمهم نور الدين بن زنكي في عسكر جرار من حاب وارغمه على ترك الرها ونهب المدينة وأسر اهلها وانهمزم بعضهم الى اماكن أخرى اما جوسلين فقبض عليه نور الدين بحيلة وسجنه بحلب حيث توفي سنة ١١٤٩ م (٥٤٤ هـ) واستولى نور الدين على الرها ولم يقدر الافرنج على منعها

وفي سنة ٥٤٤ هـ توفي سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب الموصل بها من

مرض حاد • فلما اشتد مرضه ارسل الى بغداد واستدعى اوحده الزمان ابا البركات فحضر عنده ورأى شدة مرضه فمالجه فلم ينجح الدواء وتوفي آخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ٣ سنين وولى امر الموصل والجزيرة بعده اخوه قطب الدين مودود • وكان اخوه نور الدين بجلب فسار الى سنجار وملكها ولم يحاqqه أخوه قطب الدين وتسلم هو مدينة حصص والرحبة فبقي نور الدين بالشام واخوه قطب الدين بالجزيرة وفي هذه السنة (٥٤٤ هـ) هاجم ريموند دي بواتيا امير انطاكية نور الدين بن زنكي على غير روية لانه كان شجاعاً وكانت تنصل به الشجاعة الى التهور فهزمه نور الدين وتقدم قاصداً حصن حارم فدافعه عنه ريموند المكور ولكن نور الدين انتصر عليه مرة اخري وقتل ريموند في هذه الوقعة

وفي سنة ٥٤٦ هـ جمع نور الدين محمود عسكريه وسار الى بلاد جوسلين وهي تل باشر وعنتاب وعزاز وغيرها من حصون شمالي حلب • وكان جوسلين شجاعاً حسن الرأي فسار في عسكريه نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهرم المسلمون وأسر منهم وقتل جمع كثير وكان في جماتهم سلاحدار نور الدين فاخذ جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلعج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال له « هذا سلاحدار زوج ابنتك وسياتيك بعده ما هو اعظم منه » • فلما علم نور الدين الحال عظم ذلك عليه واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ناره واحضر جماعة من الامراء التركان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه لانه عام عجزه عنه في القتال • فجعل التركان عليه العيون • فخرج • فتصيداً فظفر به طائفة منهم وحملوه الى نور الدين أسيراً فسار نور الدين الى قلاع جوسلين وملكها

وفي سنة ٥٤٩ هـ استولى نور الدين محمود بن زنكي على مدينة دمشق وأخذها من صاحبها مجير الدين انزن بن محمد بن بوري وكان سبب حرصه على ملكها ان الافرنج كانوا استولوا على عسقلان في السنة السالفة وقويت شوكتهم حتى استعرضوا كل مملوك وجارية من النصارى بدمشق فمن أراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهراً شاء صاحبه او ابي وكان لهم على اهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد ويأخذونها منهم • فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملك الفرنج دمشق فلا يبقى للمسلمين بالشام مقام فراسل نور الدين مجير الدين وواصله باهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه • وسار نور الدين الى دمشق فلم يجبر الدين

بغدره فارسل الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه • فشرعوا في جمع فارسهم وراجلهم ليزيحوا نور الدين عن دمشق فقبل ان يجتمع لهم ما يريدون تسلم نور الدين البلد فعادوا بخفي حنين • ودخل نور الدين دمشق من الباب الشرقي وحصر مجر الدين في القلعة وراسله في تسليمها وبذل له اقطاعاً في جملته مدينة حصص فقبل وسلمه القلعة وسار الى حصص فاعطاه نور الدين عوض حصص بالس فلم يرضها بمجر الدين وسارعها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها داراً • وبعد ان استولى نور الدين على دمشق طمع في كثير من البلاد وكان منصوراً في اكثر حركاته فاستولى في مدة قصيرة على تل بامر وشيزر وبعليك

وفي سنة ٥٥٤ هـ مرض نور الدين بحلب مرضاً شديداً خيف منه على حياته وكان معه اخوه الاصغر امير اميران فجمع اخوه هذا وحاصر قلعة حلب • وكان سيركوه بن شادي اكبر امرائه بمحصر فلما بلغه الارحاف سار الى دمشق ليدلهم على علمها اخوه نجم الدين ايوب ففكر عليه وامره بالمسير الى حلب حتى يقين حياة نور الدين من موته فسار الي حلب وصعد القاعة وظهر نور الدين للناس من سطح مشرف فافترقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فلما شفي نور الدين سلمها الى زين الدين علي بك نائب اخيه قطب الدين بالموصل

وفي سنة ٥٥٩ هـ هرب شاور وزير العاضد الفاطمي من مصر من ضرغام الذي نازعه الوزارة الى الشام ملتجئاً الى نور الدين ومستجيماً به وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه على ان يكون لنور الدين ثلث دخل البلاد فتقدم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدم عليهم اسد الدين شيركوه فتجهروا وساروا جميعاً وشاور في محبتهم • ووصل اسد الدين والعساكر الى بلبس • فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهمز • وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وقتل اخوه ايضاً • وخاع العاضد على شاور واعيد الى الوزارة • واقام اسد الدين خارج القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان قرره لنور الدين وارسل الى الفرنج يستمدهم فسارعوا الى تلبية دعوته وتجهزوا وساروا • فلما قارب الفرنج مصر فارقه اسد الدين وقصد مدينة بلبس وجعلها ظهراً يتحصن به فحصره بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يغادهم القتل ويروحهم فلم يباغوا منه غرضاً • فراسل الفرنج اسد

الدين من الصاح والمود الى الشام فاجابهم الى ذلك والسبب الذي حمل الفرنج على مصالحة اسد الدين هجوم نور الدين على قلعة حارم وانتصاره على الفرنج بالشام واسره كونت انطاكية وكونت طرابلس

ولما وصل اسد الدين الى الشام اتحدت عساكره مع عساكر مولاه نور الدين وساروا الى بانباس وفتحوها وكانت بيد الفرنج من سنة ١١٤٩ م

وفي سنة ١١٦٦ م فتح نور الدين حصن المنيطرة

وفي سنة ٥٦٣ هـ فارق زين الدين علي بن سبكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد في يده فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان شجاعاً عادلاً حسن السيرة سليم القلب كثير العطاء للجند وغبرهم • مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشده قال « انا اعرف ما تقول ولكني اعلم انك تريد شيئاً » وامر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة سنينة وثياب مجموع ذلك الف دينار • ولم يزل باربل الى ان مات

وفي سنة ٥٦٤ هـ ملك نور الدين قلعة جعبر • وفيها سار شيركوه بعسكر الى مصر وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبس قهراً ونهبوها وقتلوا اهلها واسروهم ونزلوا على القاهرة وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر القديمة وامر اهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها ٥٤ يوماً فارسل العاضد الخليفة الفاطمي بمصر الى نور الدين يستغيث به وصانع شاور الفرنج على الف الف دينار يحملها لهم وحمل اليهم مائة الف دينار وسألهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال فرحلوا • وجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وارسل معه عدة امراء منهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب • ولما قرب شيركوه من مصر رحل الفرنج الى بلادهم واجتمع شيركوه بالعاضد الخليفة فخلع عليه • وظالب شيركوه شاور بما فرض على نفسه لنور الدين وافراز ثلث البلاد له فاطله شاور وعزم على الغدر باسد الدين شيركوه على ان يعمل دعوة لشيركوه وامراء عسكره ويقبض عليهم فمنعه ابنه الكامل وفي الوقت نفسه كان عسكر شيركوه ساعياً في القتل بشاور • واتفق على ذلك صلاح الدين وغيره من الامراء فنهزم عن ذلك شيركوه • واتفق ان شاور قصد شيركوه

ليزوره على عادته فلم يجده بل وجد صلاح الدين فعند وصوله وثب عليه صلاح الدين ومن معه وقتلوه وارسلوا راسه الى العاضد . ودخل شيركوه بعد ذلك القصر فخلع عليه العاضد خلعاً الوزراء ولقبه الملك المنصور امير الجيوش . على ان شيركوه لم يل الوزارة الا شهرين وخمسة ايام واتاه اجله فاحضر العاضد صلاح الدين يوسف بن ايوب وولاه الوزارة وسماه الملك الناصر وثبت قدم صلاح الدين على انه نائب لنور الدين محمود بن زنكي . وارسل صلاح الدين يطالب من نور الدين اباه ايوب واهله فارسلهم نور الدين اليه وشرط عليهم طاعته

وفي سنة ٥٦٥ هـ في شوال مات قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل وكان لما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي ثم عدل عنه لابنه الاخر وهو سيف الدين غازي وانما فعل ذلك لان القيم بامور دولته كان خادماً يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان بكره عماد الدين لانه طوع عمه نور الدين وكان نور الدين ييغض عبد المسيح فانفق عبد المسيح وخاتون ابنة حسام الدين تترناش ابن ابلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين . ورحل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصراً به ليعينه على اخذ الملك لنفسه . ولما بلغ نور الدين محمود بن زنكي وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازي الموصل وتحكم فخر الدين عبد المسيح عليه انف لذلك وسار بجريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر وملك الرقة والخابور ونصيبين وحاصر سنجار وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه واتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي ونزل الى حصن نيشوي

ومن غرب الاتفاق انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة فارسل فخر الدين عبد المسيح الى نور الدين في تسليم البلد اليه على ان يقره يده سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولما له واهله فاجيب الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعاً مرضية فتسلم البلد ودخل القلعة وامر بهامة الجامع البوري وسلم الموصل الى سيف الدين وسنجانر لعماد الدين وعاد الى الشام واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وكان مقامه بالموصل ٢٤ يوماً

قد ذكرنا وزارة صلاح الدين يوسف بن ايوب بمصر للعاضد وانه لم يكن الا نائباً عن نور الدين محمود بن زنكي فلما قوي امر صلاح الدين قطع خطبة العاضد سنة ٥٦٧ هـ

وخطب للمستضيء العباسي وظهر الامتثال لنور الدين وانه يلي مصر من قبله . ولكن وقعت بينها وحشة باطنة والسبب في ذلك ان صلاح الدين نازل الشوبك وهي للفرنج ثم رحل عنه خوفاً من انه ياخذها فلا يبقى ما يعوق نور الدين عن قصد مصر متى اراد . وبلغ ذلك نور الدين وكتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين . وجمع صلاح الدين اقاربه وكبراء دولته وقال بلغني ان نور الدين بقصدنا فما الرأي » فقال عمر ابن اخيه « فقاتله ونقصه » فانكر ايوب ابوه ذلك وقال « انا ابوك لو رأيت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه بل اكتب الي نور الدين لو جاء في من عندك الناس واحد وربط المندبل في عني وجرفني اليك سارعت الى ذلك » ثم اخذ صلاح الدين في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين انا كنت اول من يئمه ولكن اذا اظهرنا نحن ذلك بترك نور الدين جميع ما فيه ويقصدنا ولا ندري ما تكون العاقبة واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل ما به الكفاية عند الله » فكان كما قال ايوب

وفي سنة ٥٦٨ هـ سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا عليها وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من القلعة فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل عن الكرك وارسل تحفاً الى نور الدين واعذره ان اباه مريض ويخشى ان يموت فتذهب مصر . فعلم نور الدين مقصده وقبل عذره في الظاهر ورجع صلاح الدين الى مصر ونور الدين الى دمشق

وفي سنة ٥٦٩ هـ توفي نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي . بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء ١١ شوال . ولم يكن في سير الملوك احسن من سيرته ولا اكثر تحريماً للعدل منه وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف في الذي يخصه الا من ملك خاص كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة . ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاثة دكاكين في حصص كانت له يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً . فلما استغاثها قال لها « ليس لي الا هذا وجميع ما في يدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك »



٤٣٨ - الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين

من سنة ٥٦٩ - ٥٧٧ هـ او من سنة ١١٧٣ - ١١٨١ م

لما توفي نور الدين محمود بن زنكي تولى بعده ابنه اسماعيل بن نور الدين وتلقب الملك الصالح وكان عمره ١١ سنة واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له فيها وضرب السكة باسمه . وقام بكفالاته وتديبر دولته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم . وكان نور الدين قبلما يتوفي قد كاتب ابن اخيه سيف الدين غازي عامله على الموصل وكششكين امير قلعتها بالحضور لديه فسار اليه سيف الدين غازي وكششكين في العساكر وبلغهم في طريقهم خبر وفاته وكان كششكين في المقدمة فهرب الى حلب . واستولى سيف الدين غازي على مخرجه وسواده وعاد الى نصيبين فملكها وبعث العساكر الى الخابور فاستولى عليها وعلى اقطاعها ثم سار الى حران وبها قايمز الحرفاني مولى نور الدين فحاصره اياماً ثم استنزله على ان يقطعه حران فلما نزل قبض عليه وملكها ثم سار الى الرها وبها خادم لنور الدين فتسلمها وعوضه عنها قلعة الزعفراني من جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد قليل ثم سار الى الرقة وسروج وملكها واستوعب بلاد الجزيرة ما عدا قلعة جعبر لا متناعها

وفي سنة ٥٧٠ هـ لما ملك سيف الدين غازي الديار الجزرية خاف الامراء الذين في دمشق وحلب لئلا يعبر اليهم سيف الدين فيسروا الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب ليصد سيف الدين عن العبور الى الشام . فلما خلت دمشق من السلطان والعساكر سار اليها صلاح الدين فملكها وملك بعدها حمص وبعثك وحماة وسار الى حلب فحصرها فركب الملك الصالح وهو صبي عمره اثنتا عشرة سنة وجمع اهل حلب وقال لهم « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبتة لكم وسيرته فيكم وانا يتيهكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه باخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق » وقال من هذا كثيراً وبكى فابكى الناس واتفقوا على القتال دونه فكانوا يخرجون ويقاثلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه

وفي سنة ٥٧١ هـ ملك صلاح الدين قلعة عراز ونازل حلب ثانية وبها الملك الصالح وقد قام العامة في حفظ البلد المقام المرضي وترددت الرسل بينهم في الصالح فوقت الاجابة اليه من الجانبين ورحل صلاح الدين عز حلب بعد ان أعاد قلعة عراز الى الملك

الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين احتاله صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وقال لها ماتر بدين قالت « اريد قلعة عزاز » وكانوا قد علموها ذلك . فسلمها اليهم ورحل

وفي هذه السنة (٥٧١ هـ) كانت وقعة بين صلاح الدين وسيف الدين غازي بتل السلطان وكان مع سيف الدين صاحب حصن كيفا وصاحب ماردن وغيرها فانهمزم سيف الدين ومن معه واستولى صلاح الدين على ائقال عسكرهم واستولى على كثير من بلاد سيف الدين ثم اصطلح صلاح الدين وسيف الدين والمالك الصالح وتحالفوا على ان يكونوا كلهم عوناً على الناكث الفاسد

وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين عاري بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وولى اخوه عز الدين الموصل واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجر شاه واعطى قلعة شوش و بلد الحميدية لابنه الصغير ناصر الدين بكبك وكان المدبر لدولة عز الدين مجاهد الدين قياز واستقرت الامور ولم يختلف اثنان وفي سنة ٥٧٧ هـ في رجب توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو ١٩ سنة . فلما بئس من نفسه احضر الامراء واوصاهم بتسليم البلد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل

٤٣٩ — عز الدين مسعود بن مودود

من سنة ٥٧٧ — ٥٨٩ هـ او من سنة ١١٨١ — ١١٩٣ م

لما توفي الملك الصالح عهد بالملك بعده لابن عمه عز الدين فسار الى حلب واقام بها شهرين ثم سلمها لاختيه عماد الدين واخذ عوضاً عنها مدينة سنجر وفي سنة ٥٧٨ هـ عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزرية وملك الرها وحران والرقه وقرقيسيا وما كسين وعربان ونصيبين وسار الى الموصل وبها عز الدين مسعود صاحبها ونائبه مجاهد الدين قياز وقد جمعا بها العساكر الكثيرة من فارس وراجل واظهرا من السلاح وآلات الحصار ما حارت له الاصار . فلما قرب صلاح الدين من البلد رأى ما هاله وملاً صدره وصدور اصحابه ومع هذا نزل عليها وانشب القتال وخرج اليه يوماً بعض العامة فنال منه واخذ لائكة من رجليه فيها المسامير الكثيرة ورمى

بها اميراً يقال له جاولي الاسدي وهو مقدم الاسدية وكبيرهم فاصاب صدره فوجد
لذلك ألماً شديداً وأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال « قد قابلتنا
اهل الموصل بمحافات مارينا مثاها بعد » والقي اللالكة وحلف انه لا يعود الى
القتال انفة حيث ضرب بها . فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضاً
ولا يحصل على غير العناء والتعب سار عنها الى سنجار وملكها

وفي سنة ٥٧٩ هـ ملك صلاح الدين أمدوس سلمه النور الدين محمد بن قرارسلان صاحب
الحصن ثم سار الى حلب فنزل بجبل جوشن واطهر انه يريد ان يفي مساكين له ولا يحابه
وعساكره . قال عماد الدين زنكي الي تسليم حلب الي صلاح الدين واخذ الدواض
عنها فتقرر الصلح على ان يسلم حاب الي صلاح الدين ويأخذ عوضاً عنها سنجار
ونصيبين والخابور والرقه وسروج . وجرت التمين على ذلك فباعها بالبخس الاثمان
اعطى حصناً مثل حاب وأخذ عوضها قري ومزارع فقبح الناس كلهم ما اتى

وفي سنة ٥٨١ هـ سار صلاح الدين الى الموصل وحصرها مرة ثانية فسير اثابك
عز الدين صاحبها والدته اليه ومعه ابنة عمه نور الدين محمود وغيرها من النساء وجماعة
من اعيان الدولة يطالبون المصالحة وكل من عنده ظنوا انهم اذا طلبن منه الشام
اجابهن الى ذلك لا سيما ومعهن ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين . فلما وصلن
اليه انزلهن واعتذر بالندار غير مقبولة واعادهن خائبات . فبذل العامة نفوسهم غيظاً
وحقناً لرده النساء . فندم صلاح الدين على رده انساء وجاءته كتب القاضي الفاضل
وغیره يجهون فعله وينكرونه

وكان عامة الموصل يمرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقي من العسكر ويعودون
فنزح صلاح الدين على قطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى ليمطش اهل الموصل
فيملكها بغير قتال . ثم علم انه لا يمكنه قطعه بالكلية وان المدة تطول والتعب يكثر
فاعرض عنه ورحل الى ميافارقين لانه بلغه ان صاحبها مات وتولى عليها مولاة بكنتم
فلما ملك ميافارقين عاد الي الموصل سنة ٥٨٣ هـ وترددت الرسل بين صلاح الدين
وعز الدين في الصلح على ان يتنازل عز الدين لصلاح الدين عن شهر زور واعمالها
وولاية القراني وما وراء الزاب ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على سكتته
فاجابه عز الدين على ما طلب

وكان سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود ملكاً على جزيرة ابن عمر

كما تقدم وكان يكره عمه عز الدين حتى صار عيناً عليه يكتب صلاح الدين
 باخباره ويغريه به فلما حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ٥٨٦ هـ واستقر لها
 اصحاب الاطراف المتشبهين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصل واخيه عماد الدين
 صاحب سنجار ونصيبين وسنجر شاه هذا ابن عمه وصاحب كينا وغيرهم •
 واجتمعوا عنده على عكا • وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يتظاهرون من سنجر
 شاه فخاف واستأذن في الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بان في ذلك افتراق هذه
 العساكر • فالخ عليه في ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلهماً فوعده وانصرف
 وكان تقي الدين عمر بن شاه اخي صلاح الدين مقبلاً من حماة في عسكره فارسل
 اليه صلاح الدين باعتراضه وردّه طوعاً او كرهاً وكتب صلاح الدين الى عز الدين
 صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر فظنها هذا مكيدة وراجعها وطلب اقطاع
 الجزيرة فاسعفه وسار اليها وحاصرها اربعة اشهر فانتصت عليه ثم صالحه سنجر شاه
 سيف الدين على نصف اعمالها ورجع عز الدين الى الموصل
 وفي سنة ٥٨٩ هـ توفي صلاح الدين يوسف بن ايوب فطمع عز الدين مسعود
 في الاستيلاء على بلاد الجزيرة التي كان انتزعها منه صلاح الدين مثل حران والرها
 وسميساط وميفارقين وكان المستولي عليها العادل ابو بكر بن ايوب • واستشار عز
 الدين اصحابه في التقدم عليها فاشاروا اليه بذلك وان يستنجد اصحاب الاطراف مثل
 صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله
 حرباً ويعامل البلد قبل ان يستمد اهله للمدافعة
 فسار عز الدين في عساكره من الموصل الى نصيبين واجتمع باخيه عماد الدين
 وساروا الى الرها وقد عسكر العادل قريباً منهم بمرج الرميحان وخافهم فأقاموا اياماً
 كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع اخيه عماد الدين ورجع الى الموصل •
 ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها شهرين واشتد مرضه فتوفي آخر شعبان
 سنة ٥٨٩ هـ وكان خيراً محسناً حليماً قليل المعاقبة حياً كثير الحياء لم يكلم جليساً الا
 وهو مطرق وما قال في شيء سئله الا حباً وكرم طبع

٤٤٠ - نور الدين ارسلان شاه به عز الدين

من سنة ٥٨٩ - ٦٠٧ هـ او من سنة ١١٩٣ - ١٢١٠ م

لما توفي عز الدين مسعود بن مودود تولى بعده ابنه نور الدين ارسلان شاه وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز مدير دولة ابيه وفي سنة ٥٩٤ هـ توفي عماد الدين بن مودود صاحب سنجار والخابور ونصيبين والركة وسروج وهي التي عوضه صلاح الدين عن حلب لما اخذها منه . وملك بعده ابنه قطب الدين وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مولى ابيه ولما توفي عماد الدين طمع نور الدين في الاستيلاء على بلاده وتجهز في جمادي سنة ٥٩٤ هـ وسار الى نصيبين ولما بلغ قطب الدين الخبر سار في عسكره لينهزمه فسبقه نور الدين الى نصيبين فلما وصل لقيه فهزمه نور الدين ودخل الى قلعة نصيبين مهزوماً ثم سار منها الى حران ومعه نائبه مجاهد الدين برنقش وكتبوا العادل ابا بكر بن ايوب يستجثونه من دمشق . واقام نور الدين بنصيبين حتى وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل في رمضان من السنة وعاد قطب الدين اليها

ولما عاد قطب الدين الى الموصل سار العادل الى ماردين فحاصرها اياماً وضيق عليها ثم انصرف ثم اعاد العساكر مع ابنه الكامل لحصارها ثانية فمعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر وخافوا ان ملكها يغلبهم على امرهم . وهم لم يساعدوا العادل عند تقدمه لقتال نور الدين الا خوفاً منه ولكثرة عساكره فلما رجع الى دمشق وبقي ابنه الكامل على ماردين استهانوا بامرهم وطمعوا في مدافعتهم واغراهم بذلك الظاهر والافضل ابنا صلاح الدين لفتنتهم مع عمهم العادل . فتجهز نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وسار اول شعبان سنة ٥٩٥ هـ وانتهى الى ديبس واقام بها ثم لحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجر شاه بن غازي صاحب جزيرة ابن عمر حتى اذا انقضى عيد الفطر

ارتحلوا وتقدموا الى مزاحمة الكامل على ماردين وكان اهل ماردين خلال ذلك قد ضاق مخنفهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولي على دولة صاحبها الى الكامل يراوده في الصلح وتسليم القلعة له الى اجل مسمى على ان يبيع لهم ما يقوتهم من الميرة فاسمعهم بذلك وبينما هم في ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وزحف الكامل مهزوماً الى معسكره بالربض فخرج اهل القلعة اليهم وقتلوه الى المساء ثم اجفل الكامل من ليلة منتصف شوال وعاد الى بلاده ونهب اهل القلعة مخلفه ثم عاد المجتمعون كل الى بلده ونور الدين الى الموصل

وفي سنة ٦٠٥ هـ قتل سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وتولى بعده ابنه محمود

وفي سنة ٦٠٦ هـ ملك العادل ابو بكر بن ايوب بلد الخابور ونصيبين وحاصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهي بيد قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود وسبب ذلك ان قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة فلما كانت سنة ٦٠٥ هـ اصهر العادل بن ايوب صاحب مصر والشام الى نور الدين في ابنته فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطمح الى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فاغرى العادل بان يظاھره على ولاية ابن عمه قطب الدين فاجاب الى ذلك العادل واطمع نور الدين في انه يقطع ولاية قطب الدين اذا ملكها لابنه الذي هو صهره على ابنته وتحالفا على ذلك

وسار العادل سنة ٦٠٦ هـ من دمشق لملك الخابور . وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط وانه يملك البلاد كما يحب دونه ان وفي له وان سار نور الدين الى الجزيرة فربما حال بنو العادل بينه وبين الموصل وان انتفض نور الدين عليه سار اليه فاضطرب في امره وملك العادل الخابور ونصيبين واعتزم قطب الدين على ان يمتاض منه عن سنجار ببعض البلاد فمنعه من ذلك احمد بن برقش مولى ابيه وجهز نور الدين عسكرياً مع ابنه القاھر مدداً للعادل كما اتفقا عليه . وفي خلال

ذلك بعث قطب الدين ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل يستنجده فارسل الى العادل شافعاً في امره فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه . فغضب مظفر الدين وارسل الى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو فاجاب نور الدين الى ذلك ورجع عن مظاهرة العادل وارسل هو ومظفر الدين الى اظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى صاحب الروم يستجدانها فاجاباها وتداعوا الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار وبعث الخليفة الناصر استاذ الدار بانصره به الله بن المبارك ابن الضمك والامير اقناش من خواص مواليه في الافراج عن سنجار وتحذل اصحابه عن مضايقة سنجار معه وسيا اسد الدين شيركوه صاحب حمص ولحجة فانه جاهر بخلافه في ذلك فاجاب العادل في الصباح على ان تكون نصيبين والخبور اللذان ملكهما له وتبقى سنجار لقطب الدين وتحالفوا على ذلك ورجع العادل الى حران

وفي سنة ٦٠٧ هـ اواخر رجب توفي نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة وكان شهياً شجاعاً ذا سياسة للرعية شديداً على اصحابه اعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت . ولما حضره الموت رتب في الملك ولده الفاهر عز الدين مسعوداً وأمر ان يتولى تدبير مملكته ويقوم بحفظها وينظر في صالحها مملوكه بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداد رأيه وحسن سياسته وكال السيادة فيه

٤٤١ - الملك الفاهر بن نور الدين

من سنة ٦٠٧ - ٦١٥ هـ او من سنة ١٢١٠ - ١٢١٨ م

ولما توفي نور الدين ارسلان شاه تولى بعده ابنه الملك الفاهر وقام بتدبير دولته مولى ابيه لؤلؤ كوصية ابيه نفسه . فقام لؤلؤ بتدبير الدولة احسن قيام واستمر

الحال كذلك الى ان توفي الملك القاهر سنة ٦١٥ هـ وكانت ولايته سبع سنين
وتسعة اشهر

٤٤٢ - نور الدين ارسلان شاه به الملك القاهر

من سنة ٦١٥ - ٦١٥ هـ او من سنة ١٢١٨ - ١٢١٨ م

لما توفي الملك القاهر تولى بعده ابنه نور الدين ارسلان شاه وعمره حينئذ عشر
سنين وصار الوصي عليه والمدير لدولته بدر الدين لؤلؤ . وكان عمه عماد الدين
زنكي بن ارسلان شاه صاحب العقرب يحدث نفسه بالملك فرقع بدر الدين لؤلؤ ذلك
الخرق ورتق ذلك الفتق واحسن السيرة مع الخاص والعام وخلع على كافة الناس
وغير ثياب الحداد عنهم فلم يخص بذلك شريعاً دون وضع ولا كبيراً دون
صغير . وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة انور الدين ارسلان شاه بالولاية
وبدر الدين لؤلؤ بالنظر في امور دولته

وكان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربل قام في نصر
عماد الدين زنكي فملكه قلعة العمادية وباقي قلاع الهكارية ولوزان . فراسله بدر
الدين يذكره الايمان والعبود ويطلبه بالوفاء بها . ثم نزل عن هذا ورضي عنه
بالسكوت لا لهم ولا عليهم . فلم يكف مظفر الدين كوكبري عن معاضدة عماد
الدين فارسل بدر الدين الى الملك الاشرف . وسي بن الملك العادل وهو صاحب
ديار الجزيرة وخلاط وانتمى اليه وصار في طاعته وطلب منه المعاضدة فاجابه بالقبول
وبذل له المساعدة وارسل الى مظفر الدين يفبح هذه الحالة ويقول له ان يرجع
الى الحق والا قصده هو بنفسه وعسكره . فلم يجب مظفر الدين بشيء من ذلك
الى ان حضرت الرسل من الخليفة الناصر ومن الملك الاشرف في الصلح فاطاعوا .
ولم تطل ايام نور الدين ارسلان شاه لانه توفي في ذات السنة التي تولى فيها
وهي سنة ٦١٥ هـ

٢٤٣ - ناصر الدين بهاء الملك الفاهر

من سنة ٦١٥ - ٦٣١ هـ أو من سنة ١٢١٨ - ١٢٣٣ م

والا توفي نور الدين اقام لؤلؤ بعده اخاه ناصر الدين محمود اوله من العمر نحو ثلاث سنين وركبه بدر الدين فطابت نفوس الناس اذ علموا ان لهم سلطاناً من البيت الاتابكي

ولما مات نور الدين تجدد لعاد الدين ومظفر الدين الطمع لصغر سن ناصر الدين فجمعما الرجال وتجهزوا للحركة . فلما بلغ ذلك بدر الدين لؤلؤاً ارسل الى عز الدين ايبك مقدم عساكر الاشرف بنصيين يستدعيهم ليعتصدهم بهم فساروا الى الموصل رابع رجب سنة ٦١٥ هـ واستراحوا اياماً ثم عبروا دجلة ونزلوا شرقها على فرسخ من الموصل . وجمع مظفر الدين عسكره وسار اليهم ومعه عماد الدين زنكي فعبر الزاب وسبق خبره وعند انتصاف الليل سار ايبك بعسكره ولم يصبر الى الصبح فتقطعوا في الليل والظلمة والتفوا هم والخصم على ثلاثة فراسخ من الموصل . فلما عز الدين فحمل على ميسرة مظفر الدين وبها زنكي فهزمها . وميمنة مظفر الدين حملت على ميسرة بدر الدين وهزمتها وبقي بدر الدين في النفر الذي معه في القلب ونقدم اليه مظفر الدين في من معه في القلب اذ لم يفترقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل هارباً وعبر دجلة الى القلعة وتبعه مظفر الدين واقام وراء تل حصن نينوى ثلاثة ايام ورحل ليلاً من غير ان يضربوا كوساً ولا بوقاً . ثم ملك عماد الدين قلعة الكواشي وملك بدر الدين تل اعفر وملك الاشرف سنجار وسار يريد الموصل ليجتاز منها الى اربل فاناه رسل الخليفة ومظفر الدين في الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية وطال الحديث في ذلك نحو شهرين . ثم اصطالحوا على ترك الموصل لبدر الدين لؤلؤ فاستبد بها لنفسه دون مولاه ناصر الدين الذي استمر ملكاً بالاسم الى ان توفي سنة ٦٣١ هـ

٤٤٤ — بدر الدين لؤلؤ

من سنة ٦٣١ - ٦٥٧ هـ أو من سنة ١٢٣٣ - ١٢٥٨ م

لما توفي ناصر الدين بن الملك الفاهر استولى على ملكه بعده مولى ابيه بدر الدين لؤلؤ واتاه تقليد الخليفة بذلك فخطب له بالسلطنة على منابر الموصل واعمالها وتلقب الملك الرحيم فاستمر على هذا الحال الى ان توفي سنة ٦٥٧ هـ وتولي بعده ولده الملك الصالح الموصل وولده علاء الدين سنجار وولده سيف الدين الجزيرة فابقاهم النتر الذين كانوا قد تغلبوا على البلاد في هذه الايام قليلاً ثم خلعوهم وشردوهم وانقرض ملك الدولة الزنكية ومواليها كأنها لم تكن والبقاء لله وحده

٤٤٥ — لدولة الخوارزمية بأيران

(تمهيد) كان لاحد امراء السلجوقية المدعو بلكبك مملوك اسمه انوشتكين وكان قد اشتراه من رجل من غرستان فظهرت عليه نجابة وفطنة جعلنا مولاه يركن اليه ويسلم له اموره فعلا قدر انوشتكين هذا لدى مولاه بلكبك وخدمه بامانة طول حياته وولد له عنده ولد سماه محمداً واعتني بربيته اعتناءً خصوصياً فشب عالماً حتى جذب انظار الجمع اليه . فلما ولي الامير حبشي (احد امراء السلجوقية) على خراسان نظر في من يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن انوشتكين هذا لما رأى من نجابته ونشاطه وعلمه فولاه خوارزم واقبه خوارزم شاه فقام بما عهد اليه خير قيام حتى احبته قلوب الرعية . ولما ولي الملك سنجر السلجوقي على خراسان اقر محمد بن انوشتكين على خوارزم كما كان فاستمر كذلك الى ان توفي فولى بعده ابنه اتسر (يقال اتسر والصواب اتسرس) فمد ظلال الامن وافاض العدل وكان قد قاد الجيوش ايام ابيه فتدرب على الفنون الحربية فقرر به السلطان سنجر السلجوقي رعايته واتخذ به واستصحبه في حروبه واسفاره

فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدماً وعلوً . واقسس هذا هو اول من حدثته نفسه بالملك بل هو راس الدولة الخوارزمية التي نحن بصدددها لانه لما راي في نفسه الكفاية ابى الا ان يكون متبوعاً لا تابعاً وظهر هذا الميل للمقربين اليه فمضدوه عليه فاشهر راية العصيان على السلطان سنجر سنة ٥٣٣ هـ

٤٤٦ - اقسس بن محمد بن انوشكين

من سنة ٥٣٣ هـ - ٥٥١ هـ او من سنة ١١٣٨ - ١١٥٦ م

ولما علم السلطان سنجر بعصيان اقسس بن محمد بن انوشكين خوارزم شاه سار اليه بخيله ورجاله وتجهز اقسس خوارزم شاه لدفاعه لكنه لم يكن لذلك الحين قادراً على مدافعة السلطان سنجر فانهمزم امامه وقتل كثير من عسكره وقتل ابنه ايضاً فحزن عليه حزناً شديداً . واستولى السلطان سنجر على خوارزم واقطعها ابن اخيه سليمان شاه بن محمد وعاد الى مرو . فلما عاد السلطان سنجر الى مرو رجع اقسس الى خوارزم وكان اهلها يودون عودته اليهم لاحسانه فيهم فقبلوه بفرح ففارقها سليمان شاه واستقر الامر لاقسس فيها

ولم يكن اقسس خوارزم شاه يأمن جانب السلطان سنجر ويدلم عدم مقدرته عن مقاومته فراسل قوم الخطا (الخطا ويقال الخطاى قوم من التتر الشرقيين تملكوا بلاد الصين الشمالية وجزءاً من بلاد التتر) ليقتصدوا بلاد السلطان سنجر واطمعهم في ذلك وسهل عليهم امر امتلاكها فقصده سنة ٥٣٦ هـ وانهمزم السلطان سنجر امامهم هزيمة شعاء فطمع خوارزم شاه في بلاد خراسان فقصده سرخس في ربيع الاول من سنة ٥٣٦ هـ المذكورة فطلب اهلها الامان فاهبهم ثم قصد مرو فامتنع اهلها واستعدوا لدفاعه فقاتلهم واقتح مرو غوة يوم ١٢ ربيع الاول من السنة وملكها ثم عاد الى خوارزم وامر الخطيب بقطع الخطبة للسلطان سنجر (وكان لا يزال يخاطب له بها) فقطع خطبة السلطان سنجر في ذي القعدة من السنة وخاطب لاقسس خوارزم شاه فثار العامة لذلك حتى التزم اقسس ان يامر باعادة الخطبة

السلطان سنجر

ولما علم سنجر بما كان من خوارزم شاه قصده سنة ٥٣٨ هـ وحاصر المدينة وضيق عليها وكاد يفتحها لولا عدم تدبير قواده فرجع . فظن خوارزم شاه انه سيجمع له جيشاً اعظم ويقصده مرة اخرى فارسل اليه رسلاً يبذل الطاعة والمال ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطالحا وعاد سنجر الى مرو واستمر الحال كذلك الى ان توفي اقسس بن محمد بن انوشكين خوارزم شاه سنة ٥٥١ هـ من فالج كان قد اصابه فاستعمل له ادوية شديدة الحرارة بغير امر الاطباء فاشتد مرضه وضعفت قوته فتوفي وكان يقول عند الموت « ما اغني عني ماليه هلاك عني سلطانيه »

٤٤٧ - ايل ارسلان بن اقسس

من سنة ٥٥١ - ٥٦٨ هـ او من سنة ١١٥٦ - ١١٧٢ م

لما توفي اقسس بن محمد تولى بعده ابنه ايل ارسلان واول عمل باشره انه قام على نفر من عهومته وقتلهم وسمل اعضاء له فتوفي بعد ثلاثة ايام وارسل الى السلطان سنجر (وكان قد هرب من اسر الغز) يبذل له الطاعة والانقياد فكتب له منشوراً بولاية خوارزم وارسل له الخلع في رمضان من السنة . وساد الامن والسلام في نواحي خوارزم في مدة ايل ارسلان هذا وتجنب هو والتدخل في الفتن التي كثرت حوله في مدته الى ان كانت سنة ٥٦٨ هـ وفيها عبر الخطا من جميعون يريدون خوارزم . فصار خوارزم شاه في عسكره الى اموية (مدينة مشهورة غربي جميعون) ليقاتلهم ويصدهم ففرض فاقام بها وسير جيشه بقيادة احد امرائه اليهم فلقينهم وانهم انفلتوا رزميون واسر قائدهم ورحم به الخطا الى ما وراء النهر . وعاد خوارزم شاه الى خوارزم مريضاً وتوفي به في ذات السنة

٤٤٨ - سلطان شاه محمود بن ايل ارسلان

من سنة ٥٦٨ - ٥٦٨ هـ او من سنة ١١٧٢ - ١١٧٢ م

لما توفي ايل ارسلان بن اقسس تولى بعده ابنه سلطان شاه محمود فثار عليه اخوه الاكبر علاء الدين تكش وقصد ملك الخطا واستمده على اخيه . فسير معه جيشاً كبيراً فلما قاربوا خوارزم خرج سلطان شاه منها ومعه امه وقصد خراسان وملك تكش خوارزم

٤٤٩ - علاء الدين تكش بن ايل ارسلان

من سنة ٥٦٨ - ٥٩٦ هـ او من سنة ١١٧٢ - ١١٩٩ م

واستتب الامر في خوارزم لعلاء الدين تكش واتبع سيرة ابيه من الخلود الى السكينة حتى اذا مكنته الفرص من الاستيلاء على البلاد هب من نومه لانتقام ما حوله . ولكن هذه الحركة جاءت بعد جمود طويل فجاءت متأخرة لانه لم يلبث طويلاً حتى توفي فتمم ابنه مقاصده كما ستراه ان شاء الله والسبب في طمع علاء الدين في الاستيلاء على البلاد هو اختلاف الامراء السلجوقيين المستولين عليها لذلك الحين ففي سنة ٥٩٠ هـ خرج السلطان طغرل ابن الب ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي من الحبس وملك همدان وغيرها بعد حروب طويلة جرت بينه وبين قنغ اينانج ابن الباهوان صاحبها فانهمزم قنغ وعلق بالري ومن هناك ارسل الى علاء الدين تكش خوارزم شاه يستنجد فصار اليه فلما قرب منه ندم قنغ اينانج على امتداعه خوارزم شاه وخاف على نفسه فضي من بين يديه وتحصن في قلعة له فومل خوارزم شاه الى الري وملكها وحصر قلعة طبرك وفتحها بعد يومين وراسله طغرل واصطالحا وبعثت الري في يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكراً يحفظها وعاد الى خوارزم

وحدث اثناء غياب خوارزم ان اخاه سلطان شاه الذي ذكرنا خبر مسيره الى خراسان انتهنز فرصة غياب اخيه وسار الى خوارزم ليأخذها فمنعه اهلها عن ذلك فعاد الى مرو بالخفية . فلما حضر خوارزم شاه علاء الدين وعلم ما كان من اخيه اسرع اليه في عساكره الى مرو وترددت بينهما الرسل في الصلح . وبينما هم في تقرير الصلح اذ ورد على خوارزم شاه مستحفظ قلعة سرخس لاختيه سلطان شاه يدعوه ليسلم اليه القلعة لانه استوحش من صاحبه سلطان شاه فاسرع خوارزم شاه اليها وتسلمها . وعلم سلطان شاه الخبر فاسقط في يده ومات كمدًا

فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو وتسلمها واستولى على ما كان لاختيه سلطان شاه ثم عاد خوارزم شاه الى خوارزم بعد ان استخف على مرو ابنه علاء الدين محمد (وكان يلقب قطب الدين)

وفي هذه الاثناء اغار السلطان طغرل على الري واخرج منها اصحاب خوارزم شاه ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه ان يقصد بلاده واتطاه منشورًا باقطاعه البلاد . فسار الى الري فتلقاه اهلها بالطاعة

ولما علم السلطان طغرل بتقدمه نحوه وكانت عساكره في ذلك الوقت متفرقة فلم يقف ليجتمعها وسار في من معه للقاء خوارزم شاه فقتل في المعركة وارسل خوارزم شاه رأسه الى بغداد فنصب بها بياب النوبي عدة ايام . وسار خوارزم شاه الى همدان وملك تلك البلاد جميعها فارسل له الخليفة الناصر لدين الله الخلع السنية

وكان الخليفة الناصر لدين الله قد ارسل عسكريًا مددًا لخوارزم شاه على الملك طغرل فوصل هذا المدد بعد رجوع خوارزم شاه من همدان اليها فاخرجوا منها الخوارزميين واستولى عسكري الخليفة عليها وعلى ما حولها ولما علم خوارزم شاه بما كان من عسكري الخليفة ارسل الى قائد جيوشه

بهذه (قائد جيوش الخليفة) وهو الوزير مؤيد الدين بن القصاب يطلب اليه ان ينزل عن البلاد التي اغتصبها من اصحابه ويسلمها اليهم فلم يجبه مؤيد الدين الى ما طلب فساد خوارزم شاه مجدداً الى همدان وكان مؤيد الدين قد توفي قبل وصوله بقليل فقاتل عسكر الخليفة وهزمهم واستولى على همدان . ثم حدث ما اضطره الى تركها وعاد الى خراسان

وكان الخطا قد قوي امرهم في تلك النواحي حتى دخل خوارزم شاه وغيره تحت طاعتهم ثم قامت الدولة الغورية وقاتلت الخطا سنة ٥٩٤ هـ وهزمهم هزيمة شنعاء فطمع خوارزم شاه في الامتناع عن اداء ما كان مقرراً عليه للملك الخطا . فسار ملك الخطا الى خوارزم سنة ٥٩٤ هـ المذكورة وحصرها واقام عليها مدة ولما لم يجد الى فتحها سبيلاً أفرج عنها . فرحل خوارزم شاه في اثارهم وقصد بخارى فنازلها وحاصرها وامتنع اهلها منه وقتلوه مع الخطا حتى انهم اخذوا كلباً اعور والبسوه قباء وقلمسوة وقالوا « هذا خوارزم شاه » لانه كان اعور وطافوا به على السور ثم القوه في منجنيق الى العسكر وقالوا « هذا سلطانكم » ولم يزل هذا داهم حتى ملك خوارزم شاه البلد بعد ايام يسيرة عنوة وعفا عن اهلها واحسن اليهم وفرق فيهم مالا كثيراً واقام عندهم مدة ثم عاد الى خوارزم وفي سنة ٥٩٦ هـ في رمضان منها توفي خوارزم شاه علاء الدين تكش بن ايل ارسلان وكان حسن السيرة مرضي الطريقة

٤٥٠ — علاء الدين محمد بهه تكش

من سنة ٥٩٦ — ٦١٧ هـ أو من سنة ١١٩٩ — ١٢٢٠ م

لما توفي علاء الدين تكش بن ايل ارسلان تولى بعده ابنه علاء الدين محمد وتلقب لقب ابيه وكان قبلاً يلقب قطب الدين وكان اخوه علي شاه بن تكش باصفهان فارسل اليه يستدعيه فسار اليه فذهب اهل اصفهان خزانته ورحله . فلما وصل الي اخيه ولاه حرب خراسان والتقدم الى جندها وسلم اليه نيسابور

وكان هندوخان بن ملك شاه بن تيكش يخاف عمه محمداً فهرب منه ونهب كثيراً من خزائن جده تيكش لما مات وكان معه ولحق بغياث الدين ملك الغور واستجار به على عمه علاء الدين محمد بن تيكش . وكان غياث الدين الغوري في ابان قوته وفي عنفوان سطوته فاجابه الى ذلك واقام حرباً عواناً على خوارزم شاه محمد بن تيكش واستولى على جميع بلاده التي بخراسان و اضافها الى مملكته الواسعة وذلك سنة ٥٩٧ هـ

وكان غياث الدين قد استولى على ما استولى بشجاعة اخيه شهاب الدين الذي لم يكن يهدأ الا بشن الغارات واقتحام المخاطر فبعد ان استولى على خراسان سار قاصداً بلاد الهند لاختصائها فانتهز خوارزم شاه الفرصة في غيبته وارسل الى غياث الدين ان ينزل له عن البلاد التي استولى عليها في خراسان وكانت له قبلاً وهدده في جوابه بانّه سيستعين عليه بالخطا للاستيلاء على تلك البلاد قوة واقتداراً ان لم يكن بالرضا والتسليم فعاظمه غياث الدين في الجواب انتظارك العودة اخيه فقبض خوارزم شاه على رسوله واعتقله وسار في عسكر واستولى على بلاده التي كان اغتصبها منه غياث الدين حتى انتهى الى هرات وحاصرها فلم يقدر عليها فرجع عنها . ثم رجع شهاب الدين من الهند وعلم بما كان من خوارزم شاه فعزم على قصد بلاده ثم انشغل عنه قليلاً لوفاة اخيه غياث الدين . ثم سار الى خوارزم سنة ٦٠٠ هـ وحاصرها وضيق عليها فاستنجد خوارزم شاه بالخطا فساروا الى بلاد الغورية فلما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم وقاتل الخطا وانهمزم امامهم وسبذ كر ذلك في ذكر الدولة الغورية ان شاء الله

تم قتل شهاب الدين الغوري سنة ٦٠٢ هـ فطمع خوارزم شاه في الاستيلاء على بلادهم بخراسان فملك مدينة هرات و بايج وغيرها ثم تقدم الى مدينة ترمذ وحاصرها هو من جهة والخطا من جهة فافتحوها عنوة واعطى خوارزم شاه مدينة ترمذ للخطا سياسة ومكرآ منه حتى يساعدوه على اتمام مقاصده وليظهر لهم انه على ولاء ووفاء مهمم مع انه على غير ذلك كما ستره ان شاء الله . ثم تقدم خوارزم

شاه الى بلد الجبل فقاتله اهله وهزموه فماد مقهوراً
وفي سنة ٦٠٣ هـ ارسل خوارزم شاه عساكره بقيادة ابن خرميل الى اسفرار
فحصرها هذا وارسل الى اهليها يفسم بالله لئن سلموها ان يؤمنهم وان امتنعوا اقام
عليها الى ان يأخذها فاذا اخذها قهر لا يبقى على كبير ولا صغير . فشافوا وسلموها
له في ربيع الاول من السنة فلم يتعرض لهم بسوء ثم ارسل الى صاحب سجستان
يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له بيلاده فاجابه الى ذلك . فاقطع خوارزم شاه
ابن خرميل مدينة هرات تنشيطاً له

وفي سنة ٦٠٤ هـ عبر علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه نهر جيحون
لقتال الخطا وسبب ذلك ان الخطا كانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما وراء
النهر وثقلت وطأتهم على اهليها ولهم في كل مدينة نائب يجي اليهم الاموال . فاتفق
ان سلطان سمرقند وبخارى الذي يلقب بسلطان السلاطين وهو من اولاد الخانية
عريق النسب في الاسلام والملك انه وضج من تحكم الخطا الكفار على المسلمين
فارسل الى خوارزم شاه يقول له :

« ان الله عز وجل قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود
ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدي الكفار وتخلصهم مما يحري عليهم من التحكم
في الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم
ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة » فاجابه الى ذلك وقال له « اخاف انكم
لا توفون لي »

فسير اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارى وسمرقند بعد ان حلفوا لصاحبهم
على الوفاء بما تضمنه . فلما وصلوا الى خوارزم شاه وعلم صدقهم سار معهم واستولى
على ما وراء النهر بعد ان قاتل الخطا قتالاً شديداً ثم تكاثر الخطا على اصحاب خوارزم شاه
وقاتلهم وهو معهم فانهم المسلمين واسر خوارزم شاه وعاد الخوارزميون الى خوارزم
وليس معه السلطان فظنوه قتل فاستولى احد اصحابه المدعو كركك خان على نيسابور
واعمالها واخوه علي شاه على طبرستان . ثم خلع خوارزم شاه من اسر الخطا وعاد الى

خوارزم فدخلها في احتفال عظيم وعلم ما كان من كزلك خان بنيسابور ومن أخيه على شاه بطبرستان فسار إلى خراسان في عساكره فاصلح فسادها وعاد ظافراً وكانت واقعه الأخيرة مع نلصا قد جعلته يهتم بأمرهم اهتماماً زائداً فجهز العساكر الكثيفة وعبر جيحون لقصد الخطا سنة ٦٠٦ هـ واجتمع الخطا لقناله فحصلت بين الفريقين وقائع تشيب لولها الولدان وأخيراً انهزم الخطا هزيمة شنعاء واستولى خوارزم شاه على ما وراء الهر مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ مدينة اوزكند وجعل نوابه فيها وعاد إلى خوارزم مستصحباً معه صاحب سمرقند وكان جميل الصورة بهذا المقدار حتى كان أهل خوارزم يتجمعون حتى ينظروا إليه فزوجه خوارزم شاه ابنته ورده إلى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند وارسل معه حامية لاحتلال المدينة وعاد صاحب سمرقند ومعه من معه من أهل خوارزم فاقاموا معه سنة فراى صاحب سمرقند من سوء سيرة الخوارزميين ما حجب إليه الفتنك بهم ومراجعة طاعة الخطا ففعل وعزم على قتل زوجته ابنة خوارزم شاه فامتنعت منه في القلعة وقفلت على نفسها الابواب

ولما علم خوارزم شاه بما كان من صاحب سمرقند استنشاط غيظاً وحنقاً وجمع عساكره وأسرع إلى سمرقند وحصرها وضيق عليها وفتحها عنوة وقتل صاحب سمرقند صبراً ولم يقبل توبته ولا عفا عنه وكان يقول له قبيل قتله « قد فعلت ما لم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر » .

و بعد ان افنتح خوارزم شاه مدينة سمرقند قدم إليه الخطا في جموع لا تحصى بقيادة ملكهم فكانت بين الفريقين معركة لم يسبق لها نظير فكانت القاضية على الخطا فلم ينج منهم احد

واستولى خوارزم شاه على بلادهم بلا منازع ولا مدافع وعظم شأن خوارزم شاه وعلا صيته وخدمه السعد اياماً فاستولى في مدة قريبة غير ما ذكرنا على بلاد كرمان ومكران والسند وباميان وغزنة واعمالها سنة ٦١٢ هـ وعلى بلد الجبل سنة ٦١٤ هـ

ولما استولى خوارزم شاه على ما استولى عليه وانزع البقية الباقية من السملوقيين طمع في الخطبة له على منابر بغداد فارسل الى الخليفة في ذلك فلم يقبل الخليفة طلبه . فعزم على قصد بغداد فسار حتى انتهى الى عقبة سرا باد فاصابه هناك ثلج كثير اهلك الحيوانات وعن ايدي الرجال وارجلهم حتى قطعوها فرجع عن قصده ودخل خوارزم سنة ٦١٥ هـ

و بعد ان بلغت دولة خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى اعلى درجات المجد والعظمة سقطت بغنة الى الخضيض لظهور دولة التاتار بقيادة الفاتح العظيم جنكيزخان

والسبب الذي حمل جنكيزخان على قصد بلاد خوارزم شاه ان بعض تجار التاتار ساروا الى مدينة اترار وكان العامل عليها من قبل خوارزم شاه شخصاً يقال له غاير خان فطمع في اخذ مامع هؤلاء التجار التتر وطاع السلطان محمداً في امرهم وحسن له ابادتهم واغنائهم . اللهم فذنب له في ذلك فقتلهم واستولى على ما معهم وهرب واحد من هؤلاء التجار وسار الى ملكهم جنكيزخان واعلمه بما كان من غاير خان وخوارزم شاه فاغتاظ جنكيزخان جداً وهجر النوم وجهز العساكر وسار الى تركستان وحصر مدينة اترار واخذها عنوة وقتل غاير خان في هذه المعركة ثم تقدم جنكيزخان الى مدينة بخارا سنة ٦١٧ هـ وحصرها من جميع نواحيها . وكان بها من عسكر السلطان محمد خوارزم شاه عشرون الفا بقيادة كوك خان وسونج وكشلي خان فلما تحققتوا عجزهم عن مقاتلة المغول خرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فادركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر جيحون فوقعوا فيهم وقتلهم كافة ولم يبقوا منهم اثراً . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطالب الامان فخرج الائمة والاعيان الى خدمة جنكيزخان يتضرعون اليه ويطلبون حقن دمائهم . فتقدم باخراج كل من بالمدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وواده طولي الى المدينة فوقف على باب مسجد الجامع وقال « هذا دار السلطان » فقالوا « لا بل خانة يزدان » أي بيت الله . فنزل ودخل الجامع

وصعد الى المنبر وقال لا كابر بخارا « ان الصحراء خالية عن العلف فانتم اشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار » ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلات . ورعى الناس ما في الصناديق من الكتب وجعلوها اوارى للخيول واحضروا الطعام والشراب في الجامع واكلوا وشربوا وطربوا . ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الائمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم :

« ان الله ملك الكل ارسلني لا طهر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة » وذكر لهم ما فعله غازي خان امير اترار باذن سلاطنه بالتجار الى غير ذلك ثم امرهم ان يمتثلوا الاغنياء واصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم فبلغوا ٢٨٠ الفاً فقال لهم « ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعمالها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض » فقبلوا بالسمع والطاعة . ووكلا مع كل قوم باسقاطا يستخرج الاموال واثار سرّاً الى المستخرجين ان لا يكلفوهم ما لا يطيقونه ويرفقوا بهم لما رأى من حسن اجابتهم الى ما امروا به . ولان جماعة من عسكر السلطان كانوا مخففين بالمدينة امر فرموا في محالها النار فاحترقت المدينة باسرها لان جل عمائرها من خشب انبقيت عرصة بخارا قاعاً صفصفاً وتفرق اهلها منتزحين الى خراسان

وفي ربيع الاول من السنة (٦١٧ هـ) نزل جنكزخان على مدينة سمرقند واستولى عليها بعد قتال شديد ثم تقدم الى ضواحي خوارزم وانفذ الرسل الى اهلها يدعوهم الى الالية (القسم) والدخول في طاعته وشغلهم لياماً بالوعد والوعيد والتأويل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرى بهسا . ولان صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعاً كاللحجارة ويرمون بهسا وملأوا الخندق بالتراب والخشب والمشمع وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فلكوا سورها واضرموا النار فيها فانت على اكثر دورها وما فيها فيش المغول من الانتفاع بشيء منها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلة ميلة لان اهلها كانوا

يتمتعون فيها اشد الامتناع . ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل المحال
واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وبعد ان فرزوا الصنائع والمخترفين والنساء
الوافي ينتفع بهن قتلوا كل الباقي

والا نزلت هذه الغزالة على خوارزم شاه وبلاده هرب قائماً في البلاد يستغيث
ولا مغيث وينادي ولا مجيب

ثم ارسل جنكزخان بعض اصحابه لاقتفاء اثار خوارزم شاه وقال لهم :
« اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسما حتى تدركوه وتأخذوه » فطارده
وهو هارب امامهم حتى توفي في بعض قلاعه وهو هارب منهم وكانت وفاته سنة
٦١٧ هـ المذكورة . وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهوراً تقريباً وكان
قد اتسع ملكه وعظم محله ولم يملك بعد الساجوقية احد مثل ملكه فانه
ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان
وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وخرسان وفارس واذاق الخطا
الامرين . وكان فاضلاً عالماً مكرماً للعلماء محباً لهم محسناً اليهم يكثر مجالستهم
ومناظرتهم بين يديه . وكان صبوراً على التعب فسيحان من يغير ولا يتغير هو
مالك الملك وحده

٢٥١ - جهل الدين به محمد

من سنة ٦١٧ - ٦٢٨ هـ او من سنة ١٢٢٠ - ١٢٣٠ م

لما توفي خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش واستولى التاتار على بلاده
هرب ابنه جلال الدين الى مدينة غزنة واستقر بها قليلاً واجتمع اليه من سلم من
عسكريه وابعوه على الموت . ولم يكن التار بغافلين عنه لكنهم انشغلوا عنه قليلاً
بفتح البلدان حتى استولوا على كل ايران ثم قصدوا غزنة اخيراً وبها جلال الدين
ابن محمد خوارزم شاه . فرحل جلال الدين عنها وعزم على قصد بلاد الهند

ليتخلص من هذه النازلة . ولما وصل جنكزخان الى غزنة وعلم بمسير جلال الدين عنها لم يستمر ورحل في الحال وحمل على نفسه بالمسير حتي لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خافه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وتقدم جنكزخان ان يسلك حياً . فلما رأى جلال الدين خطارة الموقف وعلم انه ماخوذ على اي حال لم يرض باقل من ان يقاتل حتى يقتل فحمل على المغول حملات منكرة وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضره حياً الى جنكزخان كطلبه فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عين تضيق الحلقة عليه نزل فودع اولاده وخواصه بايكاً كثيلاً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنبيه وهو كالاسد الغيور وهم بالعبور . وقنحهم فرسه النهر فانقحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه ويتأملونه حيارى

ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً والنفت الى ولديه وقال لهما « من اب مثل هذا الابن ينبغي ان يولد . اذا نجا من هذه الوقفة فوقائع كثيرة تجري على يديه . ومن خطابه لا يغفل من يعقل »

واراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فمنعهم جنكزخان قائلاً « انتم لستم من رجاله لانه كان يرامي المغول وهو في وسط الشط » فلما فاتهم اخذوا امر الخان باحضار حرمة واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع . ولان جلال الدين عند ما اراد الخوض في النهر التي جميع ما كان صحبته من آنية الذهب والفضة فيه امر الغواصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه . وكان هذا الامر الذي هو من عجائب الانام ودواهي الايام في رجب فقبل في المثلث « عش رجباً ترعجباً » وتعذر على جلال الدين المقام ببلاد الهند فسار عنها الى كرمان ووصل الى اصفهان فوجد اخاه غياث الدين قد استولى عليها انفسه فاخذها جلال الدين منه وتقدم الى فارس . وكان اخوه قد اغتصب من صاحبها بلاداً فاعادها جلال الدين اليه وصالحه ووصل الى تستر وحصرها شهرين ولم يقدر عليها فتركها وسار الى

يمقوبا ومنها الى دقوقا فامتنع اهلها منه فحاصروهم وافتنحها عنوة وامر عساكره بنهبها
فقتلوا بها تمثيلاً شنيعاً . ثم تقدم جلال الدين الى اذريجان واستولى عليها جميعها
وقاتل الكرج وانتصر عليهم . فعاشت نفسه بعد الموت واسس في تلك النواحي
مملكة غير التي اغتصبها منه التاتار الا انها لم تدم طويلاً كما سنراه ان شاء الله
وفي سنة ٦٢٣ هـ تقدم جلال الدين الى مدينة تفليس وكان الكرج قد استعدوا
لدفاعه استعداداً كبيراً فقاتلهم وانتصر عليهم واشتولى على تفليس ثم بلغه ان اهل
كرمان قد عصوا عليه فسار الى هناك واخضع الثائرين ثم عاد مسرعاً الى تفليس
لوصول رسول من وزيره بتفليس يعرفه ان عسكر الملك الاشرف الذي بخلاط قد
هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحمله على العود الى تفليس ففعل
ولما وصل جلال الدين الى تفليس جمع عسكره وسار الى خلاط وحصرها
مدة ولم يقدر على فتحها ثم رجع عنها لنزول الثلج بكثرة في بقاءها
وفي سنة ٦٢٤ هـ وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن جلال الدين بها فقاتلوا
من بها من عسكره واحرقوا المدينة فلما بلغ جلال الدين الخبر سار في من عنده
من العساكر ليدركهم فلم ير منهم احداً لانهم كانوا قد فارقوا تفليس لما احرقوها
وفي سنة ٦٢٦ هـ حصر جلال الدين مدينة خلاط واستولى عليها فغرب
اصحابه خلاط واكثروا فيها القتل والنهب ما لم يسمع بمثله . فلما سمع الملك الاشرف
انزعج وارسل جريدة الى ابلستين . فتلقاه صاحب الروم علاء الدين كيقباد . من
فراسخ واجتمعا ولحقت الملك الاشرف عساكره وخرج علاء الدين بعساكره الى
اق شهر هو والملك الاشرف وخرج جلال الدين الخوارزمي من خلاط للقائهم
وكان في ٤٠ الفاً والنموا واقتتلوا قتالاً شديداً في يوم الجمعة وكانت الغلبة فيه للملك
الاشرف وعلاء الدين وباتوا ليلة السبت على تعبيتهم الى الفجر من يوم السبت
فالتقوا واقتتلوا فانهمز جلال الدين هزيمة عظيمة وقتل من اصحابه خلق لا يحصى
عددهم الا الله وانهمز مثلهم واسر مثلهم وبلغت هزيمتهم الي جبال طرايزون فوقع
منهم في شقيف هناك ١٥٠٠ رجل . ولحق خوارزم شاه بنجرتبرت فوصلها في يوم

ولاية ونجا بنفسه ومضى الى بلاد المعجم فاقام في خوى
ولم يقيم بها طويلاً حتى علم بقصد التتر اياه فتوجه الى تبريز وارسل رسولا
الى الخليفة وآخر الى الملك الاشرف وآخر الى السلطان علاء الدين صاحب الروم
يستجيشهم ويعلمهم كثرة عساكر التاتار وحدة شوكتهم وشدة نكايتهم وانه اذا
ارتفع هو من البين يمجزون عن مقاومتهم وانه كسد الاسكندر يمنعمهم عنهم فالراي
ان يساعده كل منهم بفوج من عسكره ليرتبط بذلك جاش اصحابه ويجمعهم بهم
العدو عن البلاد فينحجم . قال من هذا النوع واكثر واستصرخهم فلم يصرخوه
واستغاثهم فلم يغثوه فشقي بارمية واشتوا . وفي الربيع توجه الى نواحي ديار
بكر وصار يصرف اوقاته بالتمتع واللهو والشراب والطرب كانه يودع الدنيا
وملكها الغاني

وبينا هو في ذلك يسر لابل يفر فخبئه هجوم التاتار ليلاً فتكلف للانتباه
وعاين نيران المنول بالقرب من مكانه فتقدم الى الامير اورنغان ان يلم به الجماعة
ويشغل المنول عند الصبح بالاقدام نارة والاحجام اخرى . وفر هو مع ثلاثة
نفر من مماليكه تائهاً في جبال ديار بكر . فلما اصبحوا ظن المنول ان جلال الدين
خوارزم شاه فيهم فجدوا في طلبهم طاردين في اعقابهم وهم منهزمون بين ايديهم
ولما تحققوا انه ليس منهم رجعوا عنهم

اما جلال الدين خوارزم شاه فاقوع به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه
وقدروه من بعض جند الخوارزميين فقتلوه والمملوكين الذين معه طعماً في ثيابهم
ورغباتهم وسلاحهم . استلبط ذلك من جهة ان بعد مدة يسيرة دخل بعض اولئك
الاکراد الى آمد وعليه من سلاح جلال الدين فعرفه مملوك له كان قد لجأ الى
ساحب آمد فقبض الكردي وقرر فقرر بما افعله هو واصحابه فاحضرهم صاحب
آمد وقتلهم خنقاً عليهم . وكان قتل جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢٨ هـ وهو
انقضت الدولة الخوارزمية والملك لله يومئذيه من يشاء . والبقاء لله وعنده

٤٥٢ - الدولة الغورية بافغانستان والهند

(تمهيد) كما ان الدولة السلطو ارزمية قامت من موالي الدولة الساجوقية هكذا قامت الدولة الغورية هذه من موالي الدولة الغزنوية من آل سبكتكين وهي تنسب الى محمد بن حسين الغوري الذي كان من موالي بهرام شاه الغزنوي فعظم امره حتي اقطعه بلاد الغور ثم كانت الفتنة بين بهرام شاه واخيه ارسلان فمال محمد بن حسين الغوري الى ارسلان وارتاب به بهرام لذلك ثم انقضى امر ارسلان وسار محمد بن حسين في جموعه الى غزنة سنة ٥٤٣ هـ مظهراً لازيارة وهو يريد الفرار به فشمع بهرام شاه بذلك فحبسه ثم قتله واستوعش الغورية لذلك

٤٥٣ - سام بن حسين

من سنة ٥٤٣ - ٥٤٣ هـ او من سنة ١١٤٨ - ١١٤٨ م

لما قتل محمد بن حسين الغوري تولى بعده اخوه سام بن حسين ولكن لم تطل مدته اذ اصابه جذري فمات منه لشهور من ولايته

٤٥٤ - سوري بن حسين

من سنة ٥٤٣ - ٥٤٤ هـ او من سنة ١١٤٨ - ١١٤٩ م

لما توفي سام بن حسين تولى بعده اخوه سوري بن حسين وقوى امره وتمكن ملكه وجمع عسكره وسار الى غزنة طالباً بثار اخيه المقتول وقاصداً ملك غزنة فلما وصل اليها ملكها في جهادي الاولى سنة ٥٤٣ هـ وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعاً كثيرة وعاد الى غزنة وقاتل سوري فيها وانضم عسكر غزنة الى بهرام شاه وقبضوا على سوري وسلموه اليه فصلبه بهرام شاه في الحرم مرت سنة ٥٤٤ هـ واستولى على غزنة

٤٥٥ - عماد الدين الحسين بن حسين

من سنة ٥٤٤ - ٥٥٦ هـ او من سنة ١١٤٩ - ١١٦٠ م

وإنا قتل سوري بن حسين تولى بعده اخوه الحسين وتلقب علاء الدين وملك جبال الغور ومدينة فيروزكوه بالقرب من غزنة ثم طمع في الاستيلاء على ما جاوره من البلاد فسار الى بلخ واستولى عليها وكانت من اعمال السلطان سنجر السلجوقي فلما علم هذا بما فعله علاء الدين سار اليه وقاتله وهزم الغورية وأسر علاء الدين واحضره بين يديه وقال له « يا حسين لو ظفرت بي ما كنت تفعل » فاخرج له قيداً من الفضة وقال « كنت أقيدك بهذا واحملك الى فيروزكوه » فخلع عليه سنجر واطلقه وردّه الى فيروزكوه فبقي بها مدة . ثم قصد غزنة وبها بهرام شاه فلم يثبت بها بين يدي علاء الدين بل فارقه الى مدينة كرمات فاستولى علاء الدين على غزنة واحسن السيرة في اهلها واستعمل عليهم اخاه سيف الدين ثم رجع الى بلد الغور . فاقام سيف الدين بغزنة محسناً السيرة في اهلها الا ان اهل غزنه لم يحفظوا له معروفه عليهم واحسانه اليهم بل عاملوه بدل الخير شراً وبيان ذلك انه لما دخل الشتاء ووقع اثناج وعلم اهل غزنة ان الطريق انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه واستدعوه اليهم . فسار اليهم في عسكر فلما قرب من المدينة ثار اهلها على سيف الدين فاخذوه بغير قتال . وكان الملويون هم الذين تولوا أسر سيف الدين . وانهم اصحاب سيف الدين فمنهم من نجى ومنهم من اخذ . ثم انهم سودوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة وطاقوا به البلد ثم صلبوه وعلم علاء الدين بما جرى على اخيه سيف الدين فاقسم ان لا يترك غزنة حتى يخرّبها ويأخذ بثار اخيه .

وفي هذه الاثناء توفي بهرام شاه وتولى بعده خسرو شاه وتجهز علاء الدين وساروا الى غزنة سنة ٥٥٠ هـ ففارقها خسرو شاه الى هلاور وملكها علاء الدين ونهبها ثلاثة ايام وقتل بالملويين الذين اسروا اخاه وقتل كل من ساعد في ذلك

فلما امر غياث الدين وشهاب الدين عهدهما احضراه واجلساه على التخت ووقفنا في خدمته . فبكي علاء الدين من الفرح لما رآه من معاملة ابني اخيه له وزوج غياث الدين بنتاً له وجعله ولي عهده وبقي الحال كذلك الى ان توي علاء الدين سنة ٥٥٦ هـ . وكان عادلاً من احسن الملوك سيرة في رعيته

من سنة ٥٥٦ - ٥٩٩ هـ او من سنة ١١٦٠ - ١٢٠٢ م

ثم سار الى مدينة آجر واستولى عليها وقاتل الهنود مراراً وهزمهم وشت
شماهم واستولى على كل ما كان للدولة الغزنوية بالهند . اما غياث الدين فوجه

عنان فتوحاته الى بلاد خراسان فاستولى على هرات وغيرها من مدن تلك النواحي
 في مدة يسيرة استوليا على جزء عظيم من المعمورة والفا دولة قوية
 وكان املاء الدين الحسين بن حسين الملك السابق ابن يدعي محمد افانمزم
 فرصة اشتغال غياث الدين وشهاب الدين بفتوحاتهما واستولى على بلاد الغور بعد
 ابيه فقام عليه بعض الغزاة سنة ٥٥٨ هـ وقتله فكفى الله بذلك غياث الدين واخاه
 مؤونة مقاومته

تم استتب امر غياث الدين وشهاب الدين في البلاد التي استوليا عليها ولم
 ينازعا احداً ولا احد نازعهما الى ان كانت سنة ٥٨٦ هـ وفيها اغار سلطان شاه
 ابن خوارزم شاه على بلاد غياث الدين فجمع غياث الدين عساكره وسار اليه
 وقاتله وانتصر عليه وملك عدة مدن من بلاده وعاد الى غزنة

وكان شهاب الدين قد غزا الهند سنة ٥٨٣ هـ فانهمزم امامهم فثأر جداً وعزم
 على الانتقام الشديد فجهز عسكرياً وسار سنة ٥٨٧ هـ الى بلاد الهند وقاتل الهنود
 وانتصر عليهم ومثل بهم تمثيلاً شديداً واستولى على مدينة اجير من بلادهم

وفي سنة ٥٩٢ هـ استولى شهاب الدين على قلعتي بينكر وكوالير من
 بلاد الهند

وفي سنة ٥٩٤ هـ ارسل غياث الدين عسكرياً الى مدينة بلخ واستولوا عليها
 وكانت بيد الخطا في ذلك الحين فهاج الخطا لذلك وعبروا جيحون الى ناحية
 خراسان وعاثوا فيها فساداً فقاتلهم الغورية وهزموهم وارجعهم على اعقابهم خاسرين
 وفي هذه الاثناء كانت الدولة الخوارزمية قد عظم شأنها ايام علاء الدين
 خوارزم شاه فضايقوا ملك الغورية في خراسان فاهتم غياث الدين وشهاب الدين
 لذلك وسارا في عساكرهما الى خراسان واستولوا على كل ما كان لخوارزم شاه
 من البلاد فيها ورجعا

ولما عاد غياث الدين وشهاب الدين من خراسان سار شهاب الدين الى بلاد
 الهند وقصد مدينة نهرولة فوصلها سنة ٥٩٨ هـ وقاتل الهنود عليها وانتصر عليهم

واستولى عليها فانتهم خوارزم شاه فرصة غياب شهاب الدين بالهند وارسل الى غياث الدين برد البلاد التي اخذها منه ويهدده ان لم يفعل فغالطه غياث ولكن مغالطته لم تنجح لدى خوارزم شاه فقصد بلاد خراسان واستولى على البلاد التي انتزعها منه الغورية وتقدم الى هرات وحصرها ولم يقدر عليها فرجع عنها ثم توفي غياث الدين محمد بن سام سنة ٥٩٩ هـ وكان مظفراً منصوراً وكان قليل المباشرة للحروب بنفسه انما كان له دهاء ومكر وكان كثير الصدقات والوقوف بني المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعي وبني الخانكاهات في الطرق واسقط المكوس

٤٥٧ - شهاب الدين به سام

من سنة ٥٩٩ هـ - ٦٠٢ هـ او من سنة ١٢٠٢ - ١٢٠٥ م

كان شهاب الدين شريكاً لاختيه في الملك كما تقدم فلما توفي غياث الدين استقل شهاب الدين بملك غزنة وخراسان والهند وكان قد عاد من الهند قريباً ونجيز لقصد خوارزم شاه واقام بطوس يستعد للحركة فتوفي اخوه كما تقدم فجلس في العزاء فيه وبعد انتهاء مدة الجناز سار الى خوارزم وحصرها وضيق عليها وكاد يفتحها فاستنجد خوارزم شاه بالخطا فارسلوا عسكرياً لقصد بلاد شهاب الدين فلما علم شهاب الدين بذلك افرج عن خوارزم وسار لرد الخطا عن بلاده وبعد قتال شديد انهزم شهاب امام الخطا ثم صالحهم واستقر ببلاده ولما انهزم شهاب الدين امام الخطا طمع فيه الهنود الساكنون في الجبال بين هاور والمثلان ورفعوا راية العصيان فسار اليهم وقطع مادة فسادهم وعاد ظافراً وكان ذلك سنة ٦٠٢ هـ

وفي سنة ٦٠٢ هـ قتل شهاب الدين ملك الغور قتله بعض الاشقياء داخل خيمته في شعبان من السنة

٤٥٨ محمود بن غياث الدين

من سنة ٦٠٢ - ٦٠٥ هـ او من سنة ١٢٠٥ - ١٢٠٨ م

لما توفي شهاب الدين بن سام وقع الاضطراب في المملكة وقام الامراء يتنازعون الولاية فبعضهم طاب تولية محمود بن غياث الدين وبعضهم طاب تولية بهاء الدين سام ابن اخت شهاب الدين وكان بين اولئك المختلفين شخص يقال له تاج الدين الذر وهو من موالي شهاب الدين واخصهم به فطمع في ملك غزنة وظهر القيام بدعوة غياث الدين محمود بن غياث الدين واقام بغزنة بالنيابة عن غياث الدين المذكور

اما بهاء الدين فكان مقيماً باميان وهي اقطاعة من ايام خاله شهاب الدين فلما علم ان بعض الامراء يعضده طمع بالملك وارسل اليهم يامرهم بحفظ الاموال واقامة الخطبة له بغزنة حتى يحضر اليهم . ثم سار الى غزنة فتوفي في طريقه اليها فقطعت جهيز قول كل خطيب . وكان له ابن يدعى علاء الدين فاستولى على باميان بعده

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فكان في هذه الاثناء في اقطاعة في بست ولما علم بمقتل عمه دعا لنفسه وافته طاعة تاج الدين الذر من غزنة ثم سار الى فيروزكوه وقبض على جماعة من اصحاب علاء الدين وسار الى دار ابيه فسكنها واعاد الرسوم وقدم اليه عبد الحبار محمد بن العشير الى وزير ابيه فاستوزره واقتنى خطوات ابيه في العدل والاحسان

ولما استقر علاء الدين باميان على ما تقدم كثرت جموعه فطمع في ملك غزنة وكان بها الذر نائباً عن غياث الدين فقاتله عليها فانهمزم الذر وهرب الى بلد كرمان واستولى علاء الدين على غزنة فاقام بها شهرين جمع في اثناهما الذر كل ما قدر على جمعه من المساكر وعاد الى غزنة لاستخلاصها من يد علاء الدين فحصرها وضيق عليها حتى استامن اليه علاء الدين وسلمه المدينة فقبض الذر عليه واعقله

وكتب الى غياث الدين بالفتح
ولتوالي هذه الفتن الداخلية التي نشأت في الالة الغورية ضعفت هذه الدولة
طبعاً وطمع الملوك بها وخصوصاً خوارزم شاه الذي كان ينتظر سقوطها بفروغ
صبر فلما رأى ما بلغت اليه من الضعف لم يجد يهاب سطوتها كما كان واغار على
املاكها بخراسان واستولى عليها . ثم على ترمذ والطالقان ولم يقدر الغورية على
استرجاعها لما تولاهم من الوهن
وكان لخوارزم شاه اخ يدعى علي شاه خالف عليه ولحق بغياث الدين فاجاره
غياث الدين وابى ان يسلمه لخوارزم شاه فغضب خوارزم شاه لذلك وسار الى
هرات واستولى عليها ثم ارسل الى فيروزكوه وملكها واسر غياث الدين واخاه
علي شاه وقتلها سنة ٦٠٥ هـ

٤٥٩ - تاج الدين الذرصولى غياث الدين

من سنة ٦٠٥ - ٦١٣ هـ او من سنة ١٢٠٨ - ١٢١٦ م

وكان الذرصولى كما تقدم فاستقل بها . اما خوارزم شاه فانه بعدما استولى
على فيروزكوه وعامة خراسان سار الى باميان وملكها ثم ارسل الى تاج الدين الذر
صاحب غزنة في الخطبة والسكة وان يقرر الصالح على غزنة بذلك . فاستشار الذر
اصحابه فاشاروا عليه بالامتناع من ذلك فامتنع فسار خوارزم شاه الى غزنة واستولى
عليها وهرب الذر الى هاور وكان صاحبها ناصر الدين قباچه من موالي شهاب
الدين وله معها ملتان وآجر والديبل الى ساحل البحر وله من المسكر ١٥ ألف وجاء
الذر في ١٥٠٠ مقاتل فقاتله على التعبية ومعه الغيلة فانهمزم الذر اولاً ثم صدق
الحملة فانهمزم قباچه وعسكره وملك الذر مدينة هاور ثم سار الى الهند ليملك مدينة
دهلي وغيرها من بلاد المسلمين بالهند وكان صاحبها قطب الدين ايبك قد توفي
ووليها بعده مولا شمس الدين فسار اليه والتقى عند مدينة ساجا واقتلها فانهمزم

الندر وعسكره واسر ثم قتل وذلك سنة ٦١٣ هـ
وكان محمود السيرة في ولايته كثير العدل وبوته انقضت الدولة الغورية
والبقاء لله وحده

٤٦٠ - الدولة الايوبية بمصر والشام

(تمهيد) راس هذه الدولة صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي كان ابوه
ايوب وعمه شيركوه من قواد السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام .
وكانت الدولة الفاطمية بمصر قد ذهبت سطوتها وضاءت هيبتها وتحكم الوزراء فيها
على الخلفاء

فلما كانت سنة ٥٥٨ هـ ايام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر قام وزيره
شااور السعدي وقتل الصالح بن رزيك الوزير قبله واستبد على الخليفة العاضد ثم
خالف عليه المضرغام احد القواد لتسعة اشهر من ولايته وغلبه واخرجه من القاهرة فلحق
بالشام وسار الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي واستنجد به على المضرغام وطلب
ان يعيد اليه وزارة مصر على ان يكون نائبه عليها ويدفع له ثلث خراجها
فاجاب نور الدين دعوته وارسل معه شيركوه (عم صلاح الدين) واعاده الى
منصبه ولكنه لم ياث طويلاً حتى غدر ونكث عهده ولم يدفع لشيركوه شيئاً مما
قرره لنور الدين واستعان بالافرنج على اخراج شيركوه من مصر فعاد الى الشام
وفي نفسه من شااور غصة

ثم استطال الفرنج في مصر على شااور وملكوا بلبيس وقتلوا اهله وقصدوا
القاهرة فاحرق شااور مدينة الغسقاط وارسل يستنجد نور الدين مرة اخرى فارسل
اليه شيركوه المذكور وارسل معه جماعة من الامراء منهم صلاح الدين يوسف بن
ايوب ابن اخي شيركوه وغيره

فلما قربوا من القاهرة صالح شااور الفرنج على الف الف دينار على ان يرحلوا

عن المدينة ودفع لهم منها مائة الف دينار متدماً وطلب اليهم ان يرحلوا لكي يتمكن من جمع باقي مطلوبهم فرحلوا

اما شيركوه فمسكر خارج القاهرة وعزم شاور على الفتك به بان يدعوه الى وليمة هو وقواد جيشه ويقتلهم لكن الفرص لم تمكنه من اتمام قصده

وفي الوقت نفسه كان صلاح الدين وجماعة من الامراء يتشاورون في الفتك بشاور وشيركوه يمنهم عن قصدهم . فاتفق ان شاور جاء الى معسكر شيركوه

ليزوره كالمتاد فلم يجده بل وجد صلاح الدين وبعض الامراء فقام عليه صلاح الدين وقتله وارسل راسه الى العاضد فظهر البشر والسرور واستوزر مكانه شيركوه

سنة ٥٦٤ هـ

ولم تطل مدة وزارة شيركوه فعاجلته المنية في ٢٢ جمادى الثانية من تلك السنة شهرين وخمسة ايام من وزارته . فتولى الوزارة مكانه ابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقب الملك الصالح وكاد امره لا يتم لهياج العساكر السورية وعدم قبولها به لصغر سنه ولكنه تمكن بحسن سياسته من استرضائهم فارضخوا الى السكينة بعد ذلك الهياج

ثم قام عدو آخر لصلاح الدين هو مؤتمن الخلافة الخصي فحدثته نفسه بالقيام على صلاح الدين وخلعه وشاور بعض الامراء المصريين في ذلك فاستحسنوا رايه على ان يستعين بالفرننج فتي جاءوا وانشغل صلاح الدين بقتالهم ثارواهم بالقاهرة واتحدوا مع الفرننج على قتاله واخراجه من الديار المصرية

فقر رايهم على هذا الراي وارسل مؤتمن الخلافة كتاباً للفرننج يستنجدهم ووضع الكتاب في نعل جديد وسلمه للرسول فسار مجداً حتى اذا بلغ بلبس وجده احد اصحاب صلاح الدين فانكر حاله وقبض عليه واخذ النعل منه وشقه فوجد فيه الكتب فارسله والكتب الى صلاح الدين فعلم الحقيقة وامر اصحابه بقتل مؤتمن الخلافة اينما وجد فلم يخرج مؤتمن الخلافة من منزله مدة حتى اذا طال المدى ظن ان امره نسي فخرج الى منظره له في بسنان بناحية الخرقانية فقام عليه جماعة

من اصحاب صلاح الدين وقتلوه وهاج العسكر المصري على صلاح الدين لقتل مؤتمن الخلافة واقاموا على صلاح الدين حرباً عواناً كاد ينزيم فيها الا انه انتصر اخيراً وقتل من السودان مقللة عظيمة فعادت السكينة الى ما كانت عليه وهاب الاله لي صلاح الدين واستتب له الامر في مصر بلا منازع ولا معارض وصار صاحب الامر والنهي حتى لم يبق للخليفة العاضد الفاطمي الا الاسم فقط . فلاح انور الدين صاحب الشام بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة العباسية بمصر وارسل لصلاح الدين في المعنى فاحجم عن ذلك مدة خوفاً من المصريين حتي اذا كانت الجمعة الاولى من محرم سنة ٥٦٧ هـ قام فارسي يدعى امير عالم واخذ على عاتقه ان يباشر قطع الخطبة الفاطمية ويميد الخطبة العباسية في مصر فسار الى اكبر جوامع القاهرة وصعد المنبر وخطب في الناس وصلى باسم الخليفة المستنصر بالله العباسي فلم يخلف عليه اثنان

فلما علم صلاح الدين بذلك امر ان يعاد ذلك في الجمعة القادمة في جميع جوامع القاهرة فكان كما امر ولم يعارض احد . اما الخليفة العاضد الفاطمي فكان في ذلك الوقت مريضاً فلم يخبره احد بما كان من قطع الخطبة له وعاجلته المنية بعد ذلك بايام قليلة فتوفي يوم ١١ محرم سنة ٥٦٧ هـ وقد تقدم ذكر ذلك اكثر وضوحاً في فصل (١٦٢)

٤٦١ - صلاح الدين يوسف بن ايوب

من سنة ٥٦٧ - ٥٨٩ هـ او من سنة ١١٧١ - ١١٩٣ م

ولما توفي الخليفة العاضد وضع صلاح الدين يده على القصر واستولى على كل ما وجد فيه من الخواتم وكان شيئاً كثيراً يفوق الوصف وقبض على باقي العائلة الفاطمية واعينهم . وارسل الى نور الدين صاحب الشام يعلمه باتباع اوامره وقدمع الخطبة العاضدية بمصر واقامة الخطبة العباسية ويعلمه ايضاً بموت

العاقد . فارسل نور الدين بشارة بهذين الخبرين المسرين الى الخليفة
المسنضي بنور الله العباسي ببغداد فارسل هذا الى نور الدين سيفين علامة الملك
على الشام ومصر وارسل الى صلاح الدين خلعاً والشعار العباسي الاسود . فصارت
مصر من ذلك الوقت تحت سلطنة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين
نائب عنه فيها

وكان للفاطميين في مصر احزاب لم يرضوا بما كان الا ان صوتهم كان ضعيفاً
جداً لم ينعقد سور المجتمعات التي كانوا يجتمعون فيها وذهب حشم سدى
وطمع صلاح الدين منذ تولى وزارة مصر بالاستيلاء عليها واستخلاصها
لنفسه فاجتهد في جذب الاحزاب اليه بكل وسيلة ممكنة حتى صارت ارض
مصر في قبضة يده يديرها كيف شاء

واحس نور الدين بذلك فارسل الى صلاح الدين يامره بالقدوم اليه في
عساكره الى الكرك نجدة له على الفرنج (وذلك ليمتحنه) فظهر صلاح الدين
الامثال وسار نحوه ثم رجع بغتة بداعي حدوث ما يوجب الرجوع الى مصر فتحقق
نور الدين ما سمعه عن صلاح الدين وعزم على قصد مصر لخراج صلاح الدين
منها وعلم صلاح الدين ذلك فجمع عائلته وكبراء دولته وقال لهم « بلغنا ان نور
الدين يقصدنا فما الرأي » فقال عمران اخيه « نقاتله ونقصده » فانكر ايوب ابوه
ذلك وقال « انا ابوك لورايت نور الدين لنزات وقبلت الارض بين يديه والرأي
عندي ان تكتب الى نور الدين كتاباً تقول فيه . بلغني انك تريد الحركة الى
هذه البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجاباً يضع في رقبتي منديلاً
وياخذني اليك وما ههنا من يمنة » ثم اخذ صلاح الدين في خلوة وقال له « لو
قصدنا نور الدين انا كنت اول من يمنة ولكن اذا اظهرنا ذلك يترك نور الدين
جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما تكون الماقبة واذا اظهرنا له الطاعة فمادى
الوقت بما يحصل به الكفاية عند الله » فاتبع صلاح الدين وصية ابيه وفعل كما
قال

فلما وصلت كتب صلاح الدين الى نور الدين سكن روعه وترك ما عزم عليه من قصد مصر وعاد الاهتمام بامر الصليبيين
اما صلاح الدين فكان لا يزال خائفاً من نور الدين واتفق هو واهله وكبراء دولته على اخذ مملكة غير مصر حتى اذا هزمهم نور الدين عن مصر التجأوا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين اخاه توران شاه الى اليمن فاستولى عليها واستقرت في ملك صلاح الدين

وعاد الدفور والجفاء يتفاقم بين نور الدين وصلاح الدين حتى عزم نور الدين نهائياً على قصد مصر واخذها من صلاح الدين . وبينما هو يتجهز لذلك اتاه امر الله الذي لا مرد له فتوفي في دمشق في ٨ رمضان سنة ٥٦٩ هـ وقام بعده ابنه الملك الصالح وعمره احدى عشرة سنة وظهر صلاح الدين الطاعة له . واصغر سن الملك الصالح بن نور الدين اختلف عليه الامراء بالشام وقام كل منهم يطلب الرئاسة لنفسه . واتفق ان شمس الدين بن الداية المقيم بحلب ارسل يستدعي الملك الصالح بن نور الدين الى حلب ليكون مقامه بها فصار اليها واحذ معه سعد الدين كشتكين مديراً للملكه فلما تمكن كشتكين قبض على شمس الدين بن الداية وعلى غيره من اعيان حلب واستبد بتدبير الملك فخافه ابن المقدم الذي كان يدبر الملك في دمشق واتفق مع غيره من الامراء بدمشق وكانوا صلاح الدين واستدعوه لملك عليهم فصار من مصر ولا بلغ دمشق التفاه عساكرها ونزل بدار والده ايوب المعروفة بدار المقيمي وعصت عليه القلعة وكل من فيها من العساكر فاستمالهم صلاح الدين بالمال حتى سلموا اليه القلعة فصعد اليها صلاح الدين واخذ ما فيها من الاموال وبعد ان قرر امر دمشق استخلف فيها اخاه سيف الاسلام طغتكين وسار الى حصص فلما وصلها وعصت عليه القلعة فترك حولها من يضيق عليها ورحل الى حماة فلما كان بقلعتها الامير عز الدين جرديك فاستنق في القلعة فارسل صلاح الدين يقول له « ان لا غرض له سوى حفظ البلاد الملك الصالح ابن نور الدين وانما هو نائبه ويريد ارسال جرديك في رسالة له الى حلب » وسار

جرديك بتلك الرسالة الى حلب واستخلف اخاه في قلعة حماة . فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كشتيكن وسجنه وعلم اخوه بذلك فسلم القلعة لصالح الدين . ثم سار صلاح الدين الى حلب سنة ٥٧٠ هـ وحصرها وبها الملك الصالح . فجمع الملك الصالح اهل حلب وقال لهم « قد عرفت احسان ابي اليكم ومحبة لكم وسيرته فيكم وانا يتيكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه ياخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق » وقال من هذا كثيرًا وبكى فابكى الناس واتفقوا على القتال درنه . فكانوا يخرجون ويقاثلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه لنزول الفرنج على حصص فساد اليهم فرحل الفرنج عن حصص ودخلها صلاح الدين واستولى على قلعتها التي كانت عصت عليه اولاً . وسار الى بعلبك فلما كان وارسل الملك الصالح من حلب الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجد به على صلاح الدين فجهز جيشًا وارسله بقيادة اخيه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فوصل هذا الجيش الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وقصدوا صلاح الدين . فارسل هو يبذل حصص وحماة وان تقر بيده دمشق وان يكن فيها نائباً للملك الصالح فلم يجيبوه الى ذلك وساروا الى قتاله واقتتلوا عند قرون حماة فانهمز عسكر الموصل وحلب وغنم عسكر صلاح الدين اموالهم وتبعوهم حتى حصروهم في حلب

وقطع حينئذ صلاح الدين خطبة الملك الصالح بن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطة فراسلوه في الصالح على ان يكون له ما بيده من الشام والملك الصالح ما بقي بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في المشر الاول من شوال سنة ٥٧٠ هـ المذكورة ووصل الى حماة ووصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

وفي شهر شوال المذكور حاصر صلاح الدين قلعة بعرين وانصب عليها الخنقيات وادام قتالها فسلمها اليه واليها بالامان فلما ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين واقطع حصص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وسار منها الى دمشق

فدخلها لواخر شوال من السنة المذكورة

وفي سنة ٥٧١ هـ كانت وقعة بين صلاح الدين وسيف الدين غازي وكان مع سيف الدين صاحب حصن كيفا وصاحب ماردن وغيرها فانهمر سيف الدين ومن معه مرعوبين واستولى صلاح الدين على اثمانل عسكريهم وسار الى بزاعة فحصرها وتسلمها والى منبج فحصرها وملكها عنوة ثم سار الى قلعة عزاز وملكها ثم سار الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح . فطلب اهل حلب الصالح فاجابهم صلاح الدين الى ذلك . ورحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة عزاز الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختاً له صغيرة غفلة فاكرمها صلاح الدين وقل لها « ما تريدين » قالت « اريد قلعة عزاز » وكالوا قد علموها ذلك فسلمها اليهم ورحل ثم عاد الى مصر بعد ان استقر له ملك الشام واستخلف عليه اخاه توران شاه فوصل مصر في ٢٠ المحرم سنة ٥٧٢ هـ

وكان صلاح الدين قد استخلف على مصر عندما سار الى الشام وزيره الامير بهاء الدين الاسدي الملقب بقراقوش وهو خصي فارسي فعهد اليه تدبير الاحكام وامره ان يقيم البنايات اللازمة لرونق البلاد ومنعتها فانفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيره ونشاط . وكانت الجسور المقامة لتنظيم مجرى النيل عند الفيضان قد اهمل شأنها من مدة فاتف النيل بسبب ذلك كثيراً من البلاد والاراضي لانه اذا زاد اغرق واذا نقص اشرق فوجه بهاء الدين التفاته الى هذا الامر الذي يعد حياة مصر وحفر الترع واقام الجسور والسدود فانتظمت الزراعة

فلما رجع صلاح الدين امر بهاء الدين ببناء قلعة الجبل وترميم سور القاهرة ففعل بهاء الدين ما امر به وشاد عند الطرف الشمالي من جبل المقطم قلعة منيعة لارهاب الاهالي اذا حاولوا العصيان وجعل فيها قصراً لبلاط صلاح الدين . وكان في ذلك المكان بناء قديم من عمل الدولة الطولونية يعرف بقصر الهوى فهدمه واقام القلعة على انقاضه واتى بجدارتها من خرائب منف والاهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب تشرف على كل المدينة ولا تزال باقية لهذا العهد وتعرف

بقلم القاهرة

وجعل بهاء الدين في القلعة بئراً نقرأ في الصغير عميقاً جداً ولا يزال البئر والقصر الآن يعرفان باسمه يدعى البئر بئر يوسف ويظن بعض العامة انها سميت هكذا نسبة الى يوسف الصديق بن يعقوب والصحيح انها نسبة الى يوسف صلاح الدين واتهم الاهالي بهاء الدين بالظلم والاستبداد ولقبوه (بقرقوش) اي الطير الاسود وهو العقاب . ونسبوا اليه احكاماً يبعد صدورها منه لان صلاح الدين كان معتمداً في احوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمعرفته وكفاءته لم يفوضها اليه . وكان بهاء الدين رجلاً مسعوداً وصاحب هممة عالية

ولما عاد صلاح الدين من الشام الى مصر غزا الفرنج بعض الاعمال في ناحية انطاكية . وعلم صلاح الدين بتوجيه عساكرهم الى تلك الناحية فاغتنم الفرصة ليستطو عليهم في فلسطين فخرج من مصر سنة ٥٧٣ هـ وسار الى ساحل الشام ووصل الى عسقلان فنهب وتفرق عسكره في الاغارة والغنيمة في السهول فاحرقوا الرملة وخربوا عمل اللد وانهزم الاهلون امامهم وعظم رعبهم

فلما علم بذلك ملك اورشليم قصده في عسكر الافرنج وقاتله فانهمز صلاح الدين ومن معه وغنم الافرنج ما كان في معسكرهم وعاد المصريون مدحورين وفي سنة ٥٧٥ هـ سار صلاح الدين الى الشام ونزع حصناً كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحران بالقرب من بانياس ودكه الى الارض وعاد ظفراً

وفي سنة ٥٧٨ هـ سار صلاح الدين من مصر الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرج الاعيان لوداعه وكان كل منهم يقول شيئاً في الوداع وفراقه انشده معلم بعض اولاده قول الشاعر

تمتع من شميم عرار نجسد فما بعد العشية من عرار
فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه لان ذلك شعر بانه لا يعود الى مصر وكان كذلك مع طول مدة حياته

والسبب في هذه الحلة على سوريه ان الملك الصالح بن نور الدين كان قد

توفي واستخلف عز الدين ملك الموصل فقبض هذا المعاهدة التي كانت بين صلاح الدين والملك الصالح واستنجد الافرنج على الاستيلاء على بلاد صلاح الدين بالشام . فاسرع صلاح الدين الى سورية فجاء حلب وحصرها فسلمت اليه ثم استولى على الرها وربة ونصيبين وسروج والخابور وسنجار وحران وحاصر الموصل ولما رأى حصارها يطول سار عنها الى آمد واستولى عليها بعد حصار وقتال شديدين ثم عاد الى دمشق ظافراً منصوراً . وقوي امر صلاح الدين وذاع صيته وصار الملك المظفر في مصر والشام والجزيرة واليمن ولا يوجد من يخافه الا الصليبيين وهم محصورون في وسط املاكه

وكانت شوكة الافرنج قد ضعفت وهيبتهم قد زالت لتوالي الفتن وحب الرئاسة بينهم حتى تمكن صلاح الدين من الانتصار عليهم والاستيلاء على بيت المقدس وغيره من المدن التي بأيديهم كما ستره ان شاء الله

وكافي بالفرنج قد علموا بضعفهم فهادنوا صلاح الدين الى اجل مسمى ولكن لعدم انقياد بعضهم لاوامر البعض الآخر لم يراع المدعو رانود دي شاتيليون والي الكرك شروط الهدنة وهجم في سنة ٥٨٣ هـ على قافلة للمسلمين وغنمها واسر رجالها

وعلم صلاح الدين بذلك فامرسل اليه ان يرد امري المسلمين ويعطيهم ما اخذه منهم احتراماً لشروط الهدنة فابى وتكبر . فاغتاظ صلاح الدين جداً واقسم ان يبديد النصارى واعلن انتقاض الهدنة واستغفر المسلمين للجهاد . ولما جمع السلطان صلاح الدين العسكر اغار على الكرك وضايقها وارسل فرقة اخرى مع ولده الملك الافضل فاغاروا على عكا ونواحيها وغنموا شيئاً كثيراً

ثم تقدم السلطان صلاح الدين ونزل على طبرية وحصرها وفتحها عنوة وتاخرت القلعة وكانت لريموند كونت طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته فارسل اليه الفرنج ينهونه عن موافقة السلطان ويوبخونه فصار معهم . واجتمع الفرنج للمنفى السلطان فركب صلاح الدين من طبرية والتقى الجمعان في

حطين (اليها تنسب هذه الوقعة) ودارت بينهم رحى الحرب وحيي وطيبها واشتد الامر على الافرنج من الحر والعطش واحرق المسلمون بهم احراق السوار بالمعصم فقاتلوا مستبشرين الى ان تمت الهزيمة عليهم بمد ان قتل اكثر فرسانهم واسر الملك جفري ملك اورشليم ورانود صاحب الكرك وغيرها من الامراء

فلما انقضى المصاف جاس السلطان في خيمته واجلس جفري ملك الفرنج الى جانبه وكان الحر شديدا فسقاه ماءً مثلوجاً فشرب ثم اعطى رانود صاحب الكرك فشرب . فقال السلطان للترجمان قل للملك « انت الذي سقيت هذا الملعون اما انا فما سقيته » لان العرب من عادتهم اذا اكل الاسير عندهم أو شرب صار امناً فقصد السلطان بقوله هذا ان الملك جفري امن اما رانود فلا

وكان السلطان في غاية الخيق على رانود لاسره المسلمين اثناء الهدنة كما تقدم فقام وضرب عنقه بنفسه . فارتعدت فرائص الملك جفري عند ذلك فسكن السلطان جاشه . ثم عاد الى طابرية وفتح قلعتها بالامان

ثم سار السلطان الى عكا فظهر اهله الامتناع اولاً ثم طلبوا الامان فخيرهم صلاح الدين بين الإقامة او الخروج فخرجوا منها واخذوا كلما قدروا على اخذه من اموالهم وتركوا الباقي فغنمه المسلمون وكان شيئاً يفوق الاحصاء . وفي مدة إقامة السلطان بمكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لمكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها

ثم ارسل السلطان عسكراً الى نابلس فاقى سبسطية (السامرة) وبها قبر زكريا فاخذته من ايدي النصارى وسلمه المسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من بها بالامان وتسلم القلعة
ثم سار صلاح الدين بنفسه الى تبين لان اهله امتنعوا على عسكره فحاصرها وضايقها فاطلق اهله الاسرى المسلمين الذين عندهم فلم يرض السلطان ان يتركهم

على ذلك بل ضايقهم حتى ارغموا الى طلب الامان فامنهم ووفى لهم . وسار الى صيدا واجتاز في طريقه الى صرند فاخذها بلا قتال

ولما سمع صاحب صيدا بمسيره نحوه رحل عنها وتركها خاوية فتسللها صلاح الدين ساعة وصوله اليها وسار عنها من يومه الى بيروت فانتع اهلها وقتلوا صلاح الدين قتلاً شديداً وما زالوا يقتلون حتى سمعوا من البلد جلبة عظيمة وهياج زائد واتاهم من اخبرهم ان المسلمين دخلوا المدينة من جهة اخرى فارسلوا ينظرون ما الخبر فلم يجدوا صحة لهذا الخبر لكنهم لم يتمكنوا من تسكين هياج الناس وخوفهم فحفوا على انفسهم من عاقبة هذا الاختلاف الواقع فارسلوا الى صلاح الدين يطلبون الامان فامنهم على نفوسهم واموالهم وتسلم المدينة بعد حصار ثمانية ايام ثم ارسل سرية من رجاله الى جميل من اعمال لبنان فاستلمتها

وكان صلاح الدين لما هزم الافرنج بطبرية ارسل يبشر اخاه العادل بمصر ويأمره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر فتسارع الى ذلك ونازل حصن مجدل وحصره وغنم ما فيه وسار منه الى مدينة يافا فحصرها وملكها عنوة ونهبها وقتل رجالها واسر نساءها ومثل باهلها تمثيلاً شنيعاً لم يسمع بمثله

وكان صلاح الدين يهتم كثيراً جداً لفتح عسقلان وبيت المقدس لانه اذا اخذهما لم يبق للافرنج ملجأ . فسار قاصداً عسقلان وفتح في طريقه عدة اما كن كالرملة والدارون ولما وصل الى عسقلان حصرها ونصب عليها المنجنيقات وقتلها قتلاً شديداً حتى تسلمها . ثم بعث سرية من عسكره الى غزة وبيت جبريل والبترون فاخذوها بغير قتال

ولما استولى صلاح الدين على كل ما تقدم ذكره من البلاد لم يعد يهتم بشيء سوى فتح بيت المقدس فجمع جنده وسار قاصداً بيت المقدس فوصله في ١٥ رجب سنة ٥٨٣ هـ . وكان الافرنج قد علموا بقدوم صلاح الدين فجمعوا فرسانهم وكل من نجح منهم في الوقائع السابقة وحصنوا بيت المقدس على قدر ما في امكانهم . ولكنهم كانوا عبيكاً يحاولون رد القضاء المازل عليهم . اما صلاح الدين فلما وصل الى بيت

المقدس نزل في الجانب الغربي منه ثم رأى ذلك المكان حصيناً ومشحوناً من الخيالة فانتقل الى الجانب الشمالي في ٢٠ رجب سنة ٥٨٣ هـ المذكورة وهناك نصب المنجنيقات وضيق على المدينة تضيقاً شديداً

فلما رأى الفرنج ان المدينة لا بد مأخوذة ارسلوا الى صلاح الدين يطلبون الامان . فامتنع صلاح الدين من اجابتهم وقال « لا افعل بكم الا كما فعلتم باهل هذا البلد حين ملكتموه »

ولما رجع الرسول بالخبيرة خرج الى صلاح الدين باليسان بن بيرزان وقابل صلاح الدين ورغبه في الامان فلم يجبه واستعطفه فلم يعطف واسترحمه فلم يرحمه . فلما يش من كل ذلك قال له « ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة خلق كثير وانما يفرون عن القتال رجاء انك تجيبهم الى الامان وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا راينا الموت لا بد منه فوالله لنقتل اولادنا ونساءنا ونحرق اموالنا وامتنعنا ولا نترككم تغتمون منا ديناراً واحداً ولا نسبون وتاسرون رجلاً ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخرجنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرها من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسرى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً الا قتلناه ثم نخرج اليكم مقاتلين قتال من يحمي دمه ونفسه وسينفذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله وتموت اعزاه او نظفر كراماً »

ففكر صلاح الدين ملياً واستشار اصحابه فقرر رايهم على بذل الامان لاهل بيت المقدس فامنهم وتسلموه . فعاد بيت المقدس الى المسلمين كما كان قبل قدوم الصليبيين

ومدح الشعراء صلاح الدين بعد هذا الفتح المبين فن ذلك ما قاله عبد الرحمن ابن بدر في قصيدته التي يقول في مطلعها :

هذا الذي كانت الايام تنتظر فليوف لله اقوام بما نذروا
وهي طويلة تزيد على مائة بيت

وبعد فتح بيت المقدس سار صلاح الدين لفتح صور فجاء عكا ونزل فيها

ونظر في امورها ثم سار عنها الى صور في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٥٨٣ هـ فنزل قريياً منها وحصرها برّاً واستقدم اسطوله من مصر لحصارها بجرّاً . ثم ارسل من حاصر هونين فسلمت . اما الصوريون فارسلوا اسطولهم الى اسطول المسلمين فاسروا منه خمس قطع وقتلوا كثيرين من المسلمين فعظم ذلك على صلاح الدين وضاق صدره . وكان الشتاء قد هجم وتراكت الامطار فاستشار اصحابه ففضلوا الرجوع عن صور وابقاء امرها لما بعد الشتاء فافرجوا عنها وساروا الى عكا

وفي سنة ٥٨٤ هـ سار صلاح الدين من عكا الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها وكان يظن انه يسهل عليه الاستيلاء عليها فلما رآها منيعة ينعذر الوصول اليها سار الى دمشق وترك اخاه العادل يستديم حصارها وحصار قلعة صفد والكرك . فنازل العادل الكرك وضيق عليها حتى عدم اهلها القوات واكلوا دوابهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم القلعة وما يجاورها كالكشوك وغيرها

وفي جمادي الاولى من السنة ففتح صلاح الدين ومن انضم اليه من امراء المسلمين مدن ترسون وجبلّة . وفتح صهيون في جمادي الاخرة ثم سير عدة من رجاله استولوا على عدة قرى كبلاتس وغيرها ثم اتي بكاس وهي قلعة حصينة على نهر العاصي ففتحها عنوة وهدم قلعتها ومنها سار الى قلعة برزنة الشهيرة ففتحها وفتح غيرها من القلاع

وفي شعبان من السنة ارسل اهل انطاكية يطلبون الصالح فنهالهم وفي اوائل رمضان سار يريد صفد فخاربها واستولى عليها بالامان . وفيه سلمت الكرك ايضاً

ولما ضعف امر الصليبيين بالشام الى هذا الحد ذهب المحرضون الى اوربا منادين بحروب صليبية ومستحثين الافرنج لاسترجاع ما اخذ من اخوانهم بالشام . فلبت اوربا دعوتهم وسارت هذه التجريدة الثالثة الى الشام بقيادة ريشارد الملقب بقلب الاسد ملك انكلترا وفيليب ملك فرانسوا وفرديريك ملك المانيا وسار بعضهم

بجراً وبعضهم برّاً الى الاراضي المقدسة فنزلوا على عكا سنة ٥٨٥ هـ وحاصروها برّاً وبحراً ولم يبق للمسلمين اليها طريق فصار اليهم صلاح الدين وقاتلهم وحمل تقي الدين عمر صاحب حماة من ميمنة السلطان عليهم فازالهم عن موقفهم والتزق بالسور وانفتح الطريق الى المدينة فادخل صلاح الدين عسكرياً اليها نجدة . وبقيت الحرب سجّالاً ثم صافوا السلطان وحلوا على قلب جيش المسلمين فازالوه واخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا خيمة السلطان فقاتلهم السلطان حتى قتل منهم نحو العشرة الاف وانهزم بعض المسلمين ووصل بعضهم الى طبرية وبعضهم الى دمشق

وحصل للسلطان قولنج فاشار عليه الاطباء بالانتقال من ذلك المخل فرحل عن عكا الى الخروبة فتمكن الافرنج من حصر المدينة ثانية وانبطوا في تلك الارض وحصنوا مواقعهم واصطنعوا ثلاثة ابراج من خشب . ولما انقض الشئاء عاد صلاح الدين من الخروبة وعادت نار الحرب تتاجج فاحرق المسلمون الابراج المذكورة وبعد مغالبات كثيرة بين المسلمين والفرنج ارتاع المسلمون وضايقهم الافرنج واصاب صلاح الدين مرض اعجزه عن ان يشهد الحرب مع جنوده فطلب المسلمون الامان فاجابهم الافرنج اليه . وتسلم الفرنج عكا في ١٣ يوليو سنة ١١٩١ م بعد حصارها نحو سنتين

وبعد ان استقر الافرنج بعكا ساروا قاصدين يافا فبعد ان عبروا غابة ارسوف وجدوا في الصحراء هناك ٢٠٠ الف مقاتل من المسلمين فدارت رحى الحرب وحمي وطيسها وكان ريشارد ملك انكلترا وبطل الصليبيين يتسارع الى حيث يجد حاجة اليه فانهمزم المسلمون هزيمة شنعاء وتقدم الفرنج الى يافا واستولوا عليها . وبعد ان جددوا اسوارها عزموا على قصد بيت المقدس فردم صلاح الدين على اعقابهم . فشرعوا في تحصين القلاع التي في ايديهم مثل عسقلان ويافا وغيرها على عزم قصد بيت المقدس بعد الفراغ من ذلك وفي هذه الاثناء وصلت الاخبار الى ريشارد قلب الاسد ملك انكلترا بان

اخاه يوحنا يغدر به ويريد اخذ ملكه فعزم على الرجوع الى بلاده . ولكنه صعب عليه ان يترك الشام على هذه الحال فعمد مع صلاح الدين هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر تكون في خلالها ابواب بيت المقدس مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونه بلا سلاح

وبعد ان قرر ريشارد الهدنة اقام على فتوحاته في فلسطين ابن اخيه هنري كونت شمبانيا ملكاً ثم عاد الى بلاده

اما صلاح الدين فبعد ان عقد الهدنة مع الفرنج عزم ان يغزو اسيا الصغرى وياخذ ما فيها للمسلمين ولملك الروم ويفتح القسطنطينية ويتطرق الى الفرنج في بلادهم الا انه ليس كل ما يتنى المرء يدركه . فانه خرج الى شرقي دمشق متصيداً وغاب خمسة عشر يوماً وعاد ثم خرج للقتى الحجاج ورجع بين البساتين الى القلعة فكانت هذه آخر ركباته فقد اصابته حمى واخذ المرض في التزايد وقصده اطباء فلم تنجح به ادراؤهم وغشي الناس من الحزن والبكاء عليه بما لم يسمع بمثله وتوفي ليلة ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ ودفن في قلعة دمشق وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وبنتاً واحدة ولم يخلف صلاح الدين سيف خرائنه غير سبعة واربعين درهماً وهذا دليل قاطع على فرط كرمه . وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره كثير التعاقل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان طاهر المجلس لا يذكر احد في مجلسه الا بالخير

ولما توفي صلاح الدين كان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين فلك دمشق والساحل وبلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها . وكان بحلب ابنه الظاهر غازي فاستولى عليها وعلى اعمالها مثل حارم وتل باشر وعزاز وبرزية وغيرها واطاعه صاحب حماة ناصر الدين محمد بن ثقي الدين عمر بن شيركوه وله مع حماة سلمية والمهرة ومنبج . وكان بمحمص شيركوه بن محمد فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بن أيوب بالكرك فامتنع فيه ولم يبايع لاحد من ولده اخيه فارس

اليه الملك الافضل وهدده ان لم يحضر لدمشق ويباع له ففعل . وبهذه الكيفية انقسمت الدولة الايوبية الى ثلاث دول مصر وهي للعزیز . ودمشق وهي للافضل . وحلب وهي للظاهر .

ولأن صاحب مصر في اغلب الاحيان كانت له السيادة على باقي الملوك . فسادكر ما يلي من الفصول تحت اسم الملوك الذين تولوا على مصر مع اهم حوادث باقي الممالك الايوبية في غير مصر حسب تاريخ وقوعها وبالله التوفيق



ش (١) نقود صلاح الدين

٤٦٢ - العزيز بن يوسف

من سنة ٥٨٩ هـ — ٥٩٥ هـ او من سنة ١١٩٣ — ١١٩٨ م

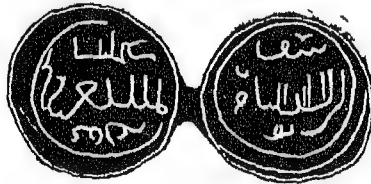
وعلى ما تقدم استقر العزيز بن يوسف بمصر والافضل بدمشق والظاهر بحلب . وكان للدولة الايوبية اعداء الداء لم يظهروا ايام صلاح الدين لظهورهم منه وعجزهم عن مقاومته . فلما توفي انفتح باب للساجلة . ومن هؤلاء الاعداء عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فانه لما سمع بوفاة صلاح الدين عزم على قصد ديار الجزيرة مثل حران والرها وغيرها ليسترجعها لكنه لم يتم له ماتمى لان المرض اصابه في طريقه ورجع الى الموصل فمات في رجب من السنة

وكان مع العزيز بمصر موالي ابيه وهم متجرفون عن طاعة الافضل فحوفوا العزيز منه واغروه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة ٥٩٠ هـ وحصر اخاه الافضل بدمشق . فارسل الافضل يستنجد عمه العادل واخاه الظاهر صاحب حلب وابن عمه المنصور صاحب حماة فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى مصر ورجع كل ملك الى بلده

وفي سنة ٥٩١ هـ عاود الملك العزيز قصد الشام ومنازلة اخيه الملك الافضل فسار نحو دمشق فاضطرب عليه بعض عسكره وفارقوه فعاد الى مصر بمن بقي معه . وكان الملك الافضل قد استنجد عمه الملك العادل . فلما رحل اخوه العزيز الى مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل ومن انضم اليهما طالبين مصر فساروا حتى نزلوا على بلبس وقد ترك العزيز فيها جماعة من الصلاحية فقصد الملك الافضل مناجزتهم بالقتال فمنعه عمه الملك العادل وقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل ايضاً وقال «مصر لك متى شئت» وكاتب العزيز بالباطن وامره بارسال القاضي الفاضل ليصلح بين الاخوين فاصلح بينهما واقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الى دمشق

وفي سنة ٥٩٢ هـ اتفق العزيز والعادل على قصد دمشق واخذها من الافضل وتسايعها للعادل فتم لها ذلك وسار الافضل الى قلعة صرخد .

وفي سنة ٥٩٣ هـ ملك العادل يافا من الافرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وفي سنة ٥٩٥ هـ توفي الملك العزيز صاحب مصر بعد ان ملك ست سنين الاشهر



ش (٢) نقود العزيز بن صلاح الدين

٤٦٣ - المنصور به العزيز

من سنة ٥٩٥ - ٥٩٦ هـ او من سنة ١١٩٨ - ١٢٠٠ م

ولما توفي العزيز بن يوسف نولى بعده ابنه ناصر الدين محمد ولقب الملك المنصور ولانه كان صغيراً لم يتجاوز الثامنة من عمره استدعى ارباب الدولة بمصر عمه الملك الافضل ليكن وصياً عليه . فاسلوا اليه بصرخد فجاء الى مصر مخفياً خوفاً من عمه العادل فلما وصلها نودي به اتابكاً على ابن اخيه الملك المنصور . فلما استقر قدمه بمصر ارسل اليه اخوه الظاهر صاحب حلب و اشار عليه ان يقصد دمشق وباخذها من عمه الملك العادل فسار الملك الافضل الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره وهو يحاصر ماردین فسار الى دمشق ووصل اليها قبل الملك الافضل ثم وصل الافضل الى دمشق وزحف اليها وجرى بينهما قتال وانجد الملك الظاهر اخاه الافضل فضاقت الامر على العادل حتى كاد يسلم المدينة فحصل بين الاخوين الافضل والظاهر خلاف ادى الى ترك حصار دمشق وعاد الملك الافضل الى مصر والظاهر الى حلب

وفي سنة ٥٩٦ هـ خرج الملك العادل من دمشق وسار في اثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل اليها تفرقت عساكره فادركه عمه العادل فخرج الافضل بن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافاً بالسائح فانكسر عسكر الافضل وانهمز هو الى القاهرة . ونازل العادل القاهرة فاجاب الافضل الى تسليمها على ان يعوض عنها مياfarقين وحافني وسميساط فاجابه العادل الى ذلك ولم يف له به ودخل العادل القاهرة في ٢١ ربيع الآخر من السنة . وسافر الافضل الى صرخد



ش (٢) نقود المنصور بن العزيز

٤٦٤ العادل بهاء ايوب

من سنة ٥٩٦ هـ - ٦١٥ هـ او من سنة ١٢٠٠ - ١٢١٨ م

دخل العادل القاهرة على انه اتابك الملك المنصور محمد بن العزيز ولكنه خلع بعد مدة يسيرة واستقل بالملك . ولما علم الملك الافضل والملك الظاهر باستقلال عمهما الملك العادل بمصر وقطع خطبة ابن اخيهما حافا من عمهما واتحدا معاً على اخذ بلاده على ان تكون دمشق للملك الظاهر ومصر للملك الافضل . وعلى هذا الاتفاق سارا بجيوشهما الى دمشق وبها المعظم بن العادل فحاصرها وضيقا عليها . وسار العادل بعساكره من مصر لانهما ولم نجح رعي التقدم اليهما . ولم يكن الا قليلاً على فتح دمشق حتي اختلف الاحوان وطمع كل منهما في الملك دون الآخر فنفرت جموعهما وعاد الظاهر الى حلب . فتقدم حينئذ العادل ودخل دمشق ثم سار منها الى حماة فاصداً اخذ حلب فعلم الظاهر بتقدمه فارسل الى عمه العادل يطلب الا ان يخطب له في حلب ويكون نائبه فيها . فاجابه الى ذلك وبذلك توحدت الدولة الايوبية مرة اخرى وصارت مملكة واحدة تحت تصرف الملك العادل

وفي سنة ٥٩٩ هـ سار الملك المنصور صاحب حماة الي بعين مرابطاً للفرنجة وكتب الملك العادل الي صاحب بعلبك وصاحب حمص ان ينجده واجتمع الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرهما وقصدوا الملك المنصور ببعين وبعد قتال شديد انهزم الفرنج هزيمة شنيعة واسر المسلمون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وفي سنة ٦٠٠ هـ وصل كثير من الفرنج بجزاً وارسوا بهكا فاصدين بيت المقدس ثم ساروا ونهبوا كثيراً من بلاد المسلمين بنواحي الاردن وسبوا وقتلوا بالمسلمين فخرج الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور بالقرب من عكا في قبالة الفرنج ودام ذلك الى آخر السنة

وفي سنة ٦٠١ هـ كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج وسلم اليهم يافا والناصرية وغيرها وانصف الد والرولة . ولما استقرت الهدنة سار الملك العادل الى مصر فاغار المراسخ على حماة فامتلأت ايديهم من المكاسب ثم هادن صاحب حماة الفرنج . وفي سنة ٦٠٣ هـ سار الملك العادل من مصر الى الشام فنزل في طريقه عكا

فصالحه اهلها على اطلاق جمع من الاسرى ثم وصل الى دمشق وكان الافرنج الذين
 اطرا بلس وحسن الاكراد قد اكلوا الاغارة على حمص ولم يقدر صاحبها أسد الدين شيركوه
 على دفعهم فاستنجد الظاهر صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم يستجده الا الظاهر
 فانه سير له عسكرياً اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته الى ان سار الملك العادل من
 دمشق ونزل على بحيرة قدس وجاءته الامداد من الشرق وديار الجزيرة ودخل بلاد
 طرابلس وحاصر موضعاً اسمه القليعات واخذها صلحاً واطاق صاحبها وغنم ما فيه من
 دواب وسلاح وخبره وتقدم الى طرابلس فنهب وأحرق وسبي وغنم وعاث عسكرياً في
 بلادها وقطع فبايتها وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج فلم تستقر
 قاعدة ودخل الشتاء وطابت المساكن الشرقية المود الى بلادها فنزلت طائفة من العسكر
 بحمص وعاد الملك العادل الى دمشق فشقيها

وفي سنة ٦٠٦ هـ سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات وجمع المساكن والملوك
 ونزل حران وسار منها فنزل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين
 زنكي بن مودود وحاصرها وطال الحصار ثم خامرت المساكن التي صحبت الملك
 العادل ونقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح مع عمه العادل فرحل الملك العادل
 عن سنجار وعاد الى حران واستولى على نصيبين وكانت لقطب الدين وعاد الى دمشق
 ثم الى مصر

وفي سنة ٦١٣ هـ توفي الملك الظاهر صاحب حلب بعد ان عهد بالولاية من بعده
 لابنه الاصغر الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح وبعدهما لابن عمهما الملك
 المنصور محمد بن عبد العزيز وحالف الامراء والاكابر على ذلك وكانت مدة ملكه
 بحلب من حين وهبها ابو له ٣٦ سنة

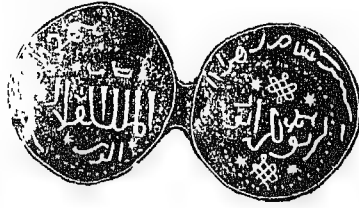
وفي سنة ٦١٤ هـ وصل امداد الافرنج الى عكا وكان العادل بمصر فسار الى الشام
 فوصل الى الرملة ومنها الى لد وقصده الافرنج من عكا فسار هو الى نابلس فسبغ
 الافرنج اليها فنزل على بيسان فتقدم الفرنج اليه وكان عسكره قليلاً فلم ير ان يلقاهم
 فيمن معه خوفاً من هزيمة تكون عليه ففارق بيسان وسار الى دمشق ليجمع العساكر
 وتقدم الفرنج الى بيسان فاخذوا كل ما فيها ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس ثم
 رجعوا الى عكا بعد ان غنموا شيئاً كثيراً ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف
 ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى عكا ثم نزلوا قلعة الطور (على رأس جبل بالقرب

من عكا) وكادوا يملكونها فقتل بعض امراءهم فتركوا القلعة وعادوا الى عكا . فتوجه الملك المعظم بن العادل وذلك قلعة الطور الى الارض لانها بالقرب من عكا ويتمدر حفظها

اما الافرنج فاقاموا بعكا الى سنة ٦١٥ هـ وساروا في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها في صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين ترمته الى سور دمياط سلاسل من الحديد محكمة تمنع السفن من البحر المالح ان تصعد الى النيل فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط . وبعث العادل الى ابنه الكامل بمصر ان يخرج في العساكر ويقف قبايلهم ففعل وخرج من مصر في عساكر المسلمين فنزل قريباً من دمياط بالعادية . والنح الافرنج على قتال ذلك البرج اربعة اشهر حتى ملكوه ووجدوا السبيل الى دخول النيل ليمكنوا من النزول على دمياط . فبنى الكامل عوض السلاسل جسراً عظيماً يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى قطعوه فامر الكامل بمراكب مملوءة حجارة وخرقوها وغرقوها وراء الجسر تمنع المراكب من الدخول الى النيل فحول الافرنج مجرى النيل واصعدوا مراكبهم اليه

واشتد خوف العادل من نزول الفرنج على دمياط فرحل من مرج الصفر الى عالفين فنزل به المرض ومات في جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ . وكان قد قسم البلاد في حياته بين بنيه فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما اليها للمسلم عيسى . وخلاط وما اليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى والرها وميافارقين لشهاب الدين غازي وقلعة جبر للحمضر ارسلان شاه . فلما توفي استقل كل منهم بعمله ونجزات الدولة مرة ثانية





ش (٤) نقود العادل بن ايوب

٤٦٥ - الفصل بهم العادل

من سنة ٦١٥ - ٦٣٥ هـ او من سنة ١٢١٨ - ١٢٣٨ م

توفي العادل والفرنجة محاصرون دمياط وعلم الناس بذلك فازداد الفرنجة قوة والمسلمون وهناً وقام الامير عماد الدين بن المشطوب الكردي وهييج الامراء والعسكر بعدم قبول الكامل سلطاناً عليهم مكان ابيه وتوليكت اخيه الملك الفائز وبلغ الخبر الملك الكامل ففارق موقفه مقابل الفرنجة ليلاً وسار مسرعاً الى قرية اشمون طناح واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فتركوا خيامهم وذخائرهم واموالهم ولحقوا بالكامل . فعبر الفرنجة حينئذ الى النيل آمنين بغير منازع الى بر دمياط فغنموا ما في معسكر المسلمين واحاطوا بدمياط وضيقوا عليها برّاً وبحراً واشتد القتال على الدمياطيين وتعذرت عليهم الاقوات فسلموا البلد الى الافرنجة

وفي هذه الاثناء وصل الملك المعظم عيسى بن العادل الديار المصرية نجدة لاختيه الكامل فاشتد قلب الكامل وقوي ظهره واتحد هو واخوه واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف صاحب ديار الجزيرة وصار من جنده

اما الفرنجة فلما ملكوا دمياط اقاموا بها وبشوا سراياهم في ما جاورها من البلاد

وشرعوا في تحصينها . وسمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط فاقبلوا من كل فج
اليها يهرعون

وعاد الملك المعظم الى الشام فحرب اسوار البيت المقدس خوفاً من ان يأخذه
الفرنج فلا ينفعهم اخذه

اما الملك الكامل فلما علم بفتح دمياط رحل حتى نزل قبالة طلخا على رأس
بحر اشمووم ورأس بحر دمياط لينعم الفرنج من التقدم الى داخلية البلاد واقام
معسكراً في محلة المنزلة وامر بتحصين المعسكر فامر ببناء الدور والفنادق والحمامات
والاسواق . وصارت هذه المدينة تدعى بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الى
انتصاره على الصليبيين هناك . وكتب الى اخويه المعظم في دمشق والاشرف في
الجزيرة يستنجدهما ويحثهما على الحضور بانفسهما . وكان الملك الاشرف مشغولاً
عن نجاته بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه ولما استقامت له الامور سار هو
واخوه صاحب دمشق سنة ٦١٨ هـ الى مصر . وكان الفرنج قد تركوا دمياط
وقصدوا الملك الكامل ونزلوا قبائله وبينهما بحر اشموون واوقدوا الحرب عليه .
وسمع الملك الكامل بدنو اخيه الملك الاشرف فلقبه واسبششر هو والمسلمون
بقدموه . واما الملك المعظم فقصده دمياط لينعم الفرنج من الرجوع اليها . وزحف
الكامل والاشرف الى الفرنج واشتد القتال وغنم المسلمون ثلاث قطع من مراكزهم
بين فيها من الرجال فقويت نفوس المسلمين . ثم ترددت الرسل بين الفريقين
بتقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون للفرنج تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية
وجبله وصيدا واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين الاكرك على ان يسلمهم
الفرنج دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاثماية الف دينار عوضاً عن تخريب اسوار البيت
المقدس ليعمره بها فلم يتم بينهم امر وعادوا الى القتال وقطع المسلمون النيل فركب
الماء اكثر الارض التي عليها الفرنج ولم يبق لهم جهة يسلكون منها غير جهة واحدة
ضيقة . ونصب الكامل على النيل جسوراً عبر المسلمون عليها فملكوا الطريق الذي
يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط . فانحصر الفرنج في تلك البقعة وضائق

بهم المذاهب وندبوا لانهم لم يقبلوا شروط الصلح التي قدمها المسلمون . ولما
يئسوا من النجاة احرقوا خيامهم واثقالهم وزحفوا الى المسلمين فحالت الاحوال
دون ما يرغبون وقلت الاقوات بينهم وكشرت المنايا لهم عن انيابها فراسلوا
الملك الكامل يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض وبينما المراسلات مترددة
اقبل جيش الملك المعظم صاحب دمشق الذي كان قد جعل طريقه على دمياط
فاشتدت ظهور المسلمين وزادوا الفرنج خذلاً وتعموا الصالح على اخذ دمياط ولما
دخل المسلمون دمياط وجدوها محصنة تحصيناً عظيماً فكان هذا ظفراً لهم لم يكن
في مسابهم . وكان دخول المسلمين اليها في ١٩ رجب سنة ٦١٨ هـ

وفي سنة ٦١٩ هـ قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة ليلكمسان لان
الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بال يحمله اليه اذا ملك حماة فملكها
ولم يف . فنزل الملك المعظم بعرين وجرى بينه وبين الملك الناصر قتال قليل ثم
ارتحل الملك المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها ثم توجه الى المعرة فاستولى
عليها واقام فيها والياً من جهته وقرر امورها ثم عاد الى سلمية فاقام بها على قصد
منازلة حماة

وفي سنة ٦٢٠ هـ بلغ الملك الاشرف ما فعله اخوه المعظم بصاحب حماة فغضب
عليه ذلك واتفق مع اخيه الملك الكامل على انكار ما فعله المعظم وازاحته عن حماة
فارسل اليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسي فقال له « السلطان يأمرك
بالرحيل » فقال السمع والطاعة ورحل مغضباً على اخويه الكامل والاشرف ورجعت
سلمية والمعرة الى الملك الناصر

وفي سنة ٦٢٢ هـ توفي الملك الافضل بن صلاح الدين بسميساط وكان له علم
وفطنة لكنه كان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب للدول وتدبير
الملوك . وكان لما اخذت منه البلاد كتب الى الخليفة الناصر كتاباً ضمنه شكاية
عنه العادل واخيه العزيز حيث اخذوا منه البلاد ونكثوا عهد ابيه له بها . وكتب في
اول الكتاب بينين من الشعر عملها واحسن فيها وهما

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد اخذا بالسيف حق علي
فانظر الى حرف هذا الاسم كيف لقي من الاوخر ما لاقى من الاول
يريد ابني بكر عمه العادل وبعثان اخاه العزيز وبعلي نفسه . فاجابه الناصر
عن كتابه بكتاب كتب فيه

وافي كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصدق يخبر ان اصلك طاهر
غصبوا علياً حقه اذ لم يكن بعد النبي له يثرب ناصر
فاصبر فان غداً عليه حسابهم وابشر فتناصرك الامام الناصر

وفي سنة ٦٢٤ هـ توفي الملك المعظم بن الملك العادل صاحب دمشق بقلعة
دمشق بالدوسنطاريا وعمره تسع واربعون سنة . وكان شجاعاً وكان يجامل اخاه
الكامل صاحب مصر ويخطب له بيلاده ولا يذكر اسمه معه . وكان قليل التكاف
جداً لا يركب بالسناجق السلطانية كمادة الملوك . وكان عالماً فاضلاً بالغة والفقه والنحو
واللغة وكان حنفياً منعصباً لمذهبه مع ان جميع اهل بيته كانوا شافعية . وولي بعده
ابنه داود ويلقب الملك الناصر

وفي سنة ٦٢٥ هـ ارسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن اخيه
الناصر داود حصن الشوبك فلم يجبه الى طلبه فسار الملك الكامل من مصر ونزل
علي تل المعجول بظاهر غزة . وكان مع الملك الكامل الظفر صاحب حماة وقد
وعده الكامل ان ينتزع حماة من الناصر ويسلمها اليه

ولما علم الملك الناصر بقصد عمه الكامل استنجد بعمه الملك الاشرف فقدم الى
دمشق ووجد الناصر يستعد ويتجهز للحصار فنمنه عما هو فيه وحلف له على المساعدة
والحفظ له ولبلاده وراسل الملك الكامل واصطالحا . وظن الناصر انه معها في
الصالح ثم سار الاشرف الى اخيه الكامل الى غزة واتفقا في الباطن على اخذ
دمشق من ابن اخيهما الناصر وتمويضه عنها بحران والرها والركة من بلاد الاشرف
وان تكون دمشق للملك الاشرف ويكون له الي عتبة افيق وما عدا ذلك من
بلاد دمشق يكون للملك الكامل صاحب مصر . وعلم الناصر وهو بنابلس

باتحاد الاشرف والكاثل عابه فسار الى دمشق وسار الاشرف في اثره وحصره في دمشق

وفي سنة ٦٢٦ هـ وصل الشام فردريك الثاني ملك المانيا ونزل عكا واستولى على كثير من مدن المسلمين المجاورة لبيت المقدس ولم يقدر الكامل على دفعه فراسله وهو بغزة في الصلح واستقرت القاعدة بينهم على ان يسلموا اليه (الى فردريك) بيت المقدس ومواضع اخرى على ان تستمر اسواره خراباً فاستمظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن واتالم ما لا يمكن وصفه

ولما عقد الكامل الهدنة مع فردريك ملك المانيا على ما تقدم من الشروط سار لمعاونة اخيه الاشرف في حصار دمشق واشتد الحصار فاستولى الملك الكامل على دمشق وعوض الناصر صاحبها بالكرك والبلقاء والصلات والاغوار والشوبك . وتسلم الملك الاشرف دمشق واخذ الكامل لنفسه البلاد الشرقية التي كانت قد عينت للناصر وهي حران والرها وغيرها

وفي سنة ٦٢٧ هـ استولى الملك الاشرف صاحب دمشق على بعلبك واخذها من الملك الامجد بهرام من الايوبيين ايضاً وعوضه عنها الزبداني وقصير دمشق الذي شماليها ومواضع اخرى . وتوجه الملك الامجد واقام بداره التي داخل باب النصر بدمشق المعروفة بدار السفارة (وهي التي ينزلها النواب) وكان الاشرف قد حبس بعض مماليكه في داره وجلس قدام الباب يلعب بالنرد ففتح المملوك الباب واخذ سيفاً ضرب به الامجد ثم طلع الى سطح الدار والقي نفسه الى وسطها فمات . وكان الامجد اشعر بني ايوب وشعره مشهور

وفي سنة ٦٣٠ هـ استولى الملك العزيز صاحب حلب على شيزر وكانت بيد شهاب الدين يوسف من ولد عثمان بن الداية من امراء نور الدين بن زنكي . وفيها اخذ المظفر صاحب حماة بعين من اخيه قلع ارسلان لانه خشي ان يسلمها الى الفرنج لضعفه وجرى ذلك باذن الكامل

وفي سنة ٦٣٤ هـ توفي الملك العزيز صاحب حارب وتولى بعده ولده الملك
الناصر يوسف وعمره سبع سنين فصار مرجع امور المملكة الى جدته والدة الملك
العزيز واسمها ضيفة خاتون بنت الملك العادل

وفي هذه السنة قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين اخيه الملك الاشرف
صاحب دمشق وسبب ذلك ان الملك الكامل قصد بلاد الروم فاتفق الملك
الاشرف مع شريكوه صاحب حمص ومع صاحبة حلب صيفة خاتون ومع باقي
الملوك (الا الملك المظفر صاحب حماة) على بغاظة الملك الكامل وتمدد الاشرف
الملك المظفر باخذ بلاده منه ان لم يتحد معهم فخاف وقدم الى دمشق ووافقهم على
قتل الكامل . ولم يتم الاشرف ما اراد من انتزاع البلاد من يد اخيه الكامل
لان المنية عاجته فتوفي في دمشق سنة ٦٣٥ هـ وتولى بعده علي دمشق اخوه
الملك الصالح اسماعيل بعده له بذلك

ولما استقر الملك الصالح اسماعيل في دمشق كتب الى الملوك يحدد عهودهم
اقتال الكامل فانقادوا اليه ووافقوه ما عدا الملك المظفر صاحب حماة فانه كتب
الى الكامل يعتذر عن انقياده اولاً للاشرف خوفاً منه فقبل الكامل عذره
ووعده بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه

ولما علم الكامل بموت اخيه الاشرف سار الى دمشق وحصرها وبها اخوه الملك
الصالح اسماعيل المتولي بعد الاشرف فقاتل عنها بما في امكانه ولما لم يجد فائدة
من الدفاع سلم دمشق للكامل واخذ عوضاً عنها بعلبك والبقاع وبصرى . وبعد
ايام مرض الكامل واشتد مرضه وسببه انه لما دخل قلعة دمشق اصابه زكام فدخل
الحمام وسكب على نفسه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت
منها وحصلت له حصى فمات سنة ٦٣٥ هـ المذكورة . وكان عاقلاً فاضلاً حسن
السياسة كثير الاصانة شديد الرأي شديد الهيبة عظيم الهمة محباً للفضائل واهباً .



٤٦٦ - العادل بن الكامل

من سنة ٦٢٥ - ٦٣٧ هـ او من سنة ١٢٣٨ - ١٢٤٠ م

ولما علم الامراء بمصر بموت الكامل بايعوا ابنه سيف الدين ابا بكر المنقب بالملك العادل وهو حينئذ نائب ابيه بمصر فحفوا له واقاموا في دمشق نائباً له الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل . ولما علم اهل حلب بموت الملك الكامل طعموا سيف الاستيلاء على ما الملك المظفر صاحب حماة لموافقته الكامل فسار عسكرهم الى المعرة فالتزمها من يد المظفر وحاصر قلعتهما فاخذها ايضاً ثم ساروا وفي مقدمتهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين الى حماة ونازلوها وبها الملك المظفر واستمر الحصار حتي انقضت سنة ٦٣٥ هـ فضجرت نفوسهم من هذا الحصار ولم يجدوا بجهة مطعماً فامرت ضيفة خاتون صاحبة حلب بالرحيل عنها فرحلوا واستمرت المعرة في يد الحلبيين ولم يبق المظفر الا حماة وبعرين وخاف ان تخرج بعرين بسبب قلعتهما فهدم هذه القلعة الى الارض

وفي سنة ٦٣٦ هـ ارسل العادل الى الجواد نائبه بدمشق لكي ينزل عن دمشق على ان يموضه عنها اقطاعاً بمصر فلم يرد الجواد ذلك بل اتفق مع الملك الصالح ايوب بن الكامل صاحب سنجار والرقعة على ان يتبادلا الامارات فاستولى الملك الصالح على دمشق وسار الجواد الى سنجار . وخاف العادل بمصر من هذا التبادل لئلا يطعم الصالح في مصر وقد صارت قريبة منه . وكان خوفه في محله لان الصالح لما استقر بدمشق كاتب المصريين وكاتبوه وانفقوا سرّاً معه على تسليمه مصر فتقدم الصالح الى مصر وسار العادل الي بلبيس لينجم دخوله

وفي يوم الجمعة ٨ ذي الحجة سنة ٦٣٨ هـ احاط جماعة من المالك الاشرافية ومقدمهم ايبك الاسمر بالملك العادل وقبضوا عليه وجعلوه في خيمة صغيرة وعليه من يحفظه وارسلوا الى الصالح ايوب يستعجلونه فسار هو والناصر داود الى مصر وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه وكانت مدة ملك العادل نحو سنتين

٢٦٧ - الصالح ايوب بن الملك الناصر

من سنة ٦٣٧ - ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م

واستقر الملك الصالح ايوب بمصر قبض في سنة ٦٣٨ هـ على ابيك الاسمر وعلى غيره من الامراء والبايعات الذين قبضوا على اخيه العادل وادعاهم السجن وشرع في بناء قلعة الجزيرة بمصر واتخذها مسكناً لنفسه

وفي سنة ٦٣٨ هـ المذكورة توفي الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل الذي كان قد تولى دمشق ثم عرض عنها بسنجان وعانة فباع عانة للخليفة المستنصر وسار لؤلؤ صاحب الموصل وحاصر سنجان ويونس غيب واستولى عليها فلم يبق بيد يونس شيء من البلاد فسار الى غزة وارسل الى الملك الصالح ايوب صاحب مصر يساله في المسير اليه فلم يجبه الى ذلك فسار يونس الى عكا واقام مع الفرنج فارسل الصالح اسماعيل صاحب دمشق حينئذ وبذل مالاً للفرنج وتسلم يونس المذكور واعتقله ثم خنقه في سنة

وفي هذه الاثناء قدم الخوارزميون هارين امام جنكزخان ملك التتر الى سورية الشرقية ونزلوا على حدودها فارسل اليهم الملك الصالح ايوب ملك مصر رسلاً عقدوا معهم صلحاً وعاهدوهم على محاربة الفرنج وامراء سورية الذين على دعوتهم . فتجند الخوارزميون واخترقوا سورية الى ان بلغوا غزة فخاربوا الفرنج عند اسوارها وانجدهم الملك الصالح من جهة مصر فانهمز الفرنج فنتبعوهم حتى استولوا على غزة والبيت المقدس باسم الملك الصالح ووصلت الاسرى والروثوس الى مصر ودقت بها البشائر عدة ايام وذلك سنة ٦٤٢ هـ . ثم سار عسكر مصر والخوارزمية الى دمشق وحاصروها فتسلموها سنة ٦٤٣ هـ وعوضوا صاحبها الصالح اسماعيل بملك وبصرى والسواد . ولم يف الملك الصالح ايوب للخوارزمية ما وعدهم به فانهابوا ضده وساعدوا الصالح اسماعيل الذي اخذ ملك وانضم اليهم صاحب الكرك وعادوا فحاصروا دمشق حتى غلت فيها الاقوات وقاسى اهلها شدة عظيمة

وفي سنة ٦٤٣ هـ اتفق اهل حلب والملك المنصور صاحب حمص مع الملك الصالح صاحب مصر وقصدوا الخوارزمية وهم محاصرون دمشق فرحل الخوارزميون عن دمشق وساروا الى حلب فالتقوا بالحلبيين سنة ٦٤٤ هـ وحصل بين الفريقين قتال شديد في محل يقال له القصب فانهمزم الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بملها وقتل مقدمهم حسام الدين وحمل رأسه الى حلب
وفي سنة ٦٤٤ هـ توفي الملك المنصور صاحب حمص وتولى بعده ابنه الملك الاشرف موسى

وفي سنة ٦٤٥ هـ استرد الملك الصالح صاحب مصر عسقلان وطبرية من يد الافرنج بعد محاصرتها مدة

وفي سنة ٦٤٦ هـ ارسل الملك الناصر صاحب حلب عسكرياً مع شمس الدين لؤلؤ الارمني لمحاصر الملك الاشرف موسى بجمص مدة شهرين فسلم اليهم حمص وتموض عنها تل باشر مضافاً الى ما في يده من تدمر والرحبة

ولما بلغ ذلك الملك الصالح صاحب مصر عظم عليه الامر وسار الى الشام لاسترجاع حمص من الحلبيين ففرض في الطريق ووصل الى دمشق فارسل عسكرياً الى حمص ونصبوا منجنيقاً مغرباً يرمي بمجمر زنه ١٤٠ رطلاً شامياً واستمر الحصار الى ان وصل الخبر الى الملك الصالح بدمشق بوصول الفرنج الى دمياط وكان مرضه قد اشتد ووصل رسول من قبل الخليفة وسمى بالصلح بين الملك الصالح والحلبيين وان تستقر حمص بيد الحلبيين فاجاب صاحب مصر الى ذلك وامر عسكريه فرحلوا عن حلب وعاد هو الى مصر محملاً في محفة لشدة مرضه

وفي سنة ٦٤٧ هـ وصل الملك لويس التاسع ملك فرنسا الى دمياط في جيش عظيم بقصد الاستيلاء عليها والدخول منها الى الديار المصرية . وكان الملك الصالح قد شغلها بآلات عظيمة وذخائر وافرة وجعل فيها بني كنانة وهم مشهورون بالاشجاعة فلما وصل الفرنسيون امد الصالح بني كنانة بجيش عظيم بقيادة فخر الدين بن الشيخ ليكونوا قبالة الافرنج بظاهر دمياط . ولما وصل الافرنج عبر

فخر الدين من البر الغربي الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي وقتلوا بني كنانة وهزموهم . فهرب بنو كنانة واهل دمياط منها وتركوا ابوابها مفتوحة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على ما بها . وعظم ذلك على الملك الصالح وامر بشنق بني كنانة فشقوا عن آخرهم . ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها وقد اشتد مرضه فتوفي في سنة ٦٤٧ هـ المذكورة

وكان عالي الهمة طاهر اللسان وقوراً كثير الصمت وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع لغيره من اهل بيته حتى كان اكثر عسكره مماليكه وجمع منهم جماعة حول دهليزه سماهم البحرية

٤٦٨ - المعظم نوراله به الصالح

من سنة ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ او من سنة ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م

كان للملك الصالح ثلاثة اولاد توفي منهم اثنان وبقي واحد فقط هو المعظم توران شاه صاحب حصن كيفا . فلما توفي الصالح لم يوص بالملك من بعده لاحد وكان للملك الصالح جارية تدعى شجرة الدر عاقلة ذات رأي وحسن سياسة فكتمت وفاته ووقفت في جمهور الامراء والاعيان وقالت « ان السلطان يأمركم ان تبايخوا بعمه ابنة الملك المعظم غياث الدين توران شاه وقد عين الامير فخر الدين اتابكاً لادارة الاحكام » فبايع جميع الامراء ثم ارسلت هذه الاوامر الى القاهرة فبايع جميع من فيها وكانت تبث الرسائل مختومة بختم السلطان الملك الصالح فكان الجميع يظنون انها خطه ثم ارسل فخر الدين قاصداً لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا فتشاع بين الناس موت السلطان ولكن لم يجسر احد ان يفوه بذلك

وتقدم الفرنج من دمياط الى المنصورة وكان الامير فخر الدين المذكور في الحمام في المنصورة فركب مسرعاً وصادفه جماعة من الفرنج قتلوه . ثم حمل المسلمون والترك البحرية على الافرنج فردوهم على اعقابهم . ووصل الملك المعظم

توران شاه الى المنصورة في آخر سنة ٦٤٧ هـ واشتد القتال بين المسلمين والفرنج برّاً وبحراً وغنم المسلمون اثنين وثلاثين مركباً من الفرنج فضمعت نفوسهم وارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل على ان يرحلوا عن دمياط فلم يجب طلبهم وضاق بهم الامر وفيت ازوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا ليلة الاربعاء ٣ محرم سنة ٦٤٨ هـ متوجهين الى دمياط فركب المسلمون اكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى منهم ٣٠ الفاً على ما قيل وانحاز لويس التاسع ملك فرنسا في جماعة من خواصه الى بلد هناك وطلبوا الامان فامنهم الطواشي محسن الصالح ثم احبط عليهم واحضروا الى المنصورة وقيد لويس التاسع وجعل في الدار التي كان ينزلها فخر الدين واكل به الطواشي صبيح المظني ولم يزل سجيناً حتى فداه الفرنسيون بتسليم دمياط للمسلمين وذلك بعد ان توفي الملك المعظم وتولت شجرة الدر انما ذكرناه هنا اتماماً للعديث ولئلا تضيع الفائدة المنصودة

فلما تم الصلح بين المسلمين والفرنساويين تسلم المسلمون دمياط وسار الفرنسيون بجرّاً الى عكا . وانشرح المسلمون لهذا الفتح وقلوا فيه الاشعار فن ذلك قول جمال الدين بن مطروح نائب دمشق

قل للفرنسيس اذا جئته	مقال صدق عن قول فصيح
آجرك الله على ما جرى	من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصرّاً تبغي ملكها	تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقلك الحين الى ادم	ضاق بهم في ناظر بك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم	بسوء تدبيرك بطن الضريح
خسوس الفألا يرى منهم	الا قتيل او اسير جريح
وفتك الله لا مثلاً لها	اعلنا من شركم نسيح
ان كان بابكم بدا راضياً	فرب غش قد اتى من نصيح

اوصيكم خيرا به انه اطف من الله اليكم اتبع
لو كان ذا رشد على زعمكم ما كان يستحسن هذا القبيح
فقل لهم ان اضربوا عودة لاخذ ثار او لقصد قبيح
دار بن لقمان على حالها والقيد باقى والطواشي صبيح

وكان الملك المعظم قد احضر معه من كيفا بعض مماليكه فسلطوا على موالى
ايه واغروا الملك المعظم بقتالهم لاستبدادهم عليه فسمع المعظم وشايتهم وعزم على
القتل بماليك ايه فنفرت قلوبهم منه واجتمعت البحرية على قتاله وهجموا عليه
بالسيوف وكان اول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سابطا فيما بعد فهرب
الملك المعظم منهم وصعد الى رجب من خشب كان هناك فاضرموا فيه النار فلما
وصلت اليه وشاطة رمى نفسه الى الخليج لتبلى فجاءوا اليه ورموه بالنشاب وهو في
الماء فمات غريقا جريحا وكان ذلك في اواخر المحرم سنة ٦٤٨ هـ

٤٦٩ - شجرة الدر

سنة ٤٦٨ هـ او سنة ١٢٥٠ م

ولما قتل الملك المعظم وقعت الفتنة بين الامراء وتنازعوا الملك فاستدركت
شجرة الدر الامر وطلبت الامر لنفسها فبايعها الجميع على ان يكون عز الدين ايبك
الصالحى اتابك العساكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجرة الدر على المنابر وضربت
السكة باسمها وسميت والدة الخليل (نسبة الى ابن كان لها اسمه خليل توفي صغيرا)
وأول عمل باشرته عقد الصلح مع الفرنسيين على اطلاق سراح ملكهم
مقابل نزولهم لها عند دمياط فتسلمت دمياط ورفعت عليها العلم السلطاني في ٣
صفر سنة ٦٤٨ هـ

ولما استقر الامر لشجرة الدر بمصر ارسل الامراء المصريين الى الامراء الذين

بدمشق في الخطبة لها فلم يجيبوا اليه بل كاتبوا الملك الناصر يوسف صاحب حلب فصار اليهم وملك دمشق ودخلها في ٨ ربيع الآخر من السنة وطاقنة سورية كلها فلما رأى المصريون ان سورية خرجت من ملكهم عظم عليهم الامر وتجهقوا انه اذا استمر امر المملكة في يد امرأة على ما هو عليه بتمليك شجرة الدر تفسد الامور فاقاموا عز الدين ايبك الذي كان اتاك العساكر ملكاً عليهم ولقبوه بالملك المعز وابطلت السكة والخطبة التي كانت باسم شجرة الدر وتزوج ايبك بشجرة الدر فانضم حزبا الى حزبه ولكن ذلك لم يقد شيئاً لان الامراء اجتمعوا واتفقوا على ان لا بد من اقامة شخص من بني ايوب في السلطنة. واختاروا لذلك الملك الاشرف موسى ان يوسف صاحب اليمن وقرروا ان يكون ايبك المذكور اتاك العسكر له

٤٧٠ - الاشرف بن يوسف

من سنة ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م

تم الى سنة ٦٥٩ هـ او ١٢٦١ م

ولما استقر الامر للاشرف بن يوسف بمصر وجس الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب من ذلك فصار من دمشق قاصداً مصر وصحبته كثيرون من الامراء الايوبيين. ولما بلغ المصر بن ذلك اهتموا لقناله ودفعه وبرزوا الى السائح وتركوا السلطان الاشرف بقامة الجل بمصر والنقي العسكران المصري والشامي بالقرب من العباسية فانهرزم المصريون اولاً فخامر جماعة من الممالك الترك العزبية على الملك الناصر وانحازوا الى المعز ايبك اتاك صاحب مصر فانهرزم الشاميون وحل المعز ايبك على الملك الناصر فولى منهرماً الى جهة الشام. واسر ايبك جماعة من امراء الايوبيين وعاد بهم الى مصر ممزناً منصوراً وهناك اعتقل بعضهم وقتل بعضهم وسار بعد ذلك فارس الدين اقطاي بثلاثة آلاف فارس الى غزة فاستولى

عليها وعاد الي مصر وبقي الامر على ذلك الى سنة ٦٥١ هـ حين ارسل الخليفة العباسي فاصلح بينهم علي ان يكون المصير بين نهر الاردن والملك الناصر صاحب دمشق وحلب ما وراء ذلك

وكان المعز ابيك طموحاً الى الاستبداد والى خلع الاشرف وتبوء منصبه وكان اقطاعي الجا مدار من امراء البحرية يدافعه عن ذلك فارصد له ابيك ثلاثة من المماليك اغتالوه سنة ٦٥٢ هـ . وكان لاقطاي هذا حزب قوي من المماليك البحرية فثاروا لما علموا باغتيالهم ولحقوا بصاحب دمشق

واستبد ابيك بمصر وخلع الاشرف وقطع الخطبة له فكان آخر امراء بني ايوب بمصر وخطب ابيك لنفسه . ولما وصل البحرية الى دمشق اطعموا صاحبها في ملك مصر واستحثوه فتجهز وسار الى غزة وبرز ابيك بعساكره الى العباسية . ودخلت سنة ٦٥٣ هـ واستراب المذبذبالزيرية المقيمين معه فابعدهم عنه فلحقوا بصاحب دمشق . وترددت الرسل بين صاحب دمشق وابيك صاحب مصر فاصطلعوا على ان يكون التخم بينهم العريش

وفي سنة ٦٥٥ هـ قتل المعز ابيك قتله شجرة الدر غيلة في الحمام غيرة من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصل فتولى بده ابنه علي ولقب بالمنصور فاخذ بثار ابيه وقتل شجرة الدر

وفي سنة ٦٥٥ هـ المذكورة اتصل بالملك الصالح صاحب دمشق ان المماليك البحرية الذين كانوا مقيمين عنده بعد مقتل اقطاعي يريدون ان يفتكوا به فاستوحش خاطره منهم وطلب انتزاعهم عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الى الملك المغيب صاحب الكرك وارسل صاحب دمشق عسكرياً في اثرهم فكبسهم فانهمزموا الى البلقاء ملتجئين الى صاحب الكرك فانفق فيهم اموالاً جزيلة واطعموه في ملك مصر فجهزهم وساروا الى جهة مصر وخرجت عساكر مصر لقتالهم والتقى الفريقان بالعباسية فانهمز البحرية وعسكر صاحب الكرك وكان في جملة البحرية ييبرس البندقاري الذي صار بعد ذلك ملكاً . وبعد ان انهزم البحرية عن مصر عادوا الى الكرك وما زال صاحب الشام واجساً منهم ومن صاحب الكرك فبعث اليهم عسكره من دمشق

فظفروا به واستفحل امرهم بالكرك . فسار الناصر صاحب دمشق اليهم بنفسه سنة ٦٥٧ هـ ومعه صاحب حماة فنزلوا على الكرك وحاصروها فارسل صاحبها الى الناصر في الصلح فشرط عليه ان يحبس البحرية فاجاب الى شرطه وتصل الخبر الى بيبرس اميرهم فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر صاحب الشام وفي هذه الاثناء قدمت عساكر التتر الى الشام وتملكوها وهرب الناصر الى مصر اولاً ثم الى بلاد العرب ثم حسن له اصحابه ان يقصد هولاء ملك التتر فاقبل عليه ووعدوه برده الى ملكه وابقاه عنده

ثم اجتمعت عساكر المسلمين وساروا الى الشام مع صاحب مصر وهو حينئذ الملك المظفر قطز فانهمز التتر وقتل اميرهم النائب عن هولاء . فاحضر هولاء الى الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه امر الشام فاعتذر الناصر له فلم يقبل عذره ورماه بسهم فقتله ثم قبل الظاهر والصالح بن الاشرف صاحب حمص فانقرض بذلك ملك بني ايوب من الشام كما انقرض ملكهم من مصر وذلك سنة ٦٥٩ هـ

وقبل ان انتقل من ذكر الدولة الايوبية الى غيرها اذكر للقارى الكريم احوال الصليبيين في هذه المدة اعني من بدء ظهور الدولة الايوبية الى انقراضها كما وعدت بذلك وبالله التوفيق

٤٧١ - احوال الصليبيين مدة الدولة الايوبية

من سنة ٥٦٦ - ٦٥٩ هـ او من سنة ١١٧٠ - ١٢٦١ م

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين في فصل (٦٢) برحيلهم عن القاهرة ورجوعهم الى الشام ونقي الحال كذلك الى ان تولى نور الدين محمود سنة ٥٦٨ هـ فقلق صحاب الاقطاعات بسورية وهم كل منهم ان يستبد بعمله ويزيده ما امكن فراسلوا الفرنج وعقدوا معهم عهديات على ان يفهم جزية ان حاربوا صلاح الدين . فطمع الملك

اموري ملك اورشليم في المسلمين وحاصر بانياس التي كان نور الدين قد اخذها فاسترضاه الامراء المتولون دمشق بالمال وباطلاق بعض الاسرى النصارى فعاد الى اورشليم وبعد ايام توفي بها في ١١ يولييه سنة ١١٧٣ م

وبعد وفاة اموري (الاول) تولى بعده ابنه وسمي بودوين الرابع ولم يكن عمره وقتئذ الا ثلاث عشرة سنة وقام بتدبير دولته ريموند دي سان جيل كونت طرابلس . وبعد مدة قليلة اصيب بودوين الرابع بالبرص ثم بالعمى فتغلب ريموند على امور المملكة ولم يكن لبودوين الا مجرد الاسم فقط . واهم الاحداث في ايام بودوين الرابع ظهور صلاح الدين وغزوه الشام تارة يقاتل المسلمين ليستولي على ما للدولة الزنكية هناك واخرى يقاتل الفرنج ليستولي على ما بايديهم . فضعف امر الصليبيين في هذه المدة الى درجة لم يسبق لها مثيل

ولما راي بودوين الرابع بعد اصابته بالبرص والعمى انه لم يعد في امكانه القيام بهام الملك اختار بحضرة امراء مملكته والمكة امه وهرقل بطريك اورشليم كوى لوستيان كنت يافا وعسقلان مديراً للمملكة . وكان متزوجاً بسيبيل بنت اخي الملك اموري . وابقى الملك لنفسه السلطة المطلقة ولم يمض كثير زمن حتى راي اموري ان كوى ليس اهلاً لما اسند اليه فخلعه وتنازل اموري الرابع عن الملك لابن اخته سيبيل المذكورة وسماه بودوين الخامس وتوجه باحتفال (وكانت اخته قد تزوجت اولاً بالمركيز دي مونتي فراتا فرزقت منه هذا الولد وتزوجت ثانية بكوى دي لوستيان) وذلك في ٢٠ اكتوبر سنة ١١٨١ م ولم يكن عمر هذا الملك الحديث حينئذ الا خمس سنين فلم يثبت العقلاء خلع كوى لبقاء الملك دون ممالك ليجز بودوين الرابع وصغر بودوين الخامس فانزوى كوى دي لوستيان في عسقلان وابن طاعة الملك الجديد جهاراً . وسمي الملك ريموند كونت طرابلس مديراً للملك ابن اخته

ولما راي الفرنج سوء حالهم وازدياد سطوة صلاح الدين وقوته ارسلوا الى اور باهرقل بطريك اورشليم وارنورد رئيس الفرسان الهيكليين وروجه رئيس

فرسان الاسبيتال (الاسبيتال جمعية اسست للعناية بالحمجاء والمرضى منهم) فمضوا
اولاً الى فارونا (بايطاليا) حيث كان البابا لوشيموس وفردريك ملك المانيا فشرحوا
لها حالة النصارى الغربيين بسورية ودموعهم تنساقط من عيونهم وطلبوا امدادهم
وانجادهم فدفع اليهم البابا رسائل توصية الى ملكي فرنسا وانكلترا . وقبل ان
يأرحوا فارونا مات رئيس الهيكلين فسار البطريك هرقل ورئيس الاسبتاليين
الى فرنسا وبلغا باريس في ١٥ يناير سنة ١١٨٥ م فقابلهم فيليب اوجسطس ملك
فرنسا بكل ترحاب ووعدهم بالمساعدة وحث الاساقفة ان يظهروا في الكنائس
معرضين رعايهم على السفر الى اورشليم
ثم سار البطريك ورفيقه الى انكلترا فقابلهما الملك انريكس الثاني ملك انكلترا
بالاكرام ووعدهما بالمساعدة بالمال والرجال على ان لا يذهب بنفسه الى سورية .
فلم يقبل هرقل ذلك وعاد الى اورشليم حزينا

وتوفي الملك بودوين الرابع الابرس سنة ١١٨٥ م وكان خليفته ابن اخته بدوين
الخامس ولكن هذا لم تطل مدته بعد وفاة خاله لانه توفي سنة ١١٨٦ م فتوجت
سيمبلا (التي سمح لها ان تختار من نساء ملكا على اورشليم مكان ابنها) زوجها كوى
دى لوستيان فاستاء الامراء لهذا الامر جداً ولم يوافقوا عليه وخصوه صغاريموند كنت
طراباس الذي لشدة غيظه كاتب صلاح الدين بانه مستعد ان ينجده اذا قدم
لقصد الصليبيين . فانتهم صلاح الدين هذه الفرصة وسار الى الشام وحصل بينه
وبين الافرنج واقعة حطين الشهيرة وبعدها استولى على عدة مدن من ابدي
الافرنج واخيراً انتزع منهم اورشليم وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً في تاريخ صلاح
الدين (راجع فصل ٤٦١)

ولما استولى صلاح الدين على اورشليم سار الافرنج وفوداً الى المغرب يستنجدون
ملوكه ولما بلغت هذه الاخبار اوربا عم الحزن وانكابة سكانها وكان البابا اوريانس
الثالث في فرا (بايطاليا) وكان شيخاً فاخذ الحزن به كل ماخذ حتى مرض
ومات في ١٩ اكتوبر سنة ١١٨٧ م فانتخب مكانه البابا غريغوريوس الثامن

فاهتم للامر جدًا و باعتمائه قامت التجربة الصليبية الثالثة سنة ١١٩٠م تحت راية
فيليب ملك فرنسا و لامبراطور فردريكوس ملك جرمانيا و ريكاردوس (ريشارد)
الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامراء فنهضوا جميعاً وقصدوا
بلاد فلسطين بمئتي سفينة مشحونة بالعتاد والمهمات وعند وصولهم الى صور وهي
المدينة الوحيدة الباقية يومئذ في ايدي الصليبيين تقدموا منها الى مدينة عكا
وحاصروها واستمر القتال بين الفريقين نحو سنتين حتى اشتد الامر على المسلمين
واقطع عنهم المدد ونفذت ذخائرهم فسلموا عكا في ١٢ يولييه سنة ١١٩١ م

وبعد افتتاح عكا عزم ريكاردوس على حصار عسقلان فزحف اليها ولما
اشرف عليها وافاه صلاح الدين ثلاث مئة الف مقاتل وانقضت بينهما حروب
هائلة فاز فيها ريكاردوس بالنصر واستولى على عسقلان وبقي مدن
اليهودية اما صلاح الدين فالتجأ الى بيت المقدس وحصن قلاعها وابراجها
وملاها بالعتاد والجند وكان فصل الشتاء قد دخل وبسبب شدة البرد توقفت
الحروب بين الفريقين

وفي بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيشه على القدس وهي جل
قصده وغاية اربه فهاج الاهالي واعتراهم الخوف والرعب عند قدوم هذا الجبار
فاقام الحصار على المدينة وضيق عليها ولكنه وجد صعوبة في فتحها وكانت عساكره
قد ضعفت القتال فانسحب عن البيت المقدس وامر باصلاح القلاع التي استولى عليها
وتحصينها على عزم العود الى اورشليم بعد الانتهاء من ذلك

وفي هذه الاثناء اتصل بالملك ريكاردوس (ريشارد) قلب الاسد ابن
اخيه يوحنا غر به وعزم على اخذ ملكه فاضطر ريكاردوس على ترك الشام والعود
الى بلاده فمقد مع صلاح الدين هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر تكون في
الاولا ابواب اورشليم مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونها بلا سلاح

وحزن الصليبيون جداً لاضطرار ريكاردوس ان يبرح عنهم وهم في هذه
الحال وسالوه ان يمنحوا قبل سفره ملكاً لا اورشليم فقال لهم « من ترون اهلًا لذلك »

فاجع رايهم على المراكيس كزاد والي صور لم يكن ريكاردوس يحبه ولكن كان يقدر شجاعته ودرايته حق قدرها فرضيه وارسل ابن اخيه كنت شيمانيا يبشره بذلك . وكان كزاد عند سراً مع صلاح الدين معاهدة واتفقا معاً فدهش من اختيار ريكاردوس اياه ملكاً ولم يقدر ان يخفي سروره . ولكن يدري نفسه ويظهر ورعه رفع عينيه الى السماء وقال « الهي ملك الملوك مرتويجي ملكاً ان رايتني اهلاً والا فابعد عن راسي هذا الاكيل »

وبعد ان توج كزاد ملكاً على اورشليم بايام قليلة قتل فوقعت انظار اهل صور على هنري كنت شيمانيا . وكان هنري نسبياً لريكاردوس ملك انكارترا . ملوه ان يملك عليهم وان ينزع ارملة كزاد ايزابلا بنت الملك اوري فتزوجها واعترف به المرنج ملك عليهم . اثبت ريكاردوس وتخلي له عن كل ما اخذه من فلسطين ثم رجع ريكاردوس الى بلاده واستتب الامر بفلسطين لهري كنت شيمانيا

وفي سنة ١١٩٧ م سقط هنري كنت شيمانيا وملك اورشليم من شباك فانشح راسه ومات فتزوجت امراته ايزبال بنت الملك اموري زيجة ثالثة باموري دي لوسينيان اخي كوي دي لوسينيان ملك قبرس وتزوج ملكاً على اورشليم باسم اموري الثاني

وفي سنة ١٢٠٢ م جهز البابا اينرشو-يوس تجريد صليبية رابعة بقيادة فواك خوري نولي بفرنسا وودوين التاسع كونت فلاندر وبونيفاشيوس مراكيس مونتا فرانا بايطاليا وهنري دندولو دوق (حاكم) البندقية ولما اجتمع هؤلاء مع عساكرهم في البندقية عزموا ان يسافروا الى مصر لكنهم ساروا اولاً سنة ١٢٠٢ م فحاصروا زارا (مدينة بتماسيا) اجابة الى طلب البنادقة لان اهل هذه المدينة كانوا قد ثاروا عليهم . وبعد ان نهوها ساروا الى قسطنطينية ووصلوا اليها سنة ١٢٠٣ م وكان الكسيس الرابع ملك الروم استنجدهم فنجدهم على منازلهم واقروه في تحت الملك ولكن نهض عليه دوكل مرسوفل واخذ ملكه سنة ١٢٠٤ م وسمي

الكسيس الخامس فطرده الصليبيون وملكوا القسطنطينية فاقاموا بودوين التاسع ملكاً . واستمر ملك الصليبيين في قسطنطينية من سنة ١٢٠٤ م الى سنة ١٢٦١ م حين استردها الملك ميخائيل الثامن باليولوغوس

على ان فريقاً من رجال الحملة الرابعة سافروا من مرسيليا وخرجوا الى عكا ولان الهدنة التي كانت عقدت بين ريكاردوس وصلاح الدين لم تنته بعد مدتها فاقاموا بعكا حتى سئمت نفوسهم من الاقامة بعكا بدون هرب فزائل كثيرون منهم فلسطين وساروا الى امير انطاكية الذي كان يحارب ملك الارمن ولكنهم لم ياخذوا من يديهم الطريق فوقعوا بيد المسلمين الذين ارسلهم عليهم امير حلب فشتتوا شملهم وقتلوا واسروا كثيرين منهم وهذه هي وقعة بعمرين

وفي سنة ١٢٠٥ هـ توفي اموري الثاني ملك اورشليم ثم توفيت بعده امراته ايزبال فاجتمعت الافرنج بسورية ليختاروا لهم ملكاً فلم يتفقوا على احد فارسلوا الى فيليب اغسطس ملك فرنسا ليختار لهم ملكاً فاختر ايوحنا دي بريانا ليتزوج بريم رريثة ملك اورشليم (ابنة ايزبال التي ولدت لها من زوجها كنراد دي موتنا فراتا) ويملك على اورشليم . فسار ايوحنا المذكور الى سورية وتزوج بريم المذكورة في ١٤ سبتمبر سنة ١٢٠٩ م في عكا . ثم توج ملكاً على اورشليم في ٢٠ من الشهر المذكور

وفي هذه الاثناء شاع في الشام ان ملوك المغرب يجيرون حملة كبرى لانقاذ الفرنج في سورية فخاف الملك العادل من هذه الاخبار وكادت مدة الهدنة تنقضي فعرض على الفرنج ان يسلم اليهم عشرين قلاع حباً في استمرار السلم فاشار بعض الفرنج بقبول هذا الاقتراح ورفضه البعض الآخرون لما رأى العادل ترددهم سار في عسكره الى فلسطين وحاصر طرابلس وهدد عكا فقاتل الملك ايوحنا مع النزر اليسير الذين معه جيوش العادل وابدى من آيات الشجاعة والبسالة ما خلده له ذكراً حميداً لكنه لم يقو على انتقاذ بلاد النصارى من عدو قدير كالعادل ولا رأى الفرنج قلة عددهم وعدم مقدرتهم مقاومة العادل ندموا لانهم لم

يقبلوا شروطاً في غاية الموافقة قدمت لهم عنوا . وارسل الملك يوحنا الى البابا اينو شنسيوس الثالث والى ملوك اوربا ليمدوه . فنادى البابا المذكور في اوربا بوجوب انقاذ نصارى فلسطين مما هم فيه فتألبت جموع كثيرة سنة ١٢١٧ م بقيادة اندراوس ملك المجر فكانت هذه الحملة الخامسة وعند مرورهم بقبرس صحبهم لوسينيان ملكها واجتمعوا في عكا وخرجوا منها بامرة ملك المجر وملك اورشليم وملك قبرس وساروا نحو مرج ابن عامر وصلوا الى الاردن ولم يمرضهم احد . ووقع الرعب في قلوب المسلمين فسكن الملك المعادل روعهم قائلاً « عما قليل سيقع الخلاف بين الفرنج وجيشهم الكثيف اشبه بسحابة تنقشع باقل ريح »

وعزم النصارى ان يحملوا على جبل طابور حيث تحصن المسلمون ولما بلغوا الى سفح الجبل اخذ المسلمون يقلبون عليهم الصخور الضخمة ويمطرون عليهم النبال ولم يثن هذا عزيمة الفرنج بل هجموا ببسالة غريبة فانهمزم المسلمون وتبعهم الفرنج الى باب القلعة

وبينا المسلمون يرتجفون خوفاً من الفرنج توهم هولاء ان ملك دمشق سيكبسهم فانصرفوا عن القلعة والجبل يملو وجوههم . وساروا بجيشهم نحو فونيق وكان البرد قارساً فاضر بكثيرين من الجيش وبينا كانوا مخيمين بين صور وصيدا ثار عليهم عاصف وبروق ورعود ومطر غزير فاقبل خيامهم وشتت متاعهم وقتل بعض خيلهم حتى ظنوا ان الله ابى الا اذلالهم . وراوا ان اقامة جيشهم في محل واحد قد تضر بهم فانقسموا اربعة اقسام توجهوا الى اربع جهات على وعد الاجتماع بعد مضي الشتاء . ولكنه لم يمض الشتاء حتى كانت جموعهم قد تفرقت شذر منذر لان ملك قبرص اعتراه مرض فمات وملك المجر يثس من الفور وبعد ان اقام ثلاثة اشهر في فلسطين عاد الى مملكته

وبعد سفر ملك المجر الى بلاده قدم الى عكا جمع غفير من فرنسا وايطاليا وما كانت انفس الفرنج تتوق على الاستيلاء على الديار المصرية . وكان البابا قد حرضهم على ذلك ساروا من عكا بجزراً سنة ١٢١٥ هـ وتوجهوا الى الديار

المصرية فاستولوا على دمياط وحصنوا اسوارها وكانت الاهلي تفهم وتهاجم حتى انهم طلبوا اليهم ان يعقدو معهم صلحاً تحت شروط مرضية للصليبيين ولكنهم رفضوا طلبهم . واستمروا منتشرين على شواطئ النيل حتى اضعفهم الزمان وقلة الوسائط فضطروا ان يتنزلوا للمصريين عن تمككاتهم في مصر ليسمحوا لهم بالرجوع الى فلسطين . وقد تقدم ذكر ذلك اكثر تفصيلاً في فصل (٤٦٥)

وبعد ان استرد المسلمون دمياط سار يوحنا دي بريان ملك اورشليم الى اوربا مستنجداً ووصل اولاً رومه فشكا الى البابا انور يوس الثالث باكيّاً سوء حالة النصارى في سورية ومصر فعرض البابا انور يوس الثالث على فردريك الثاني ملك المانيا ان يتزوج ببولانداثة ملك اورشليم وورثة ملكه ويسمى ملك اورشليم على ان يعهد الذهاب الى المشرق واستمده من ايدي المسلمين فتعهد فردريك الثاني بذلك . تزوج ببولاندا وورثة ملك اورشليم في رومية باحتفال عظيم . وسر ملك اورشليم يوحنا دي بريان المذكور لان ملك المانيا صار صهره ونصيره ولكن لم يدم هذا الفرح لان ملك المانيا تغير على زواجه . هملها ونازع اباها ملك اورشليم وسمى نفسه ملك اورشليم . ولم يبد ملك اورشليم اقل اعتراض متوقفاً سنوح المرص لياخذ بثاره

ثم توفي البابا انور يوس الثالث سنة ١٢٢٧ م فخلفه البابا غريغور يوس التاسع فطالب ملك المانيا فردريك المذكور بهوده فتقاعد هذا عن اجابة طلبه فاغتاظ البابا لذلك واعلن حرمه . فاستاء فردريك لذلك واستمد لمقاومة البابا المذكور فذهب الى رومية واهانه واذله ثم الزمه ان يخرج من رومية قهراً وفي هذه الاثناء انقسم الامراء الايوبيون على انفسهم وخالف بعضهم بعضاً فخاف الكامل على نفسه من قبل اخوته وكان قد اشتهر بتجهيز ملك المانيا العساكر لافزوا المشرق وحصول النفرة بينه وبين البابا فتكرر الكامل ان يرسل ملك المانيا ويحالفه . فارسل رسالة عيه اليه واعداً اياه بعطاء اورشليم فنهض فردريك سنة ١٢٢٨ م بالتجريدة الصليبية السادسة الى عكا ومنها

الى القدس بدون ان يعارضه معارض ولا ينازعه منازع . ثم عقد مع الكامل هدية لمدة عشر سنين ونصف وبموجب شروط الهدنة هذه تنازل الكامل لفردريك الثاني ملك المانيا عن القدس ويافا وبيت لحم والناصره وتوابعا اما عامة الصليبيين فلم يسروا باعمال فردريك ولم يقبلوا شروطه ومعاذاته السلمية لانهم كانوا يعتبرونه معروفاً ومرفوضاً من قبل الكرسي الروماني ولذلك رفضوا طاعته حتى ان بطريرك اللاتين لم يرض ان يحضر احتفال ثنويجه فينثندر مد فريدريك يده وأخذ التاج عن قبر المسيح ووضع على رأسه

وبعد مدة يسيرة عاد راجعاً الى بلاده في ٢٩ مايو سنة ١٢٢٩ م . ولما برح فردريك سورية لم يقيم من يدافع عن الفرنج فيها فسار بطريرك انطاكية وطريرك اورشليم الى المغرب يستصرخان الخبر الروماني وامراء اوربا لنجدة نصارى المشرق المنكودي الحظ فعقد البابا غريغوريوس التاسع مجمعا في سبولاتو بايطاليا سنة ١٢٣٤ م وقرروا انه لا لزوم لرعاية الهدنة التي عقدت مع الملك الكامل بل يلزم امداد نصارى المشرق لان المسلمين دخلوا اورشليم بعد الهدنة فتجهزت في سنة ١٢٣٩ م تجريدة سابعة مؤلفة من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الاشراف . فسبق الفرنسيون الى سورية وحاربوا فيها جملة حروب كان الاستظهار فيها للمسلمين

وفي السنة التالية حضرت العساكر الانكازية وكان قائدها الاميرال كورنوال وعند ما وجد هذا الامير ان تملكات الصليبيين وحقوقهم الممنوحة بموجب عهد وشروط من المسلمين عن يد ملك المانيا قد نقضت ورفضت وان خصومهم قد ضلوكوا معهم مسلك الجور والعدوان اسرع في قيام الحرب على المسلمين واذ كان السلطان يومئذ مشغولاً في محاربة اخيه في دمشق عقد صلحاً مع الامير المشار اليه وتنازل له عن القدس وبيروت والناصره وبيت لحم وجبل طابور وقسم كبير من الاراضي المجاورة . وبعد ذلك عاد الاميرال كورنوال الى بلاده

وفي هذه الاوقات بعينها ظهر جنكيزخان الطاغية التنري واقام الحرب على ساق

وقدم بين طوائف العرب والمجم فازبح تلك البلاد واقاق بغاراته العباد فترا كضت
الشعوب والقبائل مهزومة من امام وجهه ومن جملتهم شعوب خوارزم الذين احاطوا
بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا باهاليها واتخذهم الملك الصالح ايوب بن الكامل
سلطان مصر سلاحاً يقاتل به الفرنج ففتكوا بهم ولم يرحموا شيخاً ولا امرأة ونهبوا
بيت المقدس واستولوا عليه بدعوة الملك الصالح

ثم بلغ اهل المغرب ما صنعه الخوارزمية باورشليم واستيلاء سلطان مصر عليها .
وكان فردريك الثاني ملك المانيا قد عاد الى السطوط على الكرسي الرسولي حتى فر
البابا اينوسنسوس الرابع من رومية الى ليون بفرنسا . فلما بلغته هذه الاخبار هناك
عقد مجلساً عاماً سنة ١٢٤٥ م وكان بين الحضور فالريان اسقف بيروت فابان حالة
الياس التي كان عليها الفرنج بسورية فقر المجمع المذكور بارسال نجدة للنصارى
بالمشرق . وكان لويس التاسع ملك فرنسا قد مرض مرضاً شديداً فنذر ان يتجهز
للدفاع عن الاراضي المقدسة فابتداء يتجهز لوفاء نذره

وفي ٢٥ اغسطس سنة ١٢٤٨ م سافر الملك لويس من فرنسا في ٥٠ الف
مقاتل ووصل مصر في ٤ يونيه سنة ١٢٤٩ م (وهذه هي التجربة الثامنة) فوصل
الى دمياط وامتلكها وتقدم منها الى داخلية البلاد ولكن قبل بلوغ آماله انقضت
عساكره بالمرض والجوع فوقع هو مع من بقي من جيوشه اسيراً في ايدي المسلمين
وبقي في اسرهم الى ان فدى نفسه وسار بباقي رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه
الى اور باسنة ١٢٥٤ م . ومن هذا الوقت الى سنة ١٢٦١ م التي فيها انقرضت
الدولة الايوبية لم يحدث شيء يستحق الذكر سوى قدوم التتر بقيادة الغاتح
هولاكو خان الى سورية فاشتغل المسلمون عن الفرنج بهم وقد تقدم ذكر ذلك وما
كان من هولاك التتر وكيف انقرضت الدولة الايوبية على يدهم . اما بقية اخبار
الصليبيين لحين تركهم فلسطين فسنذكرها ان شاء الله في دولة المماليك بمصر والشام
والله ولي التوفيق

٤٧٢ - دولة المغول او التتر بابران

(تمهيد) ذكرنا في فصل ٦٥ كيف ابتدأت دولة التتر التي نحن بصددھا الآن ولكن لا بأس من اعادة ما ذكرناه فنقول :

المغول او المغل قبيلة من التتر كانت تقيم حوالی بحيرة بيكال في جنوبي سيبيريا وتاريخهم القديم مظلم لانهم لم يظهروا الا بظهور جنكيزخان الذي لم يكن والده الا أميراً على ١٣ قبيلة من المغول تحت رعاية الخان الاكبر المدعو اونك خان بعمود متبادلة بينهما

ولد جنكيزخان سنة ٥٤٨ هـ فسموه تموجين وهو اسمه الذي كان يعرف به في نشأته الاولى . وبعد اربع عشرة سنة توفي ابوه فاستخف رؤساء القبائل بتموجين وتمردوا عليه واصبح كل منهم يطلب السيادة لنفسه . وكان تموجين شديد البطش من حدائمه فجمع رجاله وحارب الثائرين وتغلب عليهم فهابه الناس . الا انه لم يستغن عن استجداد الخان الاكبر فانجده فأكرمه وثبته في اماره ابيه وأزوجه ابنته وكان تموجين قد شب على ظهور الخيل وتعلم رمي الشباب وضرب السيف واتقن الفروسية بسائر فروعها . وكان قوي البدن شديداً صبوراً على التعب والجوع والبرد والالم وعود رجاله على ذلك فاجتمعت كلمتهم على نصرته وانقادوا لامره . ولما علت منزلة تموجين عند الخان الاكبر هاجت عوامل الحسد في أعضاء أسرته وغيرهم من رجال الدولة وكان تموجين قد اغرى الخان الاكبر بهؤلاء الامراء فضيق الخان عليهم فاوغرت صدورهم فثاروا عليه (على الخان الاكبر) وشقوا عصا الطاعة وحاربوه وغلبوه فاستنجد تموجين فانجده واعاده الى كرسيه ومثل باعدائه حتى القى ٧٠ رجلاً منهم في الماء العالي وهم احياء

فلما ظهر تموجين واظهر القسوة والشدة خافه حموه وحسده فادرك تموجين ذلك فسمى في اصلاح ما بينهما بالحسنى فلم ينجح . وعزم الخان الاكبر اونك خان على اغتيال تموجين والتبض عليه . فانضم الى تموجين غلامان من غلمان اونك خان واعلماه القضية وعيناه الى الليلة التي فيها يريد اونك خان كبسه . وفي الحال امر تموجين اهله باخلاء البيوت وتركها على حالها منصوبة . وكان هو مع الرجال بالقرب من البيوت وفي وقت السحر هجم اونك خان واصحابه على بيوت تموجين فلقوها خالية . وكرّ عليه

تموجين واصحابه من الكمين واقفوا بهم وناوشوهم القتال واشتخروا فيهم وهزمهم .
 وحاربوهم مرتين حتى قتل الخان الاكبر تولى تموجين عرش المغول . وحارب تموجين بعد ذلك
 حروباً فاز فيها فازداد امراؤه تعلقاً به . فاحتفلوا بتمنيته احتفالاً عظيماً في سهل على
 ضفاف سلكنا فاجتمع الامراء والخانات فخطب فيهم وكان قوى المعارضة فابدى ثم جلس
 على لبادة سوداء فرشوها له هناك (واصبحت تلك اللبادة اثرًا مقدساً عندهم من ذلك
 الحين) ثم وقف بعض الحضور وكان من اهل التقوى والنفوذ وقال « مهما بلغ من
 قوتك فانها من الله وهو شياخذ بيدك ويشد ازرك فاذا افرضت في سلطانك صرت
 اسود مثل هذه اللبادة ونبتك رجالك نبت النواة » وفي هذا القول من حرية البداوة
 والجرأة مثلاً كان يحصل من جرأة العرب على خلفائهم وامرائهم في صدر الاسلام
 ثم تقدم سبعة امراء انهضوه باحترام وساروا بين يديه حتى اجلسوه على عرشه
 ونادوا باسمه ملكاً على المغول . وكان في جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة
 والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال « يا اخوتي قد رأيت في منامي كأن رب السماء
 على عرشه الناري تحديق به الارواح وقد اخذ بمحكمة اهل الارض فحكم ان يكون العالم
 كله لمولانا تموجين وان يسمى جنكزخان (اي الملك العام) ثم التفت الى الملك تموجين
 وقال لبيك ايها الملك فانك تدعى منذ الآن جنكزخان بأمر الله »
 ولم يعد يعرف بعد ذلك الا بهذا الاسم

٤٧٣ - جنكزخان

من سنة ٥٩٩ هـ - ٦٢٤ هـ او من سنة ١٢٠٣ - ١٢٢٧ م

واستتب الامر لجنكزخان بالكيفية المنقادمة ذكرها وذلك سنة ٥٩٩ هـ ثم ارسل
 الى جميع شعوب الترك فكان من اطاعه وتبعه سعد ومن خالفه خزل وبعد ان خضعت
 له جميع امم التتار والترك اخترق سوز الصين وانتصر على الصينيين في وقائع كثيرة
 واحتل باكين عاصمة مملكتهم ثم عاد الى بلاده وسن القوانين وشرع الشرائع لحفظ
 نظام المملكة

وكان لجنكزخان اربعة اولاد ولام الامور العظام في مملكته . الاول توشي ولي
 امر الصيد والطرود وهو احب الامور اليهم . والثاني جقاتاي ولي امر الحكومات

والسياسة اي الناموس والقضاء . والثالث اوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله واصابة رأيه . والرابع تولى ولي امر الجيوش وتجهيز الجنود والنظر في مصالح العسكر وكان جنكزخان اخ يقال له اوتكين فعين له ولكل واحد من الاولاد بلاداً بغيرهم بها . اما اوتكين فاقام بحدود الخطا . وتوشي اقام بحدود قبالغ وخوارزم الى اقصى سقسين وبلغار . وجقائاي اقام بحدود بلاد الايفور بالقرب من المالبغ الى سمرقند وبخارى . واقام اوكتاي بحدود ايميل وقوتاق وجاوره تولى ايضاً في تلك المواحي

وبعد ان قسم جنكزخان مملكته بالكيفية المتقدمه سمي نفسه خاقاناً . وقام اولاده واخوه بما عهد اليهم خير قيام فكانوا ساعده اليمين

وفي سنة ٦٠٩ هـ قصد ثلاثة نفر من تجار بخارى بلاد التتر فاشترى منهم جنكزخان ما معهم وردهم بغاية الاكرام واصحبهم ببعض تجار التتر ليشترى له من ننايس البلاد وظرائفها ما يصلح له وارسل معهم رسولا الى السلطان محمد خوارزم شاه يقول له « ان التجار وصلوا الينا وقد اعدناهم الى ما منهم سالمين غانمين وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من ظرائف تلك الاطراف فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتمكنك الوفاق بين الجانبين وتحسم مواد النفاق من ذات البين »

فلما وصل التجار الى مدينة اترار طمع اميرها غاير خان فيما معهم من الاموال فطالع خوارزم شاه في امرهم وحسن له ابادتهم واغتنام ما لهم فاذن له في ذلك فقتلهم الا واحداً منهم هرب من السجن . ولما رأى ما جرى على اصحابه لحق ببلاد التاتار واعلمهم بالمصيبة . فعظم ذلك عند جنكزخان وتاثر منه الى الغاية وهجر النوم وصار يحدث نفسه ويفكر فيما يفعله . وقيل انه صعد الى رأس تل عال وكشف رأسه ونضرع الى الباري تعالى طالباً اليه نصره على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلاثة ايام بلياليها صائماً . وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد ويده عكازه وهو قائم على بابه يقول له « لا تخف افعل ما شئت فانك مؤبد » . فانتبه مذعوراً ذعراً مشوباً بالفرح وعاد الى منزله وحكى حمله لزوجته وهي ابنة اونك خان (وكانت مسيحية على ما يقال) فقالت له هذا زي اسقف كان يتردد الى ابي ويدعو له ومجيئه اليك دليل انتقال السعادة اليك . فسال جنكزخان من في خدمته من نصارى الايفور هل هنا احد من الاساقفة ف قيل له عن الاسقف دشخا . فلما طلبه ودخل عليه بالبيريون

الاسود قال « هذا زي من رأيت في منامي لكن شخصه ليس ذاك » فقال الاسقف
« يكون الخان قد رأى بعض قديسينا »

ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم . وابتدأ
جنكزخان يتجهز لاختار التجار الذين قتلهم غايرخان بمصادقة خوارزم شاه ظمًا وعدوانًا .
وفي سنة ٦١٦ هـ قصد جنكزخان بلاد السلطان محمد خوارزم شاه ولما وصل الى
مدينة اترار سير جنكزخان ابنه الكبير في تومانيين عسكري الى جانب جنخند وتوجه هو
بنفسه الى بخارى ورتب على محاصرة اترار ولديه جقاتاي واوكتاي فدام القتال عليها
خمسة اشهر لان السلطان محمد آ كان قد سير اليها غايرخان في خمسة آلاف فارس
وقراجا خاص حاجب في عشرة آلاف وكانوا كلهم بها

ولما ضاقت الحيلة بن في المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور قراجا لغاير خان في
الصالح وتسليم البلد . فابى غايرخان الا المجاهدة حتى الموت لعله ان المغول لا يبقون عليهم .
فتوقف قراجا الى هجوم الليل وخرج في اكثر عسكريه الى خارج باب دروازه الصوفي
فعموه الى الصبح ثم حمل الى ابني جنكزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنه احوال البلد
وامرا بقتله وقتل كل من كان معه قائلين « اذا كنت ما اقيت على نخدمك وولي
نعمتك فلا تبقي ولا علينا »

وزحف العسكري الى المدينة ودخلوها واخرجوا اهلها جميعهم الى ظاهرها واغاروا
على ما فيها وبقي غايرخان في ٢٠ ألفًا من اصحابه متفرقين في دروب المدينة لم يتمكن
منهم المغول وكانوا يخرجون خمسين خمسين يكادون ويطنون في عسكري المغول ويقتلون
ثم يقتلون . وكان هذا دأبهم شهرًا الى ان بقي غايرخان ومعه نفران يجالدون في سطح
دار السلطنة وكان جنكزخان قد امر بعدم قتل غايرخان بل احضاره اليه حيًا .
فلذلك كثرت التعب معه وقتل حاجباه وبقي وحده بقاتل بالاجر الذي كان الجواري
يشاولنه من الجدار . فلما عجز عن المناولة احاط به المغول وقبضوه وحملوه الى جنكزخان
بعد عوده من بخارى الى سمرقند وقتل هناك في كوك سراي

وفي سنة ٦١٧ هـ في اوائل المحرم نزل جنكزخان في غسكرة على مدينة بخارى
واحاط بها العسكري من جميع جوانبها . وكان بها من عسكري السلطان محمد خوارزم شاه
عشرون ألفًا بقيادة كوك خان وسونج وكشلي خان . ولما تحققوا عجزهم عن مقاومة المغول
خرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فادركهم المحافظون من عسكري المغول على نهر

جيحون فاقوموا فيهم وقتلواهم كافة ولم يبقوا منهم مخبراً . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطلب الامان . فخرج الائمة والاعيان الى خدمة جنكزخان يتضرعون اليه يطلبون حقن دمايتهم . فتنسب . فتقدم باخراج كل من في المدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده تولى الى المدينة فوقف على باب مسجد الجامع وقال « هذا دار السلطان » فقالوا « بل خانة يزدان » اي بيت الله . فنزل ودخل الجامع وصعد الى المنبر وقال لا كابر بخارى « ان الصحراء خالية من العلف فانتم اشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار » فنتجوها وساروا ينقلون ما فيها من الغلات . اما الترففتجوها الصناديق التي في الجامع ورموا ما فيها من الكتب وجعلوها اوارى للخيول واحضرو الطعام والشراب هناك واكوا وشوا وطربوا . ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الائمة والمشايخ والسادات واكوا وشوا . ثم اوصىهم « ان الله ملك الكل ارساني لاظهر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسفة الفجرة . وذكر لهم ما فعله اميد اترار باذن سلطانه بالتجار الى غير ذلك . ثم امرهم ان يعتزلوا لاغنيا واصحاب الثروة بمزل عن الفقراء فعزلهم وكانوا ٢٨٠ الفا وقال لهم « ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعمالها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا اذرفائن التي تحت الارض . فقبلوا بالسمع والطاعة . ووكلاهم مع كل قوم شخصاً يستخرج المال وشار سراً الى المستخرجين ان لا يكلفهم مالا يطيقونه ويرفقوا بهم وذلك لما رأى من حسن اجابتهم الى ما امر وابه . ولان جماعة من عسكر السلطان كانوا مختلفين بالمدينة امر فرموا في محالها النار فاحترقت المدينة باسرها لان جل عمائرها من خشب فبقيت عرصة بخارى قاعاً صفصفاً وتفرق اهلها منتزحين الى خراسان

وفي ربيع الاول من السنة نزل جنكزخان على مدينة سمرقند وكان السلطان محمد خوارزم شاه قد رتب فيها ١٠٠ الف وعشرة الاف فارس يقومون بحراستها فلما نازلها منع اصحابه عن المقاتلة وانفذ جيشاً مؤلفاً من ٣٠ الف محارب بقيادة سنناتاي نوين في اثر السلطان محمد خوارزم شاه وقال لهم « اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسما حتى تدركوه وتحضروه » فطاردوه وهو هارب امامهم من قلعة الى قلعة ومن حصن الى حصن الى ان نوفي في بعض قلاعه غما على مالحق به . وانفذ جيشاً آخر بقيادة غلاق نوين وبسور نوين الى جانب الطالقان . وامر باقي العسكر بحصار سمرقند فاحاطوا بها وقت سحر فبرز اليهم مبارزو الخوارزمية وناوشوهم القتال وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار

واسروا جماعة وأدخلوهم المدينة

فلما كان الغد ركب جنكزخان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله ووقف الابطال من المغول على ابواب المدينة ولم يمكنوا احداً من المجاهدين من الخروج فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ووقع اخلف بين اكابر المدينة وتلونت الآراء فبعض مال الى المصالحة والتسليم وبعض لم يامن على نفسه وان اومن خوفاً من غدر التاتار . فقوي عزم القاضي وشيخ الاسلام على الخروج فخرجوا الى خدمة جنكزخان وطلبوا الامان لها ولاهل المدينة فلم يجيبها الا الى امان انفسها ومن يلوذ بها . فدخلوا الى المدينة ونجوا ابوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا الى احد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة مائة بالعدد الى الصحراء ولم ينكفوا الا عن القاضي وشيخ الاسلام وعمن التجأ اليهما فاحتج بهما نيف وخمسون الفا من الخلق ولما اصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة وقتل كل من وجدوه مخبئاً في المغائر وتوارياً بالاستائر وقتلوا تلك الليلة نحو ثلثين الف تركي وقتلوا وقسموا بالنهار ٣٠ الفا من الاولاد والامراء واطلقوا الباقي ليرجعوا الى المدينة ويجمعوا من بينهم ٢٠٠ الف دينار ثمن ارواحهم وكان المحصل لهذا المال ثقة الملك والامير عميدوهما من اكابر سمرقند والشحنة طايغور . ومن هناك توجه جنكزخان بعساكره الى نواحي خوارزم وانفذ الرسل اليهم يدعهم الى مبايعته والدخول في طاعته وشغلهم اياماً بالوعد والوعيد والتاميل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمي بها . ولان صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعاً كالخجارة ويرمون بها وملأوا الخندق بالتراب والخشب والحشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها واضرموا النار في محالها فانت على اكثر دورها وما فيها فيئس المغول من الانتفاع بشيء منها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محملة محملة لان اهلها كانوا يمتنعون فيها اشد امتناع . ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل المحال واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وفرزوا الصنائع والمخترفين الى ناحية واسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن وقسموا الباقي من الرجال والنساء العجائز على العسكر ليقتلوهم فتبطل كل واحد منهم اربعمائة وعشرين شخصاً وفي اوائل سنة ٦١٨ هـ عبر جنكزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه

اعيانها وبذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وانواعاً من الترخو (اي الما كل والمشرى) فلم يؤمنهم بسبب ان السلطان جلال الدين بن محمد خوارزم شاه كان في تلك النواحي يهبي اسباب الحرب ويستعد للقتال فامر جنكزخان بخروج اهل بلخ الى الصحراء ليعدهم كالعادة فلما خرجوا باسرم رمى فيهم السيف . ومن هناك توجه نحو الطالقان وقتل اكثر اهلها واسر من صالح للاسروا بقى البعض . ثم سار الى الباميان فعصى اهلها وقاتلوا قتالاً شديداً واتفق ان أصيب بعض اولاد جقناني بن جنكزخان بسهم فقضى نجه وكان من احب احفاد جنكزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك واضطربت النيران في قلوب المغول وجدوا في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والاحنة التي في بطون الجبال ايضاً ولم يأسروا منها احداً قط وتركوها قفراً

ولم يزل جنكزخان ينتقل في بلاد خراسان من مدينة الى مدينة ومن قلعة الى قلعة يقتل ويأسر وينهب الي ان دوح تلك النواحي وأزال معالم المدينة منها . ولما فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خراسان سمع ان السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلاً ونهاراً بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبع لحلم اذا نزلوا . فحين وصلوا الى غزنة اخبروا ان جلال الدين من خمسة عشر يوماً رحل عنها وهو عازم ان يعبر نهر السند . فلم يستقر جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتره ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وبالغ المغول في المكاوحة وتقدم جنكزخان ان يقبض حياً ووصل جقناني واوكتاي ايضاً من جانب خوارزم

فلما رأى جلال الدين انه مأخوذ على اي حال عزم ان يقاتل حتى يقتل فحمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضره حياً امام جنكزخان امثالاً لمرسومه فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عين تضيق الحلقة عليه نزل فودع اولاده وخواصه باكياً كشيئاً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنبيه وهو كالاسد الميور وهم بالعبور واقتحم فرسه النهر فانقحم وعام وخاص الي الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه ويتأملون حيارى . ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً وانتنت الي ولديه وقال لهما « من اب مثل هذا الابن ينبغي ان يولد اذا نجا من هذه الواقعة

فوقائع كثيرة تجري على يديه • ومن خطبه لا يغفل من يعقل »
 وأراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فذهبهم جنكزخان قائلاً « انكم لستم
 من رجاله لانه كان يرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشط » فلما فاتهم اخذوا
 امر الحان باحضار حرمه واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع
 ولان جلال الدين عند ما اراد الخوض في النهر القى جميع ما كان محبته من
 آنية الذهب والفضة والنقرة فيه امر الغواصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه •
 وكان هذا الامر الذي هو من عجائب الانام ودواهي الايام في رجب فقيل في المثل :
 عش رجباً تر عجباً »

وفي سنة ٦٢٤ هـ رجع جنكزخان من الممالك الغربية الى منازل القديمة الشرقية
 ثم رحل من هناك الى بلاد تنكوت وهناك عرض له مرض من عفونة ذلك الهواة
 الوخيم • ولما قوي مرضه استدعى اولاده وقال لهم « اني قد ايقنت مفارقة الدنيا
 لمعجز قوتي عن حمل ما بي من الآلام ولا بد من شخص يقوم بحفظ المملكة على
 حالها والذب عنها وقد اعلمتكم غير مرة ان ابني اوقتاى يصلح لهذا الشأن لما رأيت
 من مزية رايه المتين وعقله المبين • والآن فقد جعلته ولي عهدي وقلدته ما بيدي
 من جميع الممالك فما قولكم »

فبعثوا اولاده على ركبهم وقالوا « جنكزخان هو الملك للرقاب ونحن العبيد
 السامعون المطيعون في جميع ما يتقدم به على وفق مراده ومرسومه »
 وعند فراغه من الوصية اشد مرضه وتوفي لاربع مضي من شهر رمضان سنة
 ٦٢٤ هـ وكان مدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة دمر فيها الارض تدميراً وجاء
 ضربة من الله وسخطاً على بني آدم وفك بالالوف والملايين
 وكان جنكزخان مع قدرته الهائلة في الحروب رجلاً مدبراً حكيماً

٤٧٤ - قاله به جنكيزخان

من سنة ٦٢٤ - ٦٤٣ هـ او من سنة ١٢٢٧ - ١٢٤٥ م
 لما توفي جنكزخان اجتمع اولاده وامراء مملكته ليعتقلوا بتتويج اوقتاى
 كوصية جنكزخان التي تقدم ذكرها • فاستقالم اوقتاى الولاية قائلاً « ان امر

الوالد وان كان لا اعتراض عليه لكن ههنا اخ اكبر مني واعمام هم اولي مني بها» فلم يقلوه اياها واصروا على انه لا بد من امثال مرسوم الوالد وداموا على اصرارهم ٤٠ يوماً وما زالوا يتضرعون اليه ويلحون عليه حتى اجابهم الى ذلك فكشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذ جفائى اخوه الكبير بيده اليمنى واوتكين عمه بيده اليسرى واجلساه على سرير المملكة ولقباه قا ان

ولما فرغوا من حفلة تنويجه وجلسه على كرسي المملكة اعطى كل واحد من اخوته ما قسمه لهم والدم في حياته والتفت هو الى توسيع دائرة مملكته اتماماً لمقاصد ابيه فجهز جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف مقاتل وسيره بقيادة جورماغون الى ناحية خراسان وجيشاً آخر بقيادة سننای بهادر الى بلاد قفجاق وسقسين وبلغار وآخر الى بلاد التيب و قصد هو بنفسه بلاد الخطا

فسار جورماغون ومهد الامور في بلاد خراسان ثم علم برجوع جلال الدين ابن خوارزم شاه من الهند ونقله على اذربيجان وغيرها من تلك النواحي فتقدم اليه ولحق به في ديار بكر فارسل له بعض قواده المدعو بايلاس نوبين . وكان جلال الدين في ذلك الوقت يزجي اوقاته بالتمتع باللهو والشراب والطرب كانه يودع الدنيا وملكيها الغاني . ويما هو في ذلك فجأ هجوم بايلاس نوبين في عسكره ايلاً فتكلف للانتباه وعابن نيران المغول باقرب من مكانه فتقدم الى الامير اورخان ان يلم به الجماعة ويشغل المغول عند الصبح بالاقدام تاره والاحجام اخرى وفر هو مع ثلاثة من مماليكه تائها في جبال ديار بكر . فلما اصبحوا ظن المغول ان جلال الدين خوارزم شاه فيهم فجدوا في طلبهم طاردين في اعقابهم وهم منزهون بين ايديهم ولما تحققوا انه ليس معهم رجعوا عنهم . اما جلال الدين خوارزم شاه فاوقع به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه وقدروه ان بعض جند الخوارزمية فقتلوه والمملوكين طمعاً في ثيابهم وخيالهم وسلاحهم

اما قا ان نفسه فسار الى بلاد الخطا وسير في مقدمته اخويه جفائى والغ نوبين وباقي الاولاد في عساكر عظيمة . فساروا ونازلوا اولاً مدينة يقال لها حرجا بنو

يقسين (ويقال خوجا بنو يقسين) وهي على شط قراموران (معناه النهر الاسود) فاحاطوا بها وحاصروها مدة اربعين يوماً وكان فيها عشرة الاف من فرسان الخطا فلما راوا المعجز عن مقاومة المغول ركبوا السفن التي كانوا اعدوها هارين . وطلب اهل البلد الامان فامنوا ورتب المغول عندهم الشحاني وقصدوا باقى المواضع

وجيز قا ان اخاه الغ نوين وبلده كيوك وسيرهم في عشرة الاف فارس في المقدمة وسار هو في عقبهم فتمهل ومعه العسكر الكبير . فجيش التون خان ملك الخطا مائة الف من شجعانه وانفذهم للقاء المغول فلما وصلوا اليهم استقروهم لقلتهم بالنسبة اليهم وتهاونوا في امرهم وارادوا ان يسوقوهم كما هم الى ملكهم التون خان ليفرجوا بهم عنه غمه . فشعلهم المغول بفنور المكافحة واطمعوهم الى ان وصلت الافواج التي مع قا ان فاوقعوا بعسكر الخطا ولم يفلت منهم الا النزر . وكان التون خان بمدينة ناميك فلما بلغه الخبر بما جرى على اصحابه الابطال ارتاع ويش من الحياة وجمع اولاده ونساءه وكل من يعز عليه ودخلوا بيتاً من بيوت الحشب وامر بضرب النار فيه فاحترق هو ومن معه انفة من الوقوع في اسر المغول . ودخلت عساكر المغول الى المدينة ونهبوا واسروا البنين والبنات وامنوا الباقي . وفتحوا غيرها من المدن المشهورة ورتب بها قا ان الشحاني وقفل الى مواضعه القديمة وبني بها مدينة سماها اردوباليق (وهي مدينة قراقوم) وجعلها عاصمة ملكه واسكنها خلقاً من اهل الخطا وتركستان والفرس والمسلمين

وبيناهم مسرورون بفتح بلاد الخطا توفي تولى خان بن جنكزخان وكان احب الاخوة الى قا ان فاغم لذلك كثيراً وامران زوجته المسماة سرقتي بيكي وهي ابنة اخي اونك خان تتولى تدبير عساكره وكان لها من الاولاد اربعة بنين مونككا وقوبلاي وهولاكو واريغ بوكا . فاحسنت تربية الاولاد وضبط الاصحاب وكانت ابية عاقلة تدين بالانصرانية . وفي مثلها قال الشاعر

فلو كان النساء كمثل هذه افضلت النساء على الرجال

وبعد قليل مات ايضاً الاخ الكبير المسمى توشي فولى قا ان ابنة باتو على البلاد

التي كانت بيد ابيه وهو الذي غزا بلاد الروس واللان والبلغار واخضعهم تحت سلطانه بعد ان مثل بهم تمثيلاً شنيعاً ثم عزم على غزو القسطنطينية فاستنجد ملكها باهل اوروفا فأنجذوه خوفاً من تقدم التاتار في بلادهم وجرت بينهم حروب كثيرة انجحت عن كسرة المغول وهزيمتهم ففعلوا من غزاتهم هذه ولم يعودوا يتعرضون الى تلك النواحي مرة اخرى

وفي سنة ٦٣٣ هـ غزا التاتار نينوي ونزلوا الى قرية ترجلة وكرمليس فهرب اهل كرمليس ودخلوا كنيسهم وكان لها بابان فدخلها المغول وقعد اميران منهم كل واحد على باب واذنوا للاماس في الخروج عن الكنيسة فن خرج من احد بابها قتلوه ومن خرج من الباب الآخر اطلقوه ولم يعلم سبب ذلك

وفي سنة ٦٣٤ هـ غزا التاتار بلاد اربل وهرب اهل المدينة الى قلعتها فحاصروها ٤٠ يوماً ثم اعطوا مالاً فرحلوا عنها وقصدوا العراق ووصلوا الى تخوم بغداد الى موضع يسمى زنكباد والى سامرا (سمر من راي) فخرج اليهم بمجاهد الدين الدويدار وشرف الدين اقبال الشرايبي في عساكرهما فلقوا المغول وهزمهم ثم عاد التاتار الى بغداد ووصلوا الى خانقين فلقبهم جيوش بغداد فانكسروا وبادوا منهزمين الى بغداد بعد ان قتل منهم خلق كثير وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا وذاع خبر تقدم التاتار الى العراق وانتصارهم على المسلمين فخاف غياث الدين كيخسرو السلجوقي سلطان اسيا الصغرى وجهز العساكر من جميع البلاد وسار سنة ٦٤٠ هـ لمعاربة التاتار فالتقى العسكران بنواحي ارزنكان ببلاد ارمينية وانهمزم المسلمون بدون قتال فانهمزم السلطان مبهوتاً فاخذ نساءه واولاده من قيسارية وسار الى مدينة انقورا وتحصن بها . واقام المغول يومهم ذلك مكانهم ولم يجسروا على التقدم لانهم ظنوا ان هناك كميناً اذ لم يروا قتالاً يوجب هزيمة جيوش السلطان مع كثرة عددهم . فلما تحققوا الامر انتشروا في بلاد الروم فنزلوا اولاً مدينة سواس فلكوها بالامان واخذوا اموال اهلهما عوضاً عن ارواحهم واحرقوا ما وجدوا بها من آلات الحرب وهدموا سورها . ثم قصدوا مدينة قيسارية فقاتل اهلهما اياماً

ثم عجزوا ففتحوها عنوة ورموا فيها السيف وأبادوا أكابرها وأغنياءها وسبوا النساء والأولاد وخربوا الأسوار ثم عادوا وساروا إلى مدينة ارزكان وملكوها عنوة وقالوا رجالها وسبوا الفراري ونهبوها وخربوا سورها ومضوا . ولما رأى السلطان غياث الدين كخسرو عجزه عن مقاومة التاتار أرسل إليهم يطلب الصلح فصالحوه على مال وخيل وأثواب وغديرها بمطهرهم كل سنة مبلغاً معيناً . وفي سنة ٦٤٣ هـ توفي قان بن جنكزخان وكان قد أرسل رسولا في طلب ابنه كيوك إيراه قبل مفارقتها الحياة وليوليه عهده من بعده فلم يمهله القضاء ليجمع به

٤٧٥ كيوك خان بن قان

من سنة ٦٤٣ هـ إلى سنة ٦٤٧ هـ أو من سنة ١٢٤٥ - ١٢٤٩ م

لما توفي قان بن جنكزخان اجتمع أمراء المغول وبايعوا ابنه كيوك خان واستخدم كثيرين من المسيحيين حتى أن أتابكه كان مسيحياً فارتفع شأن الطوائف المسيحية في أيامه حتى خيل للناس أن المملكة صارت مسيحية . ولم تطل مدة ملك كيوك خان لأنه في سنة ٦٤٧ هـ توفيت والدته توراكينا خاتون . فنشأ من المقام بقرقوم ورحل عنها متوجهاً إلى البلاد الغربية ولما وصل إلى ناحية كسستكي أدركه أجله في تاسع ربيع الآخر من السنة . ولما توفي كيوك خان اجتمع أمراء المغول وبايعوا مونككا بن تولي بن جنكزخان فاستولى على كرسي السلطنة بقرقوم وقسم المملكة على أخوته وأقاربه من آل جنكزخان فكانت بلاد إيران من حصه أخيه هولاكو بن تولي بن جنكزخان وإن يكن قد تولاها تحت نظر أخيه مونككا المذكور إلا أنه أورثها بنيه حتى صارت دولة مستقلة بذاتها . وإذا لا يهمنا من أخبار الدولة التتارية (المغولية) إلا ما كان متعلقاً منها ببلاد المسلمين فسنترك مونككا وأخباره والملوك التتارية الأخرى

وما حدث فيها وتقدم الى ذكر هولاء بن تولى واخباره وبنيه من بعده لانهم هم الذين تولوا بلاد ايران فنقول وعلى الله الاتكال

٤٧٦ - هولاء بن تولى

من سنة ٦٥٠ - ٦٦٤ هـ او من سنة ١٢٥٢ - ١٢٦٦ م

اقطع مونككا بن تولى اخاه هولاء بلاد ايران سنة ٦٥٠ هـ فصار اليها من قراقوم في جيش . ظيم سنة ٦٥١ هـ فوصل الى مروج سمرقند في شهر شعبان سنة ٦٥٣ هـ واقام بها اربعين يوماً . وكان الوقت شتاء شديد البرد لا يشع الغيم ولا ينقطع وقوع الثلج من تلك البقاع . فامر هولاء الامراء ان يقصدوا في عساكرهم قلاع الملاحدة ^(١)

وكان مقدم الاسماعيليه يومئذ ركن الدين خورشاه بن علاء الدين فاخر ب خمس قلاع من قلاعه التي لم يكن فيها ذخائر للحصار

فلما وصل هولاء الى عباسا باذسير ركن الدين الى العبودية صبياً عمره نحو سبع او ثمان سنين وذكر انه ولده . فلم يخف صنيعه على هولاء ولكن لم يكاشفه بذلك بل اعز الصبي واكرمه ثم اعاده اليه . وبعد وصول هذا الابن المزور الى ركن الدين سير اخاه شيرانشاه في ثلاثمائة رجل على سبيل الخدمة . فسير هولاء الثلاثمائة الى جمالا باذ من بلد قزوين واعاد اخاه محملاً رسالة اليه وهي :

(١) الملاحدة ويقال لهم الاسماعيليه والباطنية ايضاً هم من بقايا القرامطة الخوارج واصحاب حسن بن صباح قويت شوكتهم بعد موت ملك شاه السلاجوقي وتغلبوا على عدة حصون وخصوصاً حصن الاموت بالقرب من مدينة قزوين . وبث حسن اصحابه الى الجهات فسارقوم منهم الى سورية وتحصنوا في الجبال المجاورة لاطرسوس واهليهم امير اسمه ابوطاهر ويعرف بشيخ الجبل يطيع للامير الكبير الذي في بلاد فارس .
ودامت سلطة الاسماعيليه من سنة ٤٨٣ - ٦٥٣ هـ او من سنة ١٠٩٠ - ١٢٥٥ م

« انه الى خمسة ايام ان لم يصل بنفسه الى الخدمة يحكم قلعة ويستعد للحرب »
 فارسل اليه ركن الدين رسولاً يقول « انه لا يتجاسر على الخروج خوفاً من
 حشمة الذين معه داخل القلعة لئلا يشبوا عليه فاذا وجد فرصة جاء »

فعرف هولاء انه مماطل مدافع من وقت الى آخر فرحل رابع شوال سنة
 ٦٥٤ هـ من بيشكام ونزل على القلعة الحازية ليمون دره وتقدم بقتل الثلاثة رجل
 من الملاحدة الذين كانوا بجبالا باذ قزوين سرّاً . ولما عين ركن الدين نزول
 هولاء كوا بقرب سير رسولاً يقول « ان سبب تماطلي لم يكن الا خوفاً من اهل
 القلعة والان انا نازل اليوم او غداً » فلما عزم على الخروج ثاوره الغلاة من الملاحدة
 وواثبه الغدائيون ولم يمكنوه من الخروج . فسير الى هولاء كوا وعلمه ما هم عليه من
 التردد . فامرهم ان يداري الوقت معهم بحفاظاً نفسه منهم وكيف ما كان يجتال للنزول
 ولو متكرراً . ثم امر هولاء كوا عساكره بالتقدم الى القلعة وقتال الملاحدة . فلما اشتغل
 الملاحدة بقتال المغول نزل ركن الدين ومعه ولده وخواصه الى عبودية هولاء كوا
 فآكرم هولاء كوا مشواه وطمن خاطره . فلما تحقّق من بالقلعة ما نال صاحبهم من
 الطمانينة والكرامة سلموا القلعة ونزلوا عنها فحاول المغول هدمها وفتحوا ايضا جميع القلاع
 التي في ذلك الوادي . ثم عادوا الى القلعة وافتتحوها عنوة وخرّبوا جميع قلاع
 الاسماعيلية وهي تزيد على خمسين قلعة حصينة

ثم ارسل هولاء كوا ركن الدين الى الخاقان مونككا بقرا قوم في تسعة انفار
 من اصحابه فلما وصلوا الى بخارا تخاصم ركن الدين مع اصحاب هولاء كوا المرسلين
 معه وتسافه عليهم فخذوا عليه

فلما وصلوا الى قرا قوم قالوا لمونككا بما كان من نور الدين فامر بقتله وانفذ
 الى اخيه هولاء كوا بقتل جميع الاسماعيلية وازالتهم من وجه الارض ففعل . ثم رحل
 هولاء كوا عن همدان نحو مدينة بغداد . وكان في ايام محاصرتة قلاع الملاحدة
 قد سير رسولاً الى الخليفة المستعصم العباسي يطلب منه نجدة فاراد ان يسير ولم
 يقدر ولم يمكنه الوزراء والامراء وقالوا « ان هولاء كوا رجل صاحب احتيال وخديعة

وليس محتاجاً الى مجدهتنا وانما غرضه اخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة فتقاعدوا بسبب هذا الخيال عن ارسال الرجال

ولما فتح هولاء تلك القلاع ارسل رسولا آخر الى الخليفة وعاتبه على اهماله تسيير النجدة . فشااوروا الوزير فيما يجب ان يفعلوه فقال « لا وجه غير ارضاء هذا الملك الجبار ببذل الاموال والهدايا والتحف له ونحواصه » وعند ما اخذوا في تجهيز ما يرسلونه قال الدويدار الصغير واصحابه « ان الوزير انما يدبر شان نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك » فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نذر لا قدر له . فغضب هولاء وقال : « لا بد من مجيئه هو بنفسه او يسير احد ثلاثة نفر اما الوزير او الدويدار او سليمان شاه » فلم يجيبوه الى ما طلب . فامر هولاء باليجو نوين وسونجاف نوين لينوجها في مقدمته على طريق اربل وتوجه هو علي طريق حلوان

وفي منتصف شهر المحرم سنة ٦٥٦ هـ وصل هولاء الى باب بغداد وفي يوم ليلة بنى المغول سوراً بالجانب الشرقي وآخر بالجانب الغربي وحفروا خندقاً عميقاً داخل السور ونصبوا المنجنيقات بازاء سور بغداد من جميع الجوانب ورتبوا العرادات والالات النفط

وكان بدء القتال ٢٢ محرم فلما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان من اصحابه ارسل الى هولاء في طلب الصلح فلم يجبه الى ذلك بل امر اصحابه المغول بالتشديد على المدينة وان يكتبوا على سهامهم التي يرمون بها من في بغداد بالعربية هذه الجملة « كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وامواله وحرمة » واشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب الى اليوم السادس والعشرين من محرم . ثم ملك المغول الاسوار وكان الابتداء من برج العجمي . فلما عاين الخليفة ان المغول سيدخلون المدينة لا بمحالة استاذن هولاء بان يحضر بين يديه فاذن له وخرج رابع صفر ومعه اولاده واهله . ثم شرع المغول في نهب بغداد ودخل هولاء هولاء بنفسه الى بغداد ليشاهد دار الخليفة وامر باحضار الخليفة فاحضره ومثل بين يديه وقدم

جواهر نفيسة ولائي ودرراً ممبابة في اطباق ففرق هولاًكو جميعها على الامراء .
ثم قبض هولاًكو على الخليفة المستعصم وقتله هو واولاده واهله وبقي النهب يعمل
في بغداد سبعة ايام قتل المغول في خلالها مليوناً وثلاث مئة الف مسلم على ما قيل
وان كان في هذا التقدير بعض المبالغة فلا اقل من ان يفيد ان الخسارة كانت
جسيمة جداً مما لم يسبق له نظير واستولوا على ما في قصور الخلافة والقوا كتب العلم
التي كانت في خزائنها في دجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند
فتح المدائن . وعزم هولاًكو على اضرار بيوتهم ناراً فلم يوافقهم اهل مملكته
وبعد فتح بغداد ارسل هولاًكو بالعساكر الى ميفارقين وبها الكامل محمد
ابن غازي بن العادل فحاصروها سنين حتى جهد الحصار اهلها ثم افتتحوها عنوة
واستلحموا حاميتها

وفي سنة ٦٥٨ هـ سار هولاًكو ومعه ٤٠٠ الف مقاتل الى الشام ونزل بنفسه
على حران وتسلمها بالامان وكذلك الرها ولم يدن لاحد فيها بسوء او اهل سروج
فانهم اهلوا امر المغول فقتلوا عن آخرهم . وتقدم هولاًكو فنصب جسراً على
الفرات قريباً من مدينة ملطية وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسيا وعبرت
العساكر جملتها وقتلوا عنده منبج مقتلة عظيمة . ثم تفرقت العساكر على القلاع
والمدن . وسار بعض العسكر الى حلب فخرج اليهم الملك المعظم من بني ايوب
فالتقاهم وانهمز امام المغول ودخل المدينة منهزماً . وبعضهم وصل الى المعرة
وخربوها . وتسلموا حماة بالامان وكذلك حمص . فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ
اولاده ونساءه وجميع ما يوزع عليه وتوجه منهزماً الى بركة الكرك والشوبك . وعندما
وصل المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالامان ولم يلحق
باحد منهم اذى

اما هولاًكو فنزل بنفسه الى حلب وشدد عليها الحصار وملكها في ايام قلائل
ورمى المغول في اهلها السيف فقتلوا فيها اكثر مما قتلوا في بغداد . ثم سار هولاًكو
الى قلعة حارم وعطاب تسليمها فامتنع اهلها ان يسلموها لغير فخر الدين والي قلعة

حلب فاحضره هولاء وسلموها اليه ولكن ذلك اغضب هولاء فامر بهم فقتلوا
عن آخرهم . ثم عاد هولاء الى المشرق بعد ان استخلف على الشام قائده كتيبغا
وهذا جعل همه البحث عن الملك الناصر المنهزم في البراري حتى عرف موضعه
وسير عليه بعض العسكر فلزموه وسيروه الى هولاء . فاكرم هولاء مشواه ووعده
برد ملكه اليه ولكنه لما علم ان ملك مصر استضعف المغول بعد مفارقته اياهم
وعزم على جمع العساكر وقصدهم فغضب هولاء لذلك وتقدم بقتل الملك الناصر
وقتل اخيه الملك الظاهر وجميع من معهم وبقتلهم انقرضت الدولة الايوبية

ولما استولى التاتار على اغلب بلاد الشام وهاجمهم المسلمون في العالم اجمع اهتم
الملك المظفر قطز ملك مصر بامرهم وجند الجنود واعد المعدات وسار من مصر
بالعساكر الاسلامية لقتال التتر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة

ولما بلغ ذلك كتيبغا نائب هولاء على الشام جمع من في الشام من التتر
وسار الى لقاء المسلمين وتقارب الجيشان في الغور واقتنلا فانهم التتر هزيمة قبيحة
واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتيبغا وامر ابنه وفر من بقي الى رؤوس
الجبال وتبعهم المسلمون وافنؤهم وهرب من سلم منهم الى المشرق . ولم يحدث بعد
هذه الحادثة في ايام هولاء حادث يستحق الذكر

وفي سنة ٦٦٤ هـ توفي هولاء بن تولى وكان حكيماً حليماً ذا فهم ومعرفة
ينجب الحكماء والعلماء

ومما يجب ذكره انه كان في البلاد ايام هولاء حكيم عاقل اسمه نصير الدين
الطوسي صاحب الالهيات والفلسفة الشهيرة علم به هولاء خان فاكرمه ورفع مقامه
وكان يستشيريه في كل اموره حتى انه كان عازماً على اخضاع القسطنطينية فاشار
عليه نصير الدين بالتقدم على بغداد في اول الامر وانباء له بسقوط الدولة العباسية
فعمل هولاء برايه ونجح في الامر على ما تقدم واتخذ هولاء مدينته مراغة عاصمة
لملكه وفيها توفي

٤٧٧ - اباقا بن هولاكو

من سنة ٦٦٤ - ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٦٦ - ١٢٨٣ م

لما توفي هولاكو بن تولي تولى بعده ابنه اباقا وكان شجاعاً باسلاً وحكيماً هادلاً جعل همه اصلاح ما اختل في ايام والده والتعويض على الذين لحق بهم ضرر من عساكره فرتمت البلاد في ايامه في بحبوحة الامن ولم يكدرها غير هجوم بعض التتر وذلك ان تكدار بن موجي بن جقاتاي بن جنكزخان طمع في الاستيلاء على بلاد اباقا فاستنجد اباقا الروم وسار لقتاله والتقى الجمعان ببلاد الكرج فانهمز تكدار ولجاء الي جبل هناك حتى استامن الى اباقا فامنه

وكان الظاهر ملك مصر قد ارسل الى ملك الارمن بان يخطب له ببلاده ويقطع خطبته السلطان اباقا فلم يقبل ملك الارمن ذلك خوفاً من اباقا واستمد اباقا فامده بقائدين من قواده هما تدوان وتغوا

وسار الظاهر من مصر ووصل الى بلاد الروم وهناك التقى بملك الارمن ومعه التاتار فحصلت بين الفريقين معركة شديدة انهزم فيها ملك الارمن ومن معه من التاتار واستولى الظاهر على قيسارية

وعلم اباقا بانهمزام جيشه امام مصر بين فعضم عليه الامر جداً وسار بنفسه حتى وصل الرحبة ونازلها بنفسه مع بعض العساكر وبعث باقي الجيش بقيادة اخيه الاصغر مونكا تورفسار لقتال المصريين ومن عاضدهم من الشاميين . وكان هؤلاء قد استعدوا للقاء التاتار استعداداً تاماً والتقى العسكران بين حماة وحصص ودارت بينهما رحى حرب شديدة فانهمز التاتار هزيمة شديدة ولولا الادبار .

ولما علم اباقا بهزيمتهم اجفل عن الرحبة وتوجه نحو بغداد ومنها الى همدان وفي سنة ٦٨١ هـ توفي اباقا بن هولاكو قيل مسموماً . وكانت وفاته في يوم

٢٠ من ذي القعدة من السنة

٤٧٨ - السلطان احمد به هولاكو

من سنة ٦٨١ - ٦٨٣ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٢٨٤ م

ولما توفي اباقا كان ابنه ارغون غائباً بخراسان فبايع المغل لاختيه تكدار بن هولاكو فاسلم وتسمى احمد وارسل بذلك لملوك عصره واستنجدهم على قتال ارغون ابن اباقا الذي قام بخراسان طالباً ملك ابيه . ولما تم تجهيز العساكر ارسلهم السلطان احمد الى خراسان فلقبهم ارغون وكبسمهم وهزمهم واشحن فيهم ولما علم المغول بانتصار ارغون وكانوا حاقدين على السلطان احمد لاسلامه اتفقوا فيما بينهم على تولية السلطان ارغون بن اباقا وخلع احمد وفعلوا ذلك يوم الاربعاء ١١ جمادي الاولى سنة ٦٨٣ هـ

٤٧٩ - ارغون به اباقا

من سنة ٦٨٣ - ٦٩٠ هـ او من سنة ١٢٨٤ - ١٢٩١ م

ولما جلس ارغون على كرسي المملكة اتفق الاكثرون من الامراء المغول واكابرهم ان يقتلوا احمد فلم يوافق ارغون على قتله ولكنهم اقنعوه بوجود ذلك فقتله يوم الاربعاء ثاني جمادي الاخرى سنة ٦٨٣ هـ . ثم قبض ارغون على الوزير شمس الدين الجوني وكان متهماً بقتل ابيه فصادره وأخذ امواله ثم قتله وولى على وزارته سعد اليهودي الموصل ولقبه سعد الدولة . وولى ابنه قازان وخداً بندا على خراسان لنظر فيروز اتابكه

وكان ارغون قد عدل عن الاسلام واتبع الوثنية دين آبائه فكثرت في بلاطه سحرة الهند . فركب بعض هؤلاء السحرة لارغون دواء ليحفظ الصحة واستدامتها فلما تناوله اصابه صرع توفي به سنة ٦٩٠ هـ

٤٨٠ - كنجافناه به اباقا

من سنة ٦٩٠ - ٦٩٣ هـ او من سنة ١٢٩١ - ١٢٩٤ م

ولما توفي ارغون بن اباقا اجتمع المغول على عادتهم وانتخبوا اخاه كيخا خان ابن اباقا ملكاً عليهم . وكان في ايام اخيه حاكماً على بلاد اناطول فاسرع في الحال الى تبريز وهي يومئذ عاصمة السلطنة فرحب به المغول واطمأنت نفوسهم بقدمه ولكنه لم يلبث طويلاً حتى اساء السيرة وعكف على ارتكاب المحرمات جهاراً . فلما علم المغول انهم اخطاوا في انتخابه اجتمعوا سرّاً وبايعوا بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو وشعر بذلك كيخا خان ففر من معسكره الى جهة كرمان فاتبعوه وادركوه وقتلوه سنة ٦٩٣ هـ ثلاث سنين واشهر من ولايته

٤٨١ - بايدو خان به طرغاي بن هولاكو

من سنة ٦٩٣ - ٦٩٥ هـ او من سنة ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م

لما قتل امراء المغول كيخا خان بن اباقا بايعوا بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو وكان قازان بن ارغون والياً على خراسان من ايام ابيه كما تقدم فطمع في الاستيلاء على كرسي المملكة فسار ومعه الاتابك فيروز وقاتل بايدو خان وانتزع منه الملك فلحق بايدو خان بنواحي همدان فادرك هناك وقتل سنة ٦٩٥ هـ

٤٨٢ - قازان خان به ارغون

من سنة ٦٩٥ - ٧٠٤ هـ او من سنة ١٢٩٦ - ١٣٠٤ م

لما انهزم بايدو خان وقتل كما تقدم بايع المغول مكانه قازان خان بن ارغون فجعل اخاه خدا بندا والياً على خراسان واستوزر الاتابك فيروز . وقازان خان هذا اول من ابطال الاعتراف بسيادة خاقان التتر وعدل عن نقش اسمه على

السكة لانه كان يعتبره كافراً فادى ذلك الى هجوم التتر على خراسان ولكن تمكن قازان من ردهم وطردهم عن حدود بلادهم . ومع ان قازان كان قد اعتنق الاسلام وافضى ذلك الى اعتناق مائة الف جندي من جنوده دين سلطانهم الجديد . لكنه كان كثير البغض للملك المسلمين واكثر حروبه كانت معهم حتى ابغضه المسلمون والنصارى معاً . واهم سرور قازان كانت مع سلاطين مصر البابليين . ويبان ذلك ان بعض امراء المنول كان قد استوحش من قازان خان فلحق بمصر ونزل على الملك الناصر فاكرم وفادته واحسن اليه والى من معه فاختطف قازان خان لذلك جداً وسار سنة ٦٩٩ هـ في جموع عظيمة من التتر وعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ثم نزل على وادي يجمع المروج بين حصص وحماة . وسارت العساكر الاسلامية مصحبة الملك الناصر حتى وصلوا الى ظاهر حصص وساروا نحو مجمع المروج فالتقى العسكران عصر يوم الاربعاء ٢٧ ربيع الاول سنة ٦٩٩ هـ وبعد قتال شديد انهزم المسلمون وتأخر السلطان الى جهة حصص وهربت العساكر الاسلامية وتبعهم التاتار واستولوا على دمشق وساقوا في اثر الهاريين الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيئاً كثيراً وعصت قلعة دمشق على قازان فحاصرها وكان النائب بها الامير سيف الدين ارحواش المنصوري فقام في حفظها اتم قيام . واقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقية الى ان دعاه داع فعاد الى بلاده بعد ان استخلف قتلوه شاه في عساكر لحماية البلد وحصار القلعة ويحيى بن جلال الدين لجباية الاموال وقرر قبجق على نيابة دمشق وبكتمر على نيابة حلب وحصص وحماة

ولما علم الملك الناصر بمسير التتر عن الشام وان الموجودين فيه لا يكفون لحمايته جمع عساكره وارسلهم الى الشام بقيادة سلال نائب السلطنة ويبرس استاذ الدار

فلما تقدمت العساكر المصرية الى الشام استامن اليها قبجق وبكتمر النائبان بدمشق وحلب وراجعا طاعة السلطان فخام التتر الذين بدمشق عن لقاء المسلمين

فعمادوا الى العراق

ثم ارسل قازان الى الفرنج بفلسطين يستنجد بهم على قتال المسلمين فاجابوه الي طلبه وارسل هو جيشا من التاتار بقيادة كوتولوسا ليتقدم مع الفرنج ويهاجموا المسلمين وبعد ان اجتمعت الجنود من الفرنج واتحدت مع التاتار اصاب قازان مرض فاجل هذه الحملة وانصرف كل من مخالفه الى محله

وفي سنة ٧٠٣ هـ تجهز قازان لحملة ثالثة فجمع جيشا كبيرا وقيل ان يرتحل من العراق سطا علي بلاده اعداء يخافهم فاكره ان يعود على عقبه وابقى مع كوتولوسا ٤٠ الف رجل وامره ان يدخل سورية ويملك دمشق ويقهر المسلمين فدخل وقتل كثيرين واحرق البيوت والزرع وحاصر حصن املا ان يجد فيها العسكر المهجري كما كان في الحملة الاولى فملك هذه المدينة عنوة وقتل من وجد فيها من المسلمين ثم سار وحاصر دمشق فحول سكانها ماء النهر ليلا الى معسكر التتر فهلك كثير امن الرجال والحيل واثقال العسكر فانهم التز وعادوا الى الفرات فاحتلوا مشقة كبرى في عبوره من قبل اعدائهم . وبعد شق الانفس وصل الباقي منهم الي قازان خان وهم في حالة يرثى لها فمات اسفا علي حالتهم وكانت وفاته سنة ٧٠٤ هـ وقازان خاف هذا هو الذي بنى مدينة شنب قازان علي مقربة من تبريز واشتهر بقصر قامته وكثرة علومه ومعارفه

٤٨٣ - محمد بندا بن ارغون

من سنة ٧٠٤ - ٧١٦ هـ او من سنة ١٣٠٤ - ١٣١٦ م

لما توفي قازان خان بن ارغون ولي بعده اخوه خدابندا بن ارغون وحال جلوسه علي كرسي المملكة اشهر اسلامه وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين . ولم يحدث في ايامه حروب تذكر غير هجوم التتر علي خراسان وردم وقيام اهل كيلان علي عامله وعدم تمكن عساكره من كبح جماحهم . وخدا بندا هذا هو اول من جاهر

يميله الى الشيعيين وامر بتخليد اسم الأئمة الاثني عشر ونقش اسماءهم على سكتته .
وهو الذي بنى مدينة السلطانية بين قزوين وهمدان وجعلها عاصمة ملكه وجعل فيها
كل ما هو بهج للعبون وشهي للنظر تشبيهاً بالجنة . ثم اسماء السيرة والفحش في
التعرض لحرمات قومه فسمه بعض امرائه سنة ٧١٦ هـ

٤٨٤ - ابو سعيد بن خدأ بندا

من سنة ٧١٦ - ٧٣٦ هـ او من سنة ١٣١٦ - ١٣٣٥ م

لما توفي خدأ بندا بن ارغون تولى بعده ابنه ابو سعيد وكان صديقاً في الثالثة
عشرة من عمره فتولى الامر في مدة قصوره الامير جو بان . وطمع السلطان اوزبك
سلطان مملكة التتر الشمالية في الاستيلاء على ايران لصغر سنن ابي سعيد وارسل
عساكره الى خراسان بقيادة سيول فسار الامير جو بان اليهم بعساكر السلطان ابي
سعيد وهزمهم مراراً واجلاهم عن خراسان . ودامت هذه الفتنة الى سنة ٥٧٢٦
التي فيها انهزم جيش اوزبك هزيمة شنعاء واخلى خراسان
وبينما كان الامير جو بان عائداً من خراسان واعلام النصر تتحقق على راسه
اذبلنه الخبث ان السلطان ابا سعيد تقبض على ابنه نيمور طاش عامل دمشق فانتفض
على ابي سعيد ورفع راية العصيان . وزحف اليه ابو سعيد فافترق عنه اصحابه ولحق
بهرات فقتل بها في السنة المذكورة

وفي سنة ٧٣٦ هـ توفي ابو سعيد بن خدأ بندا وهو آخر من ملك من بني
هولاكو لانه مات عقيماً وافتقرت مملكة ايران بعده فكان العراق وعاصمته بغداد
من نصيب الشيخ حسن بن حسين بن بيكا بن ايلكان بن اباقا وهو ابن عمه
السلطان ابي سعيد

٤٨٥ - الشيخ حسن بن سعيده

من سنة ٧٣٦ - ٧٥٧ هـ او من سنة ١٢٣٥ - ١٣٥٦ م

لما توفي ابو سعيد بن خدا بندا وافتقرت المملكة الى طوائف من به استعمل
الشيخ حسن بن حسين بن بيقا بن ايلكان بن اباقا ابن عمه ابي سعيد المذكور
بملك العراق وجعل بغداد عاصمة لملكه
وكان حسن بن تيمور طاش بن جابان وزير السلطان ابي سعيد قد استولى
في اثناء هذه الفتن على بلاد الروم فطمع في الاستيلاء على ما بيد الشيخ حسن
الكبير صاحب بغداد وسار الى العراق ونزل على مدينة توريز واستولى عليها ولم
يتمكن الشيخ حسن الكبير من انتزاعها منه فلحق ببغداد واستقر ملكه بها الى ان
توفي سنة ٧٥٧ هـ

٤٨٦ - اويس بن الشيخ حسن

من سنة ٧٥٧ - ٧٧٦ هـ او من سنة ١٣٥٦ - ١٣٧٤ م

لما توفي الشيخ حسن بن حسين تولى بعده ابنه اويس وكان بتوريز الاشرف
ابن تيمور طاش فرحزاد اليه ملك الشمال جاني بك بن اوزبك سنة ٧٥٨ هـ
وملكها من يده ورجع الى خراسان بعد ان استخلف عليها ابنه بردبيك واعتقل في
طريقه فكتب اهل الدولة الى بردبيك يستحثونه للملك فاغذا السير اليهم وترك
بتوريز عاملها اخبجوخ فسار اليه اويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكها ثم ارجعها
منه اخبجوخ واقام بها فرحزاد اليه ابن المظفر صاحب اصفهان وملكها من يده
وقتلها وانتظم في ملكه عراق المعجم وتوريز وتستر وخوزستان
ثم سار اويس فانتزعها من يد ابن المظفر واستقرت في ملكه ورجع الى بغداد
واستفحل امره

وفي سنة ٧٧٦ هـ توفي اويس بن الشيخ حسن

٤٨٧ - حسين بن اويس

من سنة ٧٧٦ - ٧٨١ هـ او من سنة ١٣٧٤ - ١٣٧٩ م

توفي اويس بن الشيخ حسن عن خمسة بنين وهم حسن وحسين وابو زيد وعلي واحد ولم يوص بالملك بعده لاحد فتنزعوا السلطنة واشتغلت بينهم الفتن مدة طويلة ولكل منهم حزب يعضده حتى انتهت الامر بانتصار حزب حسين بتوريز فبايعوه الملك ولكنه لم يهنا طويلاً لأن اخاه اسماعيل خالفه واغضب منه توريز فلحق حسين ببغداد وكان اخوه علي نائبه بها فقتل عليه واستنجد به فاتحدوا معاً على قتال اسماعيل وتم لها النصر بقتل اسماعيل واسترجع حسين مدينة توريز بعد ان اخذت منه ومكث بها . واستعمل اخاه علياً على بغداد كما كان . ثم طعم علي في الاستقلال فارسل اليه حسين اخاه احمد فقتله واخذ بغداد منه . ولم يمض وقت طويل حتى انتفض احمد ببغداد ايضاً وعزم ليس فقط على الاستقلال ببغداد بل والاستيلاء على توريز ايضاً فنهض من بغداد في جيش عظيم وقصد توريز وكان حسين في ذلك الوقت قد اهل امر المملكة وانعكف على لذاته وشهواته الجسدانية ولم يحفل بمقاومة احمد . فسار احمد الى توريز وطرقها على حين غفلة من اهلها وملكها واختفى حسين اياماً ثم قبض عليه اخوه احمد وقتله وذلك سنة ٧٨١ هـ

٤٨٨ - احمد بن اويس

من سنة ٧٨١ - ٧٩٥ هـ او من سنة ١٣٧٩ - ١٣٩٣ م

لما قتل احمد اخاه حسيناً استولى على الملك بعده ثم ابتداءً يوسع دائرة ملكه فنجح كثيراً واستولى على ما كان قد ضاع مدة الفتنه حتى هابته جميع ملوك الاطراف الا انه

ظهر في ايامه الفاتح العظيم تيمورلنك المغولي وتغلب على بلاد خراسان ونقدم الى العراق واستولى على بغداد سنة ٧٩٥ هـ فهرب احمد بن اويس الى ملك مصر مستصرخاً به على طلب ملكه والانتقام من عدوه ولكن لم يتم له الله ما اراد وتمت السلطة لتيمورلنك

٤٨٩ - تيمورلنك

من سنة ٧٦٢ - ٨٠٧ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٤٠٥ م

ولد هذا القائد العظيم سنة ٧٣٧ هـ الموافقة سنة ١٣٣٦ م بمدينة القش (بلدة بالقرب من سمرقند) ويتصل نسبه بجنكزخان التتري من جهة النساء . ومعنى تيمور لنك اي تيمور الاعرج . خلف عمه سيف الدين في اماره كاش (يقال كاش وقش) سنة ٧٦٢ هـ

فلما نبأ كرمي الامارة الصغيرة حدثته نفسه بالغزو والفتح ولم ينجح كثيراً في بادىء امره لقوة اعدائه

وروي انه بينما كان فارساً من اعدائه يوماً وقد اختبأ في بعض الكهوف رأى نملة صغيرة تحاول جهدها في رفع ثقل كبير منها فجعل يتأملها والحمل يتدحرج وتعود النملة اليه وهي لا تكمل ولا تمل حتى سقطته ٦٩ مرة وهي لا تتثنى عن عزمها وفازت بايصال الحمل الى المحل المطلوب في المرة السبعين فتعلم تيمور من هذه النملة درساً جعله نهراً اعماله وخطة يتبعها وهو اشهر من انصف بهذه الصفة التي تلزم لكل عظيم

وابتداً تيمورلنك في غزواته بفتح الامارات التي حوله ففتح بلاد خوارزم وكاشغر وخراسان وجعل سمرقند عاصمة لملكه . ثم خضعت قندهار وكابل لهولته فصارت اواسط اسيا كلها من املاكه

وفي السنة التالية ضم مازندران وسبستان فعظم قدر هذا الرجل وصمى نفسه خاناً سنة ٧٧٢ هـ

ثم عزم على فتح باقي بلاد ايران ولم يلق عناء كثيراً في اخضاعها لكثرة الفتن التي اضعفت ولائها الا مدينة اصفهان فانها قاومت عساكر تيمور زماناً حتى التزم ان ينزل عليها بنفسه فطلب اهلها منه الامان فامنهم لكنه ضرب عليهم ضريبة فاحشة حتى اوقع اهلها كلهم في الفقر المدقع حتى عزم الاصفهانيون على مقاومة التترواخراجهم من المدينة

بكل وسيلة ممكنة وقام بعض المحرضين من اهل اصفهان ونادى بوجوب قتال التتر واجتمع حوله بعض او باش المدينة فهجموا على عسكر تيمورلنك وقتلوا منهم ٣٠٠٠ نفس في ليلة واحدة

فلما اصبح الصباح وعلم عقلاء اصفهان بما حدث من هؤلاء المنتشدين اسقط في يدهم وتيقنوا هلاك اهل المدينة اجمع لما يعلمونه من قساوة تيمورلنك . وكان خوفهم في محله لان تيمورلنك لما علم بما فعل الاصفهانيون بعسكره اسرع اليها في جيش كثيف وامر عسكره بحصار المدينة وارسل الى اهل اصفهان يعلمهم انه عزم على قتلهم جميعاً بلا استثناء فبالغوا في الترجي والترضي فلم يزد تيمورلنك الا عناداً . فلما تحقق الاصفهانيون منه هذا العزم دافعوا عن انفسهم وقتلوا التتر قتال من لا امل له في النجاة فلم تغرب شجاعتهم فنيلاً لان عساكر التتر افحمت المدينة واعملت فيها السيف بلا رحمة ولا شفقة فقتلوا اهل اصفهان عن بكرة ابيهم وجمعوا الرؤوس امام تيمور فزادت عن ٧٠ الفاً وفي سنة ٧٩٥ هـ تقدم تيمورلنك الى مدينة بغداد واستولى عليها وهرب سلطانها احمد بن اويس . ثم ارسل عساكره الى بلاد التتر فاخضعت جانباً كبيراً منها ووصلت الى حدود السور العظيم في بلاد الصين . وسار هو في باقي الجيش الى روسيا فنهب مدينة ازوف وهدمها وبعد ان ملك قسماً كبيراً من سيبيريا وروسيا تقدم الى مدينة موسكو وافتتحها بعد ان ذاق اهلها منه الامرين

ثم قصد الهند سنة ٨٠٠ هـ فاجتاز السند وحارب الملك محمد الرابع تحت اسوار مدينة دهلي وامتلك المدينة مع باقي الولايات التابعة لها بعد ان انزل بها الوبال وفي سنة ٨٠٣ هـ قصد تيمور سورية وبلغت اخباره الملك زين الدين فرج بن برقوق صاحب مصر فكتب الى نائب الشام وسائر النواب والحكام ان يتوجهوا الى حلب ويجهتدوا في دفعه . فتجهز نائب الشام سودون مع النواب والعساكر ورحلوا الى حلب . وبلغ تيمور الى عين تاب وارسل من هناك الى النواب بحلب مرسوماً بطاعته والخطبة باسمه فلم يردوا عليه جواباً . وقتل سودون نائب السلطنة بالشام رسول تيمور وحصلوا حلب ما استطاعوا . ورحل تيمور من عين تاب فوصل في اليوم السابع الى حلب وهناك التقى بعساكر المسلمين ودارت بين الفريقين رحى حرب ثشيب لهولها الولدان ولم يكن الا قليلاً حتى انهزم الحلبيون فاصدين المدينة فازدحموا في ابوابها وداس بعضهم بعضاً حتى قتل كثيرون منهم وثشت الباقون منهزمين شرهزيمة وبلغ بعضهم دمشق

وحاصرت عساكر تيمور حلب حتى استأمن أهلها اليه فأمّنهم وبعد ما فتحوا له ابواب المدينة فتك بأهلها احداً بشار رسوله وقبض على سودون واعتقله ثم قتله وبني برودوسهم قبة ونهب كل ما كان في المدينة والقلعة وكان تيناً كثيراً

ثم قصد تيمور دمشق بجيشه العرمرم فاجفل أهل دمشق وتشتتوا . وارسل تيمور ابنه مهران شاه وماردين شاه الى حماة فلقبها أهلها مرجين طائعين واخذوا الهدايا التي قدموها لها واقاموا عليهم نائباً من قبل ابيها وبعد ان رحلوا عن حماة وثب أهلها على النائب فقتلوه فرجع ابن تيمور الى حماة فقتلها ونهبها واحرقا كثير البيوت ونجدها تيمور بعشرين الف مقاتل فملكوا القلعة واهلكوا من كان فيها

ولما بلغ تيمور الى حمص خرج اليه رجل يسمى عمرو بن الرواس فاستجلب حاطره وقدم له تقدمة فاخرة فعفا عن أهل حمص ووهبها لخالد بن الوليد المدنون بها وولى عمراً المذكور عليها

ثم نزل تيمور على بعلبك فخرج أهلها وتضرعوا اليه فلم يلتفت الى مقالهم ولم يرت لتذللهم بل ارسل فيهم جوارح النهب والاستئصال . وورد الخبر الى الشام بخروج الملك الناصر بن برفوق من مصر وقدمه الى الشام فسكن جاش بعض الناس وزال استيحاظهم اما العقلاء فلم يثقوا بهذه الاخبار وعلموا ان لا قدرة للناصر على تيمور وبلغت عساكر السلطان الى دمشق وبلغ تيمور اليها بجيشه الجرار وحدث بين الفريقين مفاوضات ليست ذات بال . ثم وقع الخلاف بين عساكر السلطان فعاد فريق منهم الى مصر ودخل على السلطان احد خواصه وخوفه من بطش تيمور فآثر فيه الكلام وخرج ليلاً من القلعة وعاد الى مصر

ولما علم تيمور بهرب السلطان امر عساكره بحصار دمشق فحاصرها وماتها وقتل اعيانها وسبي نساءها واحرقها مع الجامع الاموي وكان فيه جم غفير من النساء والاطفال فهلك جميعهم واخرب المساجد والمدارس والمعابد ودك القلعة وارتكب جنوده بها الفظائع وقيل انه كان يأمر بجمع الاولاد ورميهم بالخنادق فتدوسهم الحيل والبقر وبلقون بعضهم في الابار ويرمونهم بالحجارة الضخمة . واسر كثيرين من اعيانها وعذبهم عذاباً مبرحاً . وبالجملة فانه لم يعد من الشام الا وجعله قائماً صفتاً

وكان احمد بن اويس صاحب بغداد مع سلطان مصر حين هجوم تيمور عليها فلما هرب سلطان مصر وكر راجعاً الى بلاده هرب احمد بن اويس المذكور الى اسيا

الصغرى ونزل على بايزيد السلطان الرابع من سلاطينا العثمانيين مستنجداً به على هؤلاء الوحوش الضارية . ولما علم تيمور بمكانه ارسل الى بايزيد يطلب احمد بن اويس المذكور فاجى السلطان تسليمه اليه فاغار تيمور بجيوشه الجرارة على اسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بارمينية واخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل اسيراً وقطع رأسه فجمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الاعرج فنقابل الجيشان في سهل انقره واستمر الحرب من قبل شروق الشمس الى بعد غروبها وظهر السلطان من الشجاعة ما خلده ذكرًا حميداً ولكن خائنه بعض جيوشه وانضمت الى جيوش تيمور خوفاً . فخارب السلطان بمن بقي معه الى ان وقع اسيراً في ابدي المغول هو وابنه موسى وذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ

وكان تيمور لنك معجباً بشجاعة السلطان بايزيد فلم يعامله كما سبق وعامل امراءه من قبله ولكنه اكرم مثواه . ولان بايزيد شرع في الهروب ثلاث مرات شدد تيمور المراقبة عليه حتى مات في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ

وبعد هذه الفتوحات تأمل الامير تيمور في بلدان الارض فرأى ان جملها خضع لهيبته ماعدا بلاد الصين فشاور اعوانه في اخضاع الصين والتتار الصينية وهي التي كان يحكمها خلفاء جنكزخان ووافقوه على رأيه فجمع جيشاً جراراً وسار لمحاربة تلك البلاد الضخمة ولكنه مرض في الطريق ومات بعد ان اوصى بالملك بعده الى حفيده بير محمد جهانكير وكان تيمور صاحب قران (كان يعرف بهذا الاسم كل حياته) من اشهر قواد الارض ومن اعظم الرجال في عاقر همته وصبره على الشدائد ولم يقم في الارض فاتح اعظم منه وكان تيمور مسلماً شيعياً يعصد الاسلام خلافاً لجنكزخان ولكنه كان فاسي القلب لدرجة لم ترو عن انسان قبله لانه لم يفعل فاتح باءائه مثلاً فعل تيمور في اصفهان ودهلي ودمشق وازمير وانقره وازوف وموسكو وغيرها

ومما يروى عن قسوته انه كان معه في اواخر غزوته في بلاد الهند مائة الف اسير من الهندو فلما قدم على دهلي يريد محاصرتها وامتلاكها رأى ان الاسرى يغالون ابدي العسكر ويتعبونهم فامر باعدامهم كلهم في الحال واطاع رجاله الامر فقتلوا مائة الف اسير في ذلك اليوم ولم ينج واحد منهم لان تيمور اعلن ان الذي يمكن اسيراً من الفرار يقتل هو وآله . وليس في التاريخ كله حكاية مجزرة وفسوة تحكي هذه الحكاية الهائلة وكانت وفاة تيمور لنك سنة ٨٠٧ هـ

٤٩٠ - بقية أخبار آل تيمور لنك

ولما توفي تيمور لنك تولى السلطنة بعده حفيده بير محمد حسب وصيته وكان في ذلك الوقت في قندهار وقام عليه لاول ولايته عمه خليل ميرزا بن تيمور واغرى القواد على مبايعته الملك ونجح لان بير محمد مات بدسيسة أحد وزرائه

وكان السلطان خليل من اصحاب اللين والركة ولولا انه اخطأ خطأ كبيراً لكان حكمه سعيداً ولكنه علق بحب فتاة فنانة وصرف همه الى رضاها وحظها فانفق عليها جل ما جمعه والده فقام عليه الامراء وعزلوه وولوا مكانه اخاه السلطان شاه رخ بن تيمور فسجن خليلاً في اول الامر ثم صفح عنه وجعله والياً على خراسان وارجع اليه حبيبته التي لقيت من الاهانة والعذاب مدة سجنه ما لا يوصف

ومات خليل في خراسان بعد عوده الى الامارة بزمان قصير . اما شاه رخ فلم يتمثل بابيه في الفتح والغزو سيما وان اباه ترك نصف الدنيا ملكاً له ولم يحارب الا بعض قبائل التركمان التي هاجمت بلاده . ثم جعل همه الاصلاح وتقرير الامن واستيفاء اسباب الرفاهية لبلاده وتوفي بعد ان حكم ٣٨ سنة رعت فيها البلاد في مجبوحة الامن بعد ما لاقوا من الاهوال في ايام ابيه

وخلفه في الملك ابن الغم بك العالم الرياضي الشهير واليه ينسب الزنج الغمكي الان ولكنه لم يهنأ بالسلطنة لان ابنه عبد اللطيف قام عليه لاول ولايته وقتله وجلس مكانه على ان الدهر انتقم من هذا الابن الغادر واماته عقيب استلامه ازمة الملك

ولم يقدّر بعد تيمور وابنه رجل يذكر فسادت الفوضى واستقلت الولايات واشهر من ولي الامر من آل تيمور بعد ذلك ابو سعيد ابن حفيد الفاتح العظيم .

وكان لابي سعيد هذا احد عشر ولداً اشهرهم بابر الشهير الذي وصل الهند فراراً من الاعداء وهناك فاز بتأليف سلطنة هندية لم يزل نسله يحكمها بالاسم الى هذا اليوم

وكثرت بها ابي سعيد الثورات والقلاقل في بلاد ايران فانتهت دولة تيمور وآله في مدة ابي سعيد وظلت في ايدي بعض الولاة لا تستقر على حال من القلق حتى صارت الى قبضت الدولة الصفوية وسياتي ذكرها فيما بعد ان شاء الله .
والملك لله وحده

٤٩١ - الدولة الخفصية بتونس

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع دولة الموحدين وتنسب الى الشيخ ابي حفص يحيى بن عمر والمذكور كان احد العشرة الذين قاموا بدعوة محمد ابن تومرت مهدي الموحدين وكان له الصوت الاعلى والامر التافذ في مدة خلافة عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف وبسطوته وشجاعته استتب لها الامر وقد تقدم كثير من اخباره في ذكر دولة الموحدين - (راجع فصل ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤)

ولما بلغ يوسف بن عبد المؤمن (فصل ٤٢٤) تكالب الاسبانين على الاندلس وغدروهم بمدينة بطليوس سنة ٥٦٤ هـ واعزم على الاجازة لحمايتها قدم عساكر الموحدين اليها لنظر الشيخ ابي حفص ونزل قرطبة وامر من كان بالاندلس من السادة ان يرجعوا الى رايه فاستنفذ بطليوس من هذا الحصار وكانت له في الجهاد هنالك مقامات مشهورة . ولما انصرف من قرطبة الى الحضرة سنة ٥٧١ هـ توفي بطريقه قرب سلا . وكان ابناؤه من بعده يتداولون الامارة بالاندلس والمغرب وافريقية مع السادة من بني عبد المؤمن وفي ايام الناصر لدين الله محمد بن يعقوب (فصل ٤٢٦) استولى ابن غانية على تونس وانزعها من الموحدين سنة ٦٠١ هـ واسر السيد ابا زيد عاملها فنهض

الناصر من المغرب كما ذكرناه واسترجعها من يد ابن غانية واصحابه وشردهم عن نواحيها وخيم على المهديّة يحاصرها وقد انزل ابن غانية ذخيرته وولده بها واجلب في جموعه خلال ذلك على قابس فسرح الناصر اليه الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص في عساكر الموحدين فهزمهم واستولى على معسكرهم وانفذ السيد ابا زيد من اسرهم ورجع الى الناصر بمعسكره من حصار المهديّة ظافراً فخافه اهل المهديّة وطلبوا الامان فامنهم وتم له الاستيلاء على افريقية

ورجع الناصر الى تونس فاقام بها حولاً كاملاً الى منتصف سنة ٦٠٣ هـ ثم اعزم على الرحلة الى المغرب ولكنه خاف من عود ابن غانية اليها بعد عوده عنها فاستحسن ان يستخلف فيها رجلاً يسد مسد الخلافة فيها ويقيم بها شؤون الملك فوقع اختياره على ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص وشافه الناصر بذلك فاعنذر فبعث اليه ابنه يوسف فاكرم موصله واجاب طلبه على شريطة الاحاق بالمغرب بعد استتاب الامن في افريقية فقبل الناصر شرطه ونودي في الناس بولايته

٤٩٣ - ابو محمد عبد الواحد به ابي حفص

من سنة ٦٠٣ - ٦١٨ هـ او من سنة ١٢٠٧ - ١٢٢١ م

ثم ارتحل الناصر الى المغرب وودعه ابو محمد الى بجاية ثم عاد الى تونس وجلس على كرسي الامارة في يوم السبت ١٠ شوال سنة ٦٠٣ هـ

ورجع ابن غانية الى نواحي طرابلس فجمع احزابه واتباعه واغار بهم على تلك النواحي فخرج اليهم ابو محمد سنة ٦٠٤ هـ فلقبهم بشير وبعد قتال شديد انهزم ابن غانية واتباعه وركب الموحدون اقفيتهم وافلت ابن غانية جريحاً الى اقصى مبرة ورجع ابو محمد الى تونس ظافراً وكاتب الناصر بالالحاق الى المغرب كشرطه فاعنذر له واستأنف النظر في ذلك وبعث اليه بالمال والخيل والكساء للانفاق والعطاء فاستمر ابو محمد على شأنه وترادفت الوقائع بينه وبين يحيى الميورقي المعروف بابن غانية

وانتصر ابو محمد على ابن غانية في جميع المعارك حتى انصرف ابن غانية مهيب الجناح مغلول الخد عفوفاً باليأس من جميع جهاته واستفحل امر ابي محمد بافريقية وحسم عامة الفساد واستوفى جبايتها

ثم توفي الناصر محمد بن يعقوب وولى بعده ابنه المستنصر يوسف واستبد عليه مشايخ الموحدين لصغر سنه واشتعلوا بفتنة بني مرين وظهورهم بالمغرب فلم يتدخل ابو محمد في هذه الفتن واستكنى بافريقية وعزم على الاستقلال بها والقيام بملكها الا انه رأى من باب الحكمة ان يبائع للمستنصر ويطلب منه تثبيتته على ما بيده كفاً لشده ففعل وارسل اليه المستنصر بالخلع وابقاه على تونس واعمالها ولم يزل بها الى ان توفي سنة ٦١٨ هـ

٦١٨ هـ - عبد الرحمن بن عبد الواحد

من سنة ٦١٨ - ٦١٨ هـ او من سنة ١٢٢١ - ١٢٢١ م

لما توفي ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص اجتمع رؤساء الموحدين وبايعوا ابنه عبد الرحمن واقعدوه بمجلس ابيه في الامارة . فسكن الثائرة وشمر للقيام بالامر عزائمه وافاض العطاء واجاز الشعراء وخرج في عساكره لتهدئة النواحي وحماية الجوانب فقمع الثوار وهدد الامور ثم وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة اشهر من ولايته وتقدم عمه السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن

٦١٨ هـ - السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن

من سنة ٦١٨ - ٦٢٠ هـ او من سنة ١٢٢١ - ١٢٢٣ م

ولما عزل المستنصر عبد الرحمن استعمل مكانه عمه ادريس وفي ايامه عاد ابن غانية بعد ان جمع جموعاً كثيرة واغار على بلاد افريقية فوالى السيد ادريس

الزحف اليه حتى شرده عن بلاده . ثم توفي السيد ادريس سنة ٦٢٠ هـ وهو
الذي بنى البرجين على باب المهدية

٤٩٥ - ابو زيد بن السيد ادريس

من سنة ٦٢٠ - ٦٢٢ هـ او من سنة ١٢٢٣ - ١٢٢٥ م

لما توفي السيد ابو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن استولى على
افريقية بعده ابنه ابو زيد بن ادريس وساءت مدينته في الناس واقام على ذلك
الى دولة العادل عبدالله بن المنصور صاحب مراكش فمزله سنة ٦٢٢ هـ وولى
مكانه عبدالله بن عبد الواحد بن ابي حفص

٤٩٦ - عبد الله بن عبد الواحد بن ابي حفص

من سنة ٦٢٢ - ٦٢٥ هـ او من سنة ١٢٢٥ - ١٢٢٨ م

فسار عبد الله الى تونس وتسلم امارتها وعادت مملكة تونس الى الملوك
الحفصيين بعد ان انتزعت من ايديهم مدة اربع سنين تقريباً اعني مدة اماره
السيد ادريس وابنه

ولما وصل عبدالله الى تونس وجد ابن غانية قد استنحل امره فقاتله وشرده
عن بلاده ثم خالف عليه اخوه ابو ذكر يا وكاتب عسكر عبدالله بمبايعته ووعدهم على
ذلك وعود اجالية فاجابوه ووعدوه بذلك سرّاً . فلما تحقق صدقهم اظهر عصيانهم
على اخيه عبدالله فسار اليه عبدالله لمحاربتهم فخالفه العساكر واستقدموا اخاه فجاءهم
واستلم قيادتهم واتي الى تونس سنة ٦٢٥ هـ

٤٩٧ - ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد

من سنة ٦٢٥ - ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٢٨ - ١٢٤٩ م

دخل ابو زكريا تونس سنة ٦٢٥ هـ وفي هذا الوقت كان قد ضعف امر الموحدين من بني عبد المؤمن براكش وظهر بنو مرين ونازعوهم السلطة في المغرب الأقصى وبنو زيان نازعوهم السلطة في الجزائر فانتهز ابو زكريا الفرصة واعلم استقلاله سنة ٦٢٦ هـ وقطع الخطبة لبني عبد المؤمن وخطب لنفسه . ولم يلق معارضا فبدأ عمل الا ان ابن غانية كان لا يزال يجمع الجوع ويدخل بهم افريقية ويفسد فيها فطارده ابو زكريا حتى ظفر به وقتله سنة ٦٣١ هـ . ثم قمع الثوار من قبائل البربر الهوارة وتمت له السلطة على تونس . واستولى على الجزائر وتلمسان واطاعته سجلماسة وسبتة وطنجة ومكناسة فقام امره وعظم شأنه حتى ان بني مرين الذين استولوا على مراکش بعد بني عبد المؤمن خطبوا له في اول امرهم واطاعه ابن مردنيش الثائر بالاندلس وخطب له على البلاد التي تحت سلطته واثم الوفود من الاندلس بطالب نجده ووثق فردريك الثاني معه علائق الوداد وصالحه لعشر سنوات وابو زكريا يحيى هذا هو الذي بني جامع القصبة واذن بنفسه في ايلة تمامه وشاد غيره من المساجد والمدارس وانشاء داراً للكتب جمع فيها ٣٦ الف مجلد من انفس المجلدات . وبالجملة فانه هو الذي اسس اركان الدولة الحفصية في تونس وتوفي سنة ٦٤٧ هـ

٤٩٨ - محمد المستنصر بالله بن يحيى

من سنة ٦٤٧ - ٦٧٥ هـ او من سنة ١٢٤٩ - ١٢٧٧ م

لما توفي ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص اجتمع الموحدون وبايعوا ابنه ابا عبد الله محمداً ولقبوه المستنصر بالله . فاقتدى بآبيه في توسيع سلطته

ونجح كثيراً حتى ذاع صيته في الافاق وارسل له اهل مكة في السنة العاشرة من حكمه ببيعتهم فاحتفل بالاحتفال في يوم مشهود لقب فيه بامير المؤمنين وهو اول من ضرب العقود النحاسية بقرينة تسهلاً للمعاملة ولم تكن النقود تضرب الا من الفضة والذهب وقام عليه لاول ولايته ابن عمه محمد اللحياني طامعاً في الاستيلاء على المملكة فجمع المستنصر المساكر وقاتل ابن عمه وانتصر عليه وقتله وقتل عمه اللحياني ايضاً (اسم اللحياني محمد ونما كان يعرف باللحياني اطول لحية) . ثم سكنت الفتنة وهذات الثائرة وعطب السلطان على الجند والاولياء وافاض فيهم العطاء واستقامت الامور . ثم عكف السلطان على اظهار عظمة دولته فبنى البنايات الفخيمة وشاد القصور الشاهقة واشهر ما وقع في ايام هذا السلطان العظيم من الحوادث غزوة لويس ملك فرنسا لتونس . وبيان ذلك ان شارل دالنجوشقيق هذا الملك وصاحب جزيرة صقلية اغراه على غزو تونس لتكون تابعة له فلم يتردد الملك في اجابة طلبه اذ سير اسطولاً الى سواحل تونس فلما وصل الى قرطاجنة انزل عساكره وتحصنوا باطلال القلعة البزنطية وحصلت بينهم وبين الجنود التونسية معارك انتصر فيها الفرنسيون فارسل الخليفة الى الملك لويس التاسع المذكور بطاب الصالح فاشترط عليه اعتناق الديانة المسيحية وقبل ان اجابه الى هذا الطلب ان يترك البلاد

وكان الطاعون الجارف متفشياً في تونس فمات به لويس التاسع المذكور ولم ترتحل الجنود الفرنسية بعد موت ملكهم من تونس الا بعد ان صالحهم الخليفة المستنصر بدفع ما غرموه في حركتهم هذه وهو ٢١٠٠٠ قطعة من الذهب

وفي سنة ٦٦٩ هـ رفع اهل الجزائر راية العصيان على الخليفة المستنصر لانهم لما راوا تقلص الدولة على زنانه حدثوا انفسهم بالاستبداد والقيام على امرهم وخلع ربة الطاعة من اعناقهم فجاهروا بالثورة وسرح اليهم الخليفة المساكر واوعز الى صاحب القفر وهو ابو هلال عياد بن سعيد الهنتاتي فقدم اليها في عساكر الموحدين سنة ٦٧١ هـ ونازلها مدة سنة كاملة . وامتنعت عليه فاقلع عنها ورجع الى بجاية وتوفي بعسكره ببني ورا سنة ٦٧٣ هـ

ثم صرف الخليفة همه الى منازلهم سنة ٦٧٤ هـ وسرح اليهم العساكر في البر والبحر الى ان نازلتها واحاطت بها من كل جانب . واشتد حصارها ثم افتتحها عنوة واشتغل في اهلها القتل وانتهب المنازل وافتضح الكرائم في ابيكارهن وقبض على مشايخ البلد ونقلهم الى تونس واعتقلهم بالقصبة فكشوا بها الى ان اعادهم الواصل بعد وفاة المستنصر

وفي سنة ٦٧٥ هـ توفي محمد المستنصر بالله وهو اعظم سلاطين (او خلفاء كما يلقبون انفسهم) الحفصيين بلا مرء وبلغت المدنية والمعارف في ايامه شأوا بعيداً

٤٩٩ - الواصل بالله محمد بن المستنصر

من سنة ٦٧٥ - ٦٧٨ هـ او من سنة ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م

لما توفي الخليفة (او السلطان) المستنصر اجتمع الموحدون وبايعوا ابنه محمد ليلة وفاة ابيه وفي غدها ولقبوه بالواصل بالله وافتتح امره برفع المطالم والافراج عن المساجين وافاضة العطاء في الجند واصلاح المساجد وامتدحه الشعراء فاسنى جوائزهم الا انه لم يهنأ بالملك طويلاً لقيام عمه السلطان ابي اسحق ابراهيم عليه وبيان ذلك كما يأتي -

كان المستنصر قد عقد على بجاية سنة ٦٦٠ هـ لابي هلال عياد بن سعيد الهنتاتي فاقام والياً عليها الى ان توفي سنة ٦٧٣ هـ بمسكده ببني ورا كما قدمنا وعقد عليها لابنه محمد من بعده فلما توفي المستنصر وولى ابنه الواصل بادر محمد بن ابي هلال الى الانقياد اطاعته وبعث وفداً من بجاية بدميته . ولكن قتل ابو حسن (وزير الواصل) القائم بالدولة اخاه ادريس ولاية الاشغال ببجاية فاساء السيرة في اهلها وافني الاموال وتحكم في المشيخة وانف محمد بن ابي هلال من استبداده عليه ودخل بعض بطالته في قتله فعدوا عليه لاول ذي القعدة سنة ٦٧٧ هـ بمدة من

باب السلطان فقتلوه ورموا براسه في قارعة الطريق . ووافق ذلك حلول السلطان ابي اسحق بتلمسان قادماً من الاندلس . وكان عند بلوغ الخبر اليه يهلك اخيه المستنصر اجمع امره على الاجازة لطلب حقه وبعد ما تردد برهة عزم وعاد الى تلمسان ونزل على يغمراسن بن زيان فاكرم وفادته . ولما علم اهل بجاية بقدوم السلطان ابي اسحق وكانوا خاشين بوادر السلطان بالحضرة خاطبوا السلطان ابا اسحق واتوه ببيعتهم وبعثوا وفدهم يسئحونه للملك فاجابهم ودخل بجاية آخر ذي القعدة سنة ٦٧٧ هـ المذكورة فبايعة الموحدون والمملاء من اهل بجاية وقام بامرهم محمد بن ابي هلال ثم زحف في عساكره الى قسنطينة فنازلها . ولما بلغ الخبر الى الواثق ووزيره المستبد عليه بدخول السلطان ابي اسحق بجاية شبع العساكر الى حربه بقيادة عمه ابي حفص فخرج من تونس وتقدم الى قسنطينة فرحل السلطان ابو اسحق عنها

ثم وقع الاختلاف في معسكر الواثق بين عمه ابي حفص واحد وكبراء القواد وعلم بذلك الوزير فحث الواثق على قتلهما منعاً لاضطراب المعسكر فعلم ابو حفص والقائد بما كان من نصيحة الوزير للواثق ضدهما فتفاوضا واتفقا على الدعاء للسلطان ابي اسحق وبعثوا اليه بذلك . واتصل الخبر بالواثق وهو يتونس وعسكره بعيد عنه فاستيقن ذهاب ملكه واشهد الملاء والنخاع عن الامر لعمه السلطان ابي اسحق غرة ربيع الاول سنة ٦٧٨ هـ

٥٠٠ - ابو اسحق ابراهيم بن محمد

من سنة ٦٧٨ - ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٧٩ - ١٢٨٣ م

لما بلغ السلطان ابا اسحق كتاب اخيه الامير ابي حفص والقائد الآخر من بجاية اسرع بالذهاب اليهم ثم وافاه خبر انخلاع الواثق ابن اخيه بتونس فارتحلوا جميعاً اليها واتقاه اهل تونس على سائر طبقاتهم واتوا طاعتهم ودخل الحضرة

منتصف الحجة سنة ٦٧٨ هـ

ولما استتب الامر للسلطان ابي اسحق واسنوثق عرى خلافته قبض على محمد ابن ابي هلال وقتله لما كان يتوقع منه من المكروه في الدولة وما عرف به من المساعي في الفتنة

اما الواثق المخلوع فانه لما انخاع عن الامر تحول الى دار الاقوري فأقام بها اياماً وكان له ثلاثة من الولد اصغر الفضل والطاهر والطيب فكانوا معه . ثم غي عنه السلطان ابي اسحق انه يروم الثورة وانه داخل في ذلك بعض رساء النصارى من الجند فارسل اليه وقبض عليه وبنه واعنقهم بالقصة ثم بعث اليهم ليلتهم فذبحوا جميعاً في صفر سنة ٦٧٩ هـ . وكان للسلطان ابي اسحق من الابناء خمسة ابو فارس عبد العزيز وكان اكبرهم وابو محمد عبد الواحد وابو زكريا يحيى وخالد وعمر . وكان السلطان المستنصر قد حبسهم واجرى عليهم رزقاً فنشوا في ظل كفالته وجميعهم رزقه الي ان استولى ابوهم السلطان ابو اسحق على الملك فظلموا بافاقه وطالت فروعههم في دوحه واشتملوا على العز وخصوصاً كبيرهم ابو فارس لما كان مرشحاً من ولاية العهد وكان له وزير يدعى احمد بن ابي بكر بن سيد الناس رأى منه السلطان ابو اسحق ما اوجب قتله فقتله وبلغ الخبر الى الامير ابي فارس فركب الى ابيه في ملابس الحزن فعزاه ابوه عن ذلك و بالغ في تأنيسه ومسح الضغينة عن صدره وارضاء خاطرهم عقد له على بجاية واعمالها وانفذ اليها اميراً مستقلاً وانفذ معه في رسم الجباية محمد بن أبي بكر بن الحسن بن خلدون (وهو جد فيلسوف المؤرخين ابن خلدون) فخرج اليها سنة ٦٧٩ هـ وقام بامرها

وكان السلطان ابو اسحق يؤثر ابنائه بمراتب ملكيه ويوليهم خطط سلطانه شغفاً بهم وترشيحاً لهم فعقد في رجب سنة ٦٨١ هـ لابنه الامير ابي زكريا على عسكر الموحدين وبهته الى قفصة للاشراف على جهاتها وضم جبايتها فخرج اليهم وقضى شأنه من حركته وعاد الى تونس في رمضان من سنته . ثم عقد لابنه الآخر أبي محمد عبد الواحد على عسكره وانفذ الى وطن هواره لانقضاء مفارهم وجباية

ضرائبهم وفرائضهم فانتهى الى القيروان وبلغه شأن الدعي وظهوره في ذباب بنواحي طرابلس فطير بالخبر الى ابيه السلطان واقبل على شأنه ثم انتشر أمر الدعي فانكفاء راجعاً الى تونس

أما ما كان من أمر الدعي وظهوره في أيام هذا السلطان فإنه كان شخصاً يدعى أحمد بن مرزوق أبا عمارة من بجاية وكان محترفاً للعيادة وكان يحدث نفسه بالملك فادعى أنه من آل البيت وأنه الفاطمي المنتظر ولحق بصحراء سجلماسة واذاع دعوته هذه بين عرب الممقل فلم يسمع أحد نداه فلما رأى كساد بضاعته بينهم سار عنهم الى جهات طرابلس ونزل على ذباب والتقى هناك بالفتى نصير مولى المستنصر فأغراه هذا بأنه كثير الشبه بالفضل بن المستنصر وأنه اذا ادعى ذلك ساعده على أمره فادعى أحمد أبو عمارة أنه الفضل بن المستنصر ووافقه نصير المذكور فصدقه أهل تلك النواحي وبايعوه الخلافة عليهم وكثر جمعه فنازل طرابلس واستولى عليها واتتهبيعة البربر ثم زحف الى قابس سنة ٦٨١ هـ فبايع له عاملها عبد الملك بن مكى ثم زحف الى توزرو بلاد قسطلية فطاعوه ثم رجع الى قفصة فبايع له أهلها وعظم أمره وعلا صيته

ولما تفاقم أمر الدعي بنواحي طرابلس ودخل الكثير من أهل الامصار في دعوته جهز السلطان عساكره وعقد لابنه الأمير أبي زكريا على حربته . فخرج من تونس ونازل القيروان ثم ارتحل الى لقاء الدعي وانتهى الى غردة وبلغه هناك ما كان من استيلاء الدعي على قفصة فأرجف به العسكر وانفضوا من حوله ورجع الى تونس فدخلها آخر يوم رمضان سنة ٦٨١ هـ وارتحل الدعي على أثره من قفصة ونزل القيروان فبايع له أهلها واقتدى بهم أهل المهدية وصفاقس فبايعوا له وكثر الارجاج بتونس فاضطرب السلطان واخرج معسكره بظاهر البلد وارتحل الدعي من القيروان زاحماً اليه فلما قرب من تونس لحق به معظم جيش السلطان أبي اسحق . فخاف السلطان على نفسه وفر الى بجاية . ودخل الدعي تونس وبايعه أهلها

اما السلطان ابواسحق فانه لما فر الى بجاية وصلها في شهر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ المذكورة فانتفى عليه ابنه الامير ابو فارس ومنعه من الدخول الى قصره فنزل بروض الربيع واراده على الخلع فانخلع له واشهد الملاء من الموحدين ومشيجة بجاية بذلك

١٥٠ - ابو فارس عبد العزيز بن ابراهيم

من سنة ٦٨١ - ٦٨٢ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٢٨٣ م

ولما خلع ابواسحق ابراهيم نفسه عن الامر دعا ابنه ابو فارس عبد العزيز الناس الى بيعته آخر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ فبايعوه واقتبوه المعتمد على الله . تم اجتهد في جمع الاحزاب اليه ليتمكن من مقاومة الدعي الذي اغتصب الملك من ابيه فجمع كل ما قدر على جمعه وخرج من بجاية زاحفاً الى الدعي وخرج معه اخوته جميعهم وعنه ابو حفص

ولما بلغ الدعي بتونس خبر استبداد ابي فارس على ابيه واستعدادة للقاءه قبض على من عنده من اهل البيت الحفصي واعتقلهم وخرج من تونس بجموعه في صفر سنة ٦٨٢ هـ وتراءى الجمعان ثالث ربيع الاول من السنة فاقبلوا عامة يومهم ثم اختل مصاف الامير ابي فارس وتخاذل انصاره فقتل هو في المعركة وانتهب معسكره . وقبض الدعي على اخوته وقتلهم صبراً ولم ينج منهم احد الا الامير ابا زكريا فانه نجا ولحق بلمسان . وكذلك نجا الامير ابو حفص بن يحيى عم ابي فارس ولحق بقلعة سنان القريبة من مكان الملحمة

ولما استتب الامر للدعي بعد هذا الانتصار أساء السيرة في الرعية الى درجة لا تحتمل حتى تطلبت الرعية اعياص البيت الحفصي وتسامعوا بخبر الامير ابي حفص بمكانه من قلعة سنان فساروا اليه واتوه ببيعتهم في ربيع سنة ٦٨٣ هـ وجمعوا له شيئاً من الآلة والاخبية وبلغ الخبر الى الدعي فدخلته انظة في اهل

دولته وتقبض على بعض رؤسائهم وقتلهم فزاد كره الناس له

٥٠٢ - ابو حفص بن يحيى

من سنة ٦٨٣ - ٦٩٤ هـ او من سنة ١٢٨٤ - ١٢٩٥ م

لما ظهر السلطان ابو حفص وبايه الناس سمع به اهل الحضرة واجتمع اليه الناس وكثر اتباعه . وازداد الدعي ايقاعاً بالناس فمقتوه وخرج من تونس يريد قتال ابي حفص فنار عليه عسكره ورجع منهزماً ودخلت البلاد في طاعة السلطان ابي حفص ونهض الى تونس ونزل بسحوم فريباً منها . وعسكر الدعي بمن بقي معه بظاهر البلد مقابله وطالت بينهما الحرب اياماً وعسكر الدعي كل يوم في نقص مستمر لخافته عسكره عليه ولحقهم بأبي اسحق فلما رأى قلة من معه فر هارباً ودخل السلطان ابو حفص تونس في ربيع الاخر سنة ٦٨٣ هـ واستولى على سرير الملك واعاد بيعته ثانياً فبايحه الخاصة والعامة وتلقب المستنصر بالله وبعد ايام قلائل من دخوله تونس عثر بمضهم بالدعي في مخفاه واحضره للسلطان فعد له مجيماً وبخه فيه توبيخاً شديداً وساله عن صحة نسيه فاعترف بادعائه في نسبهم فامر بقتله فقتل وطيف براسه في حضرة تونس

واستبد السلطان ابو حفص بملكه وبادر الناس الى الدخول في طاعنه وبعث اهل القاصية بيعتهم من طرابلس وتلمسان وما بينهما ثم كان ما ذكره . قد تقدم معنا خبر نجاة الامير ابي زكريا من الوقعة التي قتل فيها السلطان ابو فارس واخوته ولحقه بتلمسان فنزل هناك على صهره عثمان بن يغمراسن وجاء في اثره ابو الحسن ابن ابي بكر بن سيد الناس صنيعة اخيه ابي فارس واستحثه لطلب ملكه واستقرض من تجار بجاية مالا انفق في اقامة ابنة الملك له وجمع الرجال واصطنع الاحزاب وفشا الخبر بما يرومه من ذلك فصدده عثمان بن يغمراسن عنه بما كان قد تقلد من طاعة السلطان ابي حفص . ولكن طعم الامير ابو زكريا في اظهار دعوته وخرج

من ثلمسان مظهرًا للصيد فلحق ببجاية ومعه ابو الحسن بن ابي بكر بن سيد الناس
وهناك اظهر دعوته جهارًا فبايعه اهلها ثم سار الى ضواحي قسنطينة فدخل العرب
في طاعته ثم نازل البلد واملكه

وبعث اليه اهل الجزائر بطاعتهم فاستولى على هذه الثغور القريبة وتلقب
المنتخب لاحياء دين الله واغفل ذكر امير المؤمنين ادبًا مع عمه الخليفة بالحضرة
وانقسمت الدولة الى دولتين تحت تصرف سلطانيين مستقلين فاستقر ابو حفص
بتونس وابو زكريا ببجاية

وحاول السلطان ابو زكريا الاستيلاء على تونس فسار سنة ٦٨٥ هـ ونازل
قابس فامتعت عليه وشدد حصارها وقاتل اهلها قتالًا شديدًا فكتب السلطان
ابو حفص الى الامير عثمان بن يغمراسن بثللمسان يامره بمنازلة بجاية ليرتد ابو زكريا
عن قصده فزحف الى بجاية سنة ٦٨٦ هـ ونازلها فلما علم السلطان ابو زكريا بذلك
رجع الى بجاية مسرعًا فرحل عنها عثمان بن يغمراسن واستقر كل من
السلطانيين بملكه

وفي سنة ٦٩٤ هـ توفي السلطان ابو حفص عمر بن يحيى وكان له ولد صغير
فعهد بالملك من بعده الى محمد بن الواثق المعروف بابي عصيد

٣٠٥ - ابو عصيد محمد بن الواثق المستنصر

من سنة ٦٩٤ - ٧٠٩ هـ او من سنة ١٢٩٥ - ١٣٠٩ م

لما توفي السلطان ابو حفص اجتمع الموحدون واهل الدولة وبايعوا لولي عهده
السلطان ابي عبد الله محمد ويلقب كما ذكرناه بابي عصيد ابن السلطان الواثق بالله
ابن المستنصر في يوم ٢٤ ذى الحجة سنة ٦٩٤ هـ وتلقب المستنصر بالله وانتدح
امره بقتل عبد الله ابن السلطان ابي حفص خوفاً منه لثلا ينازعه الملك

ولما استوثق الملك لأبي عصيدة حدث نفسه بغزو الناحية الغربية وارتجاع الثغورها من يد السلطان أبي زكريا . وكان أهل الجزائر قد انتقضوا على السلطان أبي زكريا واستفحل أمر عثمان بن يغمراسن وبني عبد الواد من ورائه وتغلبوا على توجين ومغراوة وبلكين . فتويعت عزائم السلطان أبي عصيدة لذلك ونهض من الحضرة سنة ٦٩٥ هـ وتجاوز حدود عمله إلى أعمال قسنطينة واجفلت أمامه الرعايا وانتهى إلى ميلة ومنها رجع إلى حضرته في رمضان من سنته

ولما نازل السلطان أبو عصيدة بلاد أبي زكريا راسل هذا عثمان بن يغمراسن بتلمسان يستنجد به وكد معه قديم الصهر بجادث الود والمواصلة وفي خلال ذلك زحف يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين إلى تلمسان فاستجاش عثمان بن يغمراسن بالسلطان أبي زكريا فأمده بعسكر من الموحدين لقيهم عسكر من بني مرين فهزمهم وثمانوا فيهم قتلاً ورجع فلمهم إلى بجاية

وسرح يوسف بن يعقوب عساكر بني مرين إلى بجاية فأنهوا إليها وضايقوها ثم جاوزوها إلى تكرارت وبلاد سدة ونكش وعاثوا في تلك الجهات ودوخوها وانقلبوا راجعين إلى السلطان يوسف بن يعقوب بمعسكره من تلمسان وكان السلطان أبو عصيدة من المشجعين ليوسف بن يعقوب على قصد بجاية لسابق العداء

وفي سنة ٧٠٠ هـ توفي السلطان أبو زكريا صاحب الثغور الغربية وكان على غاية من الحزم واليقظ والصرامة لم يبلغها سواه وكان كثير الإشراف على وطنه والمباشرة لأعماله بنفسه وسد خله . وتولى بعده ابنه الأمير أبو البقاء خالد بن أبي زكريا

وكان أبو البقاء عاقلاً حازماً فرأى عظم الجسائر التي نتجت من خصام أبيه مع سلطان الحضرة أبي حفص أولاً ثم أبي عصيدة من بعده فرأى أنه من الحكمة وسديد الرأي حقن الدماء فراسل السلطان أبا عصيدة في الصلح على أن من هلك منها قبل صاحبه فالامر من بعده للآخر فقبل أبو عصيدة ذلك وتقرر بينهما

الصلح على هذه الشروط
وفي سنة ٧٠٩ هـ توفي السلطان ابو عصيد في شهر ربيع الآخر وكان عقيماً
لم يخلف ولداً

٥٠٤ - ابو بكر الشيرازي بن عبد الرحمن

سنة ٧٠٩ هـ او سنة ١٣٠٩ م

توفي ابو عصيد بلا عقب كما تقدم وكان الواجب مبايعة ابي البقاء خالد بن
ابي زكريا صاحب الثغور الغربية كنص الاتفاق السابق ذكره ولكن قام ابو بكر
ابن عبد الرحمن الحفصي الذي كان ربي في بيت ابي عصيد ونشأ في نعمته
فحدث نفسه بالاستيلاء بعده على تونس وفسخ ما كان من الاتفاق بين ابي
عصيد وابي البقاء وداخل في ذلك بعض كبار الدولة فاجابوه الى ما طلب
وبايعوه بتونس

ولما بلغ السلطان ابا البقاء بمكانه من بجاية واعمالها الخبر بمرض السلطان
ابي عصيد عزم على المسير الى تونس خوفاً من انتفاض اهل الحضرة اذا مات
ابو عصيد فلما وصل الى قصر جابر ورد الخبر بمهلك السلطان ابي عصيد وبيعة
الموحدين بعده لابي بكر فاستشاط غضباً واسرع بالسير الى تونس . وخرج ابو
بكر في جموعه للقائه وبعد قتال شديد انهزم ابو بكر ومن معه . وفر ابو بكر هارباً
فوجده احد اتباع ابي البقاء فاسره واتى به الى السلطان ابي البقاء فقتله . وكان
قتله لسبع عشرة ليلة من بيعته ولذلك سمي الشهيد

٥٠٥ - ابو البقاء خالدهم ابي زكريا

من سنة ٧٠٩ - ٧١١ هـ او من سنة ١٣٠٩ - ١٣١١ م

لما قتل ابو بكر الشهيد بن عبيد الرحمن دخل ابو البقاء خالد بن ابي زكريا تونس واستقل بالخلافة وتلقب الناصر لدين الله . وعقد لاختيه ابي بكر بن ابي زكريا على قسنطينة واستحجب له الحاجب ابن عمر فداخل ابن عمر ابا بكر في الانتقاض على اخيه ابي البقاء وبدت مخاض ذلك عليهم فارتاب لهم السلطان ابو البقاء وجهز عسكرياً وعقد عليه اظافر مولاة وسرحه الى قسنطينة فانتهى الى باجة واناخ بها . وعلم ابن عمر بذلك فدعا الامير ابا بكر اليه واخذ له البيعة على الناس فتمت سنة ٧١١ هـ وتلقب بالمنوكل وعسكر ظاهر قسنطينة الى ان بلغه مجاهرة ابن مخلوف بخلافهم فكان ما سنفذ كره ان شاء الله

كان يعقوب بن مخلوف ويكنى ابا عبد الرحمن كبير صنهجة من جند السلطان ابي البقاء المواطنين بناحية بجاية وكان له مكان في الدولة وغناء في حروبهم ودفاع عدوم فلما دعى السلطان ابو بكر لنفسه وخلع طاعة اخيه باغراء ابن عمر خاطبوه باخذ البيعة له على من يليه ببجاية واعمالها فبى منها وتمسك بدعوة صاحبه وجاهر بخلافهم وجمع واحشد واعلن بالدعوة للسلطان ابي البقاء

ولما علم ابو بكر بمجاهرة ابن مخلوف بخلافهم ارتحل من معسكره بظاهر قسنطينة واغذا السير الى بجاية ونزل مطلقاً عليه فراسله ابن مخلوف في الصلح واشترط عليه ان يخلع ابن عمر فامتنع ابو بكر من اجابة طلبه وقبض على رسوله واعنقله . فهجم ابن مخلوف في من معه من صنهجة على معسكر ابي بكر فانزيم عسكر ابي بكر واجفل هو الى قسنطينة في قل من عسكره وبث ابن مخلوف عسكرياً في اتباعه فوصلوا الى ميلة فدخلوها عنوة ثم وصلوا الى قسنطينة وقتلوها اياماً ثم رجعوا الى بجاية

واقام السلطان ابو بكر ببجاية واضطرب امره وتوقع زحف ظافر اليه من باجة

وفي هذه الاثناء كان ابو يحيى زكريا بن احمد اللخمي قد قفل من المشرق ولما انتهى الى طرابلس وعلم ما باقرية من الاضطراب دعا لنفسه فبيع وتوافت اليه العرب من كل جهة . فرأى السلطان ابو بكر صاحب بجاية من مذاهب الحزم ان يبعث اليه بالحاجب ابن عمر ليشيد من سلطانه ويستغل به اهل الحضرة عنه . فظهر ابن عمر الفرار عن السلطان ابي بكر ولحق بابن اللخمي واستخذه ملك تونس وهون عليه امرها

اما ما كان من السلطان ابي بكر بعد مفارقة ابن عمر له فانه كبس منازل وسطا بجاشيته وولى حجابته حسن بن ابراهيم رئيس اهل الجبل فاشيع بالجهات ان السلطان تنكر لابن عمر وسخطه وانه ذهب الى ابن اللخمي واستجاشه على الحضرة . وبلغ ذلك ابن مخلوف فاستيقن اضطراب حال ابي البقاء خالد بتونس وذهاب ملكه فطعم في حجابة السلطان ابي بكر . وكان السلطان ابو بكر قد خرج من قسنطينة قاصداً بجاية فسار ابن مخلوف لملاقاته ليس محارباً بل معاهداً فلقى السلطان ببرجوة من بلاد سدونكش فترحب السلطان به واظهر السرور بقدمه فلما كان الليل استدعاه السلطان الى شرب مع مواليه فما قرهم الخمر الى ان ثمل واستغضبوه ببعض النزعات فغضب وافزع فتناولوه طعنات بالخناجر الى ان قتلوه وتقبض السلطان على سائر اتباعه وحاشيته واسرع الى بجاية فدخلها وغفر بهسا واستولى عليها فربا ملكه وعلا صيته

واستولى السلطان ابو بكر على سائر المملكة التي كانت تحت ايلة ابيه بالجهة المعروفة بالناحية الغربية واقام بانتظار صاحبه ابن عمر

ولما بويح السلطان ابو بكر بقسنطينة اضطربت الاحوال على السلطان ابي البقاء خالد بتونس وجهاز العساكر لمنازلة قسنطينة وعقد عليها لمولاه ظافر المعروف بالكبير فمسكر بباجة وراح ينتظر امر السلطان . وكان ابو يحيى زكريا بن احمد اللخمي قد عظم امره بطرابلس وخصوصاً بعد لحاق ابن عمر به . مظاهراً له على شأنه فاحكم ذلك من عقدته وشد من امره وتوافت اليه رجالات العرب فاغذا

بهم السير الى الحضرة

فلما علم ابو البقاء بقدمهم لا تنزاع ملكه بعث الى مولاه ظافر بمكانه من
باجة مستجيشاً به فاعترضوه قبل وصوله ووقعوا به ثم نازلوا تونس ثامن جمادي
سنة ٧١١ هـ . فلما رأى ابو البقاء خالد عدم مقدرة عن مدافعتهم اشهد على نفسه
بالانخلاع عن الامر وحل البيعة

٥٠٦ - ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني

من سنة ٧١١ - ٧١٧ هـ او من سنة ١٣١١ - ١٣١٧ م

لما خلع ابو البقاء خالد بن ابي زكريا نفسه جاء السلطان ابو يحيى زكريا بن
الليثاني بلا تاخر فبيع البيعة العامة بظاهر تونس ثم دخل البلد واستولى عليه
ولما استقر بتونس واستوثق له الامر اعاد الحاجب ابن عمر الى مرسله السلطان
ابي بكر . فسار الى بجاية ولحق بصاحبه واستبد عليه كما كان

وفي هذه الاثناء كان ابو حو موسى بن عثمان بن يغمراسن الزياني
صاحب تلمسان قد اعز بارتجاعه امصارهم من يد بني مرين بعد مهلك يوسف بن
يعقوب المريني فلما استتب له الامر طمع في الاستيلاء على بجاية فصرح المساكر
اليها سنة ٧١٣ هـ لنظر ابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن وابن عمه مسعود بن
ابي عامر ابراهيم ومولاه مسامح فاغذوا السير الى بجاية ونازلوا البلد ثم جاوزوه
الى الجهات الشرقية فلم يظفروا بشيء ونالت منهم الحامية في المدافعة اعظم النيل
فقتلوا راجعين

وكان السلطان ابو يحيى بن احمد اللحياني قد طعن في السن وكان بصيراً
بالسياسة مجرباً للامور وكان يرى من نفسه المعجز عن الخلافة واستحقاقها خصوصاً
لاستعمال امر السلطان ابي زكريا صاحب بجاية واعمالها بانضمام اعياص زناتة
وخول شولهم معه وكان يخاف زحفه اليه بتونس وكانت افريقية مضطربة عليه

فاجتمع على التوصل عن افريقية ونفض عن الخلافة فجمع ما لديه من الاموال
والذخائر وباع ما بمودعاتهم من النفائس وخرج من تونس سنة ٧١٧ هـ وانتهى
الى قابس واقام بها

٥٠٧ - ابو ضربة محمد بن ابي يحيى زكريا

من سنة ٧١٧ - ٧١٨ هـ او من سنة ١٣١٧ - ١٣١٨ م

لما قوي امر السلطان ابي بكر صاحب بجاية واطاعته جميع الجهات الغربية
طمع في الاستيلاء على تونس فخرج من قسنطينة في جمادى سنة ٧١٧ هـ قاصداً
تونس . وكان السلطان ابن الاحمدي قد خرج عنها الى قابس كما قدمناه واستخلف
عليها ابا الحسن بن وانودين فبعث اليه هذا بنهوض السلطان ابي بكر الى تونس وانه
محتاج الى المدافعة وطلب اليه الرجوع الى تونس فابى ابن الاحمدي اجابة طلبه مقتنعاً
بما قسم له واخذ من الاموال فركب ابو الحسن بن وانودين في من معه من اهل
دولته وأتوا به محمداً ويكنى ابا ضربة فاطلقوه . من اعتقاله وبأيعوه . ثم اتاهم الخبر
باشراف السلطان ابي بكر الى باجة فخرجوا جميعاً من تونس لقتاله فلما قربوا منه
خام السلطان ابو بكر عن لقاءهم ورجع الى قسنطينة . ودخل ابو ضربة والموحدون
الى تونس منتصف شعبان من سنته وبوسع بالخضرة البيعة العامة وتلقب المنتصر
ولما رجع السلطان ابو بكر الى قسنطينة ابتداءً يجهز جيشاً كثيفاً لمعاودة
الزحف الى تونس فلما اكمل جيشه خرج من قسنطينة في صفر سنة ٧١٨ هـ واغذا
السير الى تونس والتقاء ابو ضربة في جموعه وبعد قتال شديد انهزم اصحاب ابي ضربة
وهرب هو من المعركة وتم استيلاء ابي بكر على تونس

ولما علم السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد الاحمدي بمكانه من قابس بهزيمة ابنه
وهربه واستيلاء ابي بكر على تونس خرج من قابس واتى طرابلس واستولى عليها
واستفحل امره هناك ففتح البلاد ودوخ الماقل حتى انتهى الى برقة وبعد ان استولى
عليها رجع الى طرابلس كرسي مملكته الجديدة . اما ابو ضربة فانه لما هرب من
المعركة لحق بجبهات طرابلس حيث احزاب ابيه وترأس قيادة بعضهم وزحف بهم
الى القيروان وبلغ خبره الى السلطان ابي بكر فخرج من تونس اخر شعبان سنة ٧١٨ هـ

فاجفلوا عن القيروان وانفضت جموعهم وارتحلوا منهرمين والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذة ولجاء أبو ضربة في فله إلى المهديّة وكانوا مقيمين على دعوة أبيه فامتنع فيها إلى أن كان من شأنه ما سئد كره أن شاء الله تعالى • وبلغ خبره إلى أبيه بمكانه من طرابلس فاضطربت أحواله وركب البحر إلى الإسكندرية فنزل بها على السلطان محمد ابن قلاوون من سلاطين المماليك الترك بمصر والشام فآكرم وقادته واستمر بمصر إلى أن توفي سنة ٧٢٨ هـ

٥٠٨ -- أبو بكر بهه إلى نكريا

من سنة ٧١٨ - ٧٤٧ هـ أو من سنة ١٣١٨ - ١٣٤٦ م

لما انتصر السلطان أبو بكر على أبي ضربة واحزابه كما تقدم دخل تونس في شوال سنة ٧١٨ هـ واستولى عليها واستقامت إفريقية في طاعته وانتظمت أمصارها ونغورها في دعوته

وكان السلطان أبو بكر لما خرج من قسنطينة فاصداً تونس استخلف على بجاية الحاجب ابن عمر فلما استولى على تونس ثبته عليها فبقي ابن عمر عاملاً على بجاية وأعمالها فاستبد بعمله ولم يكن للسلطان بجاية وأعمالها سوى الخطبة واستمر الحال كذلك إلى أن توفي ابن عمر في شوال سنة ٧١٩ هـ وقام ابن عمه علي بن عمر بامر بجاية من بعده

واتصل الخبر بالسلطان فاهمه أمر الثغر وأرسل حاجبه محمد بن سيد الناس ليستولي على خزائن ابن عمر ويحفظها حتى يعين السلطان من يقوم بامر بجاية • فسار ابن سيد الناس إلى بجاية واستصفي أموال ابن عمر واستولى عليها وعاد إلى الحضرة مصطحباً معه علي بن عمر فأولاه السلطان من رضاء ما أحب أمله وأقام بالحضرة إلى أن كان منه خلاف مع ابن أبي عمران كما ستراه

وكان بنو عبد الواد قد اشتد ظهروهم في هذه الاوقات حتى هاجموا بجاية مراراً وحاصروها • فلما توفي ابن عمر أتم السلطان شأنها فعقد على قسنطينة لابنه الأمير أبي عبد الله وعقد على بجاية لابنه الآخر الأمير أبي زكريا وجعل حجابته لابي عبد الله بن القالون مستبداً عليها لمكان صغرها واكثف له الجند وأمره بالمعام بيجاية للممانعة من العدو

وكان لابن قالون مكان عظيم في الدولة فلما سار الى بجاية خلا الجو بتونس لمعارضيه وحساده الكثيرين فوشوا به الى السلطان وخوفوه منه فسمع وشايتهم فيه واستقدمه من بجاية واستحجب على بجاية ابن سيد الناس وعلى قسنطينة مولاه ظافراً الكبير . فكان ذلك سبباً لعصيان ابن قالون على السلطان وانضمامه الى اعدائه كما ستراه ان شاء الله مما سبب له متاعب حمة خصوصاً لظهور محمد بن ابي عمران الذي كان من خبره انه كان من اعقاب ابي عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ ابي حفص وكان السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد اللخمي قد زوجه ابنته واستخلفه على تونس عند خروجه عنها ثم استخلفه على طرابلس عند ركوبه السفينة الى الاسكندرية

وكان ابو ضربة بعد انهزامة واقتراق جموعه قد اعتصم بالمهدية ونازله بها السلطان ابو بكر فامتعت عليه واقلع عنها على سلم عقده لابي ضربة

وكان شخص يقال له حمزة بن عمر غالفاً على السلطان ابي بكر يتقلب في نواحي افرقية حتى عظم صيته ونزع اليه الكثير من الاعراب وكثرت جموعه فاستقدم محمد بن ابي عمران من مكان ولايته بطرابلس وزحف الى تونس فخرج السلطان ابو بكر عن تونس سنة ٧٢١ هـ ولحق بقسنطينة . وكان ابن قالون متربصاً بالسلطان لسماعه الوشاية فيه كما مر فلما خرج السلطان امام زحفهم تخلف ابن قالون بتونس وركب من الغد في البلد منادياً بدعوة ابن ابي عمران . ودخل ابن ابي عمران ثانية خروج السلطان واستولى على الحضرة واقام بها بقية سنته وصدرت من الاخرى . اما السلطان ابو بكر فلما لحق بقسنطينة جمع عساكره واحتشد جموعه وزحف منها في صفر سنة ٧٢٢ هـ قاصداً الحضرة . وخرج ابن ابي عمران مع حمزة بن عمر في جموع ولقيهم السلطان وبعد قتال شديد انتصر السلطان انتصاراً مبيناً واخذ فيهم قتلاً واسراً ودخل الحضرة في جمادي من سنته وجدد البيعة على الناس

ولما انهزم حمزة بن عمر ومحمد بن ابي عمران راي حمزة ان ابن ابي عمران غير كفوء للقيام بهذا الامر فصرفه الى مكان عمله بطرابلس وبعث الي ابي ضربة ابن السلطان اللخمي بكانه من المهدية فدخله في الاستنجاد بزنانة والوفود على سلطان بني عبد الواد فرحل معه ابو ضربة ووفدا على ابي تاشفين صاحب تلسان ورغباه في الظفر ببجاية فسرح معهما السلطان آلافاً من العسكر عقد عليها لموسى بن علي الكردي فارتحلوا من تلسان يجدون السير . وبلغ السلطان ابا بكر خبرهم فبرز للقائهم من تونس في عساكره

حتى انتهى الى رغيص بين تونة وقسنطينة وهناك التقى الجيشان واقتتلا قتالاً شديداً فانهمزم ابو ضربة وحمزة ومن معها من اصحاب ابي تاشفين وعادوا بالخبيبة الى تلمسان ورجع السلطان ابو بكر الى الحضرة واسنقر بها

ولما انهمزم ابو ضربة بن اللحياني وحمزة بن عمر وعساكر بني عبد الواد لحق ابو ضربة بتلمسان فتوفي بها وفد حمزة بن عمر على ابن تاشفين صريحاً ومعه ابن قالون فجهز ابو تاشفين جيشاً بقيادة موسى بن علي الكردي ونصب لهم الملك تونس من نسل ابي حفص ابراهيم بن الشهيد منهم فزحفوا الى افريقية وخرج السلطان ابو بكر من تونس لمداومتهم في ذي القعدة سنة ٧٢٤ هـ ولما انتهى الى قسنطينة عاجلوه قبل استكمال التعبية فنزل بإساحتها واقام موسى بن علي على محاصرتها بعساكر بني عبد الواد وتقدم ابراهيم بن الشهيد ومعه حمزة بن عمر الى تونس فدخلها في رجب سنة ٧٢٥ هـ واستمكن منها ولكن لم تطل مدة استيلائه عليها لثورة اصحاب السلطان ابي بكر بتونس عليه فدافعهم قليلاً

وكان موسى بن علي ومن معه من العساكر لما تخلف عن ابن الشهيد لحصار قسنطينة اقام عليها اباناً ثم اقلع عنها بعد خمسة عشر يوماً من منازلاته ورجع الى صاحبه بتلمسان . وخرج السلطان من قسنطينة وجمع عساكره ونهض الى تونس فاجفل منها ابن الشهيد وابن القاون ودخلها السلطان في شوال سنة ٧٢٥ هـ واستولى على دار ملكه واقام بها مدافعاً اعداءه الكثيرين بقدر ما في امكانه

وكان ابو تاشفين الزباني صاحب تلمسان طامعاً في الاستيلاء على بجاية وضمها الى املاكه ولذلك كان يساعد النازعين على السلطان كما تقدم ليضعف قوته ليتم له ما يريد ثم افكر ان يتخذ لعساكره حصناً يلجئون اليه وقت الازوم قريباً من بجاية فامر في سنة ٧٢٨ هـ موسى بن علي الكردي فائده جيشه بسرعة بناء هذا الحصن فاخطط موسى مدينة بسكالات على مرحلة منها وعلى قارعة الطريق الشارع من الغرب الى الشرق فاخطط تلك المدينة وقسمها مسافات على جيشه فاستتمت لاربعين يوماً وسماها تيرز دكت واسكنها عسكره فاهم السلطان ابو بكر موقعها لقربها من بلاده واوعز الى عماله بقسنطينة وبجاية بمنازلتها ففعلوا وانهمزموا عليها ولم يظفروا منها بطائل

وكان للسلطان ابي بكر اخ يقال له ابو فارس له تشوق الى نيل الرتبة وتربص بالدولة مع انه كان في ظل ظليل من النعمة وحظ كبير من المساهمة فاغراه عبد الرحمن

ابن عثمان المربني الذي كان نازلاً تونس في ذلك الوقت بالخروج والثورة وخرجاً من يومها في ربيع سنة ٧٢٧ هـ ومرا ببعض احياء العرب فاعترضها امير الحلي وعرض عليهما النزول فاما عبد الحق فابى وذهب لوجهه الى ان لحق بتلمسان واما الامير ابو فارس فاجاب ونزل وطيروا بالخبر الى السلطان فشرح لوقته احد قواده في طائفة من العسكر فاسرعوا اليه وامسكوه في الحلي وقتلوه وجاءوا بجثته الى الحضرة فدفن بها . اما عبد الحق بن عثمان فنزل على ابي تاشفين بتلمسان واغراه بشدويخ المالك الحفصية والاستيلاء عليها . ووفد على اثره حمزة بن عمر صريحاً على عادتهم فاجاب ابو تاشفين صريحهم ونصب لهم محمد بن ابي عمران الحفصي سلطاناً عليهم وامدهم بالعساكر . ثم زانة بقيادة يحيى بن موسى من بطانته فنهضوا جميعاً الى تونس سنة ٧٢٩ هـ وزحف السلطان ابو بكر للقائهم وتراءى الجمعان بالرياس من نواحي هواره آخر سنة ٧٢٩ هـ فدارت الحرب واختل مصاف السلطان وهربت جموعه وانجصر هو ولكنه تمكن من الفرار بعد شق الانفس

وتقدم محمد بن ابي عمران بعد الواقعة الى تونس فدخلها في صفر سنة ٧٣٠ هـ واستبد عليه يحيى بن موسى قائد بني عبد الواد وحجبه عن التصرف في شيء من امره ثم عاد يحيى بن موسى الى سلطانه . اما السلطان ابو بكر فانه لما خلس من المعركة لحق ببونة ومنها ركب البحر الى بجاية ومنها سار الى قسنطينة وهناك جمع عساكر وازاح عله وخرج من قسنطينة الى تونس بعد خروج يحيى بن موسى منها فاجفل ابن ابي عمران عنها ودخل اليها السلطان ابو بكر في رجب من سنه

وذاق السلطان ذرعاً من بني عبد الواد لدوام اتحادهم مع اعدائه وتحقق انه لا يثبت ملكه الا اذا اضعفهم . ويعمد اعمال الفكرة رأى انه من الموافق مراسلة السلطان ابي سعيد سلطان بني مرين بمراكش لذلك الوقت والاتحاد معه على محاربة بني عبد الواد واقتسام املاتهم . فوافد اليه ابنه ابا زكريا فذهب الى مراكش واتحد معه وبعد ان وصلا هذا الاتحاد بالصهر لتتمكن عرى الصداقة اتفقا على مهاجمة بني عبد الواد في موعد ضريوه لذلك وبعد قليل من هذا الاتفاق توفي السلطان ابو سعيد المربني وتولى ابنه ابو الحسن فجدد المعاهدة مع السلطان ابي بكر وانتهم يتربق الفرس للهجوم على تلمسان . ثم حدث ان فراد بن مرين المطالبين بكرسي المملكة والتجأ الى ابي تاشفين بتلمسان فارسل ابو الحسن اليه في طلبه فلم يشأ تسليمه فساق

السلطان ابو الحسن عساكره من المغرب الى تلمسان وارسل الى السلطان ابي بكر ليقوم من تونس بعساكره كاتفاقهما فجهز عساكره وخرج من تونس ونازل تغور بني عبد الواد القريبة من بجاية ثم حاصر حصن تيمرز دكت وافتلحه عنوة ودكه الى الارض واستولى على ما حوله من الحصون والبلاد . اما السلطان ابو الحسن المريني فنزل على تلمسان ولم يكن الا قليلا حتى انهزم بنو عبد الواد واستولى على المدينة وقطع منها دابر آل زيان وهكذا انقسمت دولة بني عبد الواد فاستولى السلطان ابو الحسن على الجهات الغربية المجاورة لبلاداه والسلطان ابو بكر على الجهات الشرقية منها المجاورة لبلاداه ايضا ثم عاد كل منهما الى حضرته بعد ان استخلفا العمال على املاكهما الجديدة

ولما انتهى الحال على ما ذكرنا من اقتسام ملك بني عبد الواد استراح السلطان ابو بكر من هذه القلاقل التي اتعبته سنين عديدة ووجه همه الى اصلاح داخلية بلاداه التي كادت تخرب لتوالي الفتن فاعاد العساكر الى بلادها ونشط الزراعة والصناعة والعلوم بقدر ما في امكانه فعاد الى البلاد رونقها في مدة قريبة واستمر الحال على ذلك وتونس غرة في جبين الدهر الى ان توفي السلطان ابو بكر سنة ٧٤٧ هـ وهو من مشاهير سلاطين هذه الدولة الحفصية . وكانت وفاته ليلة الاربعاء ٣ رجب من السنة

٥٠٩ - ابو حفص به ابي بكر

من سنة ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ او من سنة ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م

لما توفي السلطان ابو بكر بن ابي زكريا كان ابنه الامير ابو حفص عمر معه بتونس فبادر من داره الى القصر وضبط ابوابه واستدعى الحاجب ابا محمد بن نافرا كين من داره . ودعوا المشيخة من الموحدين واهل الدولة . واخذ الحاجب ابو محمد بن نافرا كين عليهم البيعة للامير ابي حفص فبايعه الجميع البيعة المعتادة وانصرفوا

وكان الامير ابو العباس بن السلطان ابي بكر وولي عهده عاملاً لا يهيه على الجربد فلما بلغه خبر وفاة ابيه وما كان من بيعة اخيه حقد على اهل الحضرة ما جاؤا به من نقض عهده ودعي العرب الى مظاهرة امره فاجابوه ونزعوا جميعاً الى طاعته فزحف بهم الى الحضرة ولقيه اخوه ابو فارس صاحب سوسة بالقيروان فاثاء طاعته وصار في جملته

وجمع السلطان ابو حفص جموعه وارتحل عن تونس غرة شعبان وحاجبه محمد بن تافراكين قد اندر منه بالهلكة واعتمل في اسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس في بعض الشغل وركب الليل تاجياً الى المغرب . وبلغ خبر مغره الى السلطان فانجفل واختل مصافه ودخل ابو العباس تونس واقام بدار الامارة سبعة ايام وفي اليوم الثامن اقتحم عليه الامير ابو حفص البلد وفتك باخيه الامير ابي العباس ونصب رأسه على القناة . واستتب الامر لابني حفص

وكان السلطان ابو الحسن المريني صاحب المغرب بين الاوسط والاقصى يتربص الفرص مذ استولى على تلمسان ليلك افريقية فانتهاز فرصة هذه الفتن الواقعة بين الاخوة وعزم على ارسال عساكره اليها

وفي هذه الاثناء وصل اليه ابو محمد بن تافراكين الحاجب فقوي عزمه علي ما يريد فجيز العساكر وخرج بقودهم سنة ٧٤٨ هـ واخذ السير الى بجاية واستولى عليها وقبض على من فيها من بني حفص وشردهم الى المغرب وهكذا فعل عند وصوله قسنطينة . ثم قصد الجيزة فمير عنها السلطان ابو حفص وعلم السلطان ابو الحسن بفراره فارسل اليه من يلحقه فلحقوه وقتلوه واتوا برأسه الى ابي الحسن

واستولى ابو الحسن المريني علي تونس واستتب له ملك افريقية وسرح جميع آل حفص الى المغرب الاقصى ولم يبق منهم الا الفضل ابن السلطان ابي بكر صاحب بونة الملقب بأبي العباس لانه صهره فأبقاء على عمله

وكان للعرب في دولة آل حفص نفوذ عظيم ودالة كبرى على الدولة فلما استولى ابو الحسن على افريقية لم يراع حقهم وضرب على ايديهم بعضا من حديد فانفت نفوسهم هذه المعاملة وعزموا على العصيان وبخثوا على واحد من آل حفص يولونه زعامتهم فلم يتجدوا . وكان بتوزر احمد بن ابي عثمان بن ابي دبوس آخر خلفاء بني عبد المؤمن برا كاش فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبيوه للامر وتبايعوا على الاستماتة ثم زحفوا الى القبريوان فالتقاهم السلطان ابو الحسن في جموعه وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو الحسن واختل مصافه ودخل القبريوان وانتهبوا معسكره بما اشتمل عليه واخذوا مخنقه الى ان اجنلوا فافرجوا عنه وخاض الى تونس ثم لحق برا كاش فكان ماندكره من استيلاء الفضل ابي العباس على البلاد



٥١٠ - أبو العباس الفضل بن أبي بكر

من سنة ٧٤٩ - ٧٥١ هـ أو من سنة ١٣٤٨ - ١٣٥٠ م

لما رحل أبو الحسن المريني إلى مراكش كما تقدم ثار أهل قسنطينة على عماله وأخرجوهم من البلد وأرسلوا إلى الفضل بن أبي العباس بن أبي بكر بمكانه من بونة وأسندوه اليهم فحضر عندهم وبأيعوه الخلافة واستناب له الأمر وأعاد ما ذهب من سلطان قومه وشمل الناس بعدله وإحسانه وأنس من أهل بجاية ميلاً إلى الدعوة الحفصية فسار إليها فلما قرب منها ثار أهلها على عمال السلطان أبي الحسن المريني واستباحوهم. ودخل الفضل إلى بجاية واستولى على كرسي ملكها ونظمها مع قسنطينة وبونة في ملكه وأعاد القاب الخلافة وشتاتها كما كانت واعتزم على قصد الحضرة وبعد أن جمع عساكره سار إليها سنة ٧٥٠ هـ وبها أبو الفضل ابن السلطان أبي الحسن المريني كان أبوه قد عقد له عليها عند رحيله إلى المغرب فلما اطلت رايات السلطان الفضل على تونس نبضت عروق التشيع للدعوة الحفصية وأحاط رعا ع تونس بقصر الإمارة ورجعوا بالحجارة فتحايل أبو الفضل بن أبي الحسن المريني في الخروج منه ولحق بالمغرب. ودخل الفضل إلى الحضرة وقعد بمجلس آبائه من الخلافة وجدد ما طمسته بنو مرين من معالم الدولة إلى أن كان ما نذكره أن شاء الله تعالى

لما دخل أبو العباس الفضل إلى الحضرة واستبد بملكها عقد على حجابته لأحمد ابن محمد بن عتو وعلى جيشه وحربه لمحمد بن الشواش وكان مولاه أبو الليل قتيبة ابن حمزة مستبداً عليه في منائر أحواله وأنف بطائنه من ذلك فحملوه على التنكر له فخلعه وفوض أمر المملكة لأحمد بن محمد بن عتو وكان مولاهم الكبير أبو محمد بن تافراكين حاجباً في تلك السنة فلما رجع بعد أداء فريضة الحج اتحد مع بني حمزة على الإيقاع بالسلطان فاجتمعوا وحلفوا أن لا يغير أحد منهم عن قصده ثم ساروا إلى السلطان وطلبوا منه أن يخلع أحمد بن محمد بن عتو عن حجابته ويوليها ويعقد

بها لابي محمد بن تافراكين صاحب ابيه وكبير دولتهم فابى السلطان اجابة طلبهم
فهاجوا عليه وثاروا به وامسكوه واعتقلوه في بعض دورهم . وعمد ابو محمد بن
تافراكين الى دار المولى ابي اسحق ابراهيم بن السلطان ابي بكر فاستخرجه وجاء به
الى القصر واقامه على كرسي الخلافة وبايع له الناس وهو يومئذ غلام لم يناهز
الحلم فانهقدت بيعته وسبق اليه اخوه الفضل فامر بقتله فقتل

٥١١ - ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر

من سنة ٧٥١ - ٧٧٠ هـ او من سنة ١٣٥٠ - ١٣٦٩ م

اما استولى ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر على كرسي الخلافة بتونس وكان
صغيراً كما تقدم تولى حجابته ابو محمد بن تافراكين كبير دولتهم واستبد بامور
المملكة ولم يكن لابن اسحق معه الا مجرد الاسم فتقم عليه امراء الحفصية بمكان
عمالهم واستولى كل منهم على ما بيده وخصوصاً الامير ابو زيد بن ابي عبد الله
بن ابي بكر صاحب قسنطينة وحاول مراراً ان ينازل تونس ويستولي عليها فلم
ينجح لحسن دفاع عمال السلطان ابي اسحق عنها وفي آخر مرة من هذه المرات استخاف
على قسنطينة اخاه ابا العباس وسار الى تونس ونازلها فامتعت عليه ورجع فوجد
اخاه قد استبد بامر قسنطينة فعدل الى بونة ومن هناك راسل ابا محمد بن تافراكين
في سكنى الحضرة والنزول لهم عن بونة فاجابه ونزل عنها الامير ابو زيد اعمه
السلطان ابي اسحق وتحول الى تونس فانزلوه على الرحب والسعة

وكان بنو مرين من يوم خروج تونس من تحت نيرهم واستيلاء الحفصيين
عليها مرة اخرى عازمين على معارضة الرجوع اليها ولكن حصلت في الدولة دواع
أوجبت التأخير فاستتب الامر للحفصيين كما تقدم بلا منازع ولا معارض فلما
استتب الامر بمراكش للسلطان ابي عنان المريني عزم على غزو تونس وضمها الى
مملكه فنازل المغرب الاوسط اولاً واستولى على تلمسان سنة ٧٥٣ هـ ونجا فل

بني عبد الواد الى بجاية ونزلوا على اميرها الامير أبي عبد الله الحفصي فارسل اليه ابو عنان بالقبض عليهم وارسلهم له ففعل . ثم تقدم السلطان أبو عنان الى بجاية فالتقاء الامير أبو عبد الله بغاية التجلة ولكنه أجازه علي هذه المعاملة الحسنة بان طلب منه ان ينزل له عن بجاية ففعل مضطراً ونقله أبو عنان في جملته الى المغرب ولما ملك أبو عنان بجاية بتنازل أميرها له عنها سار في جموع بني مرين قاصداً قسنطينة وبها الامير أبو العباس فدافع عنها دفاعاً حسناً الا ان الكثرة تغلب الشجاعة فاقتحم بنو مرين المدينة عنوة وتحيز الامير أبو العباس الى القصبه فامتنع بها حتى توثق لنفسه بالهدم فلما نزل ودخل الى السلطان أبي عنان اكرم ملاقاه وبعد ايام قلائل نقص عهده واركب السفن الى المغرب وانزله بسبته ورتب عليه الحرس وفي خلال ذلك بعث الى بونة فدخلت في طاعته وفر عنها عمال ابي اسحق ثم بعث رسله الى ابي محمد بن تافراكين في الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فردم واخرج سلطانه المولى ابا اسحق بعد ان جهز اليه العساكر واقام هو بتونس . واجمع ابو عنان النهوض اليه وسرح عسكرياً في اسطول لمانزلتها بجراً فسبق الاسطول وصبحوا تونس وقتلوها واتيح لهم الظهور فخرج عنها ابو محمد بن تافراكين ولحق بالمهدية واستولت عساكر بني مرين علي تونس في رمضان سنة ٧٥٨ هـ

واما السلطان ابو اسحق فانه لما خرج من تونس في عساكره التقى بعساكر بني مرين وقتلهم وهزمهم واتبعهم حتى قرب من سبته ثم عاد ظافراً الى افرقية فلما سمع ابو محمد بن تافراكين بهذا الانتصار عاد من المهدية الى تونس ولما قرب منها ثار اهل المدينة على من فيها من عساكر بني مرين واستباحوهم ونجا فلم يبق الا اسطول ودخل ابو محمد بن تافراكين الى الحضرة ولحق به السلطان ابو اسحق عائداً من قتال المرينيين . وفي مدة قرينة اعاد السلطان ابو اسحق الى الدولة ما فقدته واستولى على جميع البلاد التي كان ابو عنان قد استولى عليها وعظم صيته وبعد ذكره

و بعد مدة قليلة توفي ابو عنان بمراكش فرجع من كان في اعتقاله من بني حفص ومنهم الامير ابو العباس فدخل قسنطينة واستولى عليها كما كانت له قبلاً ثم عظم امره حتى استخلص بجاية من صاحبها الامير ابي عبدالله ثم اطعمه بعضهم في منزلة الحضرة فارسل اليها العساكر بقيادة اخيه ابي يحيى زكريا فنزلوها اياماً وامتنت عليهم واقلموا على سلم ومهادنة انعقدت بين ابي اسحق صاحب الحضرة وبينهم

وفي سنة ٧٧٠ هـ توفي السلطان ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر وتولى بعده ابنه ابو البقاء خالد

٥١٢ - ابو البقاء خالد بن ابي اسحق

سنة ٧٧٠ هـ او من سنة ١٣٦٩ م

١١ توفي ابو اسحق بن ابي بكر تولى بعده ابنه ابو البقاء خالد وكان صغيراً فاستبدت عليه بطانته واساءوا السيرة في الرعية الى حد لا يطاق وكان امر السلطان ابي العباس قد عظم في قسنطينة وبجاية واعمالها فلما علم بوفاة ابي اسحق اغذا السير الى الحضرة فدخلها بلا كثير غناء واستولى عليها واعتقل ابا البقاء خالداً وقتل جميع بطانته واستتب له الامر

٥١٣ - ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر

من سنة ٧٧٠ - ٧٩٦ هـ او من سنة ١٣٦٩ - ١٣٩٤ م

ولما دخل السلطان ابو العباس احمد الى تونس واعتقل ابا البقاء خالداً بعثه في اسطول الى قسنطينة فعصفت به الريح وانخرقت السفينة وترادت الامواج الى ان هلك . واستبد الابطان بامرهم وعقد لاختيه الامير ابي يحيى على حجابته .

ثم وجه همه لاصلاح البلاد وانماء موارد الرزق وابتدأ اولاً بالضرب على ايدي
العصاة حتى اعاد الى الدولة الحفصية مهابتها وسطوتها . وفي مدة يسيرة استولى
على كل البلاد التي كانت قد أخذت من الدولة في اثناء الفتن مثل سوسة
والمهدية وجربة وقفصة وقابس وغيرها وبعد ان استعادها اهتم في اصلاح
داخلية البلاد فاينعت البلاد في ايام هذا السلطان وساد الامن وعم العدل واغتنى
الفلاح حتى احبته قلوب رعيته حباً عظيماً ولقبوه الملك الرحيم
واهم ما يذكر من الحوادث في ايام هذا السلطان منازلة الفرنج المهدية
وحصارها وبلغ السلطان الخبر فاهتم الامر جداً وسير اخاه الامير ابا يحيى بنى وسائر
بنيه في العساكر اليهم فاسرعوا بالمسير الى المهدية وقاتلوا الفرنج قتالاً شديداً حتى
الزموهم بالجلال عن المهدية

وفي سنة ٧٩٦ هـ توفي السلطان ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر
بعملة النقرس

٥١٤ - ابو فارس عزوز بن ابي العباس احمد

من سنة ٧٩٦ - ٨٣٦ هـ او من سنة ١٣٩٤ - ١٤٣٣ م

كان للسلطان ابي العباس احمد ابناء كثيرون يتطاولون على ابيهم ويفضون
بهمم زكريا ويخشون غائلته بعد ابيهم . وكان الامير ابو يحيى زكريا اخو السلطان
ابي العباس رديفه في الملك والمرشح بعده الامر . فلما توفي السلطان ابو العباس
اجتمع اولاده وقبضوا على عمهم زكريا واودعوه بعض الحجر ووكلا به من يحفظه
وبابوا اخاهم ابا فارس عزوزاً رابع شعبان سنة ٧٩٦ هـ

وكان السلطان ابو فارس درة سلك الدولة الحفصية استولى على الجريد
واخضع الثوار وسار بالعدل . وفي ايامه غزا صاحب اراغون في اسبانيا جزيرة

هرقة فاستردها منهم . وتبادل مع اهل صقلية الاسرى . وكان ابو فارس محباً لآخوته فوزع الوظائف من الامارة والوزارة عليهم فاعتضد بهم وكان من جملتهم اخوه ابو بكر بن ابي العباس بقسنطينة فنازعه بها ابن عمه الامير ابو عبد الله محمد ابن ابي زكريا صاحب بونة والح عليه في الحصار فعمد اليه السلطان ابو فارس ووقع به على سيدوس وقعة شماء انتهت به هزيمتها الى فاس مستصرخاً صاحبها وهو يومئذ ابو فارس المريني . فاقام ابو عبد الله بفاس الى سنة ٨١١ هـ في دولة السلطان ابي سعيد المريني

وكان الاعراب وخصوصاً بنو سليم منهم قد اعتادوا الثورات لما في ذلك من الفائدة لهم اذ لا مغنم افضل عندهم من ذلك فلما ضرب ابو فارس على ايديهم بعضاً من حديد سار بعضهم الى فاس مستنجدين السلطان ابا سعيد على أبي فارس صاحب تونس وثقابوا عنده مع الامير ابي عبد الله المنزوم بسييوس كما مر فعقد له السلطان ابو سعيد على جيش من بني مرين وغيرهم وبه مع العرب فلما انتهى الى بجاية تلقته اعراب افرريقية طائعة وهونوا عليه أمر تونس فرد الجيش المريني وقصدها بمن انضم اليه من الحشود فاخذ بجاية من ابي يحيى واستخلف عليها ابنه المنصور ثم زحف الى السلطان ابي فارس بتونس . فخلفه ابو فارس الى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار اهلها معتقلين الى الحضرة وعقد عليها لاحد ابن اخيه ثم نهض لقتال ابن عمه ابي عبد الله فلما تقابل الجمعان انضم كثيرون من عسكر ابي عبد الله الى أبي فارس وانفض جمعه وقتل واحترأ رأسه ووجه السلطان ابو فارس مع من علقه بباب المحروق احد ابواب فاس اغاظة للسلطان ابي سعيد وذلك سنة ٨١٢ هـ

ثم تحرك السلطان ابو فارس الى جهة المغرب قاصداً اخذ الثار من السلطان ابي سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان ابو سعيد الى السلم فوجه اليه بهدايا جلييلة فقبل ذلك ابو فارس وانسكفاً راجعاً الى حضرته ولحقته في طريقه بيعة اهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايعه صاحب

الاندلس ايضاً

وفي سنة ٨٣٦ هـ توفي السلطان ابو فارس عزوز بن ابي العباس احمد بعد ان ملك اربعين سنة وشهوراً وبعد موته لم تقم للدولة الحفصية قائمة

٥١٥ - محمد المنتصر

من سنة ٨٣٦ - ٨٣٧ هـ او من سنة ١٤٣٣ - ١٤٣٤ م

لما توفي السلطان ابو فارس وهو آخر العظماء من الدولة الحفصية تولى بعده حفيده محمد المنتصر وهذا لم يلبث في الولاية الا عاماً وشهرين كانت كلها حروباً مع الاعراب ثم توفي سنة ٨٣٧ هـ

٥١٦ - ابو عمر عثمان بن محمد

من سنة ٨٣٧ - ٨٩٣ هـ او من سنة ١٤٣٤ - ١٤٨٨ م

لما توفي محمد المنتصر تولى بعده ابنه ابو عمر عثمان وكان شجاعاً غزا تلمسان سنة ٨٧٠ هـ واستولى عليها بعد ان هدم اسوارها واستأن من اليه سلطانها ابو عبد الله الزياني فعمد له عليها . ثم توفي سنة ٨٩٣ هـ لاربعة وخمسين سنة من ولايته نفرياً

٥١٧ - ابو زكريا يحيى بن محمد المسعود

من سنة ٨٩٣ - ٨٩٩ هـ او من سنة ١٤٨٨ - ١٤٩٤ م

ولما توفي ابو عمر عثمان تولى بعده حفيده ابو زكريا يحيى بن محمد المسعود ثم توفي سنة ٨٩٩ هـ لست سنين من ولايته

٥١٨ - ابو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن المسعود

من سنة ٨٩٩ - ٩٣٢ هـ او من سنة ١٤٩٤ - ١٥٢٦ م

ولما توفي ابو زكريا تولى بعده ابن اخيه ابو عبد الله محمد بن الحسن وفي ايامه ظهر خير الدين باشا الذي اشتهر في كتب الافرنج باسم بربروس اي ذي اللحية الحمراء وكان اصله من اروام جزيرة متيلين (مدالي) احدى جزائر الروم وكان هو واخ له يدعى اوروج يشغلان بالصوصية في بحر الروم ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان ابي عبد الله محمد الحفصي هذا واستمرا في حرفتهما وهي اسر مراكب الافرنج التجارية واخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركبها وملاحيا بصفة رقبى فاعتنيا مع تمادي الايام من اموال النهب والسلب حتى صار لهما في وقت قريب عمارة بحرية

وكانت الدولة العلية العثمانية قد استفحل امرها في اوربا بقوة السلطان سليم الاول وهو السلطان لذلك الوقت فارسل اليه خير الدين واخوه احدى المراكب الماسورة اظهارا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منها وارسل لها خلعاً سنبة وعشرفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقويت شوكتها واشترأت اعناقها لاحتلال بعض سواحل بلاد الغرب باسم سلطان آل عثمان فاستولى خير الدين على ثغر شرشل باقليم الجزائر وتقدم اخوه اوروج الى داخلية البلاد واستولى على تلمسان ولكنه قتل بعد قليل في محاربة الاسبانيين لكن هولاء لم يتمكنوا من استرجاع تلمسان والجزائر بل حفظها خير الدين . وبعد قليل توفي السلطان ابو عبد الله محمد بن الحسن وكانت وفاته سنة ٩٣٢ هـ

٥١٩ - الحفص بن أبي عبد الله محمد

من سنة ٩٣٢ - ٩٤٣ هـ او من سنة ١٥٢٦ - ١٥٣٦ م

لما توفي ابو عبد الله محمد ولي بعده ابنه الحسن بن ابي عبد الله ولاول ولايته سار سيرة حسنة فاحبته الرعية ولكنه لم يلبث ان انقلب فخرجت البلاد عن طاعته شيئاً فشيئاً وقويت شوكة الاعراب . فاغتم خير الدين باشا فرصة ثورة الاعراب على الحسن للاستيلاء على تونس بايعاز السلطان سليم وسار مجدداً لهذه الغاية فلما علم الحسن بقدومه الى تونس هرب منها سنة ٩٣٥ هـ . ودخل خير الدين باشا تونس وساس الرعية وسكن الثائرة بمن احضرهم من جند الجزائر وانكأ فيهم بمقذوفات المدافع التي كانوا لا يعرفونها حتى طلبوا الامان فامنهم اما الحسن بن ابي عبد الله فلحق باسبانيا ملتجئاً الى الملك شارلكان ومستنجداً به على مقتضي بلاده فلبى دعوته واجاب نداءه وجرز عماره قوية قادها هو بنفسه ونزل من ثغر برشلونة في ٢٩ مايو سنة ١٥٣٥ م ووصل الى حلق الوادي في ١٦ يونيو وحاصرها هي ومدينة تونس مدة شهر تقريباً وفتحها في ١٤ يوليو وغنم ما في قلعته من المدافع وما في ثغرها من المراكب

وفي ٢١ يوليو دخلت جيوش شارلكان حاضرة تونس وامر لهم بنهبها فاستباحوا اهلها قتلآ واسراً ونهباً ويقال ان عدد سكان تونس كان ١٨٠ ألفاً فقتل الثلث واسر الثلث ونجا الثلث

وفي اول اغسطس دخل شارلكان المدينة ومنع الجيش من هذه الاعمال فاستتب الامن وسادت السكينة . واعاد الملك شارلكان السلطان الحسن الى كرسي ملكه باحتفال شائق

وفي ٨ اغسطس سنة ١٥٣٥ م امضيت معاهدة بين شارلكان ومولاي الحسن تقضي على مولاي الحسن باخلاء سبيل الارقاء المسيحيين والاباحة لهم جميعاً بالسكنى في اقليم تونس واقامة شعائر دينهم وان يتنازل لشارلكان عن

مدائن بونة وبني زرت وحق الوادي وان يدفع له اثني عشر ألفاً دوكة نفقة الحرب وغير ذلك من الشروط التي اعتاد الاقوياء اشتراطها على الضعفاء فدفع مضطراً . وعاد شارلكان الى بلاده

اما اهل الدولة وخصوصاً ابن الحسن ابو العباس احمد صاحب بونة (التي صارت بمقتضى المعاهدة لشارلكان) لم يرضوا بهذه الشروط المجحفة وانحدوا معاً وبايعوا ابا العباس المذكور وقدموا معه الى الحضرة وافتنحوها عنوة وامسكوا الحسن وسملوا عينيه ولكنه فر وهو اعشى فمات في القيروان وقيل في اوربا

٥٢٠ - ابو العباس احمد بن الحسن

من سنة ٩٤٣ - ٩٧٧ هـ او من سنة ١٥٣٦ - ١٥٦٩ م

واستتب الامر لابي العباس احمد وساد الامن في اوائل ملكه وفي سنة ٩٥٧ هـ استولى اهل نابل وجنوة على المدينة وجربة وظلوا بها حتى اخرجهم دراغوث باشا الذي افتتح طرابلس في السنة التالية وملك القيروان . ثم استولى علي باشا صاحب الجزائر على الحاضرة واخذ البيعة للسلطان سليم الثاني العثماني سنة ٩٧٧ هـ

ولما رأى ابو العباس ضياع ملكه استنجد اسبانيا بمقابلة مال يؤديه لها فوجت له اسطولا عظيماً ولما وصل اطلعه قائد الاسطول على كتاب مضمونه المقاسمة في الحكم والجبابة فانكر ابو العباس ذلك وانتقل الى صقلية ومات فيها

٥٢١ - محمد بن الحسن

من سنة ٩٧٧ - ٩٨١ هـ او من سنة ١٥٦٩ - ١٥٧٣ م

لما لحق ابو العباس بصقلية تولى بعده اخوه محمد بن الحسن الذي رضي

بإقامة فدخل الأسبانيون البلاد وأخرجوا منها الجزائريين ولكنهم كانوا شرًا منهم حتى أنهم ربطوا خيولهم بالجامع الأعظم والقوا ما فيه من نفائس الكتب في العارقات ولقي الناس من جورهم ما لا يوصف . ثم جاء الجيش العثماني بقيادة سنن باشا واستولى على حلق الوادي عنوة في ربيع سنة ٩٨١ هـ وأسر محمدًا الحفصي وأرسله إلى السلطان سليم الثاني فاعتقله بالاستانة حتى توفي وانقرضت به الدولة الحفصية . وصارت بلاد تونس جزءًا من المملكة العثمانية والملك لله يوتييه من يشاء وهو العزيز الحكيم



٥٢٢ - الدولة المرينية بمراكش

(تمهيد) قسم فيلسوف المؤرخين ابن خلدون جبل زناتة إلى طبقتين الطبقة الأولى التي كان منها مغراوة ملوك فاس وقد تقدم الكلام عنهم والطبقة الثانية هي التي كان منها بنو مرين ملوك فاس الذين نحن بصددهم الآن وبنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط وسياقي ذكرهم

وكان بنو مرين قبل استيلائهم على ملك المغرب أحياء ظواغن بمجالات القفر من فيجيج إلى سجلماسة إلى ملوية وكانت الرئاسة فيهم لذلك الوقت لمحمد ابن ورزيز بن فكوس بن كرماط بن مرين وينصل نسب مرين بزانا بن يحيى بن الجليل . فلما توفي تولى رئاسة بني مرين بعده ابنه حمادة بن محمد ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده المخضب بن عسكر وهذا قتل سنة ٥٤٠ هـ في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن والمرابطين . ثم قام بامر بني مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمادة بن محمد إلى أن هلك فقام بامرهم ابنه أبو خالد محبو بن أبي بكر ولم يزل مطاعاً فيهم إلى أن استنفرهم يعقوب المنصور إلى غزوة الأرك بالاندلس فشهدوها وأبوا فيها البلاء الحسن وأصاب محبو بن أبي بكر جراحات هلك منها بصحراء الزاب سنة ٥٩٢ هـ فتولى امر بني مرين بعده ابنه هبد

الحق . واقام بنو مرين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة . وكانوا لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم الدولة بهضبة ولا يودون اليها ضريبة كثيرة ولا قبلية ولا يسرفون تجارة ولا حرفاً انما شغلهم الصيد وطرده الخيل والغارات على اطراف البلاد

فلما كانت وقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ بالاندلس وانهمز المنصور وهلك الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من اهلها واعقب ذلك الوفاء العظيم وتوفي الناصر سنة ٦١٠ هـ وبايع الموحدون ابنه المنتصر وهو يومئذ صبي لا يحسن التدبير وشغله مع ذلك احوال الصبا ولذات الملك عن القيام بامر الرعية فتضافرت هذه الاسباب على دولة الموحدين فاضمفتها حينها وامرضتها المرض الذي اودى بحياتها وفي سنة ٦١٠ هـ هذه خرج بنو مرين ورئيسهم عبدالحق لطالب الرزق بالصيد والنص والغارة على اطراف البلاد على عادتهم فلما اطلوا على المغرب الفوه قد تبدلت احواله وبادت خيله ورجاله وفنيت حماته وابطلاله وعريت من اهل اوطانه ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكناف فسيحة المزارع موفرة العشب انقله راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها فاقاموا بمكانهم وانتشروا بنواحي المغرب واوجفوا عليها بنجلهم ورجلهم واكتسحوا بالغارات والنهب بسيطها حتى الجاؤا الرعايا الى حصونها ومعاقلها وتم لهم ما ارادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله

٥٢٣ --- عبر الحق به محيو المر بنى

من سنة ٦١٠ - ٦١٣ هـ او من سنة ١٢١٣ - ١٢١٦ م

لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ الامير عبد الحق بن محيو ابن ابي بكر بن حمادة بن محمد المريني فكثرت عيشتهم وضمروهم بالمغرب واعضل داؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة بمر اكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر

فجهز لهم جيشاً كثيفاً وعقد عليه لابي علي بن وانودين فخرج لقتال بني مرين
ولما علم بنو مرين بقدمه تركوا اثقالهم وعبأهم بحصن تازوطا بارض الريف
وخرجوا للقاء الموحدين فالتقى الجمعان بوادي تكور فكان الظهور لابي مرين وانهمزم
الموحدون امامهم هزيمة شنعاء وذلك سنة ٦١٣ هـ

وبعد هذا الاتصار تقدم عبد الحق بجموع بني مرين الى رباط تازا فخرج
عاملها لحربه في جيش كثيف من الموحدين فقتل بنو مرين العامل المذكور واشتدوا
في من معه وغنموا اسلأهم وقسمها عبد الحق في بني مرين ولم ياخذ شيئاً لنفسه ولا
اعطى لاحد من بنيه منها مكافئاً بالفخر بظهوره على الاعداء

وبعد قليل حدث بين بني مرين فتن داخلية اودت بحياة عبد الحق . وكان
عبد الحق مشهوراً بالتقى والفضل والدين كثير الاحسان ورعاً عفوفاً صادق
العزيمة اذا قال فعل

٥٢٤ -- ابو سعيد عثمان بهه عبد الحق

من سنة ٦١٣ - ٦٣٨ هـ او من سنة ١٢١٦ - ١٢٤٠ م

لما قتل عبد الحق اجتمع بنو مرين وولوا عليهم ابنه ابا سعيد عثمان ولاول
ولايته اقتص من قاتلي ابيه وشردهم حتى لم يبق منهم مخبر
وكانت شوكة الموحدين قد ضعفت وتداعى امرهم الى الاخلال فلما رأى
ابو سعيد ما عليه امر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور
والفساد جمع اشياخ بني مرين وندبهم الى القيام بامر الدين والنظر في مصالح
المسلمين فاسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته . فسار بهم ابو سعيد في نواحي
المغرب يستقرى مساككه وشعوبه ويتتبع تلولة ودروبه ويدعو الناس الى طاعته
والدخول في عهده وحمايته . فن اجابه منهم امنه ووضع عليه قدراً معلوماً من
الخارج ومن ابى عليه نابذه ووقع به فبايعه من قبائل المغرب هواره وزكارة

وتسول ومكناسة و بطوية وقشالة وسدرانة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج و فرق فيهم العمال . ثم فرض على امصار المغرب ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على ان يكف الغارة عنهم ويصلح سبلتهم . ولم يزل دابه ذلك من تدويخ بلاد المغرب واقطاره حتى قتل غيلة سنة ٦٣٨ هـ قتله مملوك له رباه صغيراً فشب وسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة في منحره فسات لوقته

٥٢٥ - ابو معرف محمد بن عبد الحق

من سنة ٦٣٨ - ٦٤٢ هـ او من سنة ١٢٤٠ - ١٢٤٤ م

لما هلك الامير ابو سعيد قام بالامر اخوه ابو معرف محمد بن عبد الحق فاقتفى سنن اخيه في تدويخ بلاد المغرب واخذ الضريبة من امصاره وخاف الرشيد سلطان مراکش لذلك الوقت امتداد سطوتهم فجهز لهم جيشاً كثيفاً بقيادة ابي محمد ابن وانودين فبرزهم بنو مرين هزيمة شنعاء

ثم توفي الرشيد سنة ٦٤٠ هـ وتولى بعده اخوه علي ولقب بالسهيد فصرف عزمته الى غزو بني مرين وقطع دابرهم قبل استفحال امرهم فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة ونهضوا جميعاً سنة ٦٤٢ هـ في جيش كثيف يناهز ٢٠ ألفاً . فسمع الامير ابو معرف المريني باقبالهم فاستعد لقتالهم والتقى الجمعان بموضع يعرف بصخرة ابي يياش من احواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة فانزح بنو مرين وقتل اميرهم ابو معرف في المعركة

٥٣٦ — ابو بكر بن عبد الحق

من سنة ٦٤٢ — ٦٥٦ هـ او من سنة ١٢٤٤ — ١٢٥٨ م

لما انهزم بنو مرين كما تقدم وقبل اميرهم لحقوا بيجبال غياثة من نواحي تازا واعتصموا بها اياماً ثم خرجوا الى الصحراء ولوا عليهم ابا بكر بن عبد الحق ولاول ولايته بايع الامير ابى زكريا الحفصي صاحب تونس . ثم سار فنزل جبل زرهون ودعا اهل مكناسة الى بيعه الامير ابى زكريا الحفصي فامتنعوا اولاً فحاصروهم حتى اطاعوا خاضعين وذلك سنة ٦٤٣ هـ . وكان الامير ابو بكر عالي الهمة قوي الارادة شديد العزيمة فسميت نفسه الى الملك وطمع في الاستيلاء على المغرب وبلغ السعيد صاحب مرا كس لذلك الوقت خبر استيلاء المريني على مكناسة وصرفها للحفصي فاهتم للامر جدّاً وجمع جيوشه وخرج اقتتلهم . وعلم الامير ابو بكر ان لاطاقة لهم بجموعه فاخذ المرينيين ونزل بهم قلعة تازوطا وتحصنوا فيها اما السعيد فقدم اليهم يفتح كل ما يمر عليه من البلاد وتبعه بطاعته اليه العباد حتى قرب من القلعة فخاف ابو بكر الماخرة وبعث اليه بطاعته وامده بخسمية من بني مرين لقتال صاحب تلمسان فرجع السعيد عنه وقصد تلمسان فتوفي في طريقه اليها كما تقدم ذكر ذلك في دولة الموحدين . ولما علم ابو بكر بوفاة السعيد انتهز الفرصة لاقام مقاصده فخرج من حصن تازوطا واغذا السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها واقام بها اياماً ثم نهض الى اعمال وطاط وحصون ملوية فافتحها ودوخ جبالها وذلك سنة ٦٤٦ هـ . ثم عزم على غزو فاس وانزاعها من بني عبد المؤمن فسار اليها واناخ عليها وكان السامل بها يومئذ السيد ابا العباس من بني عبد المؤمن فارسل ابو بكر اليه بطلب طاعته والخطبة لابي زكريا الحفصي وضمن له جميل النظر وحيد السيرة . وارسل بذلك الى اهل فاس فبايعه اهل فاس وفتحوا له ابواب المدينة فدخلها يوم الخميس ٢٦ ربيع الآخر سنة ٦٤٦ هـ واخرج منها ابا العباس عامل الموحدين وارسل معه من يوصله الى مأمته

ثم نهض الامير ابو بكر الى منازل تازا فنازلها اربعة اشهر حتى نزلوا على حكمه

وفي ربيع الاول سنة ٦٤٧ هـ نهض ابو بكر افتتح بلاد زناتة وتدويع اقطارها فلما خرج من فاس اجتمع من بها من الموحدين وانفقوا على قطع الخطبة الحفصية التي يدعو اليها الامير ابو بكر ومراجعة دعوة المرتضي من بني عبد المؤمن

فلما استقر رأيهم على ذلك ثاروا على من في فاس من بني مرين وقتلوا بهم وتم لهم ما ارادوا . وبلغ الامير ابا بكر خبرهم فاسرع بالعود الى فاس وحاصرها شديداً حتى افتتحها عنوة وقتل بالثارين حتى جعلهم عبرة لمن يعتبر وذلك في جمادي الآخرة سنة ٦٤٨ هـ

ولما استتب الامر للامير ابي بكر بفاس رجع الى ما كان فيه من منازل بلاد فزاز فافتتحها ودوخ اوطان زناتة ثم تخطى ذلك الى مدينة سلاور باط الفتح سنة ٦٤٩ هـ فملكها وتاخم الموحدين بقهرها . وبلغ الخبر بذلك الى المرتضي صاحب مرا كش فاهمه الشأن وجيز عسكرياً من الموحدين سرحهم سنة ٦٥٠ هـ فاختلطت بسلا ثم افتتحوها وعادت الى طاعة المرتضي ثم عزم المرتضي على غزو بني مرين بنفسه فجمع العسكر وبلغ في الاحتشاد وخرج من مرا كش سنة ٦٥٣ هـ في نحو ٨٠ ألفاً ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلوله من نواحي فاس . وصمد اليه الامير ابو بكر في عساكر بني مرين والتمى الجمعان هناك وبعد قتال شديد انهزم الموحدون واثخن بنو مرين فيهم وغنموا معسكرهم ورجع المرتضي الى مرا كش مغلولاً

وفي سنة ٦٥٥ هـ خرج الامير ابو بكر لمحاربة يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان وسمع يغمراسن بذلك فنهض اليه ايضاً فالتقيا بآبي سليط فاقتتلوا وانهزم يغمراسن واعتزم ابو بكر على أتباعه فثناه عن رأيه في ذلك اخوه يعقوب بن عبد الحق لهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما قارب فاساً بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لعورة اطعمته في ملكها فاسرع الامير ابو بكر السير في جموعه

الى سجالماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن بيوم ٠ ثم جاء يغمراسن ويش من غلبة الامير ابي بكر عليها ودارت بينهما حرب انهزم فيها يغمراسن ورجع الى بلده

ولما استتب الامر لابي بكر بسجالماسة عاد الى فاس وأقام بها أياماً ثم نهض الى سجالماسة ايضاً منقداً الثغورها فلحقه بها مرض فانقلب منها الى فاس وتوفي بها اواسط رجب سنة ٦٥٦ هـ وكان هذا الامير مشيد دولة بني مرين في الحقيقة

٥٢٧ ابو حفص عمر بن ابي بكر

من سنة ٦٥٦ - ٦٥٧ هـ أو من سنة ١٢٥٨ - ١٢٥٩ م

لما توفي أبوا بكر اجتمع بنو مرين وبايعوا ابنه ابا حفص عمر وكان عمه يعقوب ابن عبد الحق بتازا فلما سمع بوفاة اخيه طمع في الاستيلاء مكانه فسار الى فاس ونهض أبو حفص لقتاله فانهمز امامه ليل مشيخة بني مرين ليعقوب المذكور فلما رأى ابو حفص نفسه مهزوماً ارسل الى عمه يعقوب ان يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر فاجابه الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة ٦٥٧ هـ واقتصر ابو حفص عمر على ولاية مكناسة فتولاها أياماً ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه لنحو سنة من امارته

٥٢٨ - المنصور بالله يعقوب بن عبد الحميد

من سنة ٦٥٧ - ٦٨٥ هـ أو من سنة ١٢٥٩ - ١٢٨٦ م

لما دخل يعقوب فاساً استولى عليها واستتب له الامر بها ولما قتل ابو حفص غيلة كما تقدم انضمت اليه مكناسة ايضاً وصار المطلق التصرف في تلك النواحي

وكان في نفس يغمراسن بن زيان صاحب تلسان ضعيفة على بني مرين وقد تقدم ذكر بعض الحروب بينهم فلما توفي ابو بكر بن عبد الحق طمع يغمراسن في الاستيلاء على المغرب فجمع لذلك قومه من بني عبد الواد واستظاهر ببني توجين ومغراوة ثم نهض الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كادامان صمد اليهم الامير يعقوب فزهمهم وردهم على اعقابهم ورجع الى فاس ظافراً .
ثم كان ما نذكره

كان ابو بكر بن عبد الحق قد استعمل ابن اخيه يعقوب بن عبد الله على سلا فلما توفي وتولى بعده اخوه يعقوب بن عبد الحق مكانه طمع يعقوب بن عبد الله صاحب سلا في الامر واظهر العصيان على عمه يعقوب وداخل الاسبنيول في نجرته على قتال عمه فاجابوه الى ذلك وكثرت سفن المتزدين منهم اليها حتى زادوا عن اهلها فحزموا على الثورة بها واهتبلوا فيها غرة عيد الفطر سنة ٦٥٨ هـ عند اشتغال الناس بعيدهم فثاروا بها ووضعوا السيف في اهلها وفعلوا ما تقشعر له الابدان وتخصن يعقوب بن عبد الله برباط الفتيح . واتصل الخبر بيعقوب بن عبد الحق بفاس فجمع عساكره واسرع الى سلا وقاتل الاسبنيول واشحن فيهم وكال لهم بالكيل الذي كالوا به لاهل سلا حتى اقلعوا باسطوطهم ناجيين بانفسهم . واستولى السلطان يعقوب على سلا واصلاح سورها . اما يعقوب بن عبد الله الثائر بسلا فخاف من السلطان يعقوب وخرج من رباط الفتيح واسلمه فضببطه السلطان وثغفه ثم نهض الى بلاد تامسنا واستولى عليها ثم رجع الى فاس ظافراً

ولما قوي امر السلطان يعقوب اجمع رايه لمنازلة المرتضي والموحدين في دارهم وحضرتهم وجمع جيوشه وسار سنة ٦٦٠ هـ حتى انتهى الى جبل جبايز فشارف دار الخلافة ونزل بعقرها واخذ بمخنقتها

ولما علم المرتضي بقدومه جمع جيوش الموحدين وعقد عليهم لابي دوس ادريس بن محمد من آل عبد المؤمن فمباة كتابته ورتب مصافه وبرز لمداغتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها بنو مرين وعادوا راجعين

واعترضهم عساكر الموحدين بوادي ام الربيع وعليهم يحيى بن عبدالله بن وانودين فاقبلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين هزيمة شنعاء واستولى بنو مرين على اموالهم واثاثهم وهي واقعة ام الرجلين

ثم سعى سماسرة الفتن عند المرتضى بان ادريس بن محمد يريد الوثبة به وانه طامع في الخلافة لنفسه فتغير المرتضى على ابي دبوس ادريس المذكور وشعر ابو دبوس بذلك فهرب ولحق بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني فازدادت قوته وضعفت قوة الموحدين

ثم عقد السلطان يعقوب لابني دبوس على جيش من بني مرين وسيره لفتح حضرة مراكش فسار اليها ولما قربها ثار الموحدون بها على المرتضى وقتلوه ودخل ابو دبوس الحضرة بلا كبير عناء . فلما علم السلطان بفتح مراكش ارسل الى ابي دبوس في الوفاء بالمشارطة فاستنكف واستكبر ونقض العهد واساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بني مرين فقام عن اللقاء واعتصم بالاسوار واستبشاش بيغمراسن بن زيان صاحب تلمسان فاجاب يغمراسن نداه وسير العساكر للغارة على اطراف المغرب لكي ينشغل بهم السلطان يعقوب ويرجع عن الحضرة . ولما علم السلطان يعقوب بذلك اغذا السير يريد تلمسان والتقى بجموع بني عبدالواد بوادي تلاغ واقتتلا شديداً فانهمز بنو عبد الواد واخذ سلطان بني مرين فيهم قتلاً ونهباً حتى اضعفهم الى حد تاكد معه انهم لا يقدرين على امداد الموحدين . ثم عاد السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراكش وضيق عليها جداً واستمر محاصراً لها مدة فلما طال الحصار على اهل الحضرة خرجوا بقيادة خليفتهم ابي دبوس لقتال بني مرين لكنهم لم يلبثوا طويلاً حتى اخل مصافهم وانهزموا وفر ابو دبوس يريد مراكش فادركته خيل بني مرين ولقته صريعاً وذلك يوم الاحد ٢ محرم سنة ٦٦٨ هـ

ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراكش وفر من كان بها من الموحدين الى تينمال وبايعوا اسحق اخا المرتضى فبقى ذبالة هناك الى ان قبض عليه سنة ٦٧٤ هـ

وجيء به في جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعاً وانقرض امر بني عبد المؤمن . اما السلطان يعقوب فدخل مراکش يوم الاحد ٩ محرم سنة ٦٦٨ هـ فالتقاء اهلها بالفرح والسرور فامنهم ووصاهم واقام براكش الى رمضان ثم اغزى ابنه الامير ابامالك عبد الواحد بلاد السوس ففتحها واوغل في ديارها ودوخ اقطارها ورجع الى ابيه . ثم رجع السلطان الى فاس بعد ان استتب له الامر بالمغرب الاقصى اجمع وكان بنو مرين يدعون لبني حفص اصحاب تونس كما تقدم فلما عظم شان السلطان يعقوب واستولى على مراکش واطاعته البلاد وهابته العباد قطع الخطبة لهم حالاً وخطب لنفسه وتلقب المنصور بالله

ثم وجه السلطان همه لغزو تلمسان ومحاربة بني زيان لسابقة العداوة فجمع جيوشه وسار قاصداً تلمسان فلما وصل الى انكاد قدمت عليه رسل ابن الاحمر صاحب الاندلس يستصرخونه على العدو ويسالونه الاعانة والنصر ففضل الجهاد في النصارى على قتال المسلمين وارسل رسلاً الى يغمراسن بن زيان لعقد هدنة حتى يتمكن من الجواز للاندلس فابى يغمراسن عقد الهدنة وظهر عزمه على القتال فاسرع السلطان المسير اليه وتقدم يغمراسن للقائه فالتقى العسكران في وادي ايسلي من بسيط وجدة وبعد قتال شديد انهزم يغمراسن واصحابه هزيمة شنيعة وفر الى تلمسان وتحصن بها وتقدم السلطان يعقوب اليها وحاصرها ولكنها امتنعت عليه لحصانها فرجع عنها بعد ما اذاق عسكره اهل تلمسان والمغرب الاوسط الامرين ودخل فاساً فاتح سنة ٦٧١ هـ فاقام بها الى اوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم نهض الى مراکش واقام بها شهراً حتى اصلىح شأنها ثم نهض الى طنجة وسبئة على ما سذكروه سبئة وطنجة من احصن معاقل المغرب الاقصى وكان المرتضى من بني عبد المؤمن قد استعمل على سبئة ابا القاسم العزفي فاستبد بها واورثها بنيه وكان عامل طنجة ابو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني في طاعة ابي القاسم ثم انتقض عليه واستبد بها كما فعل العزفي في سبئة واورثها بنيه ايضاً فلما استولى السلطان يعقوب على مراکش ودان له المغرب الاقصى عزم على

قصد سبتة وطنجة ليخلص له المغرب بلا منازع فسار من مراكش سنة ٦٧٢ هـ الى طنجة وحاصرها ثلاثة اشهر وافتتحها عنوة واستولى عليها ثم تقدم الى سبتة وتنازل العزفي بها حتى طلب الامان فامنه واستعمله عليها على ان يؤدي اليه خراجاً معلوماً كل سنة ثم عاد الى فاس ظافراً منصوراً

وكان الفرنج بالاندلس قد تطاولوا على المسلمين واذاقوهم العذاب الاليم حتى زهقت نفوسهم . فلما عظم صيت السلطان يعقوب بن عبد الحق تعلقت آمال مسلمي الاندلس به وارسلوا اليه الوفود مرة بعد اخرى ليجيز البحر اليهم ويساعدهم على كبح جماح عدوهم فاجاب ندائهم واجاز الاندلس مراراً معضداً لابن الاحمر صاحبها وكانت بينه وبين الافرنج فيها عدة وقائع يطول شرحها كان الانتصار في جميعها حليف السلطان يعقوب فاعاد المسلمين في قلوب الافرنج ما بهتهم الاولى وازاحهم عن بلادهم بعد ان اثخن فيهم واذاقهم من العذاب اشكلاً والواناً ولما رأى ابن الاحمر صاحب الاندلس سطوة السلطان يعقوب خاف انثلاً يطعم في اخذ الاندلس منه وانحرف عنه وظهر العصيان عليه فلما تحقق السلطان يعقوب منه ذلك سار اليه وحاصره بمكانه من الجزيرة الخضراء حتى طلب الامان فامنه . وكان هذا شان السلطان يعقوب بالاندلس مدة طويلة تارة ينجد المسلمين على الفرنج وطوراً ينجد الفرنج على الفرنج حتى وقعت مهايته في قلوب اهل الاندلس كافة

والسلطان يعقوب بن عبد الحق هذا هو الذي بني المدينة البيضاء (فاس الجديدة) سنة ٦٧٢ هـ

وفي يوم ٢٢ محرم سنة ٦٨٥ هـ توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق وكان هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن لم يقم في بني مرين اعظم منه وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا امر المغرب من بني عبد الحق



٥٢٩ - الناصر لدينه الله يوسف بن يعقوب

من سنة ٦٨٥ - ٧٠٦ هـ او من سنة ١٢٨٦ - ١٣٠٧ م

لما توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق تولى بعده ابنه يوسف ولقب الناصر لدينه الله ولاول ولايته عقد مع ابن الاحمر صاحباً وتنازل له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملك ابيه . ثم وفد عليه الفرنج من الاندلس مجددين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب فاجابهم الى ما طلبوا

وبينا الوفود تغد على السلطان يوسف ويتطلب الجميع مرضاته اذ ثار عليه ابنه ابو عامر (وكان عاملاً له على مراكش) ودعا لنفسه وشايعه محمد بن عطوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فاسرع السير الى مراكش وبرز اليه ابنه ابو عامر فاقتتلوا ثم انهزم ابو عامر فعاد الى مراكش ونهب بيت المال وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور

وكان يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان قد توفي وتولى بعده ابنه عثمان فاوامم عثمان ومهد لهم المكان فلبثوا عنده مدة ثم عطف السلطان يوسف على ابنه ابي عامر فرضي عنه واعاده الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن ان يسلم اليه ابن عطوا فابى واغلظ له الرسول في القول فسطا به عثمان واعتقله فاغتاض السلطان يوسف جداً وعزم على غزو تلمسان وجهز عساكره ونهض اليها من مراكش في صفر سنة ٦٨٩ هـ وسار حتى نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره بها وعاشت عساكره في نواحيها واستمر محاصراً لها ٤٠ يوماً بلا فائدة فلما امتنعت عليه افرج عنها وانكفاء راجعاً الى المغرب فلما وصل الى تازا وافاه الخبر ان سانحة ملك الافرنج بالاندلس نبذ العهد وتجاوز القنوم واغار على الثغور فاعوز السلطان الى قائده بالاندلس علي بن يوسف بمنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الفرنج فنهض لذلك في ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ وتوغل في اقطارهم واباغ في النكابة . ثم اجاز السلطان يوسف في اثره في جمادى الاولى من السنة ونزل قصر مصمودة

وهو قصر المجاز فضايقه الفرنج باساطيلهم فاعوز السلطان يوسف الى قواد اساطيله
بالقدوم لمقاتلة اساطيل العدو ففعلوا والتقت الاساطيل ببحر الزقاق فانتصرت
اساطيل الفرنج وغنموا واسروا من المسلمين شيئاً كثيراً ثم استأنف السلطان
يوسف العمارة واغزاهم ثمانية فحامت اساطيل الفرنج عن اللقاء واستوت اساطيل
السلطان على البوغاز . ثم تقدم السلطان بنفسه قائداً لجيش عظيم من المسلمين
وبث سراياه في ارض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها ثم
هجم عليه الشتاء فرجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة ٦٩١ هـ
ولما رجع السلطان يوسف الى المغرب داخل سانجة ملك الفرنج ابن الاخر
في الاتحاد معاً على السلطان يوسف ومنازلة حصن طريف المينا البحرى الشهر .
ولان ابن الاخر كان يخاف من يوسف بن يعقوب لثلاثا يقلبه على امره قبل الاتحاد
مع الفرنج عليه حتى اذا استخلصوا منه حصن طريف لم يتمكن من الجواز الى الاندلس
فاتحدت عساكرهما ونازلوا الحصن المذكور وحاصروه وشددوا عليه الحصار وانقطع
المدد والميرة عن اهله فلما اصاب اهل طريف الجهد راسلوا سانجة في الصلح
والانزول عن البلد فصالحهم واستأمنهم وقبلكه آخر يوم من شوال سنة ٦٩١ هـ
واستأثر به دون ابن الاخر بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً عنه
فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحب
النعام المضروب بها المثل عند العرب

وفي سنة ٦٩١ هـ المذكورة ثار عمر بن يحيى الوزير الوطاسي بحصن تازوطا
على منصور بن عبد الواحد بن عبد الحق الماريني عامل السلطان يوسف به وفك
بجاشينه ورجاله وازعجه عن الحصن واستولى على ما كان بقصره من مال وسلاح
وضبط الحصن وشعنه بالرجال والسلاح . ولحق منصور بن عبد الواحد بعنه
السلطان يوسف فهلك ليلال آسفاً على ما اصابه . واهتم السلطان الامر وسار
بنفسه ونازل الحصن المذكور حتى ضاق الامر على عمر بن يحيى الوطاسي فطلب
الامان فلم يؤمنه السلطان حتى يأخذ بثار ابن اخيه واستمر محاصراً للحصن حتى

قدم عليه وفد الاندلس وفيهم الرئيس ابو سعيد بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مائة راغباً في الصلح مع ابن عمه ومعتدراً عنه . فارسي اساطيله برنعي غساسة ونزل الى السلطان فسمع الوطاسي بهم وهو في الحصن فبعث اليهم يساهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجهتهم فشفع له الرئيس ابو سعيد فقبل السلطان شفاعته بشرط ان ينتقل بجاشيته الى الاندلس فقبل الوطاسي ذلك ونزل من الحصن واستولى السلطان عليه وانزل به عماله ومسلحته وقتل الى حضرته بغاس آخر جمادي الاولى سنة ٦٩٢ هـ . والسبب في قدوم وفد الاندلس انه لما استولى الفرنج على طريف بمظاهرة ابن الاحمر لهم عليها استاثروا بها ونقضوا عهدهم معه فراجع ابن الاحمر نفسه وندم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف فاوفد عليه ابن عمه الرئيس ابا سعيد اعقد الصلح وتجدد العهد في وفد من اهل حضرته فوافوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فابرموا العقد واحكوا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ٦٩٢ هـ واعلموه بما تم فوق ذلك منه اجمل موقع وعزم على الرحلة الى السلطان لاطهار ممنونيته واحكام العقد فتهيا لذلك وعبر البحر في ذي القعدة سنة ٦٩٢ هـ وعلم السلطان يوسف بقدومه فالتقاء خارج فاس واكرم وفادته واسمعه بجميع مطالبه وعاد ابن الاحمر الى الاندلس آخر سنة ٦٩٢ هـ وعبرت معه عساكر السلطان يوسف لحصار طريف فتنازلها مدة فامتنعت عليه وافرج عنها . وفي سنة ٦٩٣ هـ فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا وعلقت به الثريا الكبرى من الخماس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطاراً وعدد كوئوسها ٥١٤ كاساً وبانق ما انفق السلطان في بناء الجامع وعمل الثريا ثمانية الاف دينار ذهباً

وفي سنة ٦٩٥ هـ خرج السلطان يوسف من فاس قاصداً غزو تلمسان فصار حتى نزل على ندرومة فحاصرها ورمها بالخبثيق ٤٠ يوماً فامتنعت عليه فافرج عنها ثاني يوم عيد الفطر من السنة

وفي سنة ٦٩٦ هـ تقدم الى تلمسان وبرز عثمان بن يغمراسن لمدافعته فانهمز وتحصن بالاسوار وحاصر السلطان يوسف تلمسان وشدد عليها القتال واشدة

حصانها امتنعت عليه فافرج عنها وعاد الى حضرته
وفي سنة ٦٩٨ هـ اعاد يوسف الكرة على تلمسان وحاصرها وبني حولها سوراً
وامر عساكره ببناء الدور لسكنهم فبنوا مدينة عظيمة دعاها المنصورة واستمر
محاصراً لتلمسان مائة شهر استولى في اثناؤها على المغرب الاوسط
ومات عثمان بن يعمر اسن اثناء الحصار فلم تكن له اهل تلمسان ولا اعتراهم
الملل بل يايعوا ابنه محمد بن عثمان بن يعمر اسن وبرزوا لقتال يوسف على العادة
كأن عثمان بن يعمر اسن لم يمت

وفي اثناء هذا الحصار الطويل نقض ابن الاحمر صاحب الاندلس عهده
مع السلطان يوسف وارسل اساطيله فاستولت على سبتة وبلغ الخبر للسلطان يوسف
بمكانه من حصار تلمسان فارسل ابنه ابا سالم في جيش كثيف لمحاصرة سبتة
واستخلصها من ابن الاحمر فانهمز ولم يبق شيئا فسخطه ابوه لذلك واهمله
سنة ٧٠٣ هـ

وفي يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة سنة ٧٠٦ هـ قتل السلطان يوسف بن
يعقوب قتله خصي له غيلة وبموته انقضت مدة الحصار عن آل يعمر اسن واهل
تلمسان . ودفن السلطان يوسف بالمنصورة المدينة الجديدة التي ابتناها وسكنها
اثناء حصاره لتلمسان . ثم نقل بعد ذلك الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه

٥٣٠ - ابو ثابت عامر بن عبد الله به يوسف

من سنة ٧٠٦ - ٧٠٨ هـ او من سنة ١٣٠٧ - ١٣٠٨ م

لما توفي السلطان يوسف بن يعقوب قام بالامر بعده حفيده ابو ثابت عامر بن
عبد الله بن يوسف ولاول ولايته عقد صلحاً مع آل زيان بني عبد الواد اصحاب تلمسان
وافرج عن مدينتهم وقصد المغرب فدخل فاساً فاتح سنة ٧٠٧ هـ . واذا استشعر
من قرابته طمعاً في الامر قتل كثيرين منهم . ولما علم بنو يعمر اسن ان ابا ثابت

قد ابعد عنهم وانه توغل في البلاد المراكشية عمدوا الى المنصورة فجهلوا عاليها
سافها وطمسوا معالمها ومحووا اثارها فاصبحت كان لم تكن بالامس
وكان السلطان ابو ثابت لما سار عن تلمسان قاصدا المغرب قد قدم بين يديه ابن
عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب وامره بالنظر في احوال المغرب وامره
بضبطها وتسريح مسجونها ورد مظالمها وتغريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل
ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق
على مراکش ونواحيها فصعد اليها واحتل بها وتمسك منها ثم حدثته نفسه بالتوابع
عليها فجأه بالعصيان وتقبض على الوالي براكش الحاج المسعود فقتله في جمادى
الآخرة سنة ٧٠٧ هـ ودعا لنفسه . واتصل الخبر بالسلطان ابي ثابت وهو بغاس فسرخ
اليه خمسة الاف فارس بقيادة وزيره يوسف بن عيسى ويعقوب بن آصناك فساروا
الى مراکش وبرز لهم يوسف بن محمد فهزموه وعاد الى مراکش واتبعه الوزير
فلحق يوسف بن محمد باغاث

ودخل السلطان ابو ثابت مراکش منتصف رجب سنة ٧٠٧ هـ وتبع الثائرين
مع ابن محمد المذكور فقتلهم عن آخرهم . ولما استتب له امر مراکش رجع الى فاس
فوصلها منتصف ذي القعدة من السنة

وفي هذه الاثناء ظهر في بلاد غارة شخص من بني مرين يقال له عثمان بن ابي العلاء
ودعا لنفسه واطاعته البلاد وهايته العباد وبلغ السلطان ابا ثابت خبره فاهتم لا مره جدا
وسير العساكر فهزمهم عثمان ورجعوا مفلولين . وكان السلطان ابو ثابت مشتغلا عنه بقتال
يوسف بن محمد الثائر براكش فلما استولى على مراکش وفر منها يوسف المذكور
عزم على غزو عثمان بن ابي العلاء ببلاد غارة فتجهز لذلك وخرج من فاس عقب
عيد الاضحي سنة ٧٠٧ هـ قاصدا بلاد غارة ففر عثمان امامه الى ناحية سبتة فسار
السلطان ابو ثابت في اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة ثم نازل بلاد الدمنة
على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبي النساء وانتهب الاموال حتى نزلوا على طاعته
ثم ارتحل ابو ثابت الى طنجة فدخلها فأنح سنة ٧٠٨ هـ وتحصن ابن ابي العلاء بسبتة

مع اوليائه من بني الاحمر فامر السلطان ابو ثابت ببناء مدينة تطاوين لنزول عسكره
والاخذ بمخندق سبتة . ثم اوفد كبير القمهاء بمجاسه ابا يحيى بن ابي الصبر الى ابن
الاحمر صاحب سبتة في شان النزول عن البلد واقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب
فادركه اجله يوم الاحد ٨ صفر سنة ٨٧٠ هـ ودفن بظاهر طنجة ثم نقل الى مدفن
آبائه بشالة فدفن هناك

٥٣١ - ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف

من سنة ٧٠٨ - ٧١٠ هـ او من سنة ١٣٠٨ - ١٣١٠ م

لما توفي السلطان ابو ثابت تولى بعده اخوه ابو الربيع فبث العطاء في الناس
واجزل الصلات فارضى الخاصة والعامة . ثم ارتحل نحو فاس واخذ معه جند تطاوين
فلما ابدوا عن طنجة تبعهم عثمان بن ابي الملاء ودارت بين الفريقين حرب شديدة
انهزم فيها عثمان واصحابه فهربوا ولحقوا بسبتة وفي الاثناء وصل الوزير ابو يحيى من
الاندلس وقد عقد الصلح مع ابن الاحمر وتنازل ابن الاحمر عن سبتة لبني مرين
فاستقط في يد عثمان ويثس من المغرب فعبر البحر في من معه من القراة الى
الاندلس . اما السلطان ابو الربيع فسار الى فاس ودخلها يوم ١١ ربيع الاول
سنة ٧٠٨ هـ فاستقامت اموره وتمهد له الملك وعقد الصلح مع آل يعمراسن بن زيان
اصحاب تلمسان واقام ساكناً بحضرته مجتنباً ثمة ملكه فساد الامن وعم العدل في
ايامه وانفتحت للناس ابواب الماش والترف فبنوا القصور الشاهقة والدور النفيسة
وتعالوا في الماكل والملبس واستبحر العمران وظهرت المدنية باكمل معانيها

وكانت الرسل تتردد بين ابن الاحمر بالاندلس وابي الربيع صاحب مراكش
توثيقاً لرباط المحبة والوداد فقدم من الاندلس الى فاس ذات يوم بعض المنتمكين
في الشرب وشرب الخمر جهاراً في فاس وكان على قضاء فاس ابو الحسن الزرولبي
المعروف بالصغير وكان شديداً على مرتكبي المحرمات فوشي اليه به فاحضره وجلده

فخرج الانداسي وذهب الى الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي وكشف له عن جسده واره ما فعل به القاضي ولان السياسة شيء والدين آخر اغتاز الوزير جداً من فعل القاضي لانه ربما كانت هذه الحادثة سبباً لقطع حبل الاتصال بين بني الاحمر بالاندلس وبني مرين بمراكش . وارضاء لخاطر الانداسي ارسل بعض ابداءه لاحضار القاضي فامتنع القاضي عن الحضور واعتصم بالمسجد الجامع ونادي في المسلمين فثارت العامة بهم وهاج الناس وماجوا وظهروا آثار الثورة وانصل الحبر بالسلطان فتلافي الامر واحضر رسل الوزير وقتلهم فسكنت العامة ولكن اغتاز عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي لهذا الفعل وظهر العصيان واحضر عبد الحق بن عثمان المريني وبايع له وامر العسكر بالمبايعة فبايعوا وخرج الوزير وعبد الحق ومن معهما الى ظاهر فاس ، ظهري الخلف فجمع السلطان ابو الربيع كل من قدر . على جمعه وخرج لمبايعة الحرب فالتقوا واقتتلوا وانهمز الوزير واصحابه فلحق هو وخليفته عبد الحق بن عثمان بالاندلس واثخن السلطان في حاشيتهم واتداءهم حتى محاذ الشقاق . ولما وصل السلطان الى تازا في اتباعهم مرض اياماً وتوفي بتازا يوم الاربعاء منسأخ جادي الاخرة سنة ٧١٠ هـ ودفن بصحن الجامع الاعظم بتازا

٥٣٢ - ابوسعبد عثمان به يعقوب بن عبد الحم

من سنة ٧١٠ - ٧٣١ هـ او من سنة ١٣١٠ - ١٣٣١ م

لما توفي السلطان ابو الربيع سليمان اجتمع اهل الدولة وبايعوا ابا سعيد عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق فرجع من تازا بجيش بني مرين ودخل فاساً في ٢٠ رجب من السنة وبعد ان استقبل وفود المهنيين خرج من فاس سائداً في بلاد مراكش متقدماً احوالها ناظراً في امور رعيته وبعد ان قضى وطره من ذلك عاد الى حضرته . ثم كان ما نذكره

لما اظهر الوزير الوطاسي العصيان على السلطان ابي الربيع ثم انهزم هو وخليفته عبد الحق بن عثمان ولحقا بالاندلس كان ابو حمو الزباني صاحب تلمسان معاضداً لهما ومشجعاً اياهما ولما انهزما سهل لهما الطريق الى الاندلس

فلما تولى ابو سعيد بعد ابي الربيع اهتم بالامر وعزم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة ٧١٤ هـ ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنيه الامير بن ابا الحسن وابا علي في عسكرين عظيمين في الجناح وشار هو في ساقبتهما فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعبئة فاكتمسح نواحيها ثم نازل وجدة وقتلها قتلاً شديداً فامتنت عليه ثم نهض الى تلمسان فنزل بالمغرب من ساحتها وتحصن ابو حمو بالاسوار وغاب السلطان ابو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فخطمها تحطياً ونسفها نسفاً ودوخ جبال بني يزناسن واثخن فيهم وانتهى في قفوله الى وجدة ففر اخوه ابو البقاء يعيش (وكان في معسكره) من اجل استزابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على ابي حمو ورجع السلطان ابو سعيد على التعبئة فانتفى الى تازا فاقام بها وبعث ابنه الامير ابا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره

كان للسلطان ابي سعيد ولدان ابو الحسن علي وابو علي عمر وكان السلطان يحب اصغرهما ابا علي عمر حتى رشحه لولاية العهد من بعده ووضع له القاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة واستمرت حال ابي علي على هذا وخاطبه ملوك النواحي وخاطبهم وهاداهم وكاد ان يستبد بالامر كله

فلما قفل السلطان ابو سعيد من تلمسان اواخر سنة ٧١٤ هـ اقام بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير ابو علي بها حدثته نفسه بالقيام على ابيه وخلع طاعته فجاءه بالخلعان ودعا لنفسه فاطاعه الناس وعلم السلطان ابو سعيد بذلك بمكانه من تازا فبرز لقتال ابنه وبرز ابنه لقتاله والتقى الجمعان بالمقرمدة ما بين تازا وفاس فانهزم السلطان ابو سعيد وفر جريحا الى تازا فبعثه ابنه ابو علي وحاصره بها ثم ترددت بينهما الرسل في الصلح على ان يكتبني السلطان ابو سعيد بتازا ويستمر بها ويسلم الامر لابنه قبل ذلك وتم الصلح بهذه الكيفية . وانكفاء الامير ابو علي

راجعاً الى حضرة فاس فاعتل عقب وصوله اليها واشرف على الهلاك وخشي الناس على انفسهم اختلال الامر بعد موته فاسرعوا الى والده السلطان ابي سعيد بتأزاً وحملوه على تلافي الامر وانتهاز الفرصة فنهض من تأزاً واجتمع اليه كافة بني مرين والجند وعسكر على البلد الجديد واقام محاصراً له وابتنى داراً اسكنه وجعل لابنه الامير ابي الحسن علي ما كان لاختيه ابي علي عمر من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير ابي علي اختلال امره بعث الى ابيه في الصلح على ان يعوضه سبعمائة وما والاها فاجيب الى ذلك ووفي له السلطان بما اشترط وارتحل الى سبعمائة سنة ٧١٥ هـ فاقام بها دولة فخيمة . اما السلطان ابو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد وفوض الامور لابنه ابي الحسن وعادت المياه الى مجاريها

وفي سنة ٧١٨ هـ وفد على السلطان ابي سعيد وفد من الاندلس والسبب في ذلك ان بطرس الاول الذي ملك البلاد على اسبانيا بعد ابيه الغونس الحادي عشر تطاول على المسلمين بالاندلس وضايقهم بغرناطة فارسلوا هذا الوفد لابي سعيد مستنجدين به على بطرس المذكور فلم يجيبهم الى طلبهم الا على شرط تسليمه عثمان ابن ابي العلاء النازع بالاندلس فاستصعب اهل الاندلس هذا الطلب وعادوا منكسري الخاطر

وفي سنة ٧٢٠ هـ انتقض ابو علي عمر على ابيه السلطان ابي سعيد وقصد مراکش سنة ٧٢٢ هـ واقامها عنوة واستولى عليها فبرز اليه السلطان ابو سعيد وقاتله وهزمه وشدت جوعه واسترجع منه مراکش . ثم تقدم السلطان الى سبعمائة فدافعه الامير ابو علي بالخضوع ورغب اليه في الصلح والرضى والعود الى السلم فاجاب السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة . واقام الامير ابو علي بمكانه الى توفي السلطان ابو سعيد وتقلب عليه اخوه السلطان ابو الحسن كما نذكره ان شاء الله تعالى

وفي سنة ٧٣٠ هـ وفد على السلطان ابي سعيد وفد من قبل السلطان ابي بكر ابن ابي زكريا صاحب تونس مستنجداً به على آل يغمراسن الذين غلبوه على امره

واخرجوه من تونس وكان ابو سعيد يرغب في مصاهرة ابي بكر بن ابي زكريا الحفصي فاجابه الى طلبه وسار في عسكر بني مرين لمانزلة تلمسان فلما انتهى الى وادي ملوية علم بانتصار ابي بكر ورجوعه الى كرسي ملكه بتونس فارسل اليه وفداً يهنيئه بالظفر ويخطب ابنته لابنه ابي الحسن علي فوصلوا الى الحفصي وادوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم في ابنته فاطمة شقيقة الامير ابي زكريا وزفها اليهم في اساطيله مع مشيخة الموحدين فوصلوا الى مرسى غساسة سنة ٧٣١ هـ

ولما علم السلطان ابو سعيد بقدوم العروس فاطمة بنت السلطان ابي بكر ارتحل بنفسه الى تازا ايشارف احوالها كرامة لها ولا يبيها وسروراً بعرض ابنته فاعتل هناك وازداد مرضه حتى اذا اشرف على الهلاك ارتحل به ولي العهد الى الحضرة فتوفي في طريقه اليها ليلة الجمعة ٢٥ ذي القعدة سنة ٧٣١ هـ وكان مرضه بعلة النقرس

٥٣٣ - ابو العباس علي بن عثمان

من سنة ٧٣١ - ٧٥٢ هـ او من سنة ١٣٣١ - ١٣٥١ م

لما توفي السلطان ابو سعيد تولى بعده ابنه وولي عهده ابو الحسن علي بن عثمان فنقل جثة ابيه الى فاس ودفنها هناك . ولما انتهت ايام الجنازة زفت اليه زوجته الحفصية . ولاول ولايته خرج الى سجلماسة مشارفاً لاحوال اخيه ابي علي عمر فتلقته وفود اخيه اثناء الطريق مؤدياً حقّه وموجباً مبرته ومهنئاً بما اتاه الله من الملك . وبعد ان قضى وطره وعقد لـ اخيه علي سجلماسة كما كان في ايام ابيه تقدم قاصداً تلمسان لعهد كان بينه وبين السلطان ابي بكر الحفصي وهو صهره كما تقدم . فسار حتى انتهى الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظراً لـ قدوم صهره السلطان ابي بكر الحفصي . فعسكر ابو الحسن بتاسالت ثم بعث بحصنة من جنده في البحر الى صهره الحفصي مدداً له وهو يومئذ يبحر يقاتل بجيش بني زيان عليها

ولما اتصل الخبـر بابي تاشفين صاحب تلمسان فكـر في امر ابي الحسن واعـمل
الحيلة بان دس الي اخيه الامير ابي علي عمر صاحب سجلماسة في اتصال اليـد به
والاتفاق معه على اخيه ابي الحسن فوافقه ابو علي على ذلك وخاف على اخيه
السلطان ابي الحسن وانتفض بسجلماسة ودعا لنفسه ثم تقدم الى درعة فقتل عاملاً
وولى عليها عاملاً من قبله ثم سرح المـساكر الى مراكش واجلب عليها بجـيله ورجله
وانصل الخبر بالسلطان ابي الحسن وهو بمـسكره من ناسالت فانكفاء راجعاً
الى الحضرة مجعاً على الانتقام من اخيه . واغذا السير الى سجلماسة فـنزل عليها واخذ
بمخنفها واقام محاصراً لها حولاً كاملاً ونهض ابو تاشفين صاحب تلمسان بمـساكرة
يريد الغارة على اطراف المغرب كي يشغل ابو الحسن عن اخيه بذلك فلـرسل
اليه ابو الحسن ابنه تاشفين في عسكر بني مرين فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان
ثم شدد ابو الحسن الحصار على سجلماسة حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم
سنة ٧٣٤ هـ وتقبض على الامير ابي علي وانكفاء راجعاً الى فاس واعتقل ابا علي
بها اشهرًا ثم قتله . وكان عمر ابي علي يومئذ ٣٧ سنة وكانت دولته بسجلماسة ١٩
سنة وكان رقيق الحاشية ينسب الي الادب . ومن شعره يخاطب اخاه ابا الحسن
ايام حصاره له بسجلماسة وقد ايقن بزوال امره

فلا يفرنك الدهر الخوون فكم	اباد من كان قبلي يا ابا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقـي على صفة	لا بد من فرح فيه ومن حزن
اين الملوك التي كانت ثـمـاهـم	اسد المرين ثـووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت	رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا	واسـتغـن بالله في سر وفي علن
واختر لنفسك امراً انت امره	كانني لم اكن يوماً ولم تكن

وفي سنة ٧٣٢ هـ كان قد وفد على السلطان ابي الحسن السلطان محمد بن
اسماعيل بن الاحمر صاحب الاندلس مستنجداً به على الفرنج وكان السلطان أبو
الحسن في ذلك الوقت مشغولاً بفتنة اخيه ابي علي ومع ذلك اجاب طلبه وسير

ابنه ابا مالك في عساكر بني مرين مددا لابن الاحمر المذكور واتحدت عساكر
ابن الاحمر مع عساكر بني مرين ونازلوا جبل طاسق واقتحموه عنوة
سنة ٧٣٣ هـ

ولما استقام ملك المغرب للسلطان ابي الحسن بمقتل اخيه ابي علي صاحب
سجلماسة ونصر الله عساكره على الفرنج بالاندلس تفرغ لسان تلمسان والانتقام
من صاحبها فخرج من فاس سنة ٧٣٥ هـ واغذا السير الى تلمسان وبعد ان فتح
جميع المدن التي في طريقه وصل اخيراً الى تلمسان واحيا معالم المنصورة التي
كان قد اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان كما تقدم فادار عليها
سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق ونصب المجانيق وحاصر تلمسان وشدد عليها
القتال واثنى في بني عبد الواد وبالغ في النكابة حتى ضعفوا عن المدافعة واقتحم
ابو الحسن المدينة واستولى عليها وازال منها اثار بني عبد الواد وغنم منها ما لا يقدر
وانتسعت مملكته بعد هذا الفتح وعلا صيته وعظم شأنه

ولما استولى ابو الحسن على تلمسان ارسل اليه السلطان ابو بكر الحفصي
صاحب تونس بقدموه اليه للقائه وتمنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان ابو الحسن
لهذه المواجهة لانه كان يحب الفخر ويعني به وارتحل عن تلمسان سنة ٧٣٨ هـ
وعسكر بمعية منتظراً لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصي عن القدوم بسبب بُشيط
محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه . وطال مقام السلطان ابي الحسن في ابتظاره
ثم طرقه المارض بمكانه حتى خيف على حياته وكان ابنه الامير ابو عبد الرحمن
وأبو مالك متناغيين في ولاية العهد وتمشت سيطرة الفتن بينهما وانقسم العسكر
الى حزبين بسببهما وهم الامير ابو عبد الرحمن بالثوب على الامر قبلما يتبين حال
السلطان وذلك بمداخلة وزيره زيان بن عمر الوطاسي وعلم خاصة السلطان بذلك
فاخبروه وحضوه على الخروج للناس قبل ان يتفاقم الامر ويتسع الخرق فرز
السلطان الى فسطاط جلوسه وتسامع العسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبل يده
وتقبض السلطان على اهل الظنة من الجيش فاودعهم السجن وسخط على ابيه

الامير بن المذكورين وطفى نار الفتنة فاشتد جزع الامير ابي عبد الرحمن وركب من فسطاطه ليلاً فاصبح بجلة اولاد علي امراء بني زغبة فقبض عليه اميرهم موسى ابن أبي الفضل وردده الى ابيه فاعقله بوجدة ورتب عليه الحرس . اما الوزير زيان بن عمر الوطاسي فلحق بالموهدين اصحاب تونس فاجاروه . ثم رضي عن أبنه ابي مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس . وبقى الامير ابو عبد الرحمن بسجنه بوجدة الى سنة ٧٤٢ هـ ثم وثب ذات يوم بالسجان وقتله واتصل الخبر بابيه السلطان فارس الى من قتله

وفي سنة ٧٤٠ هـ كانت وقعة بين الامير ابي مالك ابن السلطان ابي الحسن وهو وقتئذ عامل لايه على ثغور الاندلس وبين افرنج الاندلس وأنتصر الافرنج وقتل ابو مالك في تلك المعركة وعلم السلطان بذلك فخرن على ابنه وارسل اساطيله فانصرت على اساطيل الفرنج ثم اجاز السلطان البحر بقصد الجهاد واخذ ثار ابنه وبرز الفرنج لقتاله وكانت بين الفريقين موقعة شديدة ظاهر طريف فانهمز السلطان ابو الحسن هزيمة شنعاء وغنم الفرنج معسكره حتى بلغوا فسطاطه وقتلوا نساءه وخلص السلطان ابو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة . وكانت هذه الواقعة سنة ٧٤١ هـ

وفي سنة ٧٤٣ هـ استولى الفرنج على الجزيرة الخضراء بالاندلس واخرجوا منها عسكر السلطان فعبروا البحر الى العدو الغريبة فانزلهم السلطان ببلاده . ثم انكفأ السلطان ابو الحسن راجعاً الى حضرتة

وفي سنة ٧٤٧ هـ توفي السلطان ابو بكر بن أبي زكريا الحفصي صاحب تونس وتولى بعده أبنه ابو حفص عمر مع انه لم يكن ولي عهده بل كان ولي عهده ابا العباس احمد نسيب السلطان ابي الحسن وحدث بين الاخوين فن وحروب انتهت بقتل الامير ابي العباس واستيلاء ابي حفص على تونس وكان محمد بن تافراكين وزيره قد استشمر منه بالفدرفهوب ووفد على السلطان ابي الحسن

واغراه بملك افريقية

وكان السلطان ابو الحسن مذ استولى على تلمسان والمغرب الاوسط يحدث نفسه بغزو تونس والاستيلاء عليها انما كان يمنع من ذلك مراعاة خاطر صهره السلطان ابي بكر الحفصي وابنه ابي العباس احمد شقيق فاطمة التي تزوجها . فلما توفي ابو بكر كما تقدم وتوثب ابنه ابو حفص عمر على ابي العباس وقتله انتهر أبو الحسن هذه الفرصة وجمع عساكره وسار حتى وصل الى تلمسان في صفر سنة ٧٤٨ هـ وبعد ان عقد لابنه الامير ابي عنان علي المغرب الاوسط وعهد اليه النظر في اموره كافة تقدم الى افريقية ونازل بجاية وقسنطينة واستولى عليها ثم تقدم الى تونس فالتقاء اهله مطيعين . ودخل تونس باحتفال عظيم وبعد ان شرد آل حفص الى المغرب ورتب المال بافريقية رأى أن العرب وخصوصاً بني سليم لهم سطوة وشوكة زائدتا الحد وذلك لضعف السلاطين الحفصية لذلك الوقت فانف من ذلك وضرب على ايديهم بعضاً من حديد حتى لم يبق لهم في الدولة معه مقام فلما ثقلت الوطأة عليهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت التمسوا من اعيان الحفصية من ينصبونه للملك فدخلهم بعض مناسرة الفتن على رجل من بني عبد المؤمن وهو احمد بن عثمان بن ابي دبوس وكان يجتاز الخياطة بتوزر فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر . وعلم السلطان ابو الحسن بالخبر فخرج في عساكره اليهم فوافاهم بالموضع المعروف بالثنية بين بسيط تونس والقيروان فاجفوا امامه الى ان وصلوا الى القيروان فلما رأوا انه لا ملجأ لهم منه تحالفوا على الاستماتة . وكان عسكر السلطان ابي الحسن يومئذ مشحوناً باعدائه مثل بني عبد الواد وغيرهم فدخلوا الى العرب سراً بالائتلاف معهم

فلما دارت رحى الحرب انهزم بنو عبد الواد ومن والاهم فاقتل مصاف السلطان ابي الحسن وانهزم هزيمة شتاء وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه وتحصن بها وحاصره العرب فيها مدة ثم افتقرت كلمتهم فافرجوا عنه فخرج السلطان من القيروان الى سوسة ومنها ركب البحر الى تونس فوصلها آخر سنة ٧٤٩ هـ فاجتمع شملته

واستتب امره

واساء عمال بنى مرين السيرة في اهل افريقية حتى تطلبوا اعياص الدولة الحفصية ليولوه امرهم فوق اختيارهم على الفضل ابي العباس بن ابي بكر وكان السلطان ابو الحسن قد عقد له على بونة ولم يشرده الى المغرب دون جميع آل حفص فانطلقوا اليه في مكانه وبأيموه وعاضدوه وحاربوا معه حتي استولى على بجاية وقسنطينة وتقدم الى حضرة تونس وحاصرها وبها السلطان ابو الحسن

وفي هذه الاثناء بلغ ابا عنان ابن السلطان ابي الحسن بمكانه من تلمسان ان اياه فقد في محاصرة العرب له بالقيروان فخاف ضياع الامر منه وسار الى المغرب ودخل فاساً واستولى عليها وخطب فيها لنفسه واستتب له الملك بالمغرب . ولما ترك تلمسان توثب بها ابن زيان في خبر طويل واستولى عليها

وابتصلت هذه الاخبار بالسلطان ابي الحسن بمكان حصاره من تونس فعمظمت عليه المصيبة وعزم على المحاق بالمغرب فركب البحر من تونس بعد ان استخاف عليها ابنه ابا الفضل وذلك سنة ٧٥٠ هـ وكان الوقت شتاء فلما نزل بالاسطول وابتعد عن البر هاج البحر وماج حتى غرقت جميع مراكب السلطان ابي الحسن وخلص هو على خشبة الى الجزائر بعد ما عاين الموت بعينه

ولما وصل السلطان الى الجزائر التف حوله بعض الاعراب من احواز الجزائر فنهض بهم الى جهة تلمسان وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرزوا اليه وانهمزم السلطان ابو الحسن وخلص هو الى الصحراء . ثم اجتمع رايه على قصد المغرب موطن قومه ودار عزه وكرمي ملكه فسار حتى احتل سجلماسة فانتقاه اهلها بكل احشاء وتهافتوا عليه تهافت الفراش على ضوء السراج وبلغ الامير ابا عنان الخبر بقدم والده الى سجلماسة فنهض اليه في قومه وجوعه . وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان ابي الحسن حاذرة من عقوبته لجنائيتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه

ولما علم السلطان ابو الحسن بقدومهم علم من حاله انه لا يطيق دفاعهم فاجفل عن سجالامة ولحق بمراكش ولما شارفها تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل اوب ونسلوا اليه من كل حذب وفر عامل مراكش الى ابي عنان . واستقر السلطان ابو الحسن بمراكش وأمل برجوع امره . اما الامير ابو عنان فانه لما علم باجفال ابيه عن سجالامة عاد الى فاس ولما علم باستيلاء ابيه على مراكش خرج اليه في عساكره وبرز ابو الحسن للقاءه وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو الحسن ولحق بجبل هنتاة ومرض هناك وتوفي ليلة الثلاثاء ٢٧ ربيع الاول سنة ٧٥٢ هـ .

وكان السلطان ابو الحسن الفخم ملوك بني مرين دولة واضخمهم ملكاً وابعدهم صيتاً واعظمهم ابهة واكثرهم اثاراً بالمغربين والاندرلس . وكان يرسل سلاطين مصر الماليك لذلك الوقت ويهاديهم واخباره اكثر من ان تحصر في مثل هذا الكتاب الا ان اواخر ايامه كانت كما رايت

٥٣٤ - المتوكل على الله ابو عنان فارسي بهي الى الحسن

من سنة ٧٥٢ - ٧٥٩ هـ او من سنة ١٣٥١ - ١٣٥٨ م

بوقع ابو عنان في حياة والده السلطان ابي الحسن يوم ثار عليه كما قدمنا وذلك سنة ٧٤٩ هـ ولما توفي والده السلطان ابو الحسن بجبل هنتاة وانقضى شان الفتن ارتحل السلطان ابو عنان الى فاس ونقل شلو ابيه الى شالة ودفنه بها واغذا السير الى فاس وقد استتب امره وخلا له الجو وجلس على اريكة الملك وتلقب المتوكل على الله . ومن ذلك الوقت اجمع رايه على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بايديهم من الملك الذي تطاولوا اليه . وبعد ان جمع عساكره نهض في سنة ٧٥٣ هـ يريد تلمسان واتصل خبره بسلاطينها ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن فجمع قومه ومن شايعه ونهض للدافعة والتقى الجمعان ببسيط انجاد آخر ربيع الثاني من السنة وبعد ان اقتتلا انهزم بنو عبد الواد واسر سلاطينهم ابو سعيد عثمان بن عبد

الرحمن وحيء به الى السلطان ابي عنان فاعتقله وتقدم على التعبية الى تلمسان
فدخلها في ربيع المذكور . وبعد ان استتب امره بها امر اباي سعيد الزياتي
فقتل وفر اخوه ابو ثابت وجمع كثيرين من اشياهم واتباعهم وحدث نفسه
باسترجاع ملكهم فسير اليه ابو الحسن جيشاً فانهزم ابو ثابت وفر حتى وصل الى
بجاية من غم افرريقية فقبض عليه اميرها ابو عبدالله محمد بن ابي زكريا الحفصي
وكان مخاضاً للسلطان ابي عنان فاعتقله عنده حتى وفد به عليه بلدية فاكرم
السلطان وفادته واودع ابا ثابت السجن . ولما فرغ السلطان ابو عنان من شان
المغرب الاوسط وبث عماله في نواحيه وثقف اطرافه سمي الى تملك افرريقية على ما
نذكره ان شاء الله تعالى

لما وفد ابو عبد الله الحفصي صاحب بجاية على السلطان ابي عنان بلدية
وذلك في شعبان سنة ٧٥٣ هـ وبالغ في اكرامه شكاً اليه ما يلقاه من رعيته من
الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وغير ذلك فاشار عليه السلطان ابو عنان
بالنزول له عنها على ان يعوضه عنها ما يشاء من بلاده فسارع الى قبول ذلك
وعوضه السلطان عنها مكفاسة الزيتون . وعقد ابو عنان عليها لعمر بن علي
الوطاسي من بني الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بحصن تازوطا ايام يوسف بن
يعقوب . ثم عاد السلطان ابو عنان الى تلمسان وقد اتسمت مملكته اتساعاً عظيماً
وكان اهل بجاية غير راضين بما تم عليه الاتفاق بين اميرهم ابي عبد الله
والسلطان ابي عنان فلما قدم اليهم عمر بن علي الوطاسي عاملاً عليهم من قبل
السلطان ابي عنان اتفقوا فيما بينهم على الفتك به ففعلوا وقتلوه بمجلسه بدار الامارة
وارسلوا الى ابي زيد بن محمد الحفصي صاحب قسنطينة في القدوم اليهم ليولوه
امرهم فتأقل عنهم . ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا امرهم في الرجوع
الى طاعة السلطان ابي عنان فقتلوا بعض الفوغاء وارسلوا برؤسهم اليه بدعوى
انهم مسببو الفتنة وسرح السلطان ابو عنان حاجبه ابا عبد الله محمد بن ابي عمر
في الكناشب اليها فدخلها فاتح سنة ٧٥٤ هـ فشنت صنهاجة في كل وجهه وتقبض

على اصحاب الفعلة منهم واعتقلهم واركبهم الاسطول الى المغرب فاطمان الناس وسكتوا . وبعد ان استتب امرها ارتحل الى تلمسان ومعه شيوخ الزاورة ووجوه بجاية فاكرم السلطان وفادتهم

وفي سنة ٧٥٤ هـ ثار ابو الفضل بن السلطان ابي الحسن على اخيه ابي عنان ودعا لنفسه ببلاد السوس وعلم السلطان ابو عنان بمكانه من تلمسان بالخبر فارسل اليه وزيره فارس بن ميمون بالعاكر فقاتله وهزمه وهرب ابو الفضل متنقلاً في تلك الجهات الى ان وقع اسيراً في ايدي بعض اصحاب اخيه فاشخصه معتقلاً الى اخيه السلطان ابي عنان سنة ٧٥٥ هـ فاودعه السجن ثم امر به فقتل

وفي سنة ٧٥٦ هـ انتقض على السلطان ابي عنان وزيره وصاحب شوره عيسى ابن الحسين بن علي من شيوخ بني مرين ووجوهها كان السلطان قد استعمله على جبل طارق فتمكنت رياسته وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ثم الناءت حالة وضاعت مذاهبه فقبض عليه واحضر بين يدي السلطان ابي عنان فامر به فقتل وعقد على جبل طارق لولده ابي بكر السعيد

وفي سنة ٧٥٧ هـ عزم السلطان ابو عنان على فتح افريقية وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعمية الى ان وصل بجاية . ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على اثره ولما اطلت راياته وماجت الارض بجنوده ذعر اهل البلد والقوا بايديهم الى الاذعان وانفضوا من حول سلطانهم ابي العباس احمد الحفصي وجاؤا مطيعين الى السلطان ابي عنان فاستولى ابو عنان على قسنطينة وقبض على ابي العباس احمد الحفصي وسيره في الاسطول الى سبتة واعتقله بها وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج مخلوف اليباني من شيوخ بني مرين . ثم ارسل ابو عنان عساكره برّاً وبحراً لمنازلة تونس وساطانها ابي اسحق ابراهيم بن ابي بكر الحفصي

ولما اتصل الخبر الى ابي اسحق المذكور اخرج حاجبه ابا محمد بن تافراكن

لقتلهم فقاتلهم ابن تافراكين يوماً او بعض يوم ثم ركب الليل الى المهديّة وتحصن بها ودخل اولياء السلطان ابي عنان الى تونس في رمضان سنة ٧٥٨ هـ واقاموا بها الدعوة المرينية وانفذوا الكتب الى السلطان ابي عنان بالفتح فعظم سروره وعزم على المسير الى تونس . وكانت عساكره قد ملّت الغربة واعياهم التعب فتأمروا فيما بينهم على قتل السلطان ابي عنان واسرّوا بذلك الى وزيره فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وعلم بعض مشيخة بني مرين بالخبر فاوصله للسلطان وكان قد خرج من قسنطينة قاصداً تونس فلما تحقّقه وعلم عدم مقدرته المقاومة انكفأ راجعاً الى المغرب دار ملكه فدخل فاساً غرة ذي الحجة سنة ٧٥٨ هـ ولما استقر بها قبض على وزيره فارس بن ميمون ومن واقفه على قتل السلطان وقتلهم جميعاً . واستوزر بعد فارس المذكور سليمان بن داود وارسله في العساكر الى افريقية لاتمام فتحها وخرج هو في اثره حتى احتل تلمسان وبعدها شارف احوالها رجع الى المغرب فوصل فاساً منتصف ذي القعدة سنة ٧٥٩ هـ

ولما استقر السلطان ابو عنان بفاس لحقه مرض اودى بحياته وكانت وفاته يوم السبت ٢٨ ذي الحجة سنة ٧٥٩ هـ وكان السلطان ابو عنان من عظماء سلاطين هذه الدولة

٥٣٥ - - السعير بالله ابو بكر بن ابي عنان

من سنة ٧٥٩ - ٧٦٠ هـ او من سنة ١٣٥٨ - ١٣٥٩ م

لما توفي السلطان ابو عنان اجتمع الوزراء وارباب الدولة وبايعوا ابنه ابا بكر ولقبوه السعيد بالله وقام بامر دولته الوزير حسن بن عمر الفودودي واستبد بالامر وصار صاحب الامر والنهي ولم يكن للسلطان ابي بكر معه الا الاسم فقط وكان السلطان ابو بكر ضعيف الراي غير اهل لتبوء كرسي السلطنة وفي ايامه ضعفت الدولة المرينية الى درجة لم يسبق لها نظير وانخلعت عنها الممالك التي كانت

تحت تملكها فان ابا العباس احمد بن ابى بكر الحفصي كان قد هرب من معتقله بسببة ولحق بتونس واستولى عليها وجدد بها ما اندرس من امر آبائه . وظهر ابو حمو موسى بن يوسف الزياني والتف حوله بنو عبد الواد واستولى على تلمسان ومما منها الدعوة المرينية وذلك بخلاف الفتن التي ظهرت بالمغرب واستيلاء كل عامل على ما بيده حتى اوشكت الدولة على الضياع

وفي هذه الاثناء ظهر منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ابن عبد الحق ودعا لنفسه فاطاعه غالب اهل المغرب وحارب السعيد بالله ابا بكر وكاد يستولي على الامر وينتزع منه لولا ظهور ابى سالم ابراهيم بن ابى الحسن وانتزاعه الامر منها معاً كما ستراه

وكان من خبره انه كان مستقراً بالاندلس بعثه اليها اخوه ابو عنان ولما مات ابو عنان وولي ابنه الصبي طمع ابو سالم هذا في الملك واجاز البحر الى المغرب ونزل بجبل غارة فانصرفت اليه وجوه اهل المغرب وبطل امر السلطانين ابى بكر السعيد ومنصور بن سليمان معاً وذا با كما يذوب الملح فاما منصور بن سليمان فانه فر الى بادس فقبض عليه وجيء به الى السلطان ابى سالم فقتله . اما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور ابى سالم واستفحال امره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبث بطاعته الى ابى سالم ووعدته بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه فكان الامر كذلك . وخلع السعيد يوم الثلاثاء ١٢ شعبان سنة ٧٦٠ هـ ثم قتل بعد ذلك

٥٣٦ — المستعين بالله ابو سالم ابراهيم بن ابى الحسنة

من سنة ٧٦٠ — ٧٦٢ هـ او من سنة ١٣٥٩ — ١٣٦١ م

لما قدم السلطان ابو سالم من الاندلس ونزل بجبال غارة كثر اتباعه وعظم شأنه ولحق به وجوه بني مرين وكانت الفتن قائمة بين السلطانين السعيد ومنصور

ابن سليمان فلما ظهر ابو سالم انقضت الجوع عنها ولحقوا بابي سالم المذكور ورأى الحسن بن عمر الفودودي وزير السعيد تمكن ابي سالم بالامر فارسل اليه بطاعته وطلب اليه القدوم الى فاس ليكنه منها ثم قام على سلطانه السعيد وحمله فاغدا ابو سالم السير الى فاس والتقاء الحسن بن عمر المذكور واسلمه ابن اخيه السعيد وبايعه ودخل ابو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٧٦٠ هـ واستولى على ملك المغرب وعقد للحسن بن عمر على مراكش تحففاً منه وريية بمكانه من الدولة واستتب الامر لابي سالم وعظم صيته وعلا شأنه وتلقب المستعين بالله وفي سنة ٧٦١ هـ وفد على ابي سالم السلطان الغني بالله بن الاحمر صاحب الاندلس ووزيره ابن الخطيب الشهير مخلصين فاكرم وفادتهم ووسع لهم في بلاده

وفي هذه السنة (٧٦١ هـ) انتقض الحسن بن عمر بمراكش لانه استشعر بتكر السلطان له فحشي على نفسه وخرج من مراكش في صفر من هذه السنة فلحق بتادلا منحرفاً عن السلطان ومجمعاً على الخلاف فارسل اليه السلطان عساكره بقيادة وزيره الحسن بن يوسف فقاتله حتى قتله وصار عبرة لمن اعتبر ولما استوثق للسلطان ابي سالم ملك المغرب ومحا اثر الخوارج منه سميت همته الى تلك التماسان كما كان لاييه واخيه من قبل فجهز العساكر لهذا الغرض وارتحل من فاس منتصف سنة ٧٦١ هـ الى تلمسان . واتصل خبر نهوضه بسلطانها ابي حمو بن يوسف الزياني فجمع شيعته وخرج من تلمسان الى الصحراء وتقدم ابو سالم ودخل تلمسان بلا معارض واستولى عليها . فخالفه ابو حمو في اصحابه الى المغرب فنزلوا آكر سيف ووطاط وبلاد ملوية وحطموا زرعها وانتسفوا بركتها وخرّبوا عمرانها

وبلغ السلطان ابا سالم الخبر فاهمه امر المغرب وكان في جهلته من بني زيان محمد بن عثمان بن ابي تاشفين ويكنى ابا زيان فعقد له علي تلمسان واعطاه الآلة وجمع له جيشاً من مغراوة وبني توجين ودفع لهم اعطياتهم وانكفأ راجعاً الى فاس

فاجفل ابو حو واصحابه امامه وخالفوه الى تلمسان فطردوا عنها ابا زيان واستولوا عليها . وثبت قدم ابي حو بها وعاد ابو زيان الى المغرب لاحقاً بالسلطان ابي سالم قبله وعقد المهادنة مع ابي حو واستقر الامر على ذلك

وكان للسلطان ابي سالم وزير يعرف بالخطيب ابي عبد الله بن مرزوق وقد اتى اليه زمام الدولة فصار المطلق التصرف فيها فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه واتفقوا على خلع السلطان ابي سالم وتولية اخيه تاشفين الموسوس ابن ابي الحسن وتربصوا الفرص لاتمام غرضهم فلما كان اواخر سنة ٧٦٢ هـ انتقل السلطان ابوسالم من فاس الجديد الى فاس القديم فاجتمعوا بفاس الجديد وثاروا به وابعوا صاحبهم وعلم السلطان بذلك وخرج لمنعهم عن اتمام غرضهم فقاتلوه وقتلوه وكان ذلك يوم الخميس ٢١ ذي القعدة سنة ٧٦٢ هـ . وكان المتولى كبر هذه الفتنة عمر بن عبد الله الفودودي

٥٣٧ - ابو عمر تاشفين الموسوس بمراكش الى الحسن

من سنة ٧٦٢ - ٧٦٣ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٦٢ م

لما ثار عمر بن عبد الله الفودودي بالسلطان ابي سالم وسعى في هلاكه الى ان قتل كما مر استبد بامر الدولة ونصب هذا الموسوس يموه به على الناس فبويع ليلة الثلاثاء ١٩ ذي القعدة سنة ٧٦٢ هـ . وعظم امر استبداد عمر بن عبد الله الفودودي على مشايخ بني مرين وكرهوا ذلك فارسلوا الى عبد الحليم بن ابي علي بن ابي سعيد المريني وكان مقيماً بتلمسان واستقدموه من هناك ليولوه امرهم فسرجه ابو حو صاحب تلمسان اليهم واعانه بالسلاح والرجال فقدم الى فاس وتلقته جماعة بني مرين بسبوا ونزلوا على فاس الجديد يوم السبت ٧ محرم سنة ٧٦٣ هـ وحاصروا دار الملك سبعة ايام فقاتلهم عمر بن عبد الله وهزمهم واجلاهم عن المدينة فخرج كل واحد على وجهه ولحق عبد الحليم بتازا . ثم راجع عمر بن عبد الله بصيرته وعلم ان الامر لا

يستقيم له اذا ابقى ابا عمر تاشمين لانه كان معقوها وانه لا بد من قيام بني مرين عليه حتى يولوا الامر مستحقه فسادر باستقدام ابي زيان محمد بن ابي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي الحسن وكان بالاندلس فقدم . وخلع الوزير سلطانه الموسوس يوم الاثنين ٢١ صفر سنة ٧٦٣ هـ فكانت دولته ثلاثة اشهر ويومين

٥٣٨ - ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن

من سنة ٧٦٣ - ٧٦٨ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٦٦ م

وبعد ان خلع عمر بن عبد الله سلطانه الموسوس كما تقدم نصب الامر بعده ابا زيان محمد بن ابي عبد الرحمن ولقبه المتوكل على الله واستمر على استبداده بامر الدولة . وكان ابو زيان متساهلاً معه تاركاً الامر له ولكن لما طال استبداد الوزير على ابي زيان المذكور عزم على الفتك وتناجى بذلك مع بعض ندمائه واعد له طائفة من العبيد كانوا يختصون به فنجي ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عيناه عليه فمأجله وقتله فاتح سنة ٧٦٨ هـ

٥٣٩ - ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن

من سنة ٧٦٨ هـ - ٧٧٤ هـ او من سنة ١٣٦٦ - ١٣٧٢ م

لما قتل الوزير عمر بن عبد الله السلطان ابا زيان محمداً استدعى عبد العزيز ابن ابي الحسن هذا وكان في بعض الدور من القصة بفاس محتاطاً عليه من قبل الوزير المذكور فاحضره في القصر واجلسه على سرير الملك وبايعه الناس وتم له الامر . وجرى معه الوزير على عادته من الاستبداد ومنعه عن التصرف في شيء من امور الملك فانف السلطان عبد العزيز من ذلك وعزم على الفتك بالوزير وامر

بعض خصيانه بقتله متى امرهم بذلك ثم احضره يوماً ما ووبخه وامر اولئك الخصيان فقتلوه واستراح السلطان منه . وانهش السلطان عبد العزيز هذا دولة بني مرين بعد تلاشيها واعاد اليها شبابها بعد هزمها وتقاضياها وازال عنها وصمة الحجر والاستبداد واعادها من العزالي حالها المعتاد . وهو الذي ذكره ابن خلدون في تاريخه الكبير والفه برسمه وحلي ديباجته باسمه

وبعد ان استتب الامر للسلطان ابي فارس عبد العزيز بالمغرب ومحا منه اثار الثوار الذين ظهروا لاول دولته عزم على قصد تلمسان فجهز العساكر ونهض من فاس اوائل سنة ٧٧٢ هـ فاحتل بتازا واتصل خبره بابي حمو بن يوسف فجمع جموعه وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة اصحابه وتفرق عنه اكثرهم فاجفل هو فبين بقي معه عن تلمسان ودخلوا الصحراء وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء سنة ٧٧٢ هـ فدخلها في يوم مشهود واستولى عليها وسير بعضاً من عساكره بقيادة وزيره ابي بكر بن غازي بن الكاس في اتباع ابي حمو فادركوه ببعض بلاد زناتة الشرق فاجهضوه عن ما له ومعسكره فانتهب باسره وهرب ابو حمو ناجياً بنفسه الى القفر ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرد عصاته واستنزل ثواره واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال واستوثق له ملك المغرب الاوسط كما كان اسلفه وقام بتلمسان حتى توفي بها كما ستراه ان شاء الله

وفي سنة ٧٧٣ هـ وفد على السلطان عبد العزيز بتلمسان الوزير ابن الخطيب نازعاً عن سلطانة الغني بالله بن الاحمر صاحب الاندلس (الذي كان استولى مرة ثانية على غرناطة بالاندلس سنة ٧٦٣ هـ في خبر طويل نذكره بالتفصيل في ذكر الدولة الاحمرية النصرية ان شاء الله) فاکرم السلطان وفادته وبعد قليل لحق بالسلطان مرض شديد حتى نحل جسمه فخاف على نفسه وعزم على المسير الى المغرب وتجهز لذلك وخرج الى ظاهر تلمسان لهذا القصد فمضى نحوه بظاهر تلمسان ليلة

الخميس ٢٢ ربيع الآخر سنة ٧٧٤ هـ فحملت جثته الى فاس ودفنت بها وكانت دولته ست سنين واربعة اشهر

٥٩٠ - السعيد بالله ابو زيان محمد بن عبد العزيز

من سنة ٧٧٤ - ٧٧٦ هـ او من سنة ١٣٧٢ - ١٣٧٤ م

لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز بمكانه بظاهر تلمسان قام وزيره ابو بكر ابن الغازي بن الكلس واخذ ابنه ابا زيان وكان صبياً صغيراً وقدمه لمشيخة بني مرين ابائعه فبايعوه واقب السعيد بالله وتم امره وكفله الوزير المذكور فكان اليه الابرار والنقض والصبي كالمدم اذ لم يكن في سن التصرف ثم ارتحل الوزير بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس واجاس الصبي للبيعة العامة فبايعوه

ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد اليها سلطانها ابو حمو بن يوسف الزياتي واستولى عليها ومحا منها دعوة بني مرين وانصل الخبر بالوزير ابي بكر فهم بالنهوض اليه ثم ثني عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن بن ابي علي ابن ابي سعيد بناحية بطوية فان السلطان ابن الاحمر كان قد سرحه من الاندلس لطلب ملك المغرب تشمياً على الوزير ابي بكر بن غازي ثم اتبعه بالامير ابي العباس احمد بن السلطان ابي سالم المريني الذي كان محتاطاً عليه بطنجة . فحذف الامير ابو العباس المذكور الى فاس وظاهره ابن عمه الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن فحاصروا الوزير ابا بكر وسلطانه ابا زيان بن عبد العزيز وامدهم ابن الاحمر بجميع من جنده فاستمر الحال على حصار فاس الى ان اذعن الوزير ابو بكر لخام سلطانه ابي زيان ومبايعة الامير ابي العباس فخلعه يوم الاحد ٦ محرم سنة ٧٧٦ هـ وغرب الى الاندلس فكانت دولته سنة وثمانية اشهر واربعة عشر يوماً

٥٤١ - ابو العباس احمد بن ابي سالم

من سنة ٧٧٦ - ٧٨٦ هـ او من سنة ١٣٧٤ - ١٣٨٤ م

بويح لابي العباس احمد بن ابي سالم هذا في طنجة سنة ٧٧٥ هـ ثم بويح
البيعة العامة في المدينة البيضاء (فاس الجديد) بعد استيلائه عليها في ٦ محرم
سنة ٧٧٦ هـ

وكان الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن عند ما اشرفوا على فتح فاس شرط
عليهم ولاية مراكش فعدوا له عليها فارتحل الى مراكش واستولى عليها واستقل
السلطان ابو العباس بملك فاس واعمالها واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس .
واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعل اليه المرجع في نقضه وابرامه فصار له
بذلك تحكم في الدولة المرينية واصبح المغرب كانه من بعض اعمال الاندلس
وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان ابي العباس على ملك المغرب
حتى تم له

ولما ذهب عبد الرحمن بن ابي يفلوسن الى مراكش استولى عليها واستبد بها
وانقسمت المملكة الى دولتين فاس لابي العباس ومراكش لعبد الرحمن ثم حصلت
بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها خروج ابي العباس من فاس سنة
٧٨٤ هـ قاصداً مراكش فوصلها ونازلها وضيق عليها الحصار ودافع عنها عبد الرحمن
بقدر ما في امكانه حتى قتل في المعركة ودخل ابو العباس مراكش واستولى عليها
وفي اثناء حصار ابي العباس لمراكش اغار ابو حمو بن يوسف الزياني صاحب
تلمسان على اطراف المغرب باغراء عبد الرحمن ودخل في جموعه احواز مكناسة
وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعمائة واربعمائة واربعمائة
ومسجده المعروف بقصر تازروت

وبينا هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بانتصار ابي العباس واستيلائه على
مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فاجفوا من كل ناحية ولحق ابو حمو بتلمسان .

اما السلطان ابو العباس فانه بعد ما فتح مراکش وصل الى فاس واراح بها اياماً ثم اجمع النهوض الى تلمسان لينتقم من ابي حمو فخرج من فاس لهذا القصد وعلم ابو حمو بنهوضه فاضطرب وجمع امواله وحرمه ولحق ببلاد مغراوة وجاء السلطان ابو العباس الى تلمسان وملكها واستقر بها اياماً ثم هدم اسوارها وقصور الملك بها جزاء لما فعله ابو حمو في تخريب قصر تازروت . ثم خرج من تلمسان في اتباع ابي حمو فبلغه الخبر باجازه موسى بن ابي عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفاً الى دار الملك كما سذكركه فانكفأ راجعاً الى المغرب ورجع ابو حمو الى تلمسان واستقر ملكه بها

قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الاحمر في مملكة المغرب ودائه على السلطان ابي العباس بما انه كان السبب في ولايته . وكان مع كثرة تحكمه يتجنى عليهم في بعض الاوقات بما ياتونه من تقصير في شفاعه او مخالفة في امر لا يجدون عنها محيصاً فيضطعن ذلك عليهم . وكان يمتد على السلطان ابي العباس بشيء من هذه الهنات فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها اتصل بابن الاحمر ان دار الملك بفاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فانتهز الفرصة وبادر بتسريح موسى بن السلطان ابي عنان الى المغرب واستوزر له مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي . فنزل موسى بن ابي عنان سبته فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها واتصل الخبر بالسلطان ابي العباس وهو بتلمسان فجاء مبادراً فلما وصل الى الموضع المعروف بالركن انتفض عليه روساء جيشه وتسلاوا عنه الى موسى بن ابي عنان طوائف وافراداً . فلما رأى ابو العباس ما نزل به رجع الى تازا وذلك يوم الاحد ٣٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ

ثم بعث موسى بن ابي عنان من اتاه بالسلطان ابي العباس في الامان فقدم عليه وقيده وبعثه الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطاً عليه الى ان كان ما نذكركه ان شاء الله تعالى

٥٢٢ - ابو فارس موسى بن ابي عنان

من سنة ٧٨٦ - ٧٨٨ هـ او من سنة ١٣٨٤ - ١٣٨٦ م

يبيع لابني فارس موسى هذا يوم الخميس ٢٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ ولقب
المتوكل على الله وقام بامر دولته وزيه مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي مستبدًا
عليه . وثار عليه لاول دولته الحسن بن الناصر بجبال غماره داعيًا لنفسه فكثر
اتباعه وعظم ضرره فارسل اليه الوزير مسعود العساكر بقيا دة اخيه مهدي بن عبد
الرحمن بن ماساي فحاصره بجبل الصفيحة ايامًا فامتنع عليه
وفي هذه الاثناء حصلت نفرة بين السلطان ابي فارس ووزيره مسعود طلب
مسعود لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لمداغة الحسن بن الناصر القائم
بغماره واستخلف على دار الملك اخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساي فلما انتهى
الى قصر كتامة بلغه الخبر بوفاة السلطان موهي بن ابي عنان . وكانت وفاته يوم
الجمعة ٣ رمضان سنة ٧٨٨ هـ قبل مسمومًا

٥٤٣ - ابو زيان محمد بن ابي العباس بن ابي سالم

سنة ٧٨٨ هـ او سنة ١٣٨٦ م

يبيع لابني زيان محمد هذا يوم الجمعة ٣ رمضان سنة ٧٨٨ هـ بعد وفاة خاله
موسى بن ابي عنان ولقب المنتصر بالله . ولم تطل مدة ملكه لانه خلع يوم الجمعة
١٥ شوال من السنة فكانت ولايته ٤٣ يومًا تحت استبداد الوزير مسعود . ولما
خلع غرب الى الاندلس مع ابيه

٥٤٤ — ابو زيان محمد بن ابي الفضل بن ابي الحضر

من سنة ٧٨٨ — ٧٨٩ هـ او من سنة ١٣٨٦ — ١٣٨٧ م

بويح السلطان ابو زيان محمد بن ابي الفضل يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٧٨٨ هـ بعد خلع ابي زيان بن ابي العباس وقام بامرہ الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي . ولقب ابو زيان محمد هذا بالواثق بالله . ثم حدثت فتنة بين الوزير مسعود وابن الاحمر بسبب ان الوزير طلب منه اعادة سبته الى الالة المرينية وكان موسى بن ابي عنان قد نزل عنها كما مر فاستشاط ابن الاحمر لهذا الطلب غضباً واساء الرد . فجهز الوزير ابن ماساي عساكره وارسلهم لحصار سبته فاستولوا عليها

ولما اتصل الخبر بابن الاحمر سرح السلطان ابا العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه وللتشغيب على ابن ماساي الجاحد لاحسانه بزمعه . فعبر السلطان ابو العباس البحر الى المغرب فاحتل سبته واسنولى عليها ثم تقدم الى فاس وحاصرها وضيق على ابن ماساي وسلطانہ الواثق بالله واهرع الناس الى الدخول في طاعته واستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة اشهر ثم اذعن الوزير مسعود للطاعة على شرط ان يبقى وزيراً ويعرب سلطانه الى الاندلس فاجيب الى ذلك وخلع الواثق بالله ثم خرج الى السلطان ابي العباس فبايعه وتقدم امامه فدخل دار ملكه يوم الخميس ٥ رمضان سنة ٧٨٩ هـ . ولحين دخوله قبض على الواثق بالله فقيده وبعث به الى طنجة فقتل بها بعد ذلك بقليل

٥٤٥ — ابو العباس احمد بن ابي سالم ثمانية

من سنة ٧٨٩ — ٧٩٦ هـ او من سنة ١٣٨٧ — ١٣٩٣ م

لا دخل ابو العباس حضرة فاس الجديد في التاريخ المتقدم ببيع البيعة العامة

يوم السبت ٧ رمضان سنة ٧٨٩ هـ . ولما استقر قدمه قبض علي الوزير مسعود ابن عبد الرحمن بن ماساي واخوته وقتلهم بعد ان اذاقهم من العذاب اشكالا والوانا وجعلهم عبرة للمعتبرين

وفي سنة ٧٨٨ هـ ثار ابو تاشفين بن ابي حمو بن يوسف على ابيه ابي حمو صاحب تلمسان واستمد ابو تاشفين السلطان ابا العباس سنة ٧٩١ هـ فامده بابنه الامير ابي فارس ووزيره محمد بن يوسف عقد لها على جيش كثيف من بني مرين وغيرهم فانتصر ابو تاشفين على ابيه فقتله وبعث براسه الى السلطان ابي العباس ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة ٧٩١ هـ واستمر بها مقيما لدعوة السلطان ابي العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان ويحث اليه بالضرية كل سنة واستمر على ذلك الى ان مات سنة ٧٩٥ هـ فتغلب على تلمسان اخوه الامير يوسف بن ابي حمو ولما انصل الخبر بابي العباس خرج من الحضرة الى تازا ومن هناك بعث ابنه الامير ابا فارس في العساكر الى تلمسان فاستولى عليها واقام فيها دعوة والده وفر يوسف بن ابي حمو الى بعض الحصون ، واستمر السلطان ابو العباس بتازا يشارف لاحوال ابنه حتى مرض هنالك وتوفي ليلة الخميس ٧ محرم سنة ٧٩٦ هـ

٥٤٦ - ابو فارس عبد العزيز به ابي العباس

من سنة ٧٩٦ - ٧٩٩ هـ او من سنة ١٣٩٣ - ١٣٩٦ م

لما توفي السلطان ابو العباس احمد بن ابي سالم بمكانه من تازا ارسل ارباب الدولة الى ابنه ابي فارس عبد العزيز واستدعوه من تلمسان فقدم عليهم بتازا وبايعوه يوم السبت ٩ محرم سنة ٧٩٦ هـ ولما تم امره اطلق ابا زيان بن ابي حمو الزياتي وكان معتقلا عنده بفاس وبعثه الى تلمسان اميرا عليها من قبله فسار اليها ابو زيان وملكها واقام فيها دعوة السلطان ابي فارس

وكان السلطان ابو فارس يكره سفك الدماء لرقه قلبه وكثرة شفقتة فارتاحت البلاد في ايامه ولم يحصل فيها من الحروب ما يذكر ولكنه لم تطل مدته اذ توفي يوم السبت ٨ صفر سنة ٧٩٩ هـ . وكان يحسن قرض الشعر و يحب سماعه فمن نظمه وقد نزل المطر يشكر الله عليه

الله يالطف بالعباد فواجب ان يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه من بعد ما قنطوا وينشر رحمته

٥٤٧ - ابو عامر عبد الله بن ابي العباس

من سنة ٧٩٩ - ٨٠٠ هـ او من سنة ١٣٩٦ - ١٣٩٨ م

لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز بن ابي العباس تولى بعده اخوه ابو عامر عبد الله وتلقب بالمستنصر بالله وكان التصرف في ايامه للوزراء وارباب الدولة ولم تطل مدة ملكه لانه توفي يوم الثلاثاء ٣٠ جمادى الآخرة سنة ٨٠٠ هـ لسنة وخمسة اشهر تقريباً من ولايته

٥٤٨ - ابو سعيد عثمان بن ابي العباس

من سنة ٨٠٠ - ٨٢٣ هـ او من سنة ١٣٩٨ - ١٤٢٠ م

لما توفي السلطان ابو عامر عبد الله بن ابي العباس تولى بعده اخوه ابو سعيد عثمان بن ابي العباس وهو ثالث الاخوة الذين تولوا الامر بعد ابيهم ابي العباس وكان هذا السلطان ضعيف الراي قليل العزم فاطر الهمة فانغمس في الشهوات واللذات الجسدانية تاركاً امور الدولة بيد الوزراء يتصرفون فيها كما يشاؤون ومن اهم الحوادث في ايامه استيلاء البر تغال على مدينة سبته وانتزاعها من الدولة المرينية وذلك سنة ٨١٨ هـ

وفي سنة ٨٢٣ هـ توفي السلطان ابو سعيد عثمان بن ابي العباس وتولى بعده
ابنه عبد الحق

٥٤٩ - عبد الحق بن ابي سعيد

من سنة ٨٢٣ - ٨٦٩ هـ او من سنة ١٤٢٠ - ١٤٦٥ م

لما توفي السلطان ابو سعيد عثمان بن ابي العباس تولى بعده ابنه عبد الحق وهو
آخر ملوك بني عبد الحق من بني مرين واطولهم مدة واعظمهم محنة وشدة وفي
ايامه ضعف امر بني مرين جداً وندأى الى الانحلال وكان التصرف للوزراء
والحجباب شان دولة ابيه من قبله . ومن وزراء السلطان المذكور الوزير ابو زكريا
يحيى بن زيان الوطاسي الذي استبد بالامر حتى توفي سنة ٨٥٢ هـ وولى الوزارة
بعده على بن يوسف الوطاسي وارتاحت البلاد في مدته لحفظه امور الملك ورقه
بالرعية مع العدل وحسن الادارة ثم توفي سنة ٨٦٣ هـ فقدم للوزارة بعده ابو زكريا
يحيى بن يحيى الوطاسي وهذا ابتداء ان يجري في الدولة تحسينات مجارة لباقي
الدول المعاصرة له وكان يكره البقاء على القديم ولهذا السبب هاج عليه اهل المغرب
وشكوه الى السلطان عبد الحق فقتله وقتل معه جميع الوطاسيين الا من كان منهم
طويل العمر ثم استعمل على وزارته هارون وشاويل اليهوديين نكايه باهل دولته
لتوالى هياجهم عليه فاساء اليهوديان السيرة في الرعية الى درجة لا تحتمل ونحكم
اليهود على المسلمين في المغرب بسببها

ولما ضاق الامر باهل المغرب من جرى فعل اليهود اجتمعوا الى الشريف
ابي عبدالله الحفيد من بقايا الادريسين الذي حكموا المغرب في مبدأ الاسلام
وبايعوه والتفت عليه نواصيتهم وعامتهم وتقدموا الى فاس وقتلوا الوزيرين
اليهوديين واثنوا في جميع اليهود القاطنين المدينة فقتلواهم واستلبوهم واصطلبوا
نعمتهم واقسموا اموالهم . وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائبا في حركة له

بعض النواحي واتصل به الخبر بمكانه فانفض مسرعاً الى فاس ولما قربها ثار عليه جنده . واتصل الخبر باهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرجوا من فاس وقبضوا على السلطان عبد الحق وقتلوه وذلك سنة ٨٦٩ هـ وبه انقرضت دولة بني عبد الحق من بني مرين وفي ايامه استولى البرتغال على طنجة سنة ٨٦٩ هـ والله غالب على امره

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث واوله
الدولة النصرية الاحمرية بالاندلس

وكان الفراغ من طبعه في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٧



